سيرة ذاتية

الجزء الأول

مع أمل الوحدة

من الثورة إلى الثورة

د. عبد الوهاب محمد الزنتاني



د. عبد الوهاب محمد الزنتاني

مع أمل الوحدة

من الثورة إلى الثورة

(سيرة ذاتيّة)

الجزء الأول

٢٠١٠م

مع أمل الوحدة من الثورة إلى الثورة

الجزء الأول

د. عبد الوهاب محمد الزنتاتى

الكتـــــاب: مع أمل الوحدة من الثورة إلى الثورة

المـؤلــف: د. عبد الوهاب محمد الزنتاتى

تاريخ النشر: ٢٠١١ م

رقم الإيداع: ٩١٩٤

الـرقم اللولي: I.S.B.N 978-977-463-109-2

الناشـــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٧٩٥٤٢٢٤

التوزيـــع:

٣ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٥٩١٧٩٥٩

www.darghareeb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبنائى الذين أعرف تماما بأن الحقيقة لا تزعجهم وهى التى سأتناولها تفصيلا (اى حياتى) والتى تمتد منذ فترة ما قبل استقلال ليبيا ومنذ صرت أفك الخط سنة (١٩٤٤م) ذلك أن حياة أغلب الليبيين كانت فى غاية الصعوبة، ظروف حياة ربما لا يصدقّها أحد ممن لم يعيشوها، ولكن على أى حال فان الفقر ليس عيبا، ولم يكن المجتمع الليبى (مجتمعا مخمليا) حتى يقاس الفرد بوضعه الاجتماعى والمالى حيث يحدث التمايز بين الواحد والثانى (كما نرى فى بعض المجتمعات العربية) والتى تتوزع الألقاب بقدر ما تكسب من مال وعقارات وأطيان إلخ، وكانت ليبيا أفقر البلاد العربية على الإطلاق بسبب الجهل والطبيعة والجغرافيا والغزوات والحروب، خارجية وداخلية.

وأنا هنا أقدم فى مذكراتى هذه تفاصيل حياتى بما فيها من صواب وأخطاء وعوز وضنك، حياة هى غالبا دون الكفاية، ثم ما اعتراها من تغيرات ومحاولات التغلب على الصعاب واجتهاد مع نجاح وإخفاق فى مختلف المجالات العلمية والعملية والثقافية والسياسية والدبلوماسية، وليعذرنى من يريد أن يُفهم الناس أنه ولد وفى فمه ملعقة من ذهب، وربما ذلك حال الذين كدّسوا الأموال حرامها وحلالها خلال النصف الأخير من القرن العشرين، على الرغم من أن ملاعق الذهب أو الفضة لم تكن موجودة فى ليبيا أبدا..

أقول إلى أبنائى وأحفادى وأبناء بلدى الذين أنعم الله عليهم الآن بالخير الوفير هذه تجربة حياة أهديها لمن يريد أن يعرف بعض أحداث الماضــى وأنــا أعتقد أنها تمثل صورة صادقة (ربما) عن حياة كل ليبى قبل زمن النفط، وأنــا أحمد الله أننى قليل الرغبات ومن الزهّاد في الوظيفة الحكومية مهما كانت أهمية المنصب، وأسعد أوقاتى تلك التى أقضيها بين الكتب أردد دائما قول الــشاعر العربي: (النفس راغبة إذا رغّبتها وإذا ترد بالقليل تقنع).

ولا أذكر في أى يوم من أيام حياتى أننى سعيت وراء ما يجعلنى أطلــب لأنى أعرف أن الطلب مذّلة.

والله الموفق ومنه العون ،،،

د . عبد الوهاب محمد الزنتانى

بلدة الزنتان فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٦م

(لأسباب كثيرة لم تنشر هــذه المذكرات، ولم تتح الفرصة إلا هذه السنة ٢٠١٠م).

تقديم

السّير والمصير،،

في أى شئ تذهب النفس حسرة وقد قسّم الرحمن رزق الخلائق،،

إن ما أكتبه يمثل أنموذجا لحياة الإنسان الليبى فى ذلك الوقت،قد يكون تاريخا لشخص وحُقبة، وقد يعتبر سيرة ذاتية يقدمها الكاتب للقراء فى وقــت اختلف وإنسان تغيّر، وقد يكون لبنة فى بناء مر عليه الزمن..

غصن فى شجرة يخضرّ ويصفرّ بين وقت وآخر، صيف وخريف وشــتاء وربيع، هو حرف من كلمة بعده سؤال، هل هذا يمثل قضية الآن ؟؟

اى هل يمكن تجاهل تاريخنا ؟..

أيامنا التى عانينا فيها الأمرّين، الفقر والمرض ؟..

ولابد أن أتساءل، هل كنت نبتة فى محيط خاطئ، والنبتة هى الإنسان، والمحيط هو المجتمع ؟..

ولو كان المحيط خاطئا لضاعت النبتة، ولكن كلمة الله هى العليا..

فأنت غالبا لا تختار لنفسك...

أقول أيها الســادة أننى لا أغربل كلماتى بل إنى أجعلها تتوالى تتابعــا كما هى فى الذاكرة لرسم صورة فرد ومجتمع للقارئ أن ينظر إليها مــن أى

زاوية وله الحق فى ذلك، أما أنا فأراها يانعة وارفة محمودة كما سيّرها الخالق، وهكذا أبداً..:

ولدت من والدين ليبيين وكنت وحيدهما، ونشأت ببلدة اسمها الزنتان تقع على قمة جبل نفوسة بغرب جنوب ليبيا، أهلها يعيشون على الزراعة الموسمية وتربية الحيوانات، لم أعرف تاريخ ميلادى بالتحديد إذ لم تكن هناك قيودات ولا سجلات بلدية بل لم تكن هناك بلدية أصلا، وقال والدى أننى ولدت بعد عام (الهزّة) أى (الزلزال) بسنة وكانت تلك (الهزة) قد وقعت سنة ١٩٣٥م (عرفت ذلك فيما بعد) ولا أذكر أننى حملت شهادة ميلاد ولا أى أوراق أو مستندات وحتى عندما التحقت بالبوليس لم تكن لدى أوراق وقد سئلت عن عمرى فقلت سبعة عشر سنة وهكذا قُبلت وبعد التجنيد طلب منى أن أكتب طلبا بذلك لكى يوضع فى ملفى الشخصى، صار اسمى الذى اختاره والدى (عبدالوهاب) ولم يكن هذا الاسم معروفا أو قل متداولا، وبعد أن تجاوزت سن الخمسين من عمرى وبدأت أهتم بأحداث التاريخ قررت أن أبحث عن أصل أهلى وعائلتى (أرض أجدادى) وكان ما دققت وعرفت من خلال البحث الطويل فى بطون الكتب وأحاديث الكبار فى ليبيا واليمن والعربية السعودية، أننا من الجزيرة العربية منطقة نجد ناحية وادى دواسر قبيلة سليّم فرع عوف وهكذا فإن اسمى يتصل كما يلى (عبد الوهاب ابن محمد بن أحمد بن محمد بن خليفة بن عثمان بن عبد الصمد بن على الأجدل بن عيسى قبيلة سليّم فرع عوف التى وفدت من الجزيرة العربية جنبا إلى جنب مع قبيلة بنى هلال واستقرت بصعيد مصر فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى، ثم زحفت إلى الشمال الأفريقى مع بنى هلال بتشجيع من الحاكم

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

الفاطمى الذى أراد التخلص من هاتين القبيلتين العربيتين وله فى ذلك أغراض سياسية وأمنية، وكان جدنا الأول يدعى الحسن بن المحسن الحجازى النجدى السليمى بن عوف بن سليم بن قيس بن مضر بن نزّار بن معد بن عدنان، ولأن السُليميين لم يتجاوزوا حدود ليبيا الغربية فقد استقر جدنا الكبير مع أبنائه وزوجاته بالجبل الغربى فى بلدة عرفت من حينها وإلى الآن باسم الزنتان، ومن أبنائه وأحفاده تكوّنت قبيلة الزنتان التى تتوزع إلى عدّة فروع وكانت أسرتى من فرع أولاد عيسى لحمة الكراكيم، وكما أشرت عندما التحقت بالشرطة لم تكن لدى شهادة ميلاد، والواقع أن مظهرى كان يوحى بأننى أكبر من عمرى الحقيقى، وعن بلدتى عرفت فيما بعد أن الجنرال الإيطالى الذى قاد حملة الغزو الاستعمارى على ليبيا (غراتسيانى) قال عنها فى مذكراته التى صدرت بعنوان (نحو فزان) أنها (قرية حقيرة) تقع على رأس جبل نفوسة، وأعتقد أن وصفها بالحقيرة من جانب غازى أجنبى لا يعنى بسبب فقر أهلها أو تخلفهم التعليمى والحضارى ولكن بسبب ما واجه الغزاة من مقاومة رجالها دفاعا عن الأرض والعرض، والتاريخ الوطنى الليبى يشهد للبلدة وأهلها بذلك.

لم تعرف هذه البلدة أو القرية كغيرها من بلدات الجبل الغربى الكهرباء والماء ولا وسائل الإعلام كالإذاعة والراديو والصحيفة أو السينما إلخ، هى بلدة هادئة سكانها يعيشون حياة كل ما فيها بسيط، مجتمع صغير متماسك يسوده التعاون الإنسانى كرعاية الجار وتوقير الكبير والتعاطف..

الرجال يعملون فقط عندما تهطل الأمطار فى الحرث ثم حصاد القمح والشعير أى لفترة ثلاثة شهور تقريبا فى السنة، وخلال بقية شهور السنة يتفرغون للاحتفالات كالمزارات والأعراس وسباق الخيل فى ميدان الشارف

ولكل قبيلة جد تزوره فى مناسبة سنوية محددة كالذويب والأعمى وزايد ولكل واحد من هؤلاء الجدود ضريحا وتنسب اليهم الكثير من الكرامات، وكذلك هناك الاحتفالات الدينية كالأعياد وختان الأطفال إلخ.

أما النساء فيعملن على إحضار المياه من عين تقع وسط واد عميق بين حافتي جبل نفوسة وتسمى (مصلّغين) وهذه كلمة بربرية قديمه حيث أن سكان المنطقة الاصليون عرفوا فى التاريخ باسم (البربر) ونحن نقول (إجباليه) ربما نسبة إلى الجبل الذي يعيشون فيه وهؤلاء يسكنون بيوتا مبنية من الحجارة بينما كان أهل بلدتى يعيشون فى مساكن تحت الأرض تسمى (دواميس) والداموس عبارة عن جوف تحت الأرض يمتد أفقيا وليس به نوافذ ولا فتحات غير مدخله وفى المدخل يوجد باب عادة ما يكون مصنوعا من جذوع النخيل ومن يعيش فيه لا يحتاج للدفئة شتاء ولا التبريد صيفا فهو بارد دافئ، وهذه الدواميس نوعان، داموس أى مفرد وهذا يحفر فى مكان مستقل، ودواميس بالجمع وهذه تقوم فى وضع دائرى حول بهو أو ساحة إما متقابلة أو متحادية وبها ما يسمى (سقيفة) أى ممر يمتد أحيانا عدة أمتار بين الساحة والمخرج وهذا يسمى حوش، الأمراض قليلة بين هؤلاء الناس فهم غالبا أصحاء وإذا أصيب أحد منهم بأى مرض يتداوون بالحجامة والكى بالنار، توجد فوق الدواميس أحيانا حفر تشبه الغرف وهذه يخزّن فيها القمح والشعير والتمر إن وجد، ربما كان الفارق بين ساكنى الدواميس وساكنى مبانى الحجارة بعض التعليم والتحضر النسبى (وغالبا ما كانت العلاقات الجبالية وبين جيرانهم من العرب متوترة وتزيد توترا كلما تواجدت قوات أجنبية فى البلاد وتلك عادة ما تؤلب المواطنين ضد بعضهم وتستغل الاختلاف العرقى أو القبلى)

ولقد كانت ليبيا تُجتاح بين وقت وآخر وتكون عرضة للغزو من طرف قوى أجنبية كالإغريق والبيزانطيون والجرمانتيون والترك والأسبان وحتى فرسان القديس يوحنا ثم الطليان والإنجليز وغيرهم، لم يكن ببلدة الزنتان (تاغرمين) مبان حجرية غير المبنى الكبير الذى أقامه الإيطاليون على ربوة عالية تطل على البلدة من جهة الغرب ويسمى (كازيرما) وهو مبنى يرمز إلى الجبروت والعسف، يكون به عادة عددا من الجنود الطليان يرئسهم ضابط أو صف ضابط أيطالى ومعهم مجندون ليبيون هم أكثر قسوة على مواطنيهم من الطليان أنفسهم إضافة إلى أولئك النفر من المرتزقة الذين يتعاونون مع الطليان وهؤلاء يسميهم الناس (شواشيد) أى مخبرين، وقد كان من ينقل إلى هذه الكازيرما لا يخرج حيا ومن ذلك أن عددا من الرجال أتهموا (مجرد إتهام بسبب وشاية نقلوا فورا إلى منخفض يقع على الجانب الأيمن فى مواجهة الكازيرما وأعدموا وكانوا عشرة من الرجال ومكانهم يعرف حتى الآن (بقبر العشرة) وكانت أقل عقوبة توّقع على المواطن لا تقل عن الجلد بالسوط خمسون جلدة أو أكثر كما أن المشانق كانت تنصب فى الميادين وفى البلدة موظف يسمى مدير يمثل السلطة المدنية والواسطة بين الطليان والسكان وهو فى الغالب أسوأ من الطليان أنفسهم فى تعامله مع الناس.

فى المكان المقابل (للكازيرما) كانت هناك مجموعة من الدكاكين المتقابلة فى صفين مقامة أيضا بالحجارة تسمى (سوق) وبعيدا على الجانب الأيمن من وادى (الشارف) هناك مبنى حجرى كانت به معصرة زيتون تدار بواسطة (جمل) وفى الجانب المقابل من (الشارف) هناك جامع عتيق أيضا يقع على مرتفع بين قبيلتى (أولاد عيسى وأولاد الذويب).

نساء البلدة يقمن بطحن القمح والشعير من أجل الطعام كما يقمن بخدمة الصوف وشعر الماعز لنسج الملابس والأغطية وغيرها كما يقمن بصنع قرب الماء والأدوات المترلية الخاصة بالطبخ والأكل كالقصعة والكانون والأبريق وكل الاحتياجات الحياتية وهى تصنع من الطين، أما الأطفال فلا يعرفون شيئا من العالم الإنسانى الكبير غير بلدهم، ويمارسون بعض الألعاب مثل لعبة (الكعب) ولعبة كرة (الجوارب) ملابسهم عادة قميص من القماش الأبيض وسروال من نفس القماش ولا يتغيّر هذا اللباس إلا بعد الحصاد وبيع المنتوج، أما أقدامهم فهى حافية ويذهب الطفل عندما يبلغ سن الخامسة أو السادسة إلى خلوة الفقى لتعلم مبادئ الكتابة وحفظ آيات أو سور من القرآن الكريم والتربية تقوم أساسا ومن الصغر على النهج الإسلامى.

كانت الطرق الصوفية منتشرة وكل طريقة لها معتنقيها وروادها والمتحمسين لها كالعروسية والأسمرية والقادرية، وكذلك كانت هناك تقاليد زيارات أولياء الله (كما يقولون) وكل قبيلة لها جد تحتفل بذكراه سنويا مثل الذويب وسيدى زايد وعيسى والأسمر، وهم فى الغالب لا يعرفون من أين جاء هؤلاء ولا يتحدثون عن ذلك، وكان اليهود يجولون فى المنطقة بكامل الحرية كتجار متجولون يحملون بضائعهم على ظهور الحمير وكانت المرأة الليبية لا تحتشم من اليهودى باعتباره ليس رجلا فى اعتقاد الناس، وهؤلاء يبيعون ملبوسات النساء كحلى الفضة وأنواع من الخرز ويشترون ويبادلون أحيانا تلك البضائع بما يوجد لدى السكان من أشياء قديمة، وكانوا يشيعون الكثير من القصص التى كانت تعرف باسم (خرّاف) أى الحكايات الشعبية التى عادة ما تحفظها النساء ويرددها خلال ليالى السمر، ويحدث عادة أن

تصاب بعض النسوة بمرض يشبه مرض الأعصاب وهذا يسمى (العون) أى أن جنيا يلبسها (كما يقال) فيقوم أحد الفقهاء بطرد الجن بواسطة التسابيح والأحجبة والتمائم، كما يقوم نفس هؤلاء الفقهاء بختان الأطفال وبوسائل بدائية جدا ...

كانت لحمات الزنتان أو قل قبائلهم المقيمة بتاغرمين تتجمع فى مساكنها حول منخفض يسمى (الشارف) وهو شبه وادى يمتد من الشرق إلى الغرب، ولا يقلق أهل هذه البلدة أحيانا إلا بعض الخلافات القبلية التى تحدث عند هطول الأمطار بشأن الأرض والحرث مما يؤدى أحيانا إلى حمل السلاح على الرغم من أن أى سلاح ممنوع خلال العهد التركى وبعده العهد الإيطالى، ومن يحمل سلاحا يحكم عليه بالإعدام ويجلد خمسون جلدة أو أكثر إذا كان يحمل أى آلة حادة بما فى ذلك الموس إذا لم يكن غير حاد ومقطوع الرأس هذا يحدث فى عهد الطليان بعد تلك الحرب الوطنية..

وعندما سيطر الطليان على البلاد،وكان الليبى قبل العهد الاستعمارى يفخر باكتساب البندقية والفرس باعتبارهما من علامات الرجولة، وكانت الأسلحة غالبا إيطالية (أم حريبة أو الدقرة أو الطويلة، يحدث الخلاف بين بعض القبائل بشأن الحرث قبل أن يكون هناك عدو خارجى كحالة الحرب الليبية الإيطالية التى استمرت ثلاثة عقود قدّم فيها الليبيون وهم متّحدون كل شئ، أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وهى قليلة) ولم يرضخوا إلا بعد أن نفد كل شئ (لا ضرع ولا زرع) ولم تنته تلك الحرب القاسية سنة (١٩٣٢م) حتى ضربت الأمطار الغزيرة والعواصف المنطقة فدمرت أغلب ما على الأرض، وكان عليهم، وهم الذين يعيشون على الزرع والضرع مغادرة البلدة إلى أى

مكان بحثا عن سبل العيش ولو مؤقتا، منهم من غادر غربا إلى (تونس) ومن غادر شرقا إلى (بنغازى وطبرق ومصر وغيرها) وهم لم يألفوا الهجرة من قبل، بعد هجرتهم السابقة ضمن آلاف من الناس الذين جاءوا من الجزيرة العربية إلى صعيد مصر أيام حكم المعز لدين الله الفاطمى (الدولة الفاطمية) وهاته الآلاف من البدو الرحل كانوا ينتمون إلى قبيلتى (بنى هلال وبنى سليم) والزنتان ينتمون إلى بنى سليم فرع (عوف) وجدهم يدعى (الحسن بن المحسن الحجازى النجدى بن عون بن سليم المتفرع من قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) ومن ضمن تلك الهجرة الجديدة كانت عائلتى الصغيره (والدى ووالدتى وأنا) لم أكن أعرف إلى أين ولم يكن معنا ماء ولا غذاء غير (صرّة) تحملها والدتى بها بعض الحاجيات لا أعرفها، كنت أمشى حافيا خلف والدتى التى هى الأخرى حافية فى طريق صحراوى فيه حجارة وأشواك، وقد سمعت والدى يقول سوف نصل بلدة (نالوت) وهى ليست بعيدة بها كثير من الكرم حيث يمكن أن نقتات بالتين ولو مؤقتا وبعدها يستر الله..

حط رحالنا بواد فى بلدة نالوت ويا له من رحال ! امرأة حافية القدمين تحمل (صرّة) على رأسها بها بضعة أشياء يغطى جسدها رداء كاد يتهرأ وزوج منهك لا يملك مالا ولا أنعاما وربما لا أملاء، وطفل وحيد تبعهما حافي القدمين لا يعلم من الدنيا شيئا غير أنه جائع ينتظر على مضض لقمة أينما كانت تتمثل فى ذهنه ببضع حبات من التين، وقبل مغادرة البلدة (الزنتان) وكان عمرى قرابة سبع سنوات كنت قد انتظمت في دروس القرآن الكريم لدى الفقى (محمد التركى) رحمه الله رحمة واسعة فقد كان تقّيا ورعا ومتفقّها قديرا ومجتهدا مبدعا، وأنا في سن الخامسة مثل بقية الأطفال في تلك البلدة، والفقى التركى

إذا ما غضب على أى طفل ولأى سبب لا يعرف إلا (الفلقة) وكنا نسمعه يقول (هات الفلقة يا رفطى) وما عرفت معنى كلمة رفطى إلى هذا الوقت، ولعله سمع مثل هذا التعبير من أحد الأتراك في زمن مضى، وكانت الخلوة أو الكتّاب عبارة عن حجرة واحدة مقامة بجانب المسجد القديم الواقع قرب السوق من الجانب الشرقى وفى موقع مقابل المبنى الكبير الذي أقامه الإيطاليون كمركز لعساكرهم أثناء وجودهم فى هذه البلدة ويقع على ربوة عالية تشرف على السكان من الجانب الغربى كما ذكرت سابقا..

الحجرة أو الخلوة بها حصير قديم يجلس عليه الأطفال القرفصاء متقاربون يمسك كل واحد منهم اللوح بيديه الاثنتين من الأعلى مسنودا على ركبتيه وكل منهم يكون منكّبا يتلو سورته بصوت عالى حتى أن السامع تختلط عليه القراءات في حين أن الفقى يميّز الأصوات وينبه المخطئ في القراءة أحيانا بالكلام وفى أحيان أخرى يلكزه بالعصاة وهو يجلس قبالة الأطفال على فراش محشو بالتبن وبالقرب منه تلك الفلقة وبجانبها عصا هى عباره عن غصن شجرة زيتون يابس، أما الفلقة فهى أيضا عصا من غصن زيتون غليظ به ثقبان من طرفيه يتصل بينهما حبل وعندما يقرر الفقى العقوبة بالفلقة ولأى سبب وإن كان في الغالب عندما لا يحفظ الطفل سورته، هنا يكلف الفقى اثنان من الأطفال ليمسكا بالمراد ضربه ويدخلا رجليه بين الحبل وتلك العصا ويلويان عليهما الحبل فينهال الفقى ضربا على تلكم الرجلين ومهما علا صراخ الطفل فإن الضرب لا يتوقف حتى ينتهى العدد المقرر من الضربات، وأثناء القراءة فلابد أن يهتز الطالب برأسه يمنى ويسرى ولا أحد يستطيع أن يلتفت أو أن يخاطب من بجانبه ولو فعل فإن العصا جاهزة وكلمة يا رفطى تتكرر عدة

مرات، ومهما بلغ الألم بالطفل وأحيانا إلى أن تدمى رجلاه فلا أحد من أهلـه يحتج على ما يفعل الفقى بل هـم يقولـون أن عصاة الفقى رحمة، وهكذا قبل أن أغادر بلدتى كنت قد حفظت بعض السور القصيرة وتمتّعت بالفلقـة عدة مرات غير كلمة رفطى التى سمعتها عشرات المرات كأنما هى إنذار بـأن الفلقة آتية بعدها..

عادة ما يكون صباح كل يوم جمعة هو اليوم المحدد الذي يأتى فيه الطفل بما يتيسر للفقى من أهله، وحتى الآن وقد جاوز عمرى الستين سنة مازلـت أذكر نوع ومكان الألعاب التى كنا نقوم بها حيـث نتبـارى أحيانـا بكـرة الشخشير (الجورب) ونلعب الكعب ونتسابق في الجرى وغالبا ما نتواجـه في معركة بالحجارة هذه المجموعة من قبيلة كذا والأخرى من قبيلة كذا ويحـدث التقاذف بالحجارة حتى تسيل الدماء من بعض رؤوس الذين يصابون ويعـود الواحد إلى أهله والدم يغطى رأسه أو كتفيه فيداوى بوضع الكُحل من أجـل إيقاف النزيف ولا شئ غير ذلك لأن الكبار يرون أن هذا نوع من اللعب بين الأطفال ويتفاخر هذا الجانب بانتصاره على الطرف الآخر في هذه المعركة إلى أن تحدث أخرى وهكذا..

كان لدى منداف حديدى صغير وهو الشئ الوحيد الذي حملته معى من قريتى (الزنتان) وفى نالوت كنت أحمل هذا المنداف الصغير وأنصبه لاصـطياد الحجل هذا الطائر الأنيق الجميل الذي لا يظهر إلا في الصباح الباكر والمـساء عندما يكون الطقس رطبا عليلا، ولا يسلك في سيره متتابعا إلا المسارب التى لا يحيد عنها وينتفض بشدة إذا ما مّست رجله أو رجلاه عـرف شـجرة أو عشبة، تراه يجرى أنيقا، رجلىّ أنثـاه حمـراوان كأنهمـا مخظبتـان بالحنـاء

السودانية،وكنت أضع المنداف الصغير ذاك في الممر الذي أنتظر أن يمر منـه طائر الحجل وكان كثيرا في هذه المنطقة، أضع المنداف وأردمه بالتراب، وكان هذا الطائر عندما ينطبق على رجليه المنداف يصرخ بصوت عالى وكنت عندما أسمع الصوت أذهب إليه فأجد تلك الأرجل الرقيقة الحناة مكسورة وربما بـلا وعى منى كنت أحس بألم شديد في أمعائى ومع ذلك لم أقلع عن تلك العـادة فأنصب المنداف كل يوم إما في الصباح أو في المساء، ويتكرر نفـس الـشئ، صراخ الطائر وألمى، والغريب أننى لا أتذكر الآن أين تركت رفيقى الوحيـد ذاك المنداف، ولارتباطى باسم المنداف جعلته عنوان كتاباتى في الصحف بعـد أن صرت أكتب في الصحف الليبية كجريدة الحقيقة اليومية وجريدة العمـل الأسبوعية في بنغازى، فكان عنوان المقالات وهى غالبا نقدية (في المنداف) ومن هناك من نالوت بعد عدة أسابيع وجدت هذه العائلة نفسها بطرابلس وهـذه مدينة كبيرة لا عهد لها بمثلها يتداخل فيها كل شئ، أصوات الناس وحركاتهم وحتى نظراتهم وملابسهم إلخ، صار الوالد يبحث عن وسيلة نقل إلى بنغـازى وفى عربة قديمة وعلى مدى يومين وليلتين كانت العربة القديمة تقطع المسافة بين طرابلس وبنغازى، صندوقها الحديدى الخلفى يتزاحم فيه عدد مـن النـاس منقولون كما تنقل الماشية إلى السوق ولا أحد يستطيع أن يحتج لأن الـسائق سينهره ويهدده بتركه على جانب الطريق ولا يجد بعد ذلك وسيلة أخرى تنقله إضافة إلى أنه لا يملك غذاء ولا ماء.

كانت هجرة أغلب أهل بلدتنا كما قلت إلى تونس باعتبارها قريبة من الجبل الغربى والبعض الآخر غادروا إلى الشرق (بنغازى وطبرق) بالنسبة لى رغم أننى غادرت بلدتى صغيرا إلا أن ذكريات الطفولة مازالت تطوف برأسى

جميلة بكل ما فيها، تلك المساكن الواقعة تحت الأرض والسير فى إتجاه خلوة الفقى التركى ولعب كرة الشخشير إلخ ...

الذين ذهبوا إلى طبرق كانوا يجمعون الحديد والنحاس من مخلفات الحرب الكونية الثانية وكانوا يفككون القنابل والألغام دون معرفة سابقة أو خبرة فنية بحيث يبيعونه لتاجر يهودى جعل لنفسه وكلاء ليبيون، ولقد مات منهم كثيرون وهناك مقبرة بطرق تعرف حتى الآن باسم مقبرة الزنتان، وكنت قد سجلت تلك المأساة أخيرا فى رواية بعنوان (مسافر يبحث عن الموت) بعد أن زرت المكان واطلعت على التفاصيل خلال قرب نهاية القرن العشرين ومع الأسف منعت تلك الرواية من التداول فى ليبيا بواسطة رقيب المطبوعات بلا سبب مفهوم.

من هنا، من بنغازى بدأت مسيرة الحياة الشاقة بلا تخطيط ولا هدف محدد، ولا أحد يعرف ماذا يخبى له القدر.

فى هذه المسيرة التى بدأت بالصف الأول التحضيرى فى مدرسة متواضعة بمنطقة تسمى (البركة) إلى أن أصبحت موظفا بدولة استقلّت حديثا كل ما فيها مهدّم ويحتاج إلى كثير من الجهد والبناء، ولعله من الواجب أن أذكر أننى كنت دائما أدرك أن فى طبيعتى شئ من العزلة والنفور من الوظيفة رغم الحاجة، مما كان البعض يحسبه علىّ كنوع من العنت أو حتى الاستعلاء أو عدم الانتظام فى شئ روتينى، وأنا أقول إنه حب التأمل والحرية وهو ما جعلنى منذ عرفت الكتابة أنتقد وأعارض وكانت هموم الناس تشغل تفكيرى رغم همومى الخاصة وإدراكى أننى لا أملك شيئا يغّير ذلك الواقع ولذلك كنت لا أبدى مشاعرى لأحد، فى غير ما كنت أكتب، وربما هذه نزعة يشاركنى فيها

الكثر فى ذلك الوقت، ومازلت أعتقد أنه مهما كان النظام القائم أبويا متسامحا أو عدوانيا معاقبا (والنظم غالبا فى العالم الثالث تسلطّية ظالمة) لابد للمرء أن يقول كلمته مهما كان ثمنها، لأن تاريخ الانسانية كلمة تكتب من هذا أو ذاك، ولهذا ورغم ظروف حياتى واعتمادى مطلقا بعد الله على مرتب أتقاضاه شهريا آثرت أن أترك الوظيفة بمرتبه المغرى (وكنت فى قمة سلم الوظيفة) عندما أيقنت أننى لم أعد قادرا على تحمل عبء الوظيفة (فى أى موقع) على ضوء متغيرات سياسية كنت ومازلت أظنها على غير هدى وصواب، وما أكتبه إنما هو تاريخ حياتى بما فيه من صواب وخطأ، وبين هذين (الصواب والخطأ) أردت قول الحقيقة لى أو علىّ كأنما أريد أن أتحدث من نفسى إلى نفسى (أى بقول الصدق) مطمئن البال أشهد الخالق على ما أسطّر أو أقول دون رغبة فى اللآساءة إلى أحد ولا حتى لأولئك الذين أساءوا إلىّ فى وقت ما ربما على أساس فهم خاطئ أو معلومات مضللة عندما شغلت مناصب تنفيذية وأردت أن أصلح دون رعاية لقبيلة أو أشخاص، ولقد كنت ضد الحكم الملكى فى بلادى وبعد سقوط ذلك الحكم صرت قلبا وقالبا مع الحكم الجديد، ومن غرائب الأمور أن الحكم الذى كنت ضده (الملكى) كرّمنى عدة مرات بينما الحكم الذى كنت معه فى كل شئ (الجمهورى) منعنى حتى من مجرد الكتابة وصادر كتبى !!

وفى محاولة الكتابة هذه رأيت أن فترة لابد منها لأتأمل الأحداث والتطورات، وأتبين أهدافها ومراميها ونتائجها، وكانت تلك الفترة قد امتدت أكثر من عشر سنوات، أى منذ تركت الوظيفة فى نوفمبر سنة ١٩٨٩م إلى أواخر سنة ٢٠٠٥م وعندما قررت أن أكتب عدت بذاكرتى إلى الوراء ستون

سنة كاملة لأسجل ما وقع معى أو أمامى وتحت بصرى وسمعى، ولقد ساعدنى بفضل الله البعد الزمنى لتكون رؤيتى أكثر اتساعا ودقة وربما موضوعية على الأقل من وجهة نظرى.

وأذكر أننى كنت أؤكد فى مجمل ما كتبت من مقالات صحفية أو مؤلفات وتراجم إيمانى بالديموقراطية وحقوق الإنسان، وإذ كنت قرأت وتشكل لدى إلماما بمختلف المذاهب السياسية فلم أؤمن أو ألتزم بأى منها رغم إعجابى وتقديرى للرئيس جمال عبد الناصر وأيضا مؤاخذى على بعض قراراته (كحاكم عسكرى رغم أنه تخلى عن البدلة العسكرية فى وقت مبّكر) ومن ذلك أننى عرفته عن قرب ولمست مقدار التزامه الأخلاقى والدينى ورؤياه السياسية البعيدة والواسعة، وكذلك طهارة يده ونقاء سريرته، وهو الشئ الذى لم يتوفر لأحد من الحكام العرب فى العصر الحديث، ولقد عاش عبدالناصر متقشفا ومات فقيرا، وأنا أعلم علم اليقين أنه لا هو ولا أحد من عائلته وأقاربه أمتّدت يده إلى مال عام طيلة فترة حكمه التى دامت من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ إلى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٧٠م.

ويكفى أن أقول إنه عاش فى نفس البيت المتواضع الواقع فى منشية البكرى بالقاهرة ضابطا فى الجيش المصرى ورئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى رغم زخارف وترف الحياة فى مصر ومغرياتها (وأنا أعتقد أن يوم وفاته قد مثل بداية الانحدار فى حياة العرب) أما مؤاخذى على بعض قراراته وهى ليست كثيرة وإن كانت كبيرة فإنها تتمثل فى:

أولا، قرار إلغاء منصب شيخ الأزهر الذى كان بالانتخاب من بين هيئة كبار العلماء بحيث تحوّل منصب شيخ الأزهر إلى موظف يعّين بقرار من الدولة الشئ الذى أفقد هذا الصرح العلمى الإسلامى الكبير أهميته والشيخ قدرته ودوره الدينى والسياسى..

ثانيا، قرار إلغاء الحياة الحزبية مما حوّل المجتمع إلى قطيع والدولة إلى فرد وإن كنت أعتقد أن ذلك لم يكن غاية عبد الناصر ولا ما يليق بشعب مناضل صبور (وللتاريخ أقول إننى سمعت منه شخصيا أن تلك مرحلة لن تطول بحيث يسمح بالتعددية الحزبية من جديد) رغم معارضة بعض رفاقه الشديدة.

ثالثا، إطلاق أيدى أجهزة المخابرات رغم كل الظروف التى كانت تواجه الثورة (وكانت داخلية وخارجية) تلك التجاوزات التى اتخذت تعلّة لكثير من الإجراءات الظالمة الخاطئة مما أتاح لبعض المفسدين فرصة الانتقام والإساءة للثورة ولعبد الناصر وكانت مع الأسف مبررا بعد وفاة عبد الناصر للهجوم على كل عهده.

رابعا، الخلاف مع قادة الإخوان المسلمين والتنكيل بهم رغم اعتداءاتهم عليه ومحاولة قتله بعد دورهم النضالى ومساندتهم للثورة، كذلك إعدام بعضهم مثل حالة العلامة سيد قطب وهو عالم جليل وشيخ مهيب.

خامسا، القبول بالوحدة الفورية مع سوريا بدون دراسة وبعد الوحدة تطبيق القوانين الاشتراكية فى ما عرف بالإقليم الشمالى لأن تلك القوانين كانت مدخلا للفساد والإفساد فى سوريا رغم فائدتها والقبول بها فى مصر، وكذلك عدم إعادة الوحدة بالقوة عندما حدث الانفصال وهو كان ممكنا وسهلا وأرى أنه ليس مهما أن يكون ثمن إعادة الوحدة بعض الدماء..

ومع ذلك أقول إن عبد الناصر الثائر الزعيم الذى وهب العروبة الضياء بعد الله هو الذى ربط الاخلاق بالسياسة عندما حكم وجعل للعرب مكانة عالية فى العالم، ولقد كانت لى بهذا الرجل العظيم علاقة لها مكان فسيح فى صدرى وأثير فى قلبى بحيث أننى عندما آنس إلى تذّكر تلك العلاقة أظن أنه بذر بذرة طيبة لابد أن يكون لها شأن فى مستقبل الأيام، أعنى الناصريون فى الوطن العربى، وأحسب أننى منهم دون منّة ولا تفاخر وإنما التزام بتلك المبادئ السامية التى نادى بها وناضل طويلا من أجلها ووقف صامدا لتأكيدها إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

ولقد حققت ثورة مصر بقيادة عبد الناصر الكثير من الأعمال الكبيرة والإنجازات الهامة تلك التى كان لها الأثر فى مصر والعالم الثالث وجعلت لمصر والعرب شأن ووزن كبيرين فى العالم، إن ما حدث فى مصر من تطور اقتصادى وفنى وعلمى وثقافى وسياسى واجتماعى لابد أن يشهد به كل منصف، فى ميادين التصنيع والتعليم والزراعة والتوزيع العادل للدخل وتحرير الاقتصاد الوطنى من السيطرة الأجنبية.

وكان عبد الناصر إلى جانب الفقراء والكادحين من العمال والفلاحين وجمهرة الطبقة الوسطى، ولقد حقق فى مختلف المجالات ما كان يعد مستحيلا، وعمل من أجل وحدة العرب وتعاونهم وقوّتهم رغم كل المؤامرات والحروب التى شنّت عليه أو التى أرغم على الدخول فيها، ومن أعظم إنجازاته التاريخية، تأميم قناة السويس وإقامة السد العالى وتأكيد وترسيخ عروبة مصر وتحقيق الإصلاح الزراعى الذى كان من أجل الطبقات الفقيرة والتى كانت تحت ظلم الإقطاع والرأسمالية فى مصر أى الطبقة المستضعفة، وإنجاز أول وحدة عربية فى

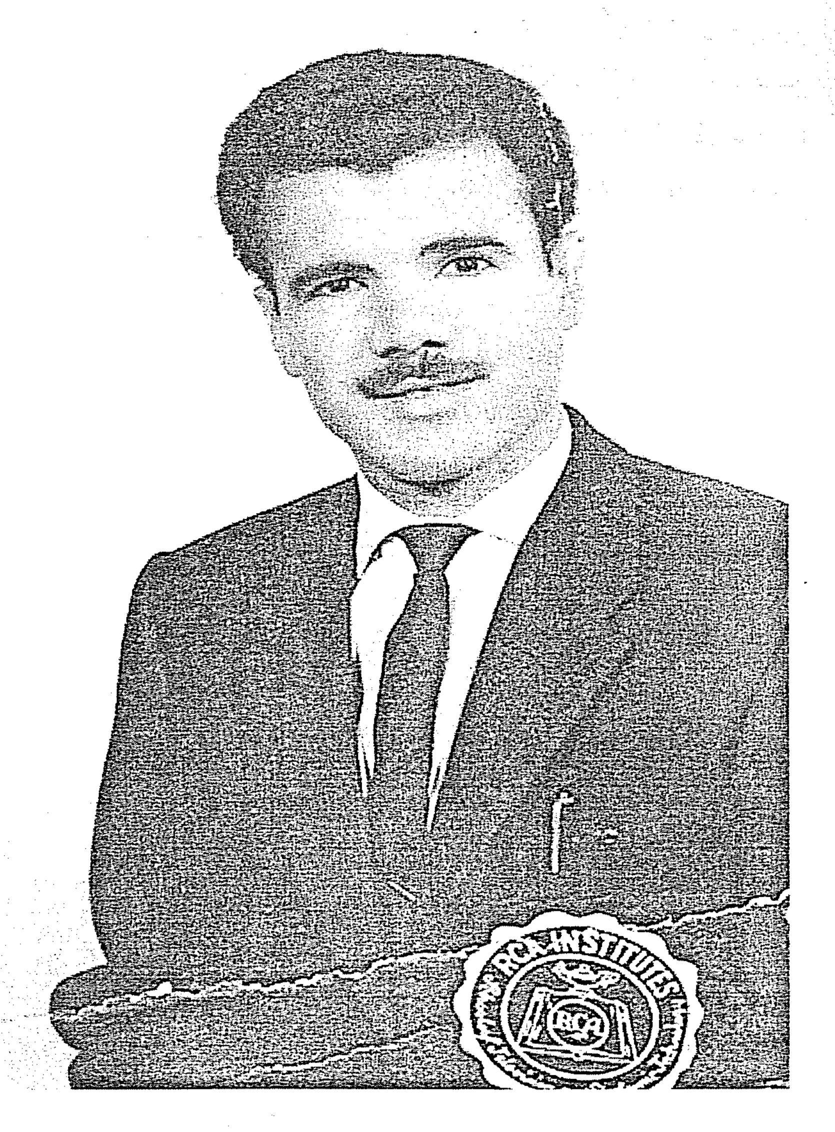
التاريخ المعاصر بين مصر وسوريا على الرغم مما اعتراها من تسرّع وخلل، وعلى الرغم من أنها لم تدم بسبب العملاء والمرتزقة والخونة، ودوره فى تحرير إفريقيا كما دعمه للنضال العربى التحررى فى كل أرجاء الوطن العربى، من الثورة اليمنية والنهوض بذلك البلد من براثن التخلف والجهالة، إلى نصرة الثورة الجزائرية، ولقد كانت مآثره كثيرة ورائعة ومنها وربما أهمها ما حققه للعمال والفلاحين والطبقة الوسطى.

ولذلك عاش عظيما ومات عظيما رغم الحملة الإعلامية العنيفة التى شنّت عليه بعد وفاته ممن تضررت مصالحهم المرتبطة بالاستعمار وكان لابد أن تتضرر وأولئك الذين فقدوا وجاهتهم المصطنعة بسبب التغييرات الثورية، وإذا كان هناك ما يقال فى هذا الشأن فإن المصلحين وأصحاب الرسالات لابد أن يتعرضوا للتشكيك وحتى الإساءات بما فى ذلك الرسل والأنبياء، ورحم الله جمال عبد الناصر.

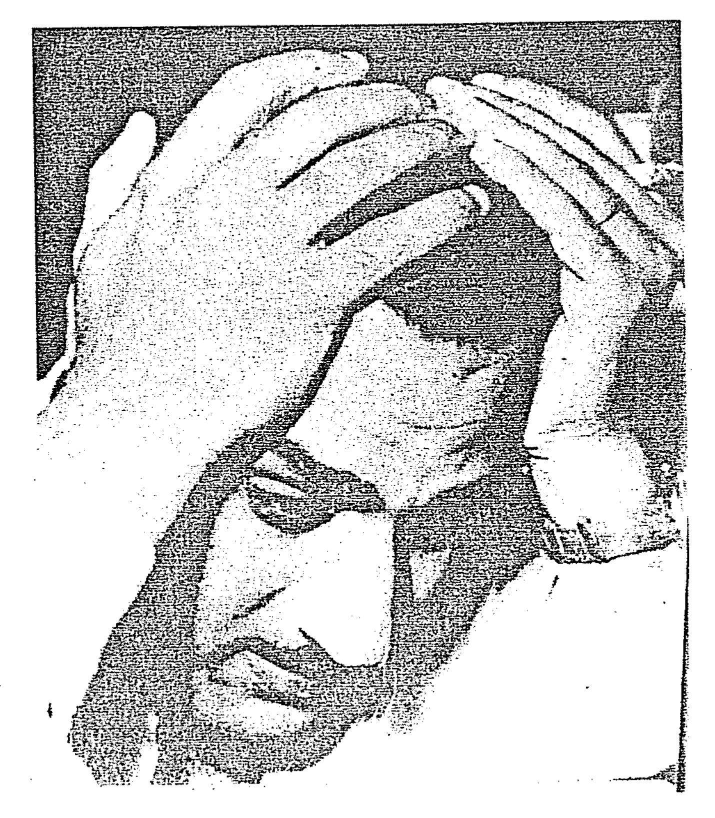
وأخيرا، قلت أن مسيرة الحياة هذه قد بدأت بدون تخطيط ولا هدف محدد، وكانت هناك أحداث وتطورات كثيرة كوّنت مجرى حياتى لم يكن لى خيار فيها أقدمها الآن كترجمة ذاتية أرجو أن يكون سردها مفيدا لجيل صار يأنف من الدراسة والتعليم ويحاكى عادات الغرب تاركا وراء ظهره تلك العادات والتقاليد الطيبة التى سار عليها السلف الصالح، على أن سلوك هذا الجيل ربما يؤذن بعصر جديد قد لا يكون فيه لأمة العرب وجودا ولا دورا وربما حتى لا تاريخ، ولكن :

(سبحان موزّع الحظوظ   بلا عتب ولا ملامة
أعمى وأعشى وذو بصر   وزرقاء اليمامة)

طالب بمعهد الإلكترونيات الأمريكي في نيويورك



رجل العرب، جمال عبد الناصر

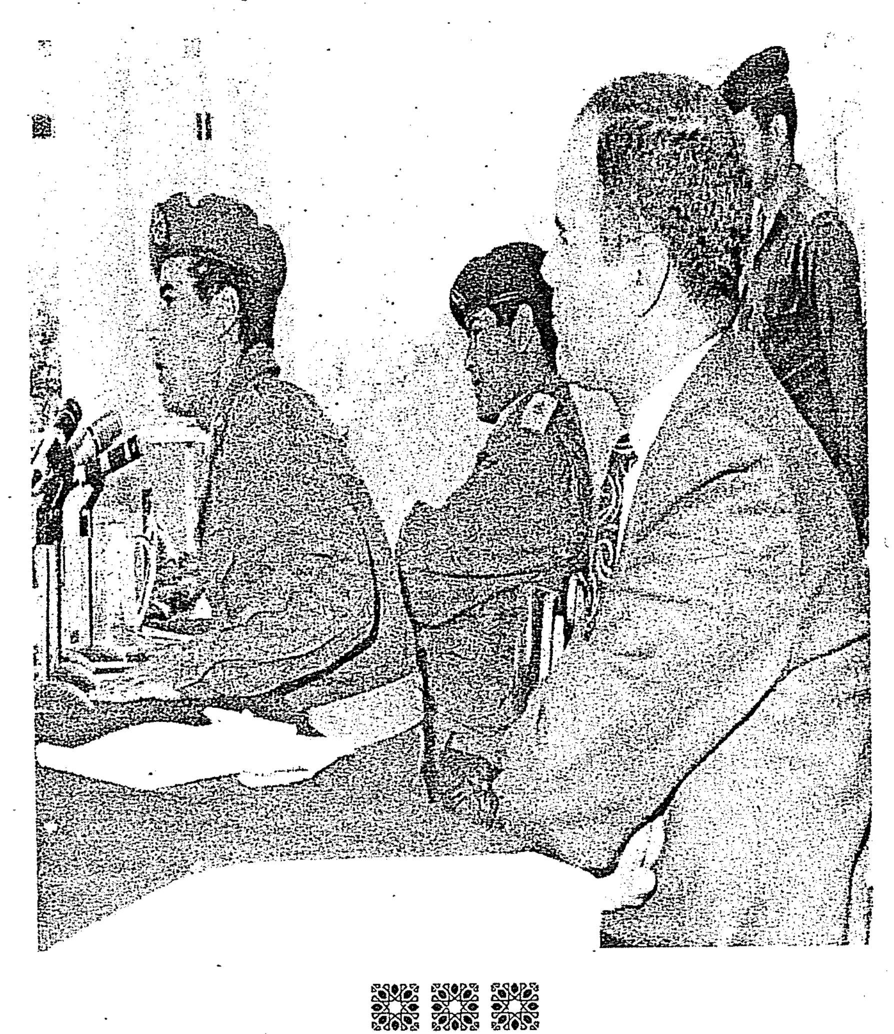


لقاء المودّة مع جمال عبدالناصر



مع العقيد القذافي والرائد الخروبي

وكانا أمل عبد الناصر في تحقيق الوحدة العربية...



الفصل الأول

البداية، مرحلة ما قبل الاستقلال..

ليبيا الفقيرة وشعبها المجاهد ،،،

توقفت تلك العربة القديمة بعد يومين وليلتين فى الطريق من طرابلس إلى بنغازى، وقرر السائق أن يترل الركاب فى منطقة تسمى (السيلس) وهى منطقة خالية إلا من مبنى إيطالى كان يستعمل كمخزن للحبوب وهى فى ملتقى طريق طرابلس مع الطريق الواصل بين طرفى مدينة بنغازى (البركة ووسط المدينة) وعلى جانب ملتقى الطريق هذا من اليمين كانت هناك مقبرة قديمة تعرف باسم (مقبرة سيدى داوود) ولا أعرف من أين جاءت التسمية، وبجانب سور المقبرة كانت هناك شجرة بلّوط ظليلة (لابد أنها كانت موجودة قبل المقبرة) اتجه والدى إليها بعد أن نزلنا من صندوق تلك العربة وقد تركنى ووالدتى فى ظل تلك الشجرة وقال إنه سوف يسأل عن ابن عمه الذى قيل له أنه موجود فى منطقة البركة، لم يكن لدينا أكل، وضعت والدتى تلك الصرّة على الأرض وجلست، وكعادة كل طفل حاولت أنا أن أقفز من فوق سور المقبرة (ربما للاستطلاع) لكنها نهرتنى فعدت لأجلس بجانبها.

البركة ليست بعيدة من مكاننا ذاك عندما عرفنا فيما بعد ولم تكن هناك مبانى بالقرب من المقبرة إلا سور قديم يقابلها من الشرق على جانب الطريق وبضعة مبانى بعيدة نسبيا تقع جنوبها وكلها جوانبها تظهر مهدمة نتيجة قصف الطيران أثناء الحرب العالمية الثانية، تأخر والدى ولم نكن نعرف ما الذى سيحدث لنا، قال لنا فيما بعد أنه كان يتوارى بين أطلال المبانى خوفا من البوليس البرقاوى الذى كان يطارد (عرب الغرب) باعتبارهم أجانب دخلوا البلاد بدون إذن، والواقع أن الإدارة كانت سنوسية والشعار الذى يوضع على

قبعات البوليس كان (هلالا ونجمة) والعلم على المبانى الرسمية (أسود أيضا يتوسطه هلال ونجمة) إنما الحاكم الفعلى كان إنجليزيا، وإذا تم القبض على أى شخص يعتقد أنه ليس من أهل البلاد يصير التحقيق معه للتأكد من أصله، والتحقيق يقوم على ثلاث كلمات فقط يتقرر على ضوء النطق بها ما إذا كان الشخص غرباوى أو شرقاوى وهى (تور، شبكة، أنا) فإذا قال الشخص (ثور، إشبكة، أنا) يعتبر شرقاويا أما إذا قال (تور، شبكه، أنى) أعتبر غرباويا، وهذا يصدر بحقه أمر الإبعاد خارج الحدود فيوضع فى عربة بوليس حيث يبعد خارج الحدود، والحدود تلك هى ذلك القوس الذى عرف فى التاريخ (بقوس الإخوان فيلينى على عهد البيزانطيين) الواقع بين منطقتى (العقيله وسرت) ولا يهم مصير هذا المبعد ولا ما إذا كان قد ترك أسرة بلا معين كما كان متوقعا أن يحدث معنا.

المهم أن والدى كان بعد خوف وتردد وجد ابن عمه واستلف منه جنيهان ونصف (العملة كانت مصرية) بحيث يمكنه أن يتدبّر أمر معيشتنا، وقال إن المبلغ يكفى لمدة أسبوعين تقريبا، وقال له ابن عمّه ذاك أنه يمكنه أن يسكن فى أى مبنى خالى فى المنطقة وهى كثيرة من تلك التى أصيبت فى الحرب، وكان والدى رغم مشقّة المشى والخوف من البوليس يظهر عليه الفرح بذلك المبلغ عندما عاد إلينا ومعه ثلاثة أرغفة من الخبز وعدة رؤوس من البصل الجاف وعلبة قديمة بها ماء وكانت تلك وجبة لم نحلم بها طيلة الرحلة والانتظار.

لقد قال له ابن عمه إن المبانى التى تقع خلف مركز البوليس يمكنك أن تجد بها مبنى صالح للسكن، وكلمة مركز بوليس أرعبته فهو يمشى متخفيا خوفا من هذا البوليس فكيف يمكنه أن يسكن خلف مقرّه ؟ لكن ابن عمه قال له إنه

يعرف ضابط المركز وإذا حدث شيئا ما يمكنه أن يكفله، ومع ذلك عندما نهضنا متجهين إلى تلك المبانى لم يطمئن والدى وبالتالى فقد مر بنا بعيدا عن مركز البوليس، وعندما وصلنا المكان صار يتفقد تلك المبانى وكان أغلبها مهدما جزئيا أو كليا فوجد جانبا من مبنى لم يكن مهدوما بالكامل به حجرة واحدة وإن كانت بلا باب فظل يبحث فى المكان عن أى لوح من حديد أو خشب ليسد به المدخل وهكذا حدث، وبذلك توفر لنا مكان يمكن أن يسمى سكنا وكان عليه أن يذهب ليشترى بعض اللوازم، بطانية ولو قديمة وحصير ولا حاجة للوسائد وبعض أوانى الطبخ أما النار فستكون من الخشب المهشم والكانون حفرة فى الأرض، وبعد أن اشترى تلك الحاجيات البسيطة والضرورية حيث كان لديه مال يقدّر بجنيهان ونصف بقى منها ما لا يقل عن جنيه وتسعون قرشا قدّر أنها تكفى إلى أن يجد فرصة عمل، أى عمل، وكانت سعادته بالغة عندما وجد أن هناك مدرسة ابتدائية قرب المكان الذى أقمنا فيه وهو يريد لابنه أن يتعلّم،

كانت بنغازى تلملم أطرافها حيث كان قد تهدم كل شئ فيها على إثر تلك الحرب التى لم يكن لليبيين فيها ناقة ولا جمل، وبنغازى لم تكن مدينة بالمعنى المفهوم فقد كانت تتكون من أربع تجمعات سكنية أولها يسمى وسط البلد بحرى حيث يوجد مبنى البلدية ومركز قيادة البوليس وبعض المصالح الرسمية الأخرى، وشرقها منطقة تقع فى وسط السبخة تسمى الصابرى وجنوبها منطقة البركة وهذه بها معسكرا للقوات البريطانية وبقربها من جانب الغرب ثلاثة معسكرات لأسرى الحرب، واحد خاص بالأسرى الألمان والاثنان الآخران للأسرى السود وهؤلاء يعرفون باسم (المورسيان) أحيانا تنطق (موشيان) وربما

الأخيرة هى الصحيحة نسبة إلى (موريشوس البلد الأفريقى) وهناك بضعة دكاكين صغيرة عددها لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة، والمنطقة الرابعة تقع غرب البركة وتسمى الكيش وهى أفقر المناطق جميعها وأغلب البيوت فيها مقامة من الصفيح وتسمى (براريك) وأغلب سكان هذه المناطق كانوا يعيشون على بعض الخدمات التى تؤدى للجيش البريطانى وتجارة القطاعى والتبادلات مع الأسرى، لم تكن هناك سيارات خاصة عدا ثمانية أو عشرة فى كل المدينة، وكانت وسائل النقل والمواصلات عبارة عن تلك البدائية المتمثلة فى (كارّو يجره حصان) أو (كرّوسة يجرها حمار) كما أن مياه الشرب كانت تباع وتنقل بواسطة عربات ذات عجلات كبيرة محاطة بإطار حديدى عليها خزان ويجرها حيوان إما حصان أو حمار بحسب حجم الخزان، وهناك فى بعض المناطق توصيلات مياه عامة بصنبور كبير تركب فى أى ميدان بحيث يملأ منها من يكون فى نفس المنطقة، لا تتوفر الكهرباء إلا فى بيوت محدودة جدا،ولا توجد أجهزة راديو إلا ما ندر أو صحف أو إذاعة غير إذاعة الجيش البريطانى التى قيل أنها تذيع برنامج باللغة العربية لمدة ساعة فى اليوم.

بعد أن استقر بنا الحال فى حجرة بعمارة مهدمة صار والدى يبحث عن عمل ذلك أن المبلغ الباقى لدية وهو أقل من جنيهان قد يكفى لعدة أيام، وكان الناس يتجمعون من الصباح الباكر كل يوم أمام مكتب يقع فى الجانب الشرقى من وسط المدينة يسمى (فيشو لافورا) أى مكتب العمل يقدم خدمات للمعسكرات الإنجليزية حسب الطلب، وعندما يخرج الموظف المسؤول وهو من أصل غير عربى (ربما من ألبانيا) ذلك أن بنغازى بها خليط من كل الأجناس، عندما يخرج يتزاحم عليه أولئك الباحثون عن عمل، أى عمل، وقد

يكون الطلب على ثلاثة أو أربعة أشخاص أو أقل وهؤلاء بالعشرات، منهم من يقضى النهار والليل أمام هذا المكتب فهم يجلسون تحت شجرة بلّوط عتيقة وينام البعض منهم فى نفس المكان بحيث يستيقظ مبكرا ويقف أمام المكتب قبل غيره إذ ربما تقع عليه عين ذلك المسؤول الذى يتكلم العربية بلكنة شرقية، وعندما أنظر إلى وضع العمال الأجانب فى ليبيا الآن أتذكر حالة الليبين فى ذلك الوقت أمام (الفيشو لافورا - مكتب العمل) .

كانت المسافة بين البركة أى مكان إقامتنا ومكان ذلك المكتب حوالى أربعة كيلو مترات ويحتاج الواحد إذا أراد استعمال وسيلة النقل أن يدفع قرشا ونصف القرش ومن لا يملك هذا المبلغ لابد أن يذهب سيرا على الأقدام وهذا ما كان يفعله والدى ذلك أن القرش ونصف القرش يسد حاجة الأكل فى الغداء أو العشاء، كان يستيقظ من الصباح الباكر ليذهب إلى ذلك المكتب ولا يعود إلا مساء منتظرا فرج الله فى عمل ما (كما كان يقول كل مرة) وبعد عدة أيام من التردد على مكتب العمل دون فائدة صار قلقا فى حين كنت أراه دائما هادئا، لكنه هذه المرة أحس بأن المبلغ قارب على النفاد وهو يحتاج لعشرة قروش على الأقل لإعاشة العائلة الصغيرة فى الغداء والعشاء أما الإفطار فهو ترف لا يحلم به أمثالنا، وربما لم يكن قلقه ليس فقط من نفاد القروش القليلة ولكن أيضا من حملات البوليس الذى يبحث عن عرب الغرب، وهم يقومون بحملات مداهمة للقبض على أولئك المصلوبون تحت الشجرة العتيقة أمام مكتب العمل أو (الفيشو لافورا) لأن هؤلاء عرب غرب ليسوا من برقة، وإذا قبض على الواحد من هؤلاء وبعد التحقيق (قول ثور قول إشبكه) يتقرر مصير الواحد فيرحّل خارج الحدود إذا لم يجد كفيلا من أهل البلاد وهذا

الكفيل لابد أن يحصل على نسبة من دخل المسكين (ويا له من دخل، أربعة عشر قرشا فى اليوم هذا إذا كان يعمل) ولأن الكفيل أصبح هو الحامى من البوليس والطرد خارج الحدود فقد صارت الكفالة مهنة يتعيّش منها بعض الناس على حساب هؤلاء الكادحين.

وبعد قلق وتردد حصل والدى مع عدد من الناس على عمل لدى الجيش البريطانى، وهذا العمل هو تحميل وتفريغ أشياء من سيارات الجيش ويبدأ من الساعة السادسة صباحا إلى الساعة السادسة مساء مقابل تلك القريشات الأربعة عشر، وما أسعد من يجد مثل هذه الفرصة.

فى أول يوم عمل عاد والدى مساء وكان منهك القوى آثار التعب ظاهرة عليه ولقد رأيت بعينى كيف كان كتفه الأيمن مسلوخا داميا وعندما سألته والدتى قال إنهم كانوا يحمّلون عربات الجيش الإنجليزى بمواسير كبيرة وثقيلة وكان كل اثنان لابد أن يحملا ماسورة ليضعاها فى صندوق عربة واقفة وتكون الماسورة ممدودة بين الاثنين على كتفيهما وكان يشرف عليهم شخص يسمى (ماركاتيمبو) أى مسجل الوقت، ويا ويل من يقف أو يتباطأ فهو يهدد بالطرد أو على الاقل خصم تلك القريشات لينتهى الواحد بعد كل الجهد والتعب بربع أو خمس المرتب، قال هذا ومع ذلك رأيت أنه كان سعيدا لأنه سيحصل على مبلغ من المال قد يصل إلى ثمانية وتسعون قرشا فى الأسبوع (٩٨) إذا لم يحدث ويخصم منه ذلك المشرف جزءا منها، ثم قال فرج الله قريب وسوف يبقى من المعاش الأسبوعى حوالى ثلاثون قرشا بحيث يكون مصروف الأسبوع سبعون قرشا وهو يفكّر فى شراء لوازم المدرسة إذ سمع أن المدارس ستفتح بعد شهر وعشرة أيام وما يتوفر خلال هذه المدة يكفى لشراء لوازم المدرسة وأشياء أخرى.

استمر الوالد بعون الله والحظ يعمل وكان ينهض فى الصباح الباكر ليصل مكان العمل قبل غيره خوفا من أن يقوم (الماركاتيمبو) بخصم شيئا من المبلغ اليومى أو ربما حتى الطرد من العمل وكما يقال (الشبعان ما يدرى على الجيعان) الماركاتيمبو لابد أنه شبعان وهو ينهر ويصرخ على من يتوقف ولو قليلا أو يتأخر دقيقة واحدة فى حين يكون يؤدى الصلاة، الرجل مخلص للإنجليز ويمارس سلطته على المساكين بطريقة فجّه، مكان العمل فى معسكر الإنجليز الواقع بمنطقة تسمى (رأس عبيده) وهى تبعد حوالى كيلومترين من المكان الذى نقيم فيه يقطعها والدى سيرا على الأقدام إن لم نقل جريا ذهابا فى الصباح الباكر وعودا فى المساء، أما أنا فكنت ألعب أحيانا مع عدد من الأطفال كرة القدم والكرة عباره عن قطع قماش ملفوفه فى جورب قديم إن وجد أو مربوطة بخيط ونسميها (كرة شخشير) وغالبا أقضى الوقت فى محاولات اصطياد الطيور فى مكان يسمى (مقطع الزيتون) وهو عبارة عن منخفض واسع به العديد من أشجار الزيتون وكان والدى رغم إلحاح بعض الأقارب قد رفض رفضا قاطعا أن أعمل مثل بقية الأطفال ببيع أشياء لأسرى الحرب كالبيض والفول السودانى، وكان رده دائما (أريده أن يتعلم فقط عندما تبدأ الدراسة ويكفى أننى أمى) وقال ذات مرة أنه بعد الشهر الأول سيتوفر لديه ما يكفى لتأجير سكن ولو حجرة واحدة بها أبواب وشبابيك ثم شراء لوازم المدرسة لى وبعض لوازم البيت مثل (وابور الكاز — سبيريتيرا — لأنه تعب من البحث بين المبانى المهدمة كل يوم عن بعض الأخشاب من أجل الطبخ، لم تكن هناك متاجر بالمعنى المفهوم وإنما أسواق شعبية تعرض بها البضائع على الأرض وكان الناس الذين يتعاملون مع الإنجليز فى المعسكرات أو مع

أسرى الحرب يجمعون أعقاب السجاير ويفركونها ثم يعرضونها فى أكداس صغيرة للبيع، ولقد رأيت فى طرابلس أناس ينادون بأصوات عالية فيقول الواحد منهم (سبسى بالولعة) وفى هذه الحالة يكون حاملا فى يده اليمنى علبة سيجاير أو بضعة لفائف من الدخان وفى الأخرى حبل مفتول برأسه نار ومن يشترى سيجاير يشعله من رأس الحبل ذاك، أغلب الذين اعتادوا على التدخين كانوا يشترون السيجارة المفروكة ويلفونها فى ورق رقيق يسمى (بافرا).

بعد فترة انتقلنا إلى سكن آخر ولا أقول جديد لأن أغلب البيوت قديمة وبعضها مهدم فى أعقاب تلك الحرب، وقد بدأت الدراسة وهكذا سعى والدى لتسجيلى بمدرسة البركة الابتدائية (كان نظام التعليم فى هذا الوقت تحضيرى وابتدائى وثانوى ولم تكن هناك دراسة جامعية) كنت فرحا بالحقيبة المصنوعة من ورق مقوّى أما الكراسات والأقلام فقد كانت تصرف مجّانا وكان التعليم أيضا مجّانيا خلال المراحل الثلاث، لم تكن المدرسة بعيدة عن سكننا، وكنت أحيانا أحصل على نصف قرش أحمر مثقوب من الوسط بحيث أشترى إفطارى من (الدادة) وهذا ما يطلق على العجوز التى تجلس أمام المدرسة تبيع الفول المزرّع عبوة علبة صغيرة بنصف قرش، وهذا إفطار دسم وفى أحيان أخرى عندما لا يتوفر نصف القرش تعطيني والدتى كسرة خبز جاف مصنوع من دقيق الشعير.

استمرت الدراسة وتقدمت من التحضيرى إلى الابتدائى فى وقت كانت فيه أحوالنا المعيشية تتحسن نسبيا وهدأت الأحوال بالنسبة لعرب الغرب ولم يعد البوليس يطاردهم، وصرنا نسمع من المدرسّين وهم فى الغالب من مصر الشقيقة عن فلسطين والحرب هناك وكيف أن الإنجليز تآمروا على

العرب وأنهم يساعدون اليهود وأن المتطوعين العرب ومنهم عدد كبير من الليبيين يقاتلون جهادا فى سبيل الله وأن جيوش سبع دول عربية دخلت فلسطين بعد أن أعلن اليهود دولة إسرائيلية فى أرض العرب فلسطين، وربما ستقضى هذه الجيوش على هؤلاء اليهود الذين جاءوا من كل مكان، ولأن الحرب العالمية الثانية كانت قد أنتهت بعد أن جرت معارك طاحنة بين قوات الحلفاء وقوات المحور فى شرق ليبيا ولأن تلك الحرب قد أبقت مخلفات متمثلة فى القنابل والألغام منها ما تحت الأرض ومنها ما فوقها وكذلك معدات أخرى من الحديد والنحاس والألومنيوم، بل والعديد من الدبابات والعربات والمدافع والطائرات فقد ظهر تجار خردوات الحرب هذه وكلهم من اليهود أحدهم وهو الأشهر كان يهوديا إيطاليا يدعى (بيو ناحوم) وجد موافقة وتسهيلات من المسؤولين فى حكومة برقة (ربما بعد دفع رشاوى أو هدايا واليهود مشهورون بذلك) جعل لنفسه وكلاء من أهل البلاد يقومون بشراء وتجميع النحاس وغيره،كما ذكرت فيما تقدم، ونظرا لأفتقار البلاد والناس لسبل الحياة إذ لا يوجد عمل ولا تجارة وخصوصا فى غرب ليبيا حيث أنقرضت الحيوانات بسبب عدم وجود المرعى وانحباس المطر وحدوث الجفاف الذى لم يبق على ضرع ولا زرع ولا رزق فقد تدفق الناس على برقة عندما أنتشر خبر تجارة الخردوات، ونشأت تجمعات بشرية قرب طبرق ومناطق العدم وبئر حكيم حيث توجد تلك الخردوات والواقع أن بعضها ليست خردوات فقد كانت هناك دبابات وعربات نقل ومدافع وحتى طائرات لا تحتاج إلا للوقود (وهذه لها وكلاء مختصّون) أما أولئك الفقراء الذين لا خبرة لهم فقد كانوا يفككون القنابل والألغام للحصول على بعض النحاس والألمنيوم (أغلبهم

أجل أن يحصد الزرع لأن تلك السنة كانت مطيرة (وبرقة لم يحدث بها جفاف منذ عقود) ولقد أتفق مع ثلاثة من أقاربه على الانتقال إلى منطقة تسمى (أبو قطيفه) تقع غربي بنغازي بحوالى ثلاثين كيلومترا، ولأنه كان دائما يصّر على أن لا أفعل شيئا غير الدراسة والتعليم (وما فتئ يردد على مسامعي في كل وقت أهمية التعليم وبشاعة الجهل الشئ الذي كان له أثره في حياتي حتى الآن) فقد حار فى الأمر فهو لابد أن يذهب لحصاد الزرع مع أقاربه ومعهم عائلاتهم وفى نفس الوقت يريدنى أن أستمر فى الدراسة وليس هناك من وسيلة يبقينى بها فى المدينة حيث إنه لم تكن هناك فصول داخلية ولا أقارب يمكن أن أبقى معهم مؤقتا، ولهذا وعلى مضض ضاعت سنة دراسية رغم محاولاته تلك.

انتقلنا إلى منطقة الحصاد فى أبو قطيفة وبقينا حوالى أربعة أشهر هناك ثم عدنا وكانت الأحوال قد تغيّرت، باع والدى الشعير والقمح وبذلك توفر له مبلغا من المال وأراد أن لا يعود إلى العمل لدى الجيش البريطانى فأنشأ لنفسه دكانا صغيرا فى منطقة تسمى (الكيش) غربي البركة، وانتظمت أنا فى الدراسة من جديد عندما بدأت السنة الدراسية التالية بعد أن دخلت فى امتحان يسمى (ملحق) وانتقلت إلى السنة الثانية الإعدادية، بعد العودة من حصاد الزرع أمكن لوالدى أن يشترى لى ملابس جديدة وحذاء وحقيبة كتب لا باس بها، وفى الكيش أقمنا فى بيت به دورة مياه وكهرباء وإن لم تتوفر فيه المياه الجارية، ولأول مرة أنام على سرير على الرغم من أن الفراش كان عبارة عن بطانية، الكيش لم يكن بعيدا عن البركة ولذلك كنت أمشى كل صباح لمدة ثلث ساعة تقريبا، ومع بعض التغير فى السكن وغيره حدث تغيرًا فى المعيشة فمثلا كنا لا نحصل على وجبة أكل مع اللحم إلا فى المناسبات كالأعياد فصرنا نأكل اللحم

ثلاث مرات أو أربع فى الشهر وعرفنا المكرونة التى كانت تصنع محليا وكذلك الأرز الذى كان يأتى من مصر (مستوردا أو مهربا) وكانت أكلات الليبيين (غالبا كل الليبيين) حتى الميسورين منهم هى (الكسكسى والبازين وخبز القمح أو الشعير الذى عادة ما يصنع فى البيوت إذ كانت المخابز قليلة جدا، ثم صار الناس يأكلون إضافة إلى الأكلات الليبيية المكرونة والأرز وبالطبع لحم الخراف، فى غرب ليبيا الناس يأكلون لحم الإبل أما فى شرق ليبيا فكان غالبا لحم الخروف ومتأخرا عرف لحم البقر) لم يكن هناك إستيراد من الخارج فى ذلك الوقت غير الأرز من مصر والشاى الأحمر والسكر ولا أعرف من أين يأتى، ظهرت بعض السيارات الخاصة فى الفترة الأخيرة وافتتحت محلات تجارية وانتعشت الحركة بين المناطق ولأول مرة سيّرت خطوط نقل ركاب بين البركة ووسط المدينة بواسطة حافلات قديمة اشتراها مواطن من خردوات الجيش البريطانى، وكان ثمن الرحلة من البركة إلى وسط المدينة أو العكس قرشا واحدا، وهذه الحافلات نوافذها بلا زجاج ومداخلها بلا أبواب وسماها المواطنون باسم شركة الفوناس (ربما صاحبها كان اسمه الفوناس) فى الكيش كنت مع عدد من الرفاق نتعلم السباحة فى سبخة تقع شمال غرب منطقة الكيش، كنا مجموعة ولكل منا اسم يعرف به غير اسمه الرسمى مثل (عينه قرش والحفيان وزابوطة والمشاكس إلخ).

بالنسبة لى انتقلت إلى الصف الثالث الأبتدائى وتغيّر إفطار الصباح فبدلا من نصف القرش النادر لشراء فول مزرّع عرفنا التن فصار نصف رغيف الخبز بالتن يكّلف قرش ونصف وهذا إفطار رفاهية، وكنت فى الغالب أحصل على ثمنه من والدى الذى أحس (ربما) أننى أصبحت رجلا لا يليق به أن يمد

يده لنصف قرش من والده الذى صار تاجرا، علما بإن تجارته فى ذلك الوقت والدكان المتواضع رأسمالها لا يزيد على ثلاثين جنيها على أن المبلغ يعتبر كبيرا بحساب ذلك الوقت.

استمر مشوارى اليومى بين السكن فى خط مستقيم وإن لم أعد حافيا، وكانت المنطقة الواقعة بين الكيش والبركة خالية تماما وبها منخفضات يقول عنها الناس (مقاطع) وأخيرا انتشرت بها الأكشاك (البراريك) وصارت مزدحمة أقامها وسكنها أناس لا نعرف من أين جاءوا كما انتشر منهم شحاذون فى أغلب المناطق (ربما) جاءوا من الغرب لأن البوليس لم يعد يطارد (عرب الغرب) كما كان فى السابق، ومع تكاثر الناس لم تكن هناك سرقات ولا اعتداءات وكان البوليس السنوسى البرقاوى (هكذا يسمى) يقوم بدوريات فى النهار والليل فى كل مكان، وهذه الدوريات بعضها يسمى (راجلا) وبعضها يسمى (طائرا) فالدوريات الراجلة يكون أفرادها متنقلين سيرا على الأقدام فى المناطق التى يكلفون بحراستها، أما الداوريات الطائرة فهى تلك التى يتنقل أفرادها على دراجات هوائية، كان الأمن مستتبا ورغم الفقر لم تكن هناك مشاكل وترى الناس فى سكينة، ويوم الجمعة إذا لم يبكر الواحد إلى الجامع أو المسجد لن يجد مكانا إلا خارج الجامع أو المسجد وهى لم تكن كثيرة وإن كانت (نظارة الأوقاف) توليها بعض العناية رغم ظروف البلاد المادية (بعضها أهلية).

عندما أتممت الدراسة الابتدائية أقنعت والدى برغبتى فى أن أعمل وتعهدت له بأن أدرس عندما تتاح الفرصة، وإذ لم تكن هناك فرص عمل لشاب مثلى فى بنغازى رأيت أن أجرّب حظى فى مكان آخر وأنا أعرف أن

أحد أخوالى يقيم فى منطقة طبرق وله بعض الأعمال مع القاعدة البريطانية فى العدم ولذلك تصوّرت أنه يمكن أن يجد لى عملا هناك، وهذا الذى حدث بعد أن وافق والدى على رغبتى تلك وقد عارضت والدتى كثيرا فأنا ابنهما الوحيد لكن إصرارى كان قويا، غادرت بنغازى بعد أن حصلت على مبلغ جنيهان، واحد ثمن السفر إلى طبرق والآخر لأعيل به نفسى فى الطريق، استمرت الرحلة من بنغازى إلى طبرق يوما وليلة كاملين..

وصلت المنطقة التى يقيم بها خالى اليوم الثانى بعد أن دفعت نصف جنيه أجرة لسائق سيارة كان متجها إلى القاعدة والمسافة من طبرق إلى قاعدة العدم لا تزيد على عشرين كيلومترا، وقبل وصوله القاعدة أوقف السائق السيارة وطلب منى أن أنزل لأنه لا يستطيع نقلى إلى حيث يقيم العرب الذين يعملون فى القاعدة ثم قال أن المكان ليس بعيدا ويسمى (الووتر بومب) مشيت لمدة نصف ساعة تقريبا دون أن أعرف ما إذا كنت سأجد خالى فى المكان، ولحسن الحظ عندما وصلت المكان وسألت دلّونى على مكانه، استقبلنى بترحاب ومودّة وبعد التحيات والسؤال عن الأهل قلت له أننى أقنعت والدى بصعوبة بحيث آتى للبحث عن عمل، وعد خيرا، وقال أنه سوف يتدّبر الأمر خلال أيام وهكذا حدث، وقد كنت أعرف بضع كلمات إنجليزية مما ساعد على قبولى كمستخدم فى القاعدة ولصغر سنى فقد وضعونى فى قسم الطيران والأتصالات اللاأسلكية وكان النظام المستعمل فى ذلك الوقت على طريقة (مورس) وهذه الطريقة تقوم على نداء بالرموز لكل حرف فى اللغة (تت– تا تت إلخ...) فمثلا حرف (a) يكون نداءه (تت تا) وحرف (b) يكون نداءه (تيتا تت تت تت) وكنت أعدّ القهوة أو الشاى للعاملين بالقسم وكانوا ينادوننى بتعبير (تشّيكو) ولم أكن أعرف ماذا تعنى هذه الكلمة لعلها (يا صغير أو يا

شاب) المهم أن إسمى هكذا (تشّيكو) وبعد زمن عرفت أن الكلمة تعنى (يا طفل) وكنت عندما أدخل تلك القاعة الواسعة والمليئة بالأجهزة والأضواء الملوّنة والنداءات المتداخلة بسبب من أنها قاعدة حربية والطائرات تقلع وتهبط باستمرار كنت أصغى باهتمام وإذ لاحظ أحد الفنّيين ذلك الاهتمام سألنى قائلا، هل تفهم ؟ قلت لا، فقال أتريد أن تتعلم ؟ بفرحة غامرة قلت نعم، فتناول ورقة وكتب عليها عدة حروف أبجدية إنجليزية وأمام كل حرف منها رموز مورس وصار ينطقها وأنا أردد معه وعندما حفظتها كتب حروف أخرى برموزها وهكذا دواليك حتى حفظت كل الحروف برموزها التى كنت أستذكرها بشكل جيد وكان ذلك الإنجليزى الذى تطوّع لتعليمى مبادئ اللاسلكى يظهر تحمسه وعجبه من حفظى السريع وذاكرتى القوية ولهذا أخذ بيدى وساعدنى كثيرا (وما زلت حتى الآن وقد جاوز عمرى الستين سنة أحفظها وأرددها بنوع من السعادة عندما أتذكر تلك الأيام الخوالى والسنوات التى انقضت)..

ورغبة فى تعلم اللغة الإنجليزية بشكل صحيح جعلت أتردد بانتظام على معهد اللغة الإنجليزية بالقاعدة ويسمى (british language centere) الذى كان يتولاه أستاذ يدعى (thomas andrewes) توماس أندريويس وكان هو الآخر يخاطبنى بكلمة (تشّيكو) ومن الفنى الذى يعمل فى قاعة الاتصالات عرفت أن هناك معهد إنجليزى فى لندن وله فرع بعمّان الأردن يعلّم بنفس الطريقة بالمراسلة، أعّد لى الأستاذ توماس رسالة بعثت بها إلى ذلك المعهد فى لندن أطلب عنوان فرعه بالأردن، وبعد أن حصلت على العنوان أرسلت إلى الفرع ذاك وصرت منتسبا أدرس بالمراسلة مقابل مبلغ رمزى قدره فيما أذكر ثمانية جنيهات استرلينية ثمن كتب الدراسة للفترة الدراسية كلها وهى ستة

أشهر حصلت فى نهايتها على شهادة عامل لاسلكى على طريقة (مورس) باللغتين العربية والإنجليزية.

بعدها لم أستمر طويلا بالعمل فى القاعدة إذ أعلن عن حصول ليبيا على الاستقلال فى شهر يناير ١٩٥١م وصارت مملكة متحدة ملكها يدعى محمد أدريس السنوسى (لم أكن أعرف التفاصيل ولا الجهود التى بذلت فى شأن الاستقلال وقتئذ) وعلمت فيما بعد (بعد سنة تقريبا) أن هناك لجنة فى طبرق لتجنيد الشباب من أجل العمل فى جهاز الشرطة (فى هذه الفترة كان والدى قد أرسل إلى عدة مرات يطلب منى العودة إلى بنغازى وأستئناف الدراسة) فوجدت أن فرصة الالتحاق بالشرطة ولأن التدريب فى بنغازى كما عرفت من صديق سجل قبلى تحقق رغبة أبي، وهكذا التحقت بالشرطة مع عدد آخر من سنى ونقلنا إلى بنغازى.

عرفنا فيما بعد أن جهودا كبيرة بذلت من أجل أن تكون ليبيا دولة واحدة بينما كانت مقّسمة (برقة وطرابلس وفزان) فى الأولى قواعد وقوات إنجليزية وفى الثانية أكبر قاعدة عسكرية أمريكية ومستوطنون طليان وفى الثالثة فرنسيون بقواهم، ولكل من هؤلاء أعوان وعملاء ومستفيدين من وطنيين وأجانب.

كذلك كانت هناك أحزاب بعضها يطالب بالاستقلال والنظام الجمهورى وبعضها الآخر يطالب بالاستقلال مع الحماية الأجنبية والبعض الثالث يطالب بالنظام الملكى الوراثى، كذلك كانت هناك لجنة دولية جاءت ممثلة للأمم المتحدة من أجل معرفة رأى الشعب الليبى، والحقيقة أن الشعب الليبى الذى كان يلهث وراء قوت يومه ليحصل عليه بشق الأنفس لم يكن يميز

بين هذه وتلك، على أن الأحزاب كانت لها مواقف وأفكار وآراء وأيدولوجيات،وإذ كان ضمن تلك اللجنة بلدان أحدهما عربى مسلم (مصر) والآخر مسلم (الباكستان) فإنهما كانا إلى جانب الاستقلال التام، كذلك كان للجامعة العربية دورها الكبير فى التعريف بكفاح الشعب الليبى من أجل الحرية والكرامة.

فى برقة كان المخاض السياسى على أشده متجاوبا مع ما كان يجرى ويحدث فى مصر (وبرقة تاريخيا تتأثر بأحداث مصر والمشرق العربى، ومصر كانت الملجأ دائما لمن يخشى قوة ظالمة أو غازية كالحالة أثناء الغزو الإيطالى لليبيا بدءا من سنة ١٩١١م) وكانت جمعية عمر المختار فى طليعة تلك القوى الفاعلة فى برقة بل وفى ليبيا فيما بعد، وكانت التنظيم الوحيد الذى يتمتع بترخيص من الإدارة البريطانية القائمة فى برقة وإن لم يشمل ذلك الترخيص العمل السياسي.

كانت تلك الجمعية قبل تأسيسها ومباشرة نشاطها الثقافى والرياضى والاجتماعى فى بنغازى قد ظهرت كفكرة مترافقة مع نشاط الجيش السنوسى بمصر حيث اقترح أحد النشطاء الليبيين فى المهجر (سعد بن عمران) فكرة تأسيس تنظيم يدعم جهود الأمير (محمد إدريس السنوسى) الذى كان يحظى بدعم البريطانيين ومساعدة مصر وهو الذى اتفق مع السلطات العسكرية البريطانية على تجنيد الشباب الليبى فى تنظيم عسكرى يساعد الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ضد المحور، ومقابل الاعتراف به أميرا على برقة بعد انتصار الحلفاء فى تلك الحرب.

تم الاتفاق بين النشطاء الليبيين على تنفيذ فكرة الجمعية سنة ١٩٤١م بحيث تسمى (جمعية عمر المختار) المجاهد الليبى البارز والمعروف جيدا فى مصر والمشرق العربى وقتئذ والذى شنقه الغزاة الطليان فى ١٦ سبتمبر ١٩٣١م وربما تعود شهرته فى تلك البلدان إلى قصيدة الشاعر المصرى الكبير (أحمد شوقى) والتى كان مطلعها :

(يا أيها الشعب القريب أسامع فأصوغ فى عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت أذنيك حين تخاطب الإصغاء
شيخ البداوة لم يكن يغزو على تنك ولم يكن يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء
أفريقيا مهد الأسود ولحدها ضجت عليه أراجلا ونساء
والجاهلية من وراء قبورهم يبكون زيد الخيل والفلحاء إلخ) ...

تأسست جمعية عمر المختار رسميا سنة ١٩٤٣م فى عهد الإدارة البريطانية ومقرها مدينة بنغازى ومباشرة أقامت فرعا لها بمدينة درنة سنة ١٩٤٤م ولقد انتخب رئيسا للجمعية فى مقرها العام الوطنى الغيور مصطفى بن عامر، وعلى الرغم من أن ترخيص الجمعية كان ينص على حصر نشاطها فى مجالات الثقافة والرياضة والأعمال الاجتماعية فقد توسع نشاطها إلى العمل السياسى عندما أصدرت مطبوعة اسمها (برقة الرياضية) سرعان ما تغير الاسم فصارت سنة ١٩٤٧م تسمى (الوطن) وتبعتها شقيقتاها (ليبيا الرياضية وعمر المختار الثقافية) وبذلك ترافق النشاط السياسى مع الرياضى والثقافى الاجتماعى.

ولقد تبيّن وظهر جليا منذ البداية أن ما كانت تطرحه الجمعية فى مطبوعاتها يتعارض مع توجه الجبهة الوطنية البرقاوية التى كانت تنادى باستقلال برقة بينما كانت أهداف الجمعية تتركز على وحدة ليبيا واستقلالها وانضمامها إلى الجامعة العربية باعتبارها دولة عربية مسلمة، وفى ضوء ذلك لم يكن الأمير محمد إدريس السنوسى راضيا على نشاط جمعية عمر المختار وسنرى فيما بعد انسجاما مع مطالب الجبهة الوطنية البرقاوية أنه دفع إلى أن يعلن استقلال برقة.

فى هذا الوقت نشرت الجبهة الوطنية البرقاوية ميثاقها الذى نص على استقلال برقة وإمارة محمد إدريس السنوسى وهو ما عارضته الجمعية بشدة عندما نشر الميثاق بجريدة (برقة الجديدة) فى يناير ١٩٤٧م [1] وينص ذلك الميثاق على :

١- العمل على إيصال برقة إلى الاستقلال التام مهما كلف الأمر.

٢- إعلان إمارة السيد إدريس السنوسى بلا قيد ولا شرط .

٣- تشكيل حكومة وطنية دستورية لها جيشها وأنظمتها تحت العلم السنوسى.

٤- العمل على انضمامها إلى جامعة الدول العربية كعضو فيها أسوة بالدول العربية المستقلة .

[1] كنت على علاقة طيبة خلال الثمانينات من القرن العشرين مع الأستاذ مصطفى بن عامر – رحمه الله رحمة واسعة وفى عديد اللقاءات حدثنى عن نشاط الجمعية فى مختلف المجالات وأغلب هذه المعلومات جاءت منه..

٥- ترحب الجبهة باسم الشعب البرقاوى بكل إخلاص بتحقيق الوحدة مع شقيقتها طرابلس بثلاثة شروط (لم يذكر الميثاق فزان) وبشروط هى :

١- إنضواء الطرابلسيين تحت إمارة أميرنا المنقذ بلا قيد ولا شرط

٢- أن تجتمع كلمة الطرابلسيين عامة على ذلك وتصح عزيمتهم على العمل لها قولا وفعلا أمام الدول التى لها الحق فى تقرير المصير

٣- أن لا تمس هذه الوحدة بأى حال من الأحوال تصريح المستر (أيدن والمستر بيفن) القائلين ببعد الإيطاليين عن برقة وأن لا يستوطن برقة أى إيطالى مطلقا..

كان هذا نص الميثاق الذى نشرته الجبهة الوطنية البرقاوية وعارضته بشدة جمعية عمر المختار بإعلان ومقال نشرته جريدة الجمعية (الوطن) ويظهر أن رئيس وأعضاء جمعية عمر المختار لم يكونوا يعتقدون أن ذلك هو موقف الأمير محمد إدريس السنوسى الذى انحاز إلى الجبهة الوطنية البرقاوية وهو مايزال مقيما بمصر وبعد معارضة جمعية عمر المختار مباشرة، حدث ذلك فى الشهر الأول من سنة ١٩٤٧م ولعله المبرر الوحيد الذى أدى فيما بعد إلى حل جمعية عمر المختار سنة ١٩٥١م واعتقال رئيسها وبعض أعضائها ونفى البعض الآخر وكانت جريدة الجمعية قد عطلت ثلاث مرات قبل حظر نشاط الجمعية..

لم يشفع لجمعية عمر المختار تأييدها بشدة ووضوح وحدة ليبيا واستقلالها والمناداة بإدريس السنوسى ملكا على ليبيا، ولعل ما يوضّح موقف الجمعية بشأن مستقبل البلاد ما نشرته (الوطن) وهى لسان حال الجمعية فى

عددها رقم (٧٠) خلال شهر فبراير سنة ١٩٤٧ عندما تواترت الأخبار عن وفد دولى سيزور ليبيا للاطلاع على مطالب الشعب الليبى وقـواه الوطنيـة، وهذا نصه :

(أن الفترة التى تجتازها البلاد فى هذه الآونة لمن أدق الفترات بالنسبة لما يترتب على ما يتخذه الشعب فيها لنفسه من اتجاه نحو مستقبله المجهول، ولقد مرت على البلاد ظروف مزّقت شملها وبلبلت خواطر أبنائها، وإلى الآن لم تزل تتقاذفها أمواج الاتجاهات المختلفة برغم الشعور العام بأن النجاح فى الاتحـاد والخير فى العمل والجد فى التضحية.

ولقد كان أعضاء المركز العام لجمعية عمر المختار يقدمون دائما واجبهم الوطنى ومسؤلياتهم التاريخية، فما أنفكوا يعملون للصالح العام ولم يتجهـوا فى سياستهم القومية إلا بوحى من ضمائرهم العربية، وفى الشهور الأخيرة عندما أخذت أساليب العمل للهدف الواحد فى القضية الليبية تتفاعل وكان من نتيجة هذا التفاعل ما كان، وقفت جمعية عمر المختار موقفهـا الثابـت وأشـارت بوضوح إلى ناحية الصواب، ولكن ربما خفى الصواب، ومن المعلوم أن البعض ممن تصدّر للعمل فى الحقل الوطنى أعلن بمختلف الأساليب متهما أننا نمـشى ببرقة إلى غير صالحها وأعرب عن خطر إتجاهنا وخطأ إشارتنا.

والآن ها نحن نرى الوقت مناسبا لوضع الأمور فى نصابها الحقيقى حـتى يتبّين الرشد من الغى لمن ألقى السمع وهو شهيد، إننا نجد أنفسنا أمام مناسـبة أتاحت لنا مصارحة البعض وإيقافهم عند الحقيقة الواقعية بدليلها الملموس..

اليوم ها هو سمو الأمير كعادته يرسم خطة العمـل ويوّضـح المبـادئ القومية التى يعتنقها والتى يجب أن يسير على مقتضاها كل وطنى..).

وربما أن الوطن ملك الجميع ومن حق الجميع العمل على إسعاده كمـا قال سموه فى كل مناسبة، ولما كنا شديدى الرغبة فى أن تكون وجهتنا فى طريق الصواب فإنه يشرفنا أن نجد من أمير البلاد المعظم كل آونة ما يوطّد فيها العزم ويوجه قوانا إلى العمل على أساس ما يراه سموه فى مصلحة البلاد.

وأن المركز العام لجمعية عمر المختار لينتهز هذه الفرصة فيؤكد للـرأى العام أنه سيواصل جهوده فى خدمة قضية الوطن العزيز على أسـاس المبـادئ القومية التى سبق أن أعلنها مرات وفى كل المناسبات وهى:

١- الاستقلال التام للبلاد الليبية موحّدة وبدون تجزئة .

٢- إمارة سمو الأمير السيد محمد إدريس السنوسى .

٣- الانضمام إلى جامعة الدول العربية .

هذه المبادئ إننا عليها مدافعون وبها متمسكون ولها عـاملون، ومـن أحسن قولا ممن دعى إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين انتهى.

وحدث أنه كما أرادت الجبهة الوطنية البرقاوية أعلـن الأمـير محمـد إدريس السنوسى فى شهر يونيو ١٩٤٩م من قصر المنار فى بنغازى اسـتقلال برقة وفى نفس الوقت أعلن رئيس الإدارة البريطانية باسم حكومته الاعتـراف بإدريس رئيسا لحكومة برقة، والواقـع أنه لولا جهود القوى الخيرة فى البلاد مع جمعية عمر المختار لما تحقق استقلال ووحدة ليبيا أو على الأقل لكان قـد تأخر كثيرا.

وكانت التطورات قد توالت بسرعة حيث تشكلت الهيئة التأسيـسية كنتيجة لقرار لجنة الأمم المتحدة وتحديدا موقف مندوبى مصر والباكستان فيها بعد إعلان الاستقلال.

وقدمت وثيقة إلى الملك تنادى به ملكا دستوريا على دولة ديموقراطية تكون حكومتها اتحادية حيث وافق الملك على ما جاء فى الوثيقة وبالتالى تشكلت أول حكومة اتحادية ليبية كانت برئاسة محمود المنتصر الذى احتفظ بوزارتى المعارف والعدل إضافة إلى رئاسة الحكومة وعضوية كل من :

على الجربي للصحة .

ومنصور بن قدارة للمالية والتجارة .

وعمر شنيب للدفاع .

وإبراهيم بن شعبان للمواصلات .

ومحمد بن عثمان وزيرا للدولة .

وهكذا كانت الوزارة قد شملت الولايات الثلاث، ثلاثة وزراء من طرابلس واثنين من برقة، وواحد من فزان، وكانت الهيئة التأسيسية قد حددت مهام هذه الحكومة وبادرت الأمم المتحدة بتقديم المساعدات المالية والفنية بتوصية من المندوب الدولى السيد (أدريان بيلت) وتقررت الميزانية العامة للدولة خلال السنة المالية (١٩٥٠ – ١٩٥١م) بثلاثة ملايين وسبعمائة ألف جنيه، ولضيق الحال سعت حكومة محمود المنتصر إلى تأجير الأراضى الليبية حيث وقّعت مع المملكة المتحدة معاهدة (صداقة وتعاون) فى ١٩٥٣/٧/٢٩م تم بموجبها الإقرار بوجود قواعد عسكرية لهذه الدولة الصديقة وقد عرضت الاتفاقية على مجلس النواب وتمت الموافقة عليها، ولم تتأخر بعد ذلك حكومة مصطفى بن حليم عن السعى لدى الولايات المتحدة الأمريكية وتوقيع اتفاقية عسكرية مماثلة فى ١٩٥٤/٩/٢٦م تنص على تأجير أراض كقواعد عسكرية

وعرضت للموافقة على مجلس النواب الذى وافق عليها فى ١٩٥٤/١٠/٢٠م وجدير بالملاحظة أن نوابا معارضون لهذه الاتفاقيات قد رفعوا أصواتهم بقوة خلال مناقشاتها رافضين الوجود العسكرى الأجنبى وكذلك الحال بالنسبة لجمعية عمر المختار وبعض الشخصيات ولكن كان هنالك من يقول دائما وطالما أن هذه القوات موجودة فعلا على الأرض الليبية ولا مناص من وجودها فلنحصل على مقابل مادى لهذا الوجود (ربما كلمة حق أريد بها باطلا)..

هذا ما عرفناه بعد وقت طويل وبعد أن التحقنا بالبوليس أنا وغيرى من الشباب، ولقد انتصر أولئك الذين كانوا يطالبون بالمملكة وبالسيد محمد إدريس السنوسى ملكا دستوريا على البلاد، بعد أن كان الملك قد أعلن إستقلال برقة، وربما كان أولئك يتجاوبون مع رغبات الإنجليز الذين كانوا أصلا وراء تنصيب السنوسى أميرا على برقة لأنه تعاون معهم أثناء الحرب وقيل إنه تعاون بشرط أن تكون برقة إمارة مستقلة، وهناك من قال أنه لم يشترط الاستقلال لبرقة فقط وإنما لليبيا، وعلى أى حال فإنه لا يمكن تاريخيا لأحد أن ينكر دوره فى إستقلال ليبيا وتفويت الفرصة على قوى كثيرة كانت تعمل على تقسيم البلاد، المهم أن ليبيا حصلت على الاستقلال وصارت مملكة متحدة تتكون من ثلاثة أقاليم سمّيت ولايات، وكانت ولاية برقة بأجهزتها الإدارية والتنفيذية والسياسية المنّظمة تتقدم على الولايتين الأخريين وكانت تحظى بعطف الأمير الملك وذلك فى الواقع من حقها فقد كان أهل برقة مع الحركة السنوسية حتى قبل إن تتحول إلى حركة سياسية وقبل الإمارة ثم المملكة، وكانت كل عناصر الجيش السنوسى فى المهجر من أهل برقة، ولهذا فإن الذين أعدّوا دستور المملكة بعد الاستقلال وضعوا نصا يؤكد تفضيل برقة على الولايتين الأخريين.

يقول ذلك النص أن محمد إدريس السنوسى (ملك ليبيا وأمير برقة) وكان المقر الرسمى للملك قبل وبعد الاستقلال فى برقة (بنغازى أحيانا والبيضاء أو طبرق فى أحيان أخرى) كان الجيش السنوسى يمثل نواة الجيش الليبى الذى تكوّن فيما بعد، أما البوليس فقد كان لكل ولاية جهازها الأمنى الخاص بها مثلما لها مجلسها التنفيذى وبقية أجهزتها الإدارية ولم يكن يجمع بين الولايات هذه إلا العلم والخارجية والجيش وحتى البرلمان عندما تكوّن كان هناك ممثلون عن هذه الولايات حسب نسبة عدد السكان وكذلك الحكومة الاتحادية، علم الدولة كان يتكوّن من ثلاثة ألوان تمثل الولايات الثلاث وفى وسطه هلال ونجمة، ولقد نص فى بداية الأمر وحسب الدستور أن عاصمة البلاد هى مدينة طرابلس.

فى ولاية برقة كانت أجهزة الأمن تسمى (قوة دفاع برقة) وكان علينا وقد التحقنا بهذه القوة أن نخضع لفترة تدريب فى بنغازى، قالوا فى بداية الأمر أنها مدة ثلاثة أشهر للتدريب على الانضباط واستخدام بعض الأسلحة الخفيفة لكن مدة التدريب استمرت سنة كاملة، وكان مدير ما يعرف (بالأساس، أى معسكر التدريب) ضابط إنجليزى يسمى مستر (برايس) أما المدير العام فهو ليبى يدعى (محمود أبو قويطين) رحمه الله وهو مقرّب جدا من الملك وكان مجندا بالجيش السنوسى فى مصر.

كنت سعيدا بالعودة إلى بنغازى لأننى أزور أهلى كل يوم جمعة وهى العطلة الرسمية فى البلاد وكذلك أحصل على مرتب شهرى لا بأس به، وكان والدى كعادته يلّح على أن أسعى لأتمام دراستى وقد وعدته بأن أنتظم فى الدراسة بعد (التخرج) أى انتهاء مدة التدريب العسكرى، وحدث أن الضابط الإنجليزى انتقى عددا من الجنود خلال فترة التدريب لتأهيلهم

كمدربين فيما بعد وكنت أحد أولئك الجنود وهؤلاء كما قال سيرقّون إلى رتب بحيث يكونوا فيما بعد قادة للفصائل، وبعد فترة جاء ضابط ليبى برتبة عقيد صار فيما بعد قائدا للقوة المتحركة يدعى (السنوسى الفزانى) ولست أعلم ما إذا كان أصلا من فزان لأنه لا يشبه سكان فزان وهو أيضا من المقرّبين من الملك، كان من أول مرة يلاحظ التدريب قد قرر إخراجى من المجموعة لأن هندامى لم يعجبه وبذلك حرمنى من الترقية برغم أننى المؤهل الوحيد بين المجموعة إذا أمكن أن تسمى شهادتى مؤهلا، وعلى الرغم من أن المدير الإنجليزى أعادنى إلى التدريب مع مجموعتى وهو لا يعرف شيئا عن شهادتى لكنه كان مهتما بى لأننى أتكلم لغته الإنجليزية، لكن القائد الليبى عاد وأخرجنى مرة أخرى من بين المتدرّبين المتوقع أن يكونوا قادة فصائل فيما بعد، ولعله كان على حق فأنا قليل الاهتمام باللباس العسكرى والرجل كان عندما يقف أمام الطابور يقول أريد أن أرى صورتى على الجزمة العسكرية بمعنى أن الحذاء العسكرى لابد أن يكون لامعا كالمرآة وهذا لم يحدث معى ولا أذكر أننى استطعت أن ألّمع تلك الجزمة اللعينة وأشياء أخرى، والحقيقة أن الملابس العسكرية حتى فى مكان التدريب كانت من النوع الجيد وكنا نلبس نفس ملابس الجنود البريطانيون، كذلك كان الأكل أيضا جيدا أما الأسلحة التى تدربنا عليها فهى إنجليزية (بندقية ومسدس) وأعتقد أن إخراجى من تلك المجموعة ينطبق عليه القول (رب ضارة نافعة) فلو كنت ضمن قادة الفصائل ما أمكننى أن أكمل دراستى ولا عملت فى مجالى الذى أريده.

قلت أننى وعدت والدى بأن أنتظم فى الدراسة بعد التخرج وكنت أعرف أن هناك نظام الثلاث سنوات فى الدراسة بمعنى أن المتقدمين من بيوتهم يمكنهم الحصول على المنهج الدراسى كاملا من إدارة التربية والتعليم بحيث

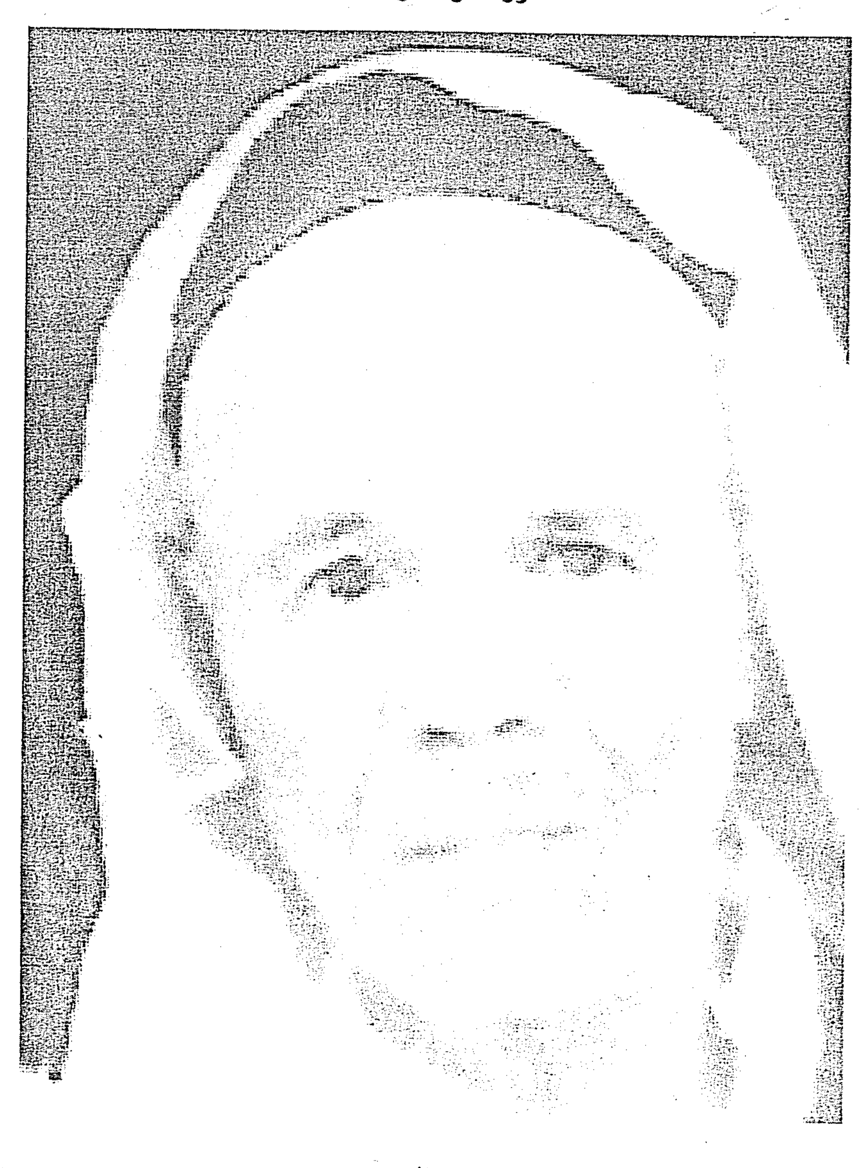
يتقدمون لامتحان الثلاث سنوات فى المرحلة الثانوية، والمنهج الدراسى كان مطابقا للمنهج الدراسى المصرى كما كان هناك تعليم ليلى يلتحق به أولئك الذين لا تمكنهم ظروف حياتهم من الالتحاق بالدراسة النظامية نهارا، بعد انتهاء التدريب أقيم حفل تخرج ونقل جميع المتدربين إلى معسكرات كان أحدها فى منطقة الصابرى شرق أطراف مدينة بنغازى خارج السور (بنغازى كانت محاطة بسور قديم ربما أقيم فى العهد التركى) والمعسكر الثانى داخل قاعدة الطيران فى منطقة بنينا (القاعدة يستخدمها فى البداية الطيران الحربى البريطانى ثم صارت مطارا مدنيا) ولقد تكوّنت قوة عسكرية تسمى (القوة المتحركة) وعيّن لها ضابطا برتبة عقيد يدعى (السنوسى الفزانى) وهو كذلك من المقربين من الملك ومن عناصر الجيش السنوسى السابق، وصار الخريجون الذين كانوا فى أربع دفعات نواة تلك القوة، بقيت ضمن دفعتى فى معسكر بنينا وكنت منذ التحاقى قد قدمت الشهادة التى حصلت عليها من معهد عمّان بالأردن على اعتبار أننى (عامل لاسلكى) ولكن الشهادة وضعت فى ملفى الشخصى وقيل لى سينظر فى الأمر بعد انتهاء التدريب العسكرى..

بعد الانتقال إلى بنينا وانتهاء التدريب تقدمت بطلب إلى قائد القوة ذكرت فيه أننى أرغب فى إتمام دراستى كما أرغب فى أن أعمل فى مجال تخصصى، بعد تقديم الطلب قابلت العقيد الفزانى (وهو رجل منضبط وعسكرى ممتاز) وشرحت له أسباب تقديم الطلب فوافق على نقلى إلى معسكر بنغازى بحيث أنتسب للدراسة وأعمل فى قسم اللاسلكى إن وجد (هكذا قال) ربما لأنه لم يكن يعلم أن هناك شئ من ذلك.

بعد انتقالى إلى معسكر بنغازى عرفت أن هناك قسم لاسلكى قيد الانشاء كما هناك قسم للتدريب على طريقة مورس فتقدمت بطلب ذكرت فيه أننى أحمل شهادة عامل لاسلكى صادرة من معهد معترف به ومقره الرئيسى بلندن، وهكذا قبلت وانتقلت إلى إدارة اللاسلكى برئاسة قوة دفاع برقة، وبعد إجراء مقابلة والتاكد مما ذكرت كلفنى المشرف على القسم (كان برتبة نقيب) بمهام مدرّس مساعد بمدرسة اللاسلكى التى خرجّت فيما بعد عددا من الفنيين الذين عملوا بمحطات اللاسلكى فى مختلف أجهزة الأمن الليبية، بل وأرسل العديد منهم إلى الخارج لمزيد من الدراسة الفنية بحيث يمكن القيام بعدئذ بالصيانة والتركيب والإصلاح للأجهزة والمعدات وقد شمل هذا الإجراء إدارات الأمن فى كل من برقة وطرابلس وفزان وكذلك أجهزة البوليس الاتحادى والمهاجرة.



صورة الوالد رحمه الله



الفصل الثاني

أول رحلة إلى بلد أوربي – الإعجاب والانبهار

كما ذكرت بعد التخرج والعمل بأجهزة القوة الجديدة، القوة المتحركة، لم يطل بى الوقت حيث طلبت أن أنتقل إلى مكان تخصصى إن وجد (اللاسلكى) ولقد ساعدنى مدير القوة المتحركة العقيد الفزانى رحمه الله، (القوة المتحركة تكوّن جزءا من قوة دفاع برقة إدارة وتدريبا وتسليحا وقيادة وبالتالى) أكون مازلت ضمن هذه القوة، كانت هناك إدارة ناشئة برئاسة قوة دفاع برقة وهى التى انتقلت إليها وعملت بتعليم اللاسلكى لفترة من الوقت ولأسباب كثيرة استقلت منها والأسباب منها أن نظام هذه القوة أو قل أوامرها لا تسمح للعضو المنتسب أن يلتحق بأى دراسة غير عسكرية، وكنت أرغب فى إتمام دراسة المرحلة الثانوية العامة وإذ لم يسمح لى قدمت إستقالتى.

وتقدمت إلى إدارة البوليس الاتحادى عندما علمت أن هناك قرارا بإنشاء مدرسة للاسلكى وأنهم محتاجون لمتخصصين فى هذا المجال، قبلت على الفور بعد مقابلة للمدير العام الزعيم محمد الزنتوتى رحمه الله، وأنا أحفظ له كثير من الفضل والاحترام لأنه رجل مثقف يؤيد ويساعد كل من يرغب فى الدراسة والعلم وقد شملنى بعطفه ومساعدته.

طلب منى تأسيس أول مدرسة للاسلكى فى بنغازى وأن اختيار بعض الشباب للتدرب على أعمال اللاسلكى بما فى ذلك صيانة الأجهزة، وهكذا حدث، ومباشرة تقرر أن نسافر إلى بريطانيا.

كنا ثلاثة من بنغازى وقد غادرنا طرابلس بعد لقاء قصير مع الزعيم محمد الزنتوتى الذى أوصانا وقدم لنا كثير من النصائح مشددا على ضرورة الإنضباط والالتزام باعتبارنا مسلمين ننتمى إلى مجتمع محافظ وقال إننا يجب أن

نستفيد من هذه الفرصة فى بلد كل ما فيه يمثل النظام والدقة فى العمل والمواعيد والسلوك، وتلك حقيقة وواقع حيث أننا لمسنا ذلك منذ وطأت أقدامنا مطار هيثرو بلندن، النظام والنظافة وطوابير من الناس أمام منافذ الدخول بلا تزاحم ولا فوضى ولا حتى كلام، كل شئ هادئ فلا يسمع الواقف إلا حركة أيدى رجال الأمن وهى تدق الأختام على الورق وجوازات السفر وكلمات أهلا بكم، وجدنا أمامنا مندوبا عن الشركة يرفع فى يده اليمنى ورقة مكتوب عليها أسمائنا، تقدمنا إليه فرحب بنا وخرجنا من إحدى قاعات المطار بهدوء كأنما ليس هناك غيرنا رغم أعداد الداخلين عبر نفس القاعة كل يجر عربة صغيرة عليها أمتعته أو يجر حقيبة بها عجلات صغيرة، قدم مندوب شركة (كريد) ورقة لكل منا مكتوب عليها مواعيد العمل وعنوان السكن واسم المدرب الذى سيشرف علينا خلال الأشهر الأربعة التى سنقضيها مع الشركة بحيث نتدرب على استعمال وصيانة أجهزة (التيليبرنتر) التى أنتجت حديثا وتعاقدت على شرائها إدارة البوليس الاتحادى الليبى مع الشركة البريطانية المصنّعة ومقرها بلندن منطقة (إيست كرويدن)..

أمام المطار سيارات التاكسى مصطفّة وجميعها من طراز واحد ولون واحد وتصميم واحد وفى داخلها حاجز زجاجى يفصل بين الركاب والسائق والحديث بين الطرفين عبر مكبر صوت، يسألك السائق عن المكان الذى تريده فقط ثم لا يلتفت إليك أبدا إلى أن يصل المكان وتدفع الأجرة المسجلة بعداد السيارة أيضا دون كلام، فى الطريق رأينا أنه رغم كثرة السيارات التى تمرق عبر شوارع واسعة نظيفة منظّمة لا توجد ضوضاء ولا أصوات المنبهات غير صافرة عسكرى المرور بين وقت وآخر عندما تتغير أضواء إشارات المرور بين

خضراء وصفراء وحمراء، والداخل إلى المدينة لأول مرة تثير إنتباهه مبانيها المهيبة التى توحى بحق أنها امبراطورية لا تغيب عنها الشمس.

كانت الرحلة من المطار إلى ناحية (برادلى) شمال لندن حيث تقرر أن نسكن ضيوفا على منظمة الشباب المسيحى قد استغرقت حوالى ساعة وربع، عندما وصلنا مقر مبنى منظمة الشباب المسيحى غادرنا مندوب الشركة بعد أن شدد على ضرورة الالتزام بالمواعيد وقال أن مواعيد العمل بالشركة يوميا من الساعة الثامنة صباحا إلى الخامسة بعد الظهر عدا يوم الأحد، ونبهتنا المشرفة على السكن أن زيارات غير المقيمين فى المكان ممنوعة وأن مواعيد الإفطار تبدأ فى تمام الساعة السادسة والنصف صباحا وبعد الثامنة بدقيقة واحدة ينتهى كل شئ ومن يتأخر ذنبه على جنبه، خصصت لكل منا حجرة ولم تنس أن تقول أن الخروج من الحجرات بالبيجاما ممنوع وما عدا ذلك مسموح به ، قضينا تلك الليلة وكأن الواحد منا فى قارب تصفعه أمواج بحر عاتية، هكذا كانت رحلة الطائرة فى اتجاه أوربا لأول مرة.

لندن مدينة باردة كبرود أهلها ولكنها دافئة بنظام حكمها الديموقراطى، فى الصباح بعد أول ليلة هبطنا إلى الدور الواقع تحت الأرض وكله عبارة عن صالة واسعة مستطيلة بها صفوف من الطالات، هناك لافته صغيرة مكتوب عليها اخدم نفسك، أعداد كبيرة من الشباب والشابات الشقر بعضهم وبعضهن فى شورتات ضيقة وقصيرة وكان الأمر غريبا بالنسبة لنا ! فكيف يمنع الخروج بالبيجاما ويسمح بهكذا لباس؟ فى شكلنا ولباسنا نظهر مميّزين بين الحضور، الشعر الأسود والبشرة القمحية، اشرأبت بعض الأعناق إلينا دون كلام، تبيّن فى عيون شابات ملمح الإستغراب أو الإعجاب ذلك أن الشعر

الأسود والعيون السوداء أو العسلية هنا التى تميّز ثلاثة من الشبان شئ نادر على الأقل فى هذه الفترة..

الإفطار كان عبارة عن قطع من الخبز الأسمر والأبيض مع كوب من الحليب ومغرفين من البطاطا المعجونة بالحليب وهم يسموهما (ماشد بوتايتس) اكتشفنا فيما بعد أنها تقدم مع كل وجبة أكل، لم يتحدث معنا أحد هذا الصباح والواقع أننا لم نبق أكثر من نصف ساعة بالمطعم، من جانبى تذكرت ما قاله لنا الزعيم الزنتوتى (مع الإنجليز لابد أن تكون إنجليزيا) الرجل الذى استقبنا فى المطار قال لنا إن الانتقال إلى مقر الشركة من أمام السكن يكون بالأوتوبيس رقم (١٨ ترولى) وهو من طابقين وعليكم أن تجلسوا فى الطابق الأول لأن من سيهبط فى أول محطة لابد أن يجلس فيه، وصلنا مقر الشركة قبل الوقت المحدد ومن خلال قسم الاستعلامات قُدمنا إلى السيد جورج باترسون وهو مهندس عجوز قال لنا عندما دخلنا إلى القاعة التى يجلس بها وأمامه العديد من الأجهزة أنه يتكلم (أربى) يعنى عربى والواقع أنه يقضم عدة كلمات لا يفهم منها إلا اسم زوجته وحماته عندما دعانا إلى بيته لتناول كوب من الشاى وعرفنا فيما بعد أن الإنجليزى عندما يدعوك إلى غذاء أو عشاء فى الغالب يقول لك إذا أردت نوعا معينا من الطعام عليك أن تأتى به، فى بيته قال لنا السيد جورج وهو يقدم زوجته وحماته (ست صغيرة وست كبيرة) أى زوجته وأمها، رحبتا بنا بحرارة بالغة ومع الشاى بدأتا بالأسئلة عن بلادنا وأهلنا وما إذا كنا متزوجين وهل لنا أطفال، بالمناسبة هذا المهندس العجوز زوجته تصغره كما قالت بحوالى ثلاثون سنة وليس لهما أطفال وهى تأسف لذلك.

كانت بداية التدريب مريحة جدا وعلى الرغم من أننا قد وضعنا مع هذا المهندس العجوز فى مكان خاص وهو عبارة عن مختبر صغير محجوز فى جانب من القاعة الكبيرة جدا والتى تعج بالعاملين شباب وشابات ورجال فى مختلف الأعمار، ويظهر أن المختبر الصغير الذى بدأنا فيه مخصص للمتدربين الأجانب، قال لنا هذا المهندس أن العاملون فى فرع الشركة هنا يزيد عددهم على مائتى ألف بين مهندس وفنى وعامل إلخ ...

صار من المعتاد يوميا أن ننتقل من السكن إلى مقر الشركة عدا يوم الأحد الذى نستغله فى بعض الزيارات للأماكن الشهيرة والتفسّح وقد ساعدنا الاختلاط بالشباب والشابات الذين يعملون بفرع الشركة على قضاء رحلات وفرج جميلة ومفيدة وأنشأنا علاقات مع الجنسين طيبة وودودة وصرنا نحس كما لو أننا نعيش منذ زمن فى هذه البلاد من حيث الانضباط فى العمل والمواعيد الخ ولكن يظهر أن من شب على شئ شاب عليه، فقد حدث ذات يوم أن كنا ثلاثتنا نعبر شارع عام ونحن نسير فى الخط الأبيض المخصص للعابرين بين جانبى الطريق وأراد أحدنا أن يشعل سيجارة وعندما وضع السيجار بين شفتيه رمى العلبة التى كانت فاضيه على الأرض وكان هناك جندى مرور على جانب الطريق فنفخ بقوة فى صافرته وأشار إلينا بالرجوع إليه وعندما وصلناه قال، من أين أنتم ؟ قلنا من أفريقيا فهز رأسه يمنى ويسرى وقال إن غرامة هذا الذى رمى بالعلبة فى الطريق العام هى خمسة جنيهات استرلينية ولكن بما أنكم غرباء فهو يأمره أن يذهب ليأتى بالعلبة ويضعها هنا (أشار إلى مكان القمامة) فأسرع رفيقنا وفعل ما أمر به العسكرى وأقلع منذئذ عن تلك العادة حتى أننى عندما التقيته بعد عشرون سنة قال لى أنه كلما أراد أن يشعل سيجارة تذكر ذلك العسكرى فى لندن، من هنا قارئ العزيز

فإن النظام والإنضباط لابد أن يكون بالتعليم والتثقيف والقانون من بداية حياة المخلوق جندى وضابط ووزير وحاكم ومواطن عادى أينما كان، وعلينا أن نفعل ذلك إذا أردنا أن ننتج ونتقدم.

والواقع أن المتع كثيرة ومتنوّعة فى هذا البلد من المسرح إلى السينما إلى دور النشر والندوات وجميع وسائل الثقافة والعلم، وأنا أعتقد أن أمتع ما يمكن أن يراه الأجنبى تلك المهرجانات الخطابية فى تلك الحديقة (الهايد بارك) وهى حديقة واسعة غنّاء بها جداول وبحيرات وأراض خضراء ممتدة يتجمع فيها الناس من مختلف الأجناس يستمعون لأحاديث من يريد أن يتحدث فى أى شئ بدءا من كل شئ فى بريطانيا إلى أى شئ فى العالم دون رقيب ولا حسيب .

لقد كانت فترة التدريب والإقامة فى لندن هادئة ممتعة متميّزة فى حياة كل منا نحن الأفارقة ونعتقد أننا أفدنا واستفدنا، وكانت الرحلة الثانية أيضا لنفس المهمة حيث ظهرت أجهزة جديدة وكانت بلادنا تواكب التطور التكنولوجى، وهذه المرة رحلة إلى ألمانيا التى تسمى (ألمانيا الغربية) وكنا أربعة ضباط من إدارة البوليس الاتحادى، واحد من بنغازى وواحد من فزان واثنان من طرابلس، ولهذه الرحلة قصة أخرى ستروى إن شاء الله..

أمريكا ذلك العالم الآخر العجيب،،

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم نفوذها في المنطقة وتطلب من أصدقاءها العرب التيّقظ جيدا لما كانت تسميه (مؤامرات ناصر) الذي كان يخطط لاقتلاعهم جميعا وإنشاء امبراطورية عربية شيوعية، وكان هؤلاء الحكام يرتابون في كل ما هو مصري وذلك طبيعي لأنهم يخافون على عروشهم

وكراسيهم ومصالحهم ومصائرهم، والواقع أن أمريكا لم تكن حريصة عليهم بقدر ما كانت تريد تطويع واحتواء النظام المصرى الجديد، وكانت بريطانيا كذلك تتربص فهى تحتل أرض مصر منذ عقود طويلة وتحرص كثيرا على نفوذها وسيطرتها على الممر المائى (قناة السويس) بحجة الحفاظ على مصالح الامبراطورية فى الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية، وكانت قواعدها وجنودها فى منطقة السويس تحصى على المصريين أنفاسهم خصوصا أن النظام الجديد الذى طرد صديقها (الملك فاروق) مازال يتلّمس مواقع أقدامه وهى تعلم أن هذا النظام يحاول مغازلة الولايات المتحدة الأمريكية، وحدث أنه قد أرسل وفدا إلى واشنطون ليستطلع ما إذا كانت هذه توافق على تزويده ببعض الأسلحة الأمريكية، ولكن الوفد عاد (بخفى حنين) الشئ الذي كان مرحبا به من جانب الإنجليز الذين صاروا يعانون من جراء العمليات الفدائية المصرية اليومية في السويس وبور سعيد، ولأن الولايات المتحدة قد رفضت تزويدهم بأى سلاح بينما كانت إسرائيل كعادتها تمارس عدوانها على الأراضى المصرية وقد بلغ العدوان ذروته عندما هاجمت قوات إسرائيلية غزة (وهذه كانت تحت الإدارة العسكرية المصرية) وقتلت عددا من الجنود المصريين دون أن يلحق بها أذى لعدم توفر وسيلة الدفاع الفعالة لدى الجنود المصريين، من هنا كان على عبد الناصر أن يبحث عن مصدر أينما كان لشراء أسلحة دفاع لجيشه وهو يرى أن إسرائيل رغم عدوانها تحصل على مختلف الأسلحة المتقدمة من طائرات ودبابات وغير ذلك من الغرب وبموافقة أمريكا، وأضافة إلى موضوع الأسلحة والقلق من اعتداءات إسرائيل وعدم القدرة على ردعها كانت الثورة المصرية تعوّل كثيرا على مشروع إستراتيجى يخدم مصر على المدى البعيد ويكون

عنوانا لانجازات الثورة ذلك هو مشروع السد العالى حيث أجرت مشاورات ومباحثات ثم مفاوضات مع الدول الغربية والبنك الدولى من أجل تمويل المشروع، ومثلما حدث فيما يتعلق بالأسلحة حدث لمشروع السد العالى فقد فوجئت القيادة المصرية بقرار إلغاء مشروع التمويل وهو قرار أعلنه وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السيد (فوستر دالاس) وهكذا اتضحت نوايا الدول الكبرى الثلاث وقتئذ وقد التقت، فبريطانيا ومصالحها في الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية كما وجودها في السويس ووجعها من العمليات الفدائية المصرية، ثم فرنسا وما تواجهه في الجزائر من هزائم وخسائر وإحباطات بسبب الدعم المصرى للثورة الجزائرية وقد ارتفعت أصوات فرنسية مؤثرة تنادى بضرب الثورة الجزائرية في القاهرة أى بإسقاط عبدالناصر، وأمريكا التى ترعى ربيبتها إسرائيل والتى ترى في النظام المصرى خطرا على وجودها، وما زاد الطين بلّة تحول النظام المصرى الجديد في البحث عن مصادر للتسلح إلى أماكن أخرى (بداية كانت تشيكوسلوفاكيا ثم الاتحاد السوفييتى) كان هذا قد تم على إثر لقاء بين جمال عبدالناصر ورئيس وزراء الصين الشعبية خلال إنعقاد مؤتمر(بانجدوج وتأسيس حركة عدم الانحياز)..

كل هذه التطورات جعلت الغرب يستعجل بإسداء لطمة لناصر (كما صوّروا) وكان سحب تمويل مشروع السد العالى، ضربة أريد بها هزيمة عبدالناصر ومشاريعه وما كان عبدالناصر ليقبل الهزيمة ولا هو من أولئك الذين يمدون أيديهم طلبا للرحمة، فكان رده أيضا سريعا ومدّويا عندما أعلن يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦م في خطاب رسمى تأميم شركة قناة السويس العالمية وكان ذلك ردا على العنت والغطرسة الأمريكية.

هكذا كان الوضع الدولى والإقليمى..

عبد الناصر ارتفع إلى عنان السماء في نظر مواطنيه المصريين وكذلك الشعوب العربية والأفريقية....

والحكام العرب باتوا فى قلق ينتظرون من يحافظ على كراسيهم ومصالحهم وأموالهم..

وأمريكا تعطى الضوء الأخضر لأعداء عبدالناصر من أجل إعداد الخطط والمشاريع لإسقاط هتلر الجديد حسب رأى (دالاس وجى موليه وأيدن وبن غوريون) هذا الأخير الذي أراد أن يقطف الثمرة، فقد قال: إن إسرائيل لا يمكنها أن تسمح لمحمد جديد في شخص ناصر يوحّد العرب والمسلمين (ذكر هذا النص حرفيا فيما بعد في مذكراته التى نشرت قبل موته)..

وهكذا اجتمع هؤلاء الذين تقاسموا الكراهية لعبد الناصر وثورته في ناحية بفرنسا تسمى (سيفر يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦م) وكانوا في هذا الاجتماع مع وزراء دفاعهم، والمجتمعون هم (جى موليه رئيس وزراء فرنسا وأنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وبن غوريون رئيس وزراء إسرائيل) واتفقوا على ضرب مصر بقوات مشتركة تبدأها إسرائيل وذلك لإسقاط حكم عبدالناصر، ووقع العدوان الثلاثى على مصر وقد اعتقد هؤلاء أن الشعب العربى في مصر سوف يثور على نظامه منذ الهجمة الأولى، لكن ذلك لم يحدث وقد وقف جمال عبدالناصر ليعلن من على منبر الأزهر الشريف قائلا (حنحارب) كذلك كان هؤلاء الثلاثة يتوقّعون مساعدة وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية وهى التى كانت قد أعطت الضوء الأخضر، لكن هذه كانت لها نوايا وأهداف أخرى، فهى الدولة الكبرى في الغرب وبالتالى فلابد أن

تكون لها اليد الطولى في كل مكان وعلى فرنسا وبريطانيا وهما تمثلان الاستعمار القديم أن تتخليا عن دورهما وأن تقفا في طابور طويل خلف الولايات المتحدة وما كان ذلك ممكنا قبل أن تقعا في المصيدة وتحاق بهما الهزيمة بحيث تنكمشا وتحل محلهما هذه الدولة الكبرى وتعترفا بقيادتها لهما وللعالم..

ومن الغريب أن يقع ساسة ومفكرّون كبار في هذا الخطأ القاتل ! فلقد تخلت الولايات المتحدة الأمريكية عن المعتدين، ووقف جمال عبدالناصر بشعبه وأمته العربية موقف الشجاع الذي لا يطأطئ ولا ينكسر وبذلك ترسّخت مكانته وشهرته وشجاعته في أذهان كل أحرار العالم وصارت القاهرة قبلة كل المناضلين من أجل الحرية، كذلك كان موقف الاتحاد السوفييتي مؤيدا للموقف العربي سياسيا في البداية وكان الأنذار الشهير الذي وجهه رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي وقتئذ السيد (نيكيتا خروتشوف) مندداً ومهدداً بضرب لندن وباريس بالصواريخ العابرة للقارات، وهكذا توالت الأحداث سريعة مدويّة وفى المجمل فقد انتصر جمال عبدالناصر كبطل قومي ووطني..

ولأن الولايات المتحدة الأمريكية كان هدفها من التخلى عن حليفتيها (بريطانيا وفرنسا) أن تحل محلهما ولهذا أعلن الرئيس الأمريكى (دوايت أيزنهاور) مشروع ملء الفراغ، وفى المقابل أعلن عبدالناصر رفض المشروع قائلا إنه لا يمكن التخلص من استعمار قديم والقبول باستعمار جديد، وبهذا الموقف صار عبد الناصر حائلا دون النفوذ الأمريكى وملهما للشعوب في النضال والتغيير، الشئ الذي جعله (عدوا لأمريكا) حسب رأى وزير خارجيتها السيد (فوستر دالاس) وإذ كان (جى موليه وأنتونى إيدن) قد انتهيا سياسيا وإجتماعيا في بلديهما فإن أمريكا لا يمكنها أن تقبل بأن يقف ضد

أهدافها ومصالحها رئيس بلد صغير يسمى مصر ولابد لها أن تؤلب عليه العالم وخصوصا العالم العربي من خلال حكامه وهم طوع بنانها..

هكذا كان المسرح السياسى الأقليمى والدولى عندما أستّنت أمريكا منهجا جديدا وهو إرضاء (ربما) الشعوب واستمالة الشباب بفتح أبواب التعليم في جامعاتها وكلياتها المدنية والعسكرية وإغراق الأسواق المحلية بالمنتجات الأمريكية، وأقول في غير ما حرج أننا لم نعرف هذه الأهداف والغايات وقتئذ رغم تأييدنا وتأثرنا بمواقف عبدالناصر ولابد أن الحكام العرب كانوا على بينة من ذلك، وكما يقال (رب ضارة نافعة) فلقد تمت إجراءات السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في وقت غير طويل حيث كنت من المستفيدين من هذا الوضع الجديد وغادرت طرابلس متجها إلى واشنطون عن طريق لندن ونيويورك، وتلك أول مرة أعبر فيها الأطلنطى خلال خمس ساعات طيران على أن الرحلة كانت مريحة، في لندن المحطة الأولى وكانت عبورا ولا إجراءات غير الانتقال من طائرة إلى أخرى، وفى نيويورك وجدت موظفا في استقبالى تولى إتمام الإجراءات وهو مكّلف بالطلبة الأجانب كما عرفت، كما قابلنى موظف آخر في واشنطون وهذا أعطانى عنوان الفندق الذي يجب أن أقيم فيه وهو مخصص أيضا للأجانب ويقع في (شارع ١٦) كما أعطانى ورقة بها برنامج الإقامة في واشنطون العاصمة ومدتها شهر واحد وعليّ أن أتردد يوميا على معهد يسمى معهد التعارف والتعّود على الحياة الأمريكية وكان قريبا من الفندق، وهذا ما حدث، ففى اليوم التالى توجهت إلى ذلك المعهد وظللت أتردد عليه كل صباح وهناك يلتقى العديد من الطلبة الأجانب مع شباب وشابات أمريكان للتعارف خلال فترة الصباح والغذاء يتم فيها تبادل

الأحاديث والمعلومات عن هذا البلد وذاك، وعند انقضاء الشهر انتقلت إلى نيويورك والتحقت بمعهد اتصالات الراديو والتلفزيون الأمريكي (R.C.A.) وسكنت بفندق متواضع لعدة أيام ثم تحولت إلى بلدة (نيوجيرسي) حيث استأجرت شقة متواضعة جدا مع طالبان آخران أحدهما إيرانى والثانى أسبانى وهما يدرسان بنفس المعهد، سكان هذه البلدة أغلبهم من الملّونين أفارقة وأسبان وعرب وبلدان أخرى من أمريكا الجنوبية، كان إيجار الشقة ستون دولارا في الشهر نتقاسمها نحن الثلاثة، انتظمت في الدراسة ولقد واجهت بعض الصعاب منها اللغة فالأمريكان ينطقون الكلمات مقضومة وخصوصا السود منهم، ومنها أننى عندما أستلمت كتب المنهج الدراسى سلمونى مسطرة داخل غلاف جلد لامع مقوّى عرفت فيما بعد أنها تسمى (المسطرة الحاسبة) وهى تستخدم في الرياضيات (الجبر والهندسة وغيرهما) ولم أكن قد رأيتها أو سمعت بها في السابق لأننا في مدارسنا كنا نستعمل نظام الجداول في عمليات الجبر والهندسة ومن خلال تلك الجداول نعرف الجيوب والظلال والزوايا إلخ...، وحدث إن كان أحد مدرسى الفيزياء وهو أمريكى أسود قد لاحظ أننى لا أستخدم تلك المسطرة وأحاول إيجاد الحلول بالطريقة التى عرفتها في بلادى فسألنى قائلا، ماذا تعمل ؟ لماذا لا تستعمل المسطرة الحاسبة ؟ قلت في بلادى نحن نعرف المسطرة لرسم الخطوط فقط هزّ رأسه ثم قال: اخرج وانتظرنى ريثما انتهى وأضاف هائزا، أنا لا أعرف كيف يمكنك أن تدرس الفيزياء والجبر والهندسة بطريقة بلادك هذه !!..

خرجت من الفصل بعد أن لملمت أوراقى لأنتظره وأنا في غاية القلق والتوتر، عندما خرج أخذنى إلى مكتب العميد وقال له هذا طالب أفريقى لا

يعرف استخدام المسطرة الحاسبة ويقول انه لم يرها في حياته، وباستهزاء، في بلاده يستعملون شيئا إسمه جداول ! عليك أن تتصرف معه ودون أن يسمع رد العميد خرج مسرعا، سألنى العميد هل يعقل أن تلتحق بمعهد عالى للالكترونات وأنت لا تعرف استخدام المسطرة الحاسبة ؟ شرحت له كيف أننا لم نسمع بهذه المسطرة، فقال إذن ما العمل ؟ رجوته قائلا، إننى جئت من بلد بعيد على أمل أن أدرس علوم الكهرباء وقد نجحت في إمتحان القبول الذي أجراه قسم الشئوون الثقافية بالسفارة الأمريكية في بلادى وبالنسبة للمسطرة الحاسبة يمكننى أن أتعلمها إذا وجدت الفرصة وعلى حسابى الخاص..

فكر قليلا ثم قال هل يمكنك أن تبقى بعد انتهاء اليوم الدراسى ساعتين في اليوم ؟ قلت سأبقى حتى عشر ساعات، مع العلم أن الدراسة تبدأ في تمام الساعة السادسة والنصف صباحا وتنتهى الخامسة مساء، وهذا الترتيب أضاف عبئا ثقيلا علىّ ماديا ونفسيا ويعلم الله كم بذلت من جهد خلال الثلاثة أشهر لأتعلم آلة لم أسمع بها فيما سبق وهى المسطرة الحاسبة وقد لا يصدّق أحد إذا ما قلت أن النوم والأكل وما إليهما لم تكن بحساب الساعات تساوى العشر وكنت كل يوم أحتاج إلى ثلاثة أرباع الساعة ذهابا إلى المعهد ومثلها في العودة بالقطار (مترو الأنفاق) الذي يسير تحت البحر من نيوجيرسى إلى نيويورك ولم أكن أعرف الراحة بين القلق والأمل خلال تلك الفترة.

قلق من ازدحام المواد التى يجب علىّ أن أدرسها وخصوصا ما يسمى الواجب المترلى (home work) والقلق فيما لو مضت الأشهر الثلاثة وأنا لم أتقن استعمال هذه الآلة فهل سيعطينى العميد فرصة أخرى أم سأرجع بعد رحلة طويلة وآمال عراض خائبا..

والأمل في أنني لم أفشل فيما سبق من سنوات عمرى وكنت دائما أعوّل على (رضا الله والوالدين) وبحمد الله فقد وفقّت وبلا غرور أقول إني قد تفوّقت في استخدام هذه الآلة حيث كنت ألتهم المعلومات وأهضم الدروس فيرسخ كل شئ بأدق تفاصيله فى ذهنى ولا أعرف ما إذا كان ذلك رغبة أو رهبة، رغبة فى المعرفة أو رهبة من خوف الفشل، ومع الأيام أتقنت أسرار هذه الآلة العجيبة وأحسست كأنما هى صنعت لى خصيصا فأنا كنت منذ صغرى أحب الحساب والجبر والهندسة، والحقيقة أن الله قد منحنى بفضله ذاكرة كأنها آلة تصوير تلتقط الأشياء بسرعة فائقة، حتى أننى ألّفت كتابا عنها وكان أول كتاب عن المسطرة الحاسبة باللغة العربية، كذلك كانت الكلّية العسكرية في بلادى قد قررته فورا ضمن مواد منهجها الدراسى، وكنت على مدى ثلاثة شهور أعود إلى سكنى في حدود الساعة التاسعة ليلا وحمدت الله إذ وجدت القدرة فى التغّلب على مشكلة كان يمكن أن تعيقنى عن إتمام دراستى وكنت فى غاية السعادة بذلك..

هكذا رأيت عندما عدت إلى بلادى أن أول ما يجب أن أفعله هو أن أعد كتابا عن المسطرة الحاسبة بحيث لا يواجه أى ليبى ما واجهت وربما لا يكون محظوظا كما كنت فيعجز عن إتمام دراسته وتكون الخسارة له وللوطن..

تلك كانت قصة المسطرة الحاسبة التى فوجئت بها وقضيت ثلاثة شهور كاملة أسهر معها وأستيقظ عليها كحلم مزعج، ولكن بعد تلكم الشهور الثلاثة صارت المسطرة رفيقى المؤنس في حل جميع العمليات الرياضية في لمح البصر ولم يعد مدرس الفيزياء يستطيع أن يهزأ بهذا الطالب الأفريقى الذي هزأ به ذات مرة عندما قال، كيف يمكنك أن تدرس العلوم وأنت لا تعرف استخدام المسطرة الحاسبة ؟...

وبكل تواضع أقول أننى كنت متفوقا فى الرياضيات حتى قبل أن أدرس المسطرة الحاسبة، والرياضيات كما هو معروف أساس كل العلوم قديما وحديثا، ومن المعلوم انه لم تكن هناك آنئذ حاسبات ألكترونية كما صار الحال بعد عدة عقود، وبعد هذه الفترة الحرجة والقاسية أستطاب المقام بنيويورك هذه المدينة الكبيرة عاصمة التجارة العالمية ومقر هيئة الأمم المتحدة والتى تتشابك في سمائها ناطحات السحاب وتزدحم شوارعها وميادينها بأناس من كل جنس ولون..

في دراستى وعلى مدى كل وقتها كان خط سيرى وحركتى مستقيمان بين (نيوجيرسى ونيويورك) فلا فسح ولا أى نوع من المتع وهى لابد كثيرة في هذه المدينة المزدهرة والتى تجمع أنواعا من كل أجناس العالم لما فيها من أنشطة مالية وتجارية وصناعية وعمرانية وترفيهية وتعليمية وثقافية وفنية إلخ، كان خط سيرى كما قلت مستقيما لأن شبح الفشل في الدراسة كان يؤرقنى في كل وقت ذلك أن منهج الدراسة كان صعبا وطرق الامتحانات كانت جديدة بالنسبة لى وربما لآخرين غيرى فلقد عرفت لأول مرة ما يسمى امتحان (الكتاب المفتوح **open book exam**) وهذا النوع من الامتحانات سهل بالاسم صعب بالممارسة ذلك أن تفكير الطالب يتشتت بين صفحات الكتاب الذي بين يديه وهو يتنقل بعينيه بين الجداول والخرائط والمصطلحات بحثا عن معنى مصطلح أو كلمة في القاموس مع العلم بأن أغلب الرموز الخاصة بالكهرباء مأخوذة من اللغة الإغريقية ولكن مع الرغبة والتصميم يستطيع المرء أن يتغلب على المشاكل إذا ما كان جادا.

وأهمية الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتقدمة عموما في المجالات العلمية ليست نظرية فقط وإنما تطبيقية إذ لابد للطالب أن يقدم

تقارير بحثية تطبيقية في المعامل عن كل مادة يدرسها بحيث لا يقل ما يقدم عن عشرين بحثا تطبيقيا قبل التخرج، كذلك الحال بالنسبة لفرص العمل لأن أغلب الشركات تعلن عن مختلف الوظائف لمختلف التخصصات ولهذا فإن الطالب بمجرد أن ينتهي من دراسته يجد ويختار العمل الذي يريده والشركة التي يرغب في العمل معها وذلك بناء على ما تعرض من مزايا، وعندما يلتحق الطالب بأي شركة يجد معامل معّدة ومجّهزة بحيث يجرى التجارب في مجال تخصصه فيبتكر وينتج، وأذكر أنني حضرت إحتفالا أقيم بمناسبة إطلاق أول قمر اصطناعي في تاريخ العالم إلى الأجواء العليا ليربط أمريكا باوربا تيليفونيا وتيليفزيونيا ويبقى في مكان واحد لمدة خمسين سنة كما قيل لنا، وعلمت أن جميع الخبراء والمهندسين والفنيين كانوا من الدارسين في نفس المعهد (R.C.A).

بعد هذا الاحتفال وكنت قد فرغت من دراستي وجرى احتفال التخريج بالقاعة الكبرى في جامعة (كولومبيا) اخترت أن أعمل متدّربا مع شركة إليكترونيات مقرها في (لوس أنجيلوس – ولاية كاليفورنيا) لكن قسم العلاقات الخارجية وشئون الطلبة بالخارجية الأمريكية وهذه تسمى (سكرتارية الدولة) أعد برنامجا للطلبة الأجانب الدارسين بالمعهد وذلك من أجل الاطلاع على الحياة الأمريكية في بعض الولايات غير نيويورك وواشنطون، وهكذا تأخر برنامج عملي بالشركة التي أخترتها (شركة موتورولا)..

بدأت أول زيارة لمدينة (دالاس) التي كان قد اغتيل فيها الرئيس الأمريكي (جون كيندي) عندما كان يقوم بزيارة رسمية، في دالاس، لم تكن الزيارة إلا لعدة أيام وبالتالي لم تنظم لنا زيارات لأماكن غير المعهد التطبيقي

للاكترونيات وكليات الجامعة وبعض معاملها، ثم كانت الزيارة الثانية لمدينة شيكاغو والزيارة لهذه المدينة كانت غير مريحة لأن التفرقة العنصرية كانت على أشدها حتى أن أغلب المطاعم والمقاهى ممنوعة على الملوّنين، ومن ضمن الملوّنين (الأسبان والعرب وبالطبع الأفارقة وبعض بلدان أمريكا الجنوبية إن لم تكن كلها) وزيادة في الأستفزاز كانت هناك أماكن يكتب على واجهاتها (ممنوع على الكلاب والملّونين) ولا أعرف لماذا وضعوا في البرنامج زيارة هذه المدينة لأفارقة وهم يعلمون ما بها من تعنت في التفرقة العنصرية التي لا تليق بأحد في القرن العشرين، ولقد كانت زيارة هذه المدينة أطول من غيرها !! على أن أهم ما فيها كانت تلك الجامعة العريقة وهى جامعة شيكاغو وقد أقمنا بمجمّعات سكن طلابها وهى مريحة جدا، ولهذه الإقامة ذكرى طيبة في نفسي حيث التقيت بكثير من الطلبة العرب الدارسين بها وكان أغلبهم من أخوتنا المصريين وكذلك من فلسطين، وحدث أن جالست ثلاثة من الطلبة المصريين بترتيب منهم جلسات طويلة ومفيدة إذ أفادوني أن هناك تنظيم جديد ينشأ في مصر يسمى (التنظيم الطليعى) ويراد له أن يكون على مستوى العالم العربي وقد أشار به الرئيس جمال عبدالناصر وبعد نقاش وأسئلة وأجوبة خلص الأمر إلى أن أعطوني رقم تليفون في القاهرة وكلمة سر يمكنني بها أن أطمئن إلى من أتحدث في أى زيارة للقاهرة وبحيث أعرف أكثر عن التنظيم وأهدافه وطريقة عمله.

وربما كان سبب دعوة هؤلاء الشباب لى في اجتماع خاص وعن موضوع سرى وخاص أنني كنت دائما أشبك صورة عبدالناصر بدبوس على طرف ياقة سترتي وكانت لهذه الصورة كثير من المشاكل والمناقشات الحادة وحتى السباب أحيانا لأن الإعلام الأمريكي كان يصف ناصر على أنه هتلر

وقد خلق حساسية بل وحتى كراهية له بين الناس فى أمريكا وهم يتأثرون كثيرا بالإعلام، لكننى لم أتخل عن تلك الصورة ولا نزعتها في أى وقت لا في الولايات المتحدة ولا في غيرها بل كنت أسعد بالمناقشات التى كنت أعتقد أنها ربما تقنع بعض الناس...

عندما انتهى برنامج الزيارات الذي كان نوعا من المجاملة لطلبة سوف يعودون إلى بلدانهم، سافرت إلى لوس أنجيلوس وباشرت العمل مع الشركة التى كنت قد أخترت العمل معها (شركة موتورولا) وهى واحدة من الشركات العملاقة المتخصصة في الإلكترونيات وكنت سعيدا فى مجال العمل والإقامة بتلك المدينة الجميلة..

كنت أقوم ببعض الأبحاث فى مجال تخصصى وهو تصميم برامج التلفزيون وتطوير بعض الأجهزة، وفى العمل بمثل هذه الشركة فى الولايات المتحدة يجد المتدرب جميع وسائل البحث ولا يطلب منه أو يسأل عن ما يقوم به مهما طالت مدة البحث على أمل أن ينتج بحثه عن اختراع ما، ولأننى كنت أثناء الدراسة قد شاركت نظريا فى أحد الأبحاث رأيت وبموافقة المسؤول عن القسم الذى أعمل فيه أن أعمل على تطوير شئ يتعلق بهوائى التلفزيون بحيث يتحسن الاسقبال وهو ما قمت به وشاركت مع مهندس آخر بإعداد تصميم لما عرف بعدئذ (بالأمبليفاير) أى (المضخم أو المقوّى) على أن إنتاجه لم يتم قبل أن أغادر الولايات المتحدة، وبعد فترة من الوقت تلقيت رسالة من الشركة تعلمنى فيها بأن ذلك المشروع قد نفذ وأنتج جهاز صغير يركب بهوائى التلفزيون وأسمه (**ampifier**) وأننى سأحصل على شهادة بذلك من فرع الشركة بلندن قريبا، وهو ما حدث فيما بعد وسجل إسمى ضمن مجموعة من

الباحثين والمخترعين فى كتاب يصدر سنويا بعنوان (من هم –**who is who**

قبل ذلك وبعد عمل متواصل ومريح في معامل هذه الشركة لعدة شهور مفيدة جدا وكنت أبعث من وقت لآخر رسائل إلى والدى عن طريق أحد أقاربى الذى يعمل موظفا في إدارة مجلس النواب الليبي وصلتنى رسالة كانت مؤثرة جدا نوّه فيها والدى إلى رغبته في أن يرانى إلى جانبه عند مرضه وعونا له عند احتياجه ثم أضاف لو أن الأمر يتوقف عليه فقط لكان هينا فهو يستطيع أن يصبر كما كان صابرا أيام العوز لكن والدتى صارت مريضة وتتمنى أن ترانى قبل أن تفارق هذه الدنيا، وفى آخر تلك الرسالة قال (أنت وحيدنا الذي كنا نتألم إذا مسّه سوء حتى من (دقّة شوكة) حسب تعبيره، فلماذا تبتعد عنا ونحن في أشد الحاجة إليك ؟).

كانت تلك الرسالة سببا جعلنى أقرر العودة مهما كان الأمر ومهما كانت المزايا والفوائد الوظيفية ورغم محاولات رئيس القسم الذي كنت أعمل فيه بالشركة فقد حزمت حقائبى وتركت العمل فورا كما فارقت تلك المدينة الجميلة (لوس أنجيلوس) ولى فيها ذكريات ظلت عالقة بذهنى لسنوات طويلة.

كانت عودتى على خط طيران قررته بنفسى هذه المرة (لوس أنجيلوس – نيويورك) بطريق البر وهى رحلة طويلة وكانت الغاية من العودة إلى نيويورك أن أسجل بجامعة كولومبيا للدراسة حيث كانت شهادة المعهد تقبل في هذه الجامعة لمرحلة البكالوريوس وهذا ما قوّى عزيمتى لأن أعود طالبا منتسبا، ثم (نيويورك – لندن – ميونخ) جوا حيث بقيت هناك أسبوعا ففى ميونخ لى ذكريات حيث كانت ثانى مدينة أوربية أزورها في حياتى بعد لندن، وبالتالى

فأنا على دراية بالحياة فيها، وكان من ضمن برنامجى أن أشترى سيارة أعود بها إلى بلادى لأن أحوالى المادية كانت لا بأس بها (وتلك أول سيارة في حياتى أيضا) والمثل الشعبى الليبى يقول (غاب وأيش جاب) وقد أنجزت غرضى خلال ذلك الأسبوع وغادرت متجها إلى طرابلس أعدّ الساعات لأرى أهلى وأضع رجلى على تراب وطنى يدفعنى الشوق كما عبر عنه شوقى:

(قد يهون العمر إلا ساعة   وتهون الأرض إلا موقعا..)

وفى طرابلس بقيت عدة أيام رغم رغبتى في السفر بأسرع وقت إلى بنغازى التى عشت فيها فترة طفولتى وشبابى، بقيت أنتظر مقابلة الزعيم محمد الزنتوتى هذا الرجل الفاضل الذي يؤمن بالعلم ويشجّع الراغبين فيه وأذكر عندما قابلته لأول مرة وعرضت عليه رغبتى في إتمام دراستى شجعنى قائلا (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد – هكذا قال رسولنا الكريم) ولقد مد لى يد المساعدة الشئ الذي لا يمكن أن أنساه ما حييت، أنتظره أولا لأشكره ولأبلغه نتيجة بعثتى وكنت عندما قررت أن أعمل مع الشركة الأمريكية التى ذكرتها قد استأذنه في البقاء لعدة أشهر وكنت أعرف أنه لابد أن يوافق انطلاقا من أيمانه بالتعليم، والحقيقة أننى كنت أزمع أن أبقى بشكل نهائى لولا رسالة والدى تلك إلا أننى عندما استلمت الرسالة وقرأتها أحسست بألم في أعماقى وقد تذكرت كم تعب والدى وهو يحاول أن يوفّر لى ما أحتاجه لأستمر في الدراسة رغم الظروف الصعبة التى كان يعانيها، ثم أننى لا أذكر في أى وقت أنى أغضبته أو خالفت له رأيا، وهكذا قلت في نفسى كيف لا أعود وهو يدعونى للعودة..

كان الزعيم الزنتوتى خارج البلاد وما كان لى إلا أن أنتظره فهو صاحب فضل علىّ بعد الله، وما هى إلا أيام حتى عاد وقابلته بمكتبه فرحب بى وهنأنى وقد اطلعته على نتائج الدراسة والعمل، وقبل أن تنتهى المقابلة استأذنته في أجازة قصيرة كما ذكرت له أنى سجلت كمنتسب لدراسة البكالوريوس بجامعة كولومبيا فى مجال الفيزياء والرياضيات المتقدمة (على الرغم من أننى تخصصت فى هندسة الإلكترونيات، فقال ألم تقل أن المعهد يصدر شهادة هندسة تعادل البكالوريوس أى أنك مهندس الآن ؟ قلت ذلك صحيح إلا أننى أريد أن أنتهز فرصة قبولى بهذه الجامعة إذ ربما يوفقنى الله في دراسة أخرى تتيحها الجامعة للماجستير وحتى الدكتوراه، ابتسم وقال لعلك بالغت في الأمر ومع ذلك أدعو لك بالتوفيق، شكرته وانصرفت رأسا إلى المطار ومنه إلى بنغازى.

بنغازى مدينتى التى تربيت فيها وعشت فترة طفولتى وشبابى وبالتالى صارت جزءا منى ولها فى قلبى ووجدانى مكان فسيح يملأه الحب والحنان، وكنت دائما أشعر بذلك عندما أغيب عنها وكانت الغيبات طويلة عادة سواء فى مرحلة الدراسة أو مراحل العمل الدبلوماسى فيما بعد..

ولقد رأيت بنغازى كما لم أكن قد رأيتها من قبل كأنما هى مدينة أشباح أجوائها ملبدة وناسها حيارى بين مصدّق ومكذّب، فهل يعقل أن يستخدم الرصاص الحى ضد أطفال وشباب ظهروا محتجين يعبّرون عن غضبهم فى مسيرة خلال شهر يناير ١٩٦٤م !! كان ذلك ما عرف بعدئذ بحادث ثانوية بنغازى حيث قتلت الشرطة ثلاثة من الطلاب وهو حدث غير معهود فى حياة الليبيين مما بعث يأسا فى النفوس وتشاؤما من مستقبل الأيام ودفع نواب

الشعب إلى المطالبة بإلغاء المعاهدات البريطانية والأمريكية، وحدث أن حل مجلس النواب ومنع البعض من الترشح فى إنتخابات جديدة بل وتم إعتقالهم ثم عملت الحكومة على إسقاط أولئك النواب المعارضين مما زاد الوضع توترا والناس غيظا الشئ الذى كان ينبئ بالكثير من التطورات حيث صارت الأيام حبلى بما قد لا يحمد عقباه.

المهم أننى عدت إلى بنغازى واستقر بى الأمر رئيسا لإدارة اللاسلكى بالبوليس الاتحادى، وفى هذا الوقت استأنفت الكتابة فى الصحف الليبية وتحديدا فى جريدة (الحقيقة اليومية) وجريدة (العمل الأسبوعية) .



الفصل الثالث

رتبة جديدة بفكر جديد

جرت العادة أن يرقّى في مناسبة عيد الاستقلال (٢٤ ديسمبر) الضباط وبعض المراتب الأخرى وقد رقيت ضمن من استحّقوا الترقية في هذه المناسبة إلى رتبة ملازم أول، وكان يحدث نفس الشئ في مناسبة عيد الجيش (٩ أغسط) ومن المعتاد أن يذهب الضباط المرقّون إلى الديوان الملكى لتسجيل أسمائهم وكان الموعد محددا لكننى تمارضت ولم أذهب والآن أدرك أن ذلك (خطأ) ما كان يجب أن يحدث وأنا أعتقد أنه قد حسب عليّ هذا التصرف ولهم الحق فى ذلك.

وفى هذه المرحلة وبتأثير المد القومى ربما يمكن القول أن كل الليبيين صاروا يتحدثون في السياسة، وبالطبع لم أكن أنا استثناءا، وكنت أكتب في الصحف التى تصدر ببنغازى كجريدة الحقيقة اليومية وجريدة العمل الأسبوعية كما كنت قد ألّفت ونشرت كتابان بالتوالى بعد كتاب المسطرة الحاسبة، الأول كان بعنوان (هندسة الراديو والتلفزيون) وكان الثانى بعنوان (مستقبل التلفزيون الملّون) والواقع انه لم يكن لدى الناس تلفزيون ملّون ولا غير ملّون إنما كنت أدرك أن هذا الأبتكار سوف ينتشر ويدخل كل البيوت كما حدث في أغلب بلدان العالم القريبة من مناطق الحضارة، ولكن وزير الإعلام في ذلك الوقت عطّل توزيع كتاب هندسة الراديو والتلفزيون عدة شهور بحجة أن المقّدمة في الكتاب ذات طابع سياسى وتلك حقيقة، ولم تتم الموافقة إلا بعد أن تغير ذلك الوزير وكما يقال (تبديل السروج فيه راحه) وكان الفضل في الإفراج عن الكتاب من جانب الوزير الجديد يرجع إلى الزعيم محمد الزنتوتى،

وكتبي هذه كما يلاحظ من عناوينها كانت علمية لاعتقادى أنها أفيد في ذلك الزمان وهى كذلك ضمن تخصصي.

ولقد تم اختيارى عضوا فى لجنة من ثلاثة رجال لدراسة إمكانية إنشاء محطة تلفزيون ليبى وكانت اللجنة تتكون من ثلاثة أحدهما إنجليزى والثانى فلسطيني وكنت الثالث، وكانت الفكرة أن نبدأ بإنشاء التلفزيون العادى (أبيض وأسود) وهى فكرة كان المهندس الإنجليزى متحمسا لها على أننى عارضت الفكرة وقد أعددنا دراستان إحداها للتلفزيون العادى والأخرى للتلفزيون الملوّن وتقديرات تكاليف كل منهما، ونظرا لأن الإرسال مبدئيا يجب أن يغطى على الأقل المناطق الساحلية من البلاد وهى شاسعة فقد جاءت فكرة أخرى وهى من نفس الإنجليزى الذى عرفنا فيما بعد أنه يمثل شركات إنجليزية ويابانية، وتتمثل الفكرة فى إنشاء محطات ترديد تسمى (point to point) بحيث يتم إنشاء عشرات من المحطات على طول الساحل الليبي وقد عارضت هذه الفكرة أيضا مقترحا التعاقد على تصميم وتركيب قمرا اصطناعيا يثبت فى الفضاء الخارجى ويصمم للإرسال التلفزيونى والتلفونى بحيث يربط كل مناطق ليبيا وكذلك يربط الاتصال التلفونى بين أوربا وأفريقيا وكانت فكرتى قائمة على نموذج القمر الاصطناعى الأمريكى الذى صممته ووضعته فى الفضاء الخارجى مؤسسة المواصلات الأمريكية المسماة (r.c.a) والذى ربط أمريكا بأوربا تلفزيونيا وتلفونيا، ولما كان الاتجاه الحكومى مع رأى المهندس الإنجليزى (ولا أعرف السبب) ولأننى كنت معارضا لفكرتيه فقد استبعدت من اللجنة وتمت الموافقة على ما أراد ذلك الإنجليزى مع الأسف، ولو قدر لفكرة القمر الاصطناعى أن تتحقق فإن

تكاليف القمر الاصطناعى كانت ستغطى خلال عشر سنوات بجباية أسعار المكالمات التلفونية بين أفريقيا وأوربا، ولقد ذكرت هذا عندما عارضت فكرة المهندس الإنجليزى.

اتجهت إلى الكتابة الصحفية التى باشرت بها مع بداية سنة ١٩٦٠م واستمرت إلى أن أوقفت تلك الصحف في منتصف السبعينيات، كان عنوان مقالى اليومى في جريدة الحقيقة (في المنداف) أنتقد فيه كل ما يجرى ويحدث وأراه من وجهة نظرى خاطئا وغالبا ما كنت أستدعى إلى إدارة المباحث أحيانا للتحقيق معى وأحيانا أخرى للاستفسار عن كلمة أو عبارة مع التقريع من طرف خفى (كانت الكتب القومية ممنوعة وسماع صوت العرب يعتبر تهمة تستوجب المساءلة والتحقيق حتى لو كان ذلك وشاية من طرف أحد المخبرين وما أكثرهم إضافة إلى تفتيش المكاتب والبيوت) وأى مكان يشتبه فيه.

وأذكر بكل التقدير رئيس إدارة الجوازات فى بنغازى وقتئذ العقيد دخيل أبو شريدة رحمه الله رحمة واسعة فقد كان ينبهنى باحتمال تفتيش بيتى حيث كان ذلك يحدث بين وقت وآخر أيضا بسبب وشايات (المخبرين) وإضافة إلى المقال اليومى كنت أنشر بعض القصص أو الروايات المترجمة عن اللغة الإنجليزية، أما في جريدة العمل الأسبوعية فكنت أكتب مقالا سياسيا يتناول الوضع العربى ككل إما مباشرة أو بالاسقاط وفى كل مرة يتم التحقيق مع رئيس التحرير ومعى فى إدارة المباحث وكل نتائج تلك التحقيقات كانت توضع في الملفات ربما لوقت قادم، أما عملى الرئيسى فقد كنت رئيسا لفرع اللاسلكى في بنغازى وهذا يشمل كل المناطق الشرقية من ليبيا وأنتقل عند الاحتياج بين الولايات الثلاث لتركيب محطة أو إصلاح عطل ما.

كان العمل قد توسع عندما دمجت إدارة المهاجرة مع إدارة البوليس الاتحادى وصارت تسمى (إدارة الهجرة والجوازات) كما وحدّت أجهزة البوليس حيث كان لكل ولاية قوة بوليسها الخاصة فصارت موحّدة ومديرها العام من برقة يدعى (محمود ابوقويطين) الذي كان مديرا عاما لقوة دفاع برقة وهو كما ذكرت فيما تقدم كان مقرّبا من الملك كما كان زوج إبنة مستشار الملك وخادمه الخاص الذي أغتيل في بنغازى، وبسبب ذلك الأغتيال السياسى غضب الملك على أقاربه وعاقبهم، ونتيجة لكثير من التطورات والأحداث السياسية والعسكرية في ليبيا والوطن العربى تكوّنت تنظيمات عسكرية سرية بجانب تلك الأحزاب السياسية السرية التى أشرت اليها، في هذا الوقت كنت قد زرت القاهرة عدة مرات وتحقق ما سمعته من الطلبة المصريين في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية بخصوص التنظيم الطليعى ووعدت بإن أدرس المقترح مع زملائى في بنغازى لأنى لست مخوّلا ببحث أى شئ وزيارتى كانت خاصة إضافة إلى رغبتى بأن أتأكد أن هذا التنظيم ليس جزءا من جهاز مخابرات المصرية..

الواقع أننى كنت أعوّل على شئ آخر إذ كانت هناك ثلاث تنظيمات عسكرية داخل الجيش الليبى كما كنا نسمع وقد تعزز الاتجاه بضرورة تغيير الوضع، كان أحد تلك التنظيمات هو تنظيم كبار الضباط وهذا موالى للملك وإن كان غير راض على الحكومة وأعمالها ويعتزم إعلان الجمهورية بعد وفاة الملك ورتب هؤلاء بين مقدم وعقيد، والثانى كان تنظيم الضباط الوسط وأعضاءه برتب بين النقيب والرائد، والتنظيم الثالث هو تنظيم صغار الضباط وأعضاءه برتب بين الملازم ثانى والملازم أول، وهذان التنظيمان الأخيران

معتقدهما تقدمى ناصرى في ذلك الوقت ولهما نشاط في شكل منشورات تندد بالفساد وتهاجم الوجود العسكرى الأجنبى على الأراضى الليبية، وكان لى صديق أعتبره بمثابة الأخ وهو ضابط عضو في تنظيم ضباط الوسط ومن خلاله وبعض زملائه كنت مطلعا على ما يجرى على الرغم من أننى لست من ضباط الجيش ولا منتسبيه، وقد أوكل إلى الإشراف على إعداد المنشورات السياسية التى كنت أكتبها وأطبعها فى حريرة على الآلة الكاتبة ويأخذها هذا الصديق فيسحبها على آلة ثم يتم توزيعها بواسطة بعض الأعضاء الموثوقين والقادرين على التنقل بين أغلب المناطق في المملكة رغم وجود أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية إضافة إلى أجهزة النظام نفسه وكنت في غاية السعادة رغم ما في هذا العمل من مخاطر لأنى مقتنع بالمساهمة في عمل تاريخى من أجل تحرير البلاد من الإنجليز والأمريكان، وقد يكون هذا العمل (كما نعتقد نحن) ركنا ركينا وحجر أساس في الوحدة العربية التى حلمت وتغنيت بها في داخلى وحملت فكرتها بين جوانحى.

وهكذا من أجل ذلك الهدف السامى اعتقدت أننا جميعا نعمل من أجل هدف محدد دون أن ندرك مقدار المكايد وأساليب الظلام والوشايات والدسائس التى تحدث في الصراع من أجل الحكم والوظائف والمنافع وفوق كل هذا القبيلة والعائلة، ومع كثرة تلك الأجهزة الاستخبارية لم يكتشفوا شيئا على الأقل قبل فوات الأوان، وكان عبد الناصر يعلم ببعض ما يجرى في ليبيا ووعد بالمساعدة رغم حرصه الشديد وتوجّسه من القبائل والإنجليز في المنطقة الشرقية من ليبيا خصوصا في تلك الفترة الحرجة التى كان فيها الضغط في قمته عليه من الغرب وأصدقاء أمريكا من العرب وإستعداء النظام الملكى في ليبيا قد

يزيد الطين بلّه إذا ما اكتشف الأمر وكنا نعلم أن الملك إدريس كان يقول لوزرائه (مصر لا تقتربوا منها ولا تبتعدوا عنها).

وكما كان صوت العرب مسموعا ومؤثرا رغم محاولات التشويش وخطب عبدالناصر تسيطر على مشاعر وإحساسات الناس في كل ركن من الوطن العربي وبشكل خاص فى ليبيا على الرغم من الجرح العميق الذي أحدثته هزيمة الجيش المصرى في حربه ضد إسرائيل سنة ١٩٦٧م وكانت الهزيمة تلك في واقع الأمر قد قتلت عبد الناصر عمليا وإن كان موته الحقيقى قد حدث سنة ١٩٧٠م وقبل تلك الهزيمة كانت هناك كارثة أخرى هزّت عبدالناصر وألقت ظلالا على مشروعه القومى عندما قام حفنة من ضباط الجيش السورى يقودهم عقيد يدعى عبدالكريم النحلاوى بانقلاب على الوحدة وفصلوا سوريا عن مصر، هذا الضابط العميل الذى عملت منه قناة الجزيرة التلفزيونية بطلا مع الأسف فى لقاء برنامج يسمى (شاهد على العصر) يشرف عليه صحفى مصرى موتور.

كانت هذه الأحداث فرصة سانحة لكل أولئك الذين يكرهون عبدالناصر ومشاريعه وأفكاره ويناوئون كل مواقفه، كانت فرصة لهم كي يشددوا الهجوم على عبدالناصر وعلى جيشه وكذلك على الوحدة التى يروها مفروضة منكورة والتى فرّقت العرب (كما يقولون) كأنهم كانوا على وئام واتفاق!! وعلى الاشتراكية التى أفقرت الناس في مصر وكأنهم كانوا أغنياء !! ورغبة في وقف الانهيار دعى عبد الناصر لعقد مؤتمر قمة عربي من أجل بحث مستقبل الأمة العربية.

انعقد المؤتمر في الخرطوم عاصمة السودان وجاءت نتائجه مخيبة لآمال وتمنيات أولئك الشامتين الأعداء من العرب وغير العرب فقد خرج المؤتمرون بقرارات تأييد كامل لعبدالناصر (الكاره منهم والراغب) وأعلنت اللاءات الثلاث كما تقررت مساعدات مالية لدول المواجهة العربية باستثناء سوريا التى لم تحضر، وحضر المؤتمر ممثلا لليبيا الأمير ولى العهد الحسن الرضا على رأس وفد ليبى كبير وساهمت ليبيا بمبلغ ثلاثون مليونا دعما للمجهود الحربى والصمود (وهذا المبلغ في حساب ذلك الوقت يعد كبيرا) وأعتقد أن دول البترول العربية الأخرى أيضا تعهدت بتقديم مبالغ كبيرة (فيما أذكر السعودية وافقت على خمسين مليون والكويت خمس وخمسون مليونا ويكون المبلغ المتبرع به مائة وخمسة وثلاثون مليونا) وبلا أدنى شك أن هزيمة الجيش المصرى في ٥ يونيو ١٩٦٧م كانت ضربة قاسية مدمرة بالغة التأثير على كل مشروع عبدالناصر القومى وعليه شخصيا كرمز للتحرير والنضال القومى والوطنى في وقت كانت فيه مصر تعانى الضائقتين (المالية والعسكرية) حيث كان دخل قناة السويس قد توقف بسبب الاغلاق نتيجة الحرب وبعض المساعدات الأخرى قد توقفت (ربما) شماتة وربما لاسقاط الحكم، وكانت الحساسيات العربية قائمة بين عبد الناصر وبعض الحكام العرب إثر حرب اليمن، ومع كل ذلك دعى عبد الناصر كما ذكرت لعقد مؤتمر قمة عربي إدراكا منه أن الهزيمة لابد أنها جرحت مشاعر كل العرب رغم تلك الخلافات وأنه بهيبته وقدرته يستطيع أن يجمع القادة العرب وأن يخرج معهم بقرارات تطيّب الجراح وتصون الكرامة العربية وهو ما حدث في مؤتمر الخرطوم..

ومن أجل الترفيه على القارئ الكريم أذكر قصة رواها رئيس مجلس الشيوخ الليبى وهو رجل له تاريخ فى الجهاد ويتزعم قبيلته في ذلك الوقت

ومعروفا عنه الصدق والشجاعة وكان قد رافق ولى العهد إلى ذلك المؤتمر، وعندما عاد تجمع في بيته عددا من الشباب يسألونه عن النتائج، فقال المؤتمر طيّب وناجح، قالوا، كيف؟ ماذا عن الرئيس الفلانى ؟ قال زى النمر متربّص وما تعرفش وين يقفز، قالوا، وماذا عن رئيس الوزراء الفلانى ؟ قال، زى الطبل صوت عالى وجوف خالى، قالوا وماذا وماذا وماذا ؟ إلى أن قالوا، ماذا عن عبدالناصر ؟ فقال رجل النجع إذا تفرّقوا يجمعهم،.وأخيرا من أجل ربما إحراجه، قالوا وماذا عن ولى عهد ليبيا ؟ وهنا تحرّج الرجل فهو ذو منصب عالى فى النظام هذا من جانب ومن الجانب الآخر فهو بسبب كبر سنة وتاريخه النضالى لا يريد أن تحسب عليه سقطة ما، قال، يا أبنائى (الزيجه بخت) بمعنى أن الزواج حسب الحظ.

والحقيقة أن الوضع المعيشى والاجتماعى والتعليمى في ليبيا كان في مستوى جيد، وإن قيل (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) فاجتماعيا كانت حدّة الخوف قد خفّت من مجئ عرب الغرب بالنسبة لأهل برقة وحدث أنه على عكس ما يقال أن عرب الغرب (جاءوا يأكلوا خيرنا) عندما وجدوا أن مجئ هؤلاء الناس ساعد كثيرا على توفر الخدمات كرعى الغنم والحرث والحصاد وبعض الأعمال الأخرى، وعرب الغرب الذين كانوا مطاردين من جانب الشرطة اطمأنوا إذ لم تعد هناك مطاردات، كذلك انتهى وضع الوكيل الذي كان يستغلهم فصار الواحد يحصل على بطاقة شخصية تساعده على التعريف بنفسه عند الحاجة، أما أولئك الذين كانوا يبحثون عن خردوات الحرب ويسمّون (الربّاشة) فإنهم قد ساعدوا على اقتلاع القنابل والألغام التى كانت مزروعة في أغلب المناطق على مساحة تزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر مربع أى في مثلث (من طبرق إلى العدم إلى جغبوب إلى إمساعد) هذه

المتفجرات التى كانت تقتل الإنسان والحيوان رغم أن تضحياتهم كانت كبيرة فقد قتلت القنابل الكثير منهم وقطعت أطراف آخرين.. ..

أما معيشيا فقد توفّرت فرص العمل في مؤسسات الحكومة وشركات التنقيب عن البترول وهى كثيرة وما يتصل بها من خدمات كتعهدات النقل والتزويد بالاحتياجات وغير ذلك..

وربطت البلاد بوسائل النقل الجوى والبرى وما فيه من فرص عمل أيضا إضافة إلى البنوك وشركات التجارة والسفارات والقنصليات إلخ وتعليميا فقد توفرت المدارس وتأسست الجامعة بكل كلياتها وجئ بآلاف المدرسين والمعلّمين والأساتذة من البلاد العربية وعلى رأسها مصر، كما توفرت وسائل التعليم وجميعها مجّانية وكان الطالب الجامعى يحصل على مكافأة شهرية نقدية ويحصل اطفال المدارس على مواد غذائية يوميا، كذلك كان العلاج في جميع المستشفيات (ولم تكن كثيرة) مجّانيا، وكان التعامل بين الناس على أعلى مستوى من القيم الاجتماعية الطيبة حيث كان التاجر في دكانه عندما يسمع الآذان يذهب لأداء الصلاة ويترك دكانه مفتوحا حتى لو كان فيه ذهبا ولا يكلّف نفسه غير وضع عصاته بالعرض على المدخل مما يعنى أن صاحب الدكان غير موجود، ولم تكن هناك مفاصلة في البيع والشراء فعندما يقول التاجر هذه الحاجة بسعر كذا فمعنى ذلك أن هذا السعر لا يزيد ولا ينقص، وإذا حدث وفاصله أحد في السعر يقول (موش للبيع) وبالنسبة للوظائف والمستخدمين فإنه لم يكن هناك أى تعامل مقابل رشوة أو عمولة أو شئ من الانتفاع الشخصى.

إنني عندما أقول هذا وقد عشته وشاهدته لا أتحدث عن مثاليات وإنما واقع معاش ويشهد الله على ما أقول، ولكن كان الإحساس بأن هذا كله لم يكن يغنى عن رغبة الإنسان في التحرر وأن يرى أرضه حرة طاهرة وأهله جزء من أمته العربية والإسلامية وهذا لم يكن متوفرا بسبب وجود القواعد والقوات الأجنبية، وما كان يثير غضب قطاع كبير من الناس وجود االعساكر والقواعد الأجنبية وغطرستهم وبشكل خاص أولئك الجنود الأمريكان على الرغم من أنه لا أحد ينكر مساعدات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وقت الحاجة وقبل أن يتكّون لدى المواطن الليبى إحساسا بأن وجود جنودها وقواعدها صار يمثل استعمارا خصوصا أن الاتفاقية الليبية الأمريكية نصّت على أن الجندى الأمريكى لا يحاكم حسب القوانين الليبية وفى المحاكم الليبية مهما ارتكب من جرائم وكذلك الحال بالنسبة للجندى البريطانى، كما تكرر وحدث الآن فى العراق.

استمرت المنشورات تندد وتتوّعد وكانت تصل إلى أغلب المناطق في أوقات مختلفة ولم يتمكن أحد من معرفة مصدرها أو الذين يوزعونها وهكذا هيأت كلمات المنشورات الظروف المناسبة والرأى العام للتغيير وبالتالى شجعت كثيرين كى يرفعوا أصواتهم في وجه حكومة تعتمد على الإنجليز والأمريكان وخصوصا بين أعضاء مجلس النواب وكما قال رفيق المهدوى رحمه الله (حرك لعلك توقظ النواما) وكان أجرأ تلك المنشورات. ذلك الذي وزّع بمناسبة زواج ولى العهد حيث أقيمت الزينات وأعدّت الولائم بمدينة البيضاء وكان السيد عبدالرازق شقلوف وهذا كان يسمى (الوكيل الدائم لوزارة المالية) يوزّع رزم الجنيهات فئة العشرة هنا وهناك، وفى حفل عشاء

الضيوف من وزراء ودبلوماسيون وزعماء قبائل وضيوف فوجئوا بأن وجدوا تحت كل صحن معد للأكل منشورا يندد بالفساد وهدر المال العام، وكان لهذا المنشور أثر وتأثير كبيرين لأنه إذا كانت هذه المنشورات تصل إلى كل مكان وبهذا التنظيم فإن الأمر أصبح في غاية الخطورة، أما المنشور الثانى والذى كان (القشة التى قسمت ظهر البعير) كما يقال في الأمثال، فهو ذلك الذي وزّع أيضا في كل مكان فور سفر الملك في زيارة إلى اليونان وتركيا وهو أول منشور يتعرض للملك شخصيا وينعته بأنه رأس الفساد ويصفه (بالشيطان) وعندما سمع الملك قيل إنه غضب وقرر أن لا يعود إلى البلاد وما كان من مجلس الشيوخ إلا أن أوفد عددا من أعضائه لمقابلة الملك في الخارج من أجل إسترضائه بالقول إن الشعب يحبه ويحلف برأسه وأن المنشور لا قيمه ولا تأثير له وهو عمل (شوية عيال) سوف يتم تأديبهم، وسبحان الله كيف أن أحداث التاريخ تتكرر أو على الأقل تتشابه فلقد حدث أن باشوات مصر قالوا نفس الشئ عن أحداث ثورة ٢٣ يوليو ورجالها أنهم (شوية عيال) !!

ورغم إلحاح أعضاء الوفد وترجياتهم وربما بكاء البعض منهم فإن الملك لم يعد معهم ولقد قال هؤلاء للملك ما كانوا يقولونه زورا وهو أن الشعب سعيد ويدعو له بطول العمر، ويظهر أن تلك سنّة يتبعها كل من يحيط بالحكام العرب رغم علمهم بالفساد والظلم الواقع على الناس، وربما أن السبب ليس فقط في الناس وإنما هو عادة في الحكام العرب يرثونها الواحد بعد الآخر وهم يحيطون أنفسهم بالمنافقين، ولقد صدق (العقاد) حين قال..

(إن أنصفت مظلوما فأنصف ظالما... في ذلّة المظلوم عذر الظالم..)

وقبل ذلك كانت الحملة على أشدها بشأن قرار نقل مقر الحكومة إلى البيضاء هذه البلدة الواقعة في أحضان الجبل الأخضر والتى أقيمت فيها المبانى الحديثة سكنية ومكتبية وأقيم فيها مقر مهيب للحكومة الاتحادية وكذلك مقرا للبرلمان (مجلس النواب) وقررت علاوة للموظفين عرفت بعلاوة البيضاء ربما كانت رغبة في إسترضاء أو إرضاء من لا يمكن إرضاءهم، وكذلك كانت بيوت السكن المجهّزة بالأثاث (فيلات) تخصص لسكن الموظفين مجّانا، وعندما اشتد الضغط على الحكومة من جانب الرأى العام ومن طرف نواب كتلة المعارضة في البرلمان (مجلس النواب) وتواصل توزيع المنشورات اتخذت بعض الإجراءات لا من أجل الاستجابة للمطالب الوطنية وإنما للبقاء في الحكم وإذ كانت تلك الحكومة تتوّجس خيفة وتشك في كل ليبى أتت بأناس غرباء عن المنطقة وربما حتى عن ليبيا كلها لتكوّن منهم مجموعات عسكرية لحراسة بيوت ومكاتب المسؤولين في البيضاء وهؤلاء كانوا لا يعرفون إلا كلمات قليلة من اللغة العربية ولا يعرفون المسؤولين أنفسهم حتى أن حادثة كان يتندر بها الناس وقد انتشرت أخبارها أن حراسا وضعوا على بيت حكمدار المنطقة وهو ضابط برتبة عالية وصدرت الأوامر اليهم بمنع دخول أى إنسان ماعدا الحكمدار، وتصادف أن السيد الحكمدار لم يكن وقتئذ داخل البيت وقد جاء بعد فترة من الزمن فمنعوه من الدخول قائلين ممنوع إلا للحكمدار وقد حاول إفهامهم أنه الحكمدار دون جدوى وكان عليه أن يبحث عن المسؤول عن هؤلاء ليفهمهم أنه الحكمدار بعد انتظار طويل !!

ولقد أقيمت المشاريع الإسكانية تلك وما يتبعها من مرافق وخدمات على حساب مناطق أخرى (كما يرى البعض) وخصوصا العاصمة التاريخية

(طرابلس) ولقد كنت شاهد عيان حيث أننى كلّفت بتركيب أجهزة إتصالات متطورة لخدمة الحكومة الاتحادية في البيضاء وبقيت بعض الوقت هناك، وبعد عودتى إلى بنغازى تلقيت رابع رسالة من الزعيم (محمد الزنتوتى) حذرنى فيها من نشاطى الذي أسماه (المشبوه) وهو محق في ذلك ولقد نصحنى بأن أقلع عن النشاط السياسى الذي يعلم عنه كل التفاصيل وأن أجهزة الأمن قد وضعت كل المعلومات عنى وعن آخرين أمام السيد وزير الداخلية الذي قد يصدر قرارا بطردنا من الخدمة وهو الشئ الذي سوف يتأسف عليه، والحقيقة أن نصائح الزنتوتى كانت متوالية كما يلاحظ القارئ من رسالته الرابعة المنشورة فى آخر هذا الكتاب، أما أنا فإنه لم يكن لى من خيار بأن أتراجع لعدة أسباب.

أولها لأننى أعلم الكثير عن التنظيم أشرت إليه وإذا ما حدث شئ ما ضد أعضائه ستلحق بى تهمة الوشاية بزملاء أعزاء مناضلين أو على الأقل شبهة من ذلك..

وثانيها أننى كنت مقتنعا بما أعمل دون حساب أو احتساب لأية مخاطر..

ولم يمر وقت طويل حتى أبلغت بواسطة صديق ضابط بإدارة المخابرات أنه علم بشكل مؤكد أن رسالة طردى من الخدمة قد أعدّت وفى انتظار توقيع وزير الداخلية الذي لم يكن موجودا في هذا الوقت بالبيضاء (ربما لحسن الحظ) ويشاء القدر أن لا تجد إدارة المخابرات تلك مهندسا يشرف على تركيب واستخدام أجهزة التنصت على التلفونات التى استوردتها حديثا إلا شخص غير ليبى ولأن المعدات كانت لعمل سرى جدا فإن المدير العام لتلك

الأدارة لم يوافق على أن يطلّع عليها شخص غير ليبي وحتى الليبي يجب أن يكون موضع ثقة، وفى هذه الفرصة أبلغ صديقى ذاك مديره بأننى مهندس ويمكن أن أوافق على العمل معهم إذا ما تمكن المدير العام من التحدث مع وزير الداخلية وتأجيل أو إلغاء قرار طردى، ولقد وافق المدير العام على هذا الرأى وطلبنى إلى مكتبه وكانت المقابلة بحضور الضابط الصديق الذي أشرت إليه وكان واسطة خير بالنسبة لى، بادرنى المدير العام بسؤال عن مؤهلى وهل يمكن أن أركّب وأستخدم تلك الأجهزة وأكون موضع ثقته وأن أتعهد بالاقلاع عن أى نشاط سياسى مهما كان، وإذا ما تعهدت بذلك فإنه سوف يقنع وزير الداخلية بإلغاء قرار طردى إذا لم يكن قد صدر ذلك القرار (وبالتأكيد هو يعلم أن القرار لم يصدر بعد) وإذا ما تمكن من إقناع الوزير فسوف يكون ذلك على مسؤوليته الشخصية، استأذنته أن أفكر في الأمر خلال ثلاثة أيام، والواقع أننى كنت أريد أن أتأكد من وجود أو عدم وجود ذلك القرار المنوّه عنه وإذا ما تأكد أن هناك قرارا فلن يكون أمامى من خيار غير الموافقة على العمل مع إدارة المخابرات تلك لأسباب منها.

إننى إذا ما طردت وبقرار من وزير الداخلية سوف لن أتمكن من العمل في أى مكان آخر لأن الطرد كان بسبب أمنى ومن وزير مختص..

ومنها أننى إذا ما انتقلت إلى هذه الإدارة وأصبحت مشرفا على أجهزة التنصت فسوف أعرف الكثير وربما يكون ذلك مفيدا لبعض الناس.

ومنها وثالثا أننى كنت أدرك أن التغيير قريبا إذا ما نجح وكانت الظروف ناضجة للقيام بالتغيير فالملك خارج البلاد يرافقه عدد من المسؤولين الكبار والبقية في طرابلس أو أماكن أخرى، ولكن بالرغم من ذلك فإن تنظيم

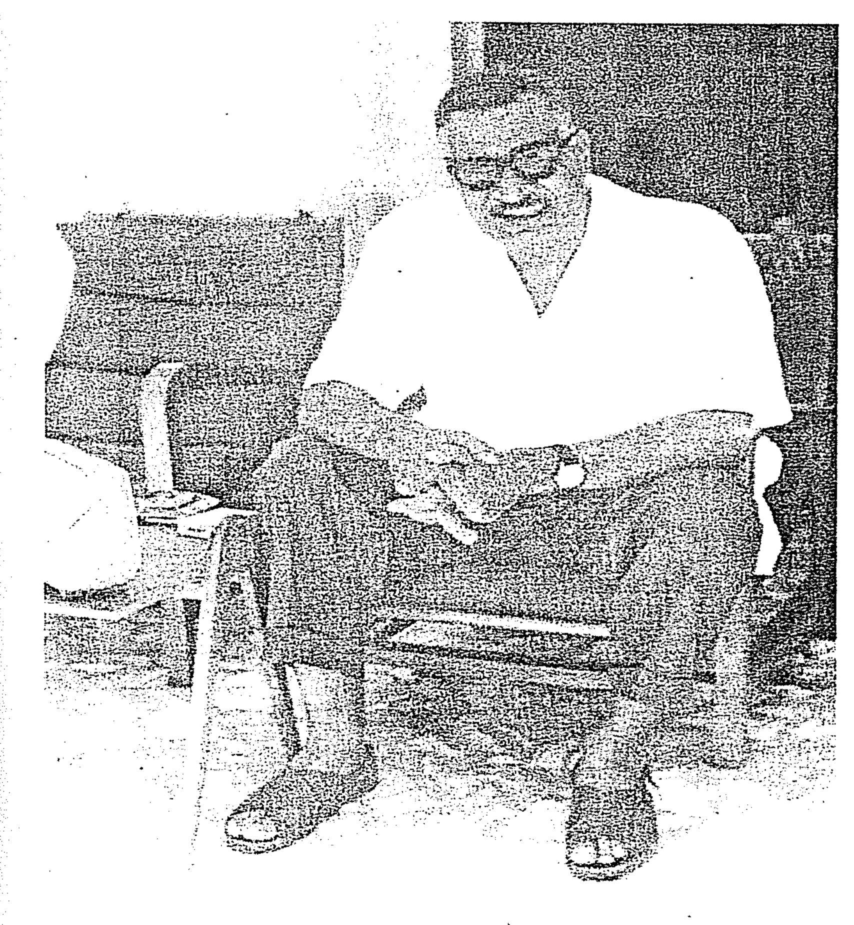
ضباط الوسط الذي كان يمكن أن يقوم بتلك الخطوة كان فيه كثير من التردد والتخمين (ماذا عن الإنجليز وماذا عن الأمريكان وماذا سيقدم جمال عبدالناصر وهل وهل إلخ ...) وبالطبع فإن من يحسب الأمور هكذا لا يمكنه أن يغامر، والثورة أو الانقلاب أو التغيير هو نوع من المغامرة وهذه فيها النجاح أو الفشل، أما كبار الضباط فلقد كان معروفا أن قرارهم مؤجل إلى أن يموت الملك، وكان المتوقع أن صغار الضباط يحتاجون لوقت طويل لكى يمكنهم القيام بعمل ما وكان هذا رأى صديقى العضو في تنظيم ضباط الوسط والذى كان يعرف الكثير من خلال موقعه داخل الجيش وكان يقول إننا إذا قمنا بعمل ما وفشل سنكون مطمئنين حتى ونحن في ساحة الإعدام أن هناك ضباطا في الجيش سوف يقومون بما فشلنا نحن فيه بحيث يتحقق حلمنا بثورة تقضى على الفساد وتطرد الإنجليز والأمريكان، ولكن الذي لم يكن متوقعا من صغار الضباط حدث، فقد قاموا بمغامرة جريئة وسيطروا على كل شئ في ساعات..

وهكذا حدث التغيير ولم يعد الملك ولا بقى مجلس الشيوخ الذي هزأ (بالعيال) وانكمشت القبائل وما كان لها أصلا أن تفعل شيئا غير التهويش، وقابل الإنجليز التغيير ببرودهم المعتاد أما الأمريكان فكان لهم حساب آخر ليس معروفا، وأنا لم أنتقل إلى إدارة المخابرات، ولا تلك الإدارة ركّبت واستعملت أجهزة التنصت تلك.

المهم أن التغيير قد حدث ولم يكن ممكنا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء مهما كانت الظروف، وسجل التاريخ بداية عهد جديد،، وصدق ابى تمام حين قال :

(السيف أصدق أنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب) .

جمال عبد الناصر في قمة مجده وعظم شأنه وهو جدير بالمجد والعظمة وكالعادة تظهر بساطته فى كل شئ مما يمثل زهده فى متاع الدنيا...



الفصل الرابع

التغيير وما بعده، نهاية نظام وبداية آخر

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

لم يفاجأ أحد بقيام الثورة أو التغيير أو الانقلاب (سمّه ما شئت) فقد كان الشعب مهيأ تماما لذلك وربما أن الذين فوجئوا هم هؤلاء أو أولئك الذين قالوا إن عملية المنشورات تلك إنما هى لعبة (عيال) وهؤلاء الذين قيل عنهم هذا التعبير قاموا بالثورة أو الانقلاب أو التغيير لأن المعنى الحقيقى يتأكد ويتحدد فيما بعد التغيير، وبناء على ما يحدث من تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية وفى مختلف مجالات الفنون والآداب والعلوم والبناء الوطنى إلخ...

وما كان يعتبر مفاجأة هو ذلك النجاح منقطع النظير والتلاحم الشعبى مع الجيش تعبيرا عن التأييد والفرحة إذ اعتبرها الشعب خاتمة لكل نضالاته السياسية والدينية والاجتماعية، وأنها لابد أن تمثل تطلعاته وآماله الوطنية والقومية حيث رفعت شعارات (حرية اشتراكية وحدة) وكان من الطبيعى أن تتخذ تحوّطات ضد من تعتبرهم أعداء التغيير الذين يمثلون رموز الحكم السابق ولابد لأى ثورة أن تؤمّن نفسها في بداية التغيير، ولأن قادة الثورة من ذوى الرتب الصغيرة فلقد كان لابد من تحييد الضباط الكبار في الجيش وهكذا تم الإعتقال التحفظى على المسؤولين المدنيين والعسكريين صباح يوم الثورة (الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م)..قلت اعتقال تحفظى لأن الثورة كانت بيضاء بدون دماء، والتزاما بالخط القومى المتمثل في الشعارات التى رفعت كان من الواجب على كل المؤمنين بالأمة العربية والوحدة العربية أن يؤيدوا وأن ينضموا إليها من أجل تحقيق أهدافها تلك ويجب تناسى أى خلافات شخصية

أو فكرية سابقة لحدوث التغيير، وكنت أحد هؤلاء الذين أيدوا وانضموا إلى مسيرة الثورة في ظل شعاراتها القومية، لأني أومن بإن المهم أن يحدث التغيير إلى الأتجاه الصحيح أى (القومى العربي) وتبعا لذلك كلّفت بكثير من المسؤوليات وكان صديقى (خليل) الذي أشرت إليه فيما تقدم وهو عضو تنظيم ضباط الوسط أول من زكّانى لأنه يؤمن أيضا بأن المهم حدوث التغيير الذي سيؤدى بالتأكيد إلى تحرير البلاد من الوجود العسكرى الأجنبى ويحقق الوحدة العربية أو على الأقل يساعد على تدعيم الاتجاه لتحقيق وحدة العرب الأمل والهدف، ويجعل الجهود تتظافر مع عبدالناصر في مشروعه القومى..

ولقدْ تم الاعتراف بالنظام الليبي الجديد وحاز على التأييد القوى بشكل خاص من طرف قيادة الثورة المصرية وكذلك الثورة العراقية وبعض الدول التقدمية في العالم، وكان العراقيون يعتقدون أن الذين قاموا بالثورة بعثيون ولذلك ارسلوا موفدا خاصا خلال اليوم الرابع من قيام الثورة وكنت قد استقبلته في مطار بنغازى بتكليف من القيادة وقال لى أنه يحمل رسالة إلى قائد الثورة ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن أحد يعرف من هو قائد الثورة ولهذا استلم الرسالة ضابط مكّلف، وكان توقع العراقيين خاطئا، أما الملك السنوسى فقد بقى في اليونان وطلب من مرافقيه العودة إلى بلادهم، وبعد ذلك انتقل إلى مصر في ضيافة عبد الناصر الذي قال إن القاهرة لا ترفض طلب من يلتجئ إليها، وأسجل للتاريخ ما سمعته عن موقف الملك إدريس عندما قرر عدم مضايقة الذين قاموا بالثورة أو الانقلاب على حكمه وتحديدا عندما اتصل به المسؤولون الليبيون الذين كانوا خارج البلاد ومنهم ابن خادمه السابق عمر الشلحى الذي كان مقيما بسويسرا، قال إنه لا يريد مشاكل فى ليبيا وقد انتهى حكمه بهذا التغيير وأعان الله بلادنا على أمرها ويسّر أمرها.

وقال الملك لمرافقيه أنه لا يريد شيئا وعليهم أن يعودوا إلى بلادهم وأمر مرافقه المشرف على الجانب المالى أن لا يصرف شيئا مما لديه من مال وأن يعيد ذلك المال إلى الخزانة الليبية وسمعت من هذا المشرف المالى وهو على قيد الحياة بل ومازال موظفا بالخارجية الليبية أن الملك قال له منذ الأيام الأولى على التغيير فى ليبيا أنه لم يعد صاحب حق فى هذا المال وعليه أن يعود بما لديه إلى أصحاب الحق، وأضاف، أنت شاب يا إبنى ومستقبلك فى بلادك..

أما بالنسبة لى بعد أن كّلفت ببعض المسؤوليات والتقيت النقيب (وقتئذ) مصطفى الخروبى وأذكر بكل التقدير أن الرجل منحنى ثقة أعتز بها ولقد عرفت عنه من خلال العمل الدؤوب أنه رجل يتمّتع بالهدوء ويتميّز بالذكاء والواقعية ولم أر في أى وقت أنه قد غضب أو استفز وكان يدعو دائما إلى التمّهل والتحّقق من أى معلومة لكى لا يضار أحد بلا ذنب، كذلك فهو رجل يعتّز بالقيّم الدينية والإجتماعية ويتمسّك بأهداب الفضيلة والخلق الكريم، وقد عملت معه طيلة سنوات الثورة الأولى الثلاثة وكانت علاقتنا قائمة على هذه المبادئ الخلقية والأخلاقية ولم يشوب علاقتنا أى خلاف أو اختلاف طيلة العقود التى مرت وهى تقترب من الأربعة عقود حتى بعد أن ابتعدت عن العمل التنفيذى..

بعد تكليفى انكببت على العمل واخترت مجموعة من ضباط الجوازات لمساعدتى في الفترة الأولى وكانوا رجالا مخلصين وطنيين ولم تكن غاياتهم من أى عمل (طمع في منصب أو جاه أو مصلحة شخصية) وقد تفانوا في أداء الواجب عملا بقول العلى القدير (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون – الحشر –٩) وأنشأنا مكتبا

أطلقنا عليه اسم (مكتب التحقيقات الخاصة) لغرض التحقيق مع أولئك الذين كانوا يتعاملون مع أجهزة أجنبية من غير الليبيين وكان الغرض من ذلك إخلاء البلاد من الجواسيس والمرتزقة، ولأن تيار التغيير كان جارفا والشعارات كانت برّاقة والخطب رنانة معبّرة عن وجدان الناس، وتأييد جمال عبدالناصر كان قويا وصوت العرب وبقية أجهزة الأعلام المصرية كانت تبرز وتعدد بطولات هؤلاء الشباب الذين غيّروا وجه التاريخ وقاموا بثورة وطنية رغم وجود القوات والقواعد الأجنبية (أمريكية وإنجليزية وفرنسية) في بلادهم، وبأمر من عبدالناصر تم إرسال وفد للتأييد والتهنئة بعد حدوث التغيير بعدة أيام فقط، وتشكّلت حكومة وطنية (ظهر فيما بعد أن بعض أعضائها لا يؤمنون بالمبادئ التى أعلنتها الثورة!!) وربما كان سبب ذلك أن أعضاء الثورة أو الإنقلاب لا يعرفون الناس عن قرب؟ كما ظهر قائد الثورة ليخطب في الناس منددا بالاستعمار ومناديا بالوحدة والقومية العربية وكان ظهوره ذاك وهو الأول في ميدان ضريح عمر المختار ببنغازى لما له من دلالة وأهمية كبيرين ذلك أنه يمثل رمز جهاد الليبيين خلال القرن العشرين..

وعندما تشكّلت الحكومة الوطنية كان بين أعضائها ضابطان أحدهما شغل منصب وزير الداخلية والآخر شغل منصب وزير الدفاع وحدث أن جاء وزير الداخلية ويدعى (موسى) لزيارة إدارة المهاجرة والجوازات رفقة ضابط من نفس الأدارة له علاقة شخصية به ويظهر أن الوزير وعده بان يعينه مديرا للإدارة (وما كان ذلك ليهمنى لو وقف الأمر عند هذا الحد) ولكن ضابط الجوازات هذا أقنع الوزير عندما جلسا في مكتب مغلق عليهما بإصدار قرار إحالة عدد كبير من ضباط الجوازات على التقاعد وفعلا أعد القرار ووقعه

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

الوزير دون سؤال ولا دراسة ولا مراجعة ملفات هؤلاء الناس كما يقتضى الأمر بالاطلاع على اللوائح والقوانين إنما فقط لأن ذلك الضابط قد أراد من وزيره (قطع عيش عشرات من خيرة الضباط) ولهذا منعت تنفيذ قرار الوزير وطلبت من الضباط الاستمرار في أعمالهم كأن شيئا لم يكن مما أثار حفيظة الوزير وصار يهدد ويتوعد بفصلى ومحاكمتى فكيف يجرؤ ملازم أول على منع تنفيذ قرار الوزير على الرغم من أن القرار كان خاطئا وظالما، وأنا في الواقع لم أمنع وإنما أوقفت القرار طالبا مراجعة الملفات وتنفيذ القانون لكن السيد الوزير لم تهدأ ثورته وكان ذلك أول صدام يواجهنى في العمل ولقد حسم الأمر عضو القيادة (مصطفى الخروبى) لصالحى ليس انحيازا وإنما اقتناعا، وتشاء الأقدار أن تكتشف أول مؤامرة على الثورة خطط لها هذا الوزير مع زميله وزير الدفاع وقد تم إعتقالهما ومن معهما، وكان موقفى فيما يتعلق برفض تنفيذ قرار الوزير نابعا من معرفتى لهؤلاء الضباط في إدارة الجوازات وليس رغبتى في الصدام أو التحدى وإنما ضرورة الالتزام بالقانون ومنع الظلم فإذا كانت الثورة قد جاءت بيضاء فإنه لا يجب تلطيخ ذلك البياض بإجراءات ظالمة..

وكنت أشدّد على الذين يعملون معى بضرورة الالتزام باللوائح والقوانين لعلمى بأن الانزلاق إلى الإجراءات التعسفية الظالمة يستتبعها الكثير من العنف الذي لا نريد أن يحدث باسم الثورة ولا أبالغ أو أسرف على نفسى إذا ما قلت أننى من أول صدام أحسست بأن المرحلة طويلة والعقبات كثيرة وأنى إذا رغبت في أن استمر فلابد أن أتهيأ للصعاب دون أن أتخلى عن معتقدى وتفكيرى خصوصا أن القدر قد وضعنى في موقع المسؤولية والمواجهة ولو كنت بقيت في الظل كضابط يؤدى عمل فنى لكنت أرحت وأسترحت..

وفى بداية مسيرة الثورة توالت التغييرات المدّوية وزخم الأحداث عندما بدأ الإعلام الليبى وهو بالطبع موجه يطالب بضرورة إخراج القوات والقواعد العسكرية الأجنبية من البلاد وكان هذا مطلبا شعبيا ملحا خصوصا بعد أن اقمت بريطانيا بأنها استخدمت الأراضى الليبية في العدوان على مصر الشقيقة أثناء العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦م وقد طالب البرلمان والشعب الحكومة الليبية آنئذ بضرورة إخراج القواعد والقوات الأجنبية من البلاد لكن حكومته تهاونت أو هى تواطأت مع الإنجليز، وهذا ما يحدث من جانب الحكومات العميلة وهو ما نراه ونسمعه الآن من الحكومة العراقية التى جاء بها الاستعمار الأمريكى بعد غزو واحتلال العراق مع اختلاف الظروف والزمن بين ليبيا آنئذ والعراق الآن..

والآن بعد أن تغير الحكم والسياسة وبدأ الثوار يهيئون لتحقيق هذا المطلب الوطنى كان المتوقع أن تتظافر الجهود وتتضامن الناس بما في ذلك وزراء الحكومة الثورية بحيث يسيرون صفا واحدا لانجاز هذا العمل الكبير، ومع الأسف في هذا الوقت اكتشفت أول مؤامرة خطط لها وزيرا الداخلية والدفاع ومعهما بعض الضباط وعلى الرغم من أن غاياتهما لم تكن معروفة فمن المعتقد أنهما أرادا الاستحواذ على الحكم باعتبارهما ضابطان برتب أعلى من كل أعضاء قيادة التغيير أو ربما هى الرغبة في الانتقام من أشخاص أو كذلك ربما ارتباط بجهات أجنبية، وعندما أعلن عن اعتقال هؤلاء المتآمرون أحسست (ولا شماتة) بأننى كنت على حق عندما أوقفت تنفيذ قرار وزير الداخلية هذا المتعلق بضباط الجوازات ولكن ما آلمنى كثيرا هو أن أعلم أنه بعد إجراء التحقيقات اتضح (كما قيل) أن صديقى ذلك الضابط الذي أشرت إليه فيما تقدم قد ورد اسمه وهكذا أشير إليه بإصبع الاتهام على اعتبار أنه كان موافقا

على المؤامرة تلك، ولم أكن أتصور بل أننى مازلت على قناعة تامة بإنه لا يمكن أن يكون طرفا في مؤامرة على ثورة رفعت شعارات قومية وصارت تعمل على تحرير البلاد من الوجود العسكرى الأجنبى وعندما بدأت المحاكمات وصدرت الأحكام أدين هو الآخر وكانت تهمته أنه علم ولم يبلّغ وحتى الآن لا أعرف ما إذا كان فعلا قد علم بتلك المؤامرة..؟

وأذكر كذلك أنه حدث في هذا الوقت أن أشيع (ولابد أن أصحاب الإشاعات قد أضيروا من إجراءات الثورة أو على الأقل توقعوا الضرر) أن هناك من اتصل بالرئيس عبدالناصر مشككا في نوايا ضباط الثورة وأنهم لم ولن يكونوا جادين في توجهاتهم السياسية تجاه الإنجليز والأمريكان والقواعد الأجنبية، وكانت تلك إشاعة غبية فلا يمكن لعبدالناصر أن يصدّق شيئا من ذلك إذا كان فعلا قد وصل إليه، في وقت ترفع فيه الثورة الليبية شعارات قومية وتعلن أن لا قواعد أجنبية في ليبيا بعد اليوم، ولم يدرك (ربما) أصحاب الإشاعة أن ثورة رفعت شعارات قومية وطالبت بإخراج القوات والقواعد الأجنبية من البلاد وقادتها شباب لابد أن عبدالناصر يرى فيهم أمله في أن تكون ليبيا معه وليس ضده ولا يمكن أن يصدّق ما يمكن أن يقال عنهم حتى لو كان صحيحا إضافة إلى أن الأمور لم تتضح بعد، ومن يعمل الآن في الاتجاه المعاكس لابد أن تكون غايته السيطرة والحكم ونحن كنا دائما نقول أن الغاية ليست الحكم وإنما تحرير البلاد من الأجنبى والقضاء على الفساد والعمل من أجل الوحدة العربية وهذا ما يظهره الآن هؤلاء الشباب.

هذا ما كنت أقوله وقد غضب منى البعض وانصرفوا دون كلمة واحدة وهو ما جعلنى أشك في أنه ربما كان لهم مآرب شخصية، وذلك شئ مؤسف،

ولقد تعزز موقف رجال هذه الثورة وصمودهم في مطالبهم بتلك الزيارة التاريخية التى قام بها جمال عبد الناصر لليبيا وكان أول رئيس دولة يزور البلاد بعد التغيير حيث استقبل بما يليق به كزعيم قومى وألقى خطابا حماسيا بليغا كعادته أمام جماهير غفيرة كانت تهتف بحياته ونضاله وقد احتشدت في ستاد ملعب الكرة ببنغازى وكان موكبه الرسمى قد استغرق أربع ساعات في الطريق بين المطار وقصر الضيافة وهى مسافة لا تزيد على عشرين كيلومترا بسبب الحشود الشعبية على امتداد الطريق، وقابلته ضمن آخرين لتحيته والترحيب به، وقبيل زيارة عبدالناصر لليبيا في ٢٥ يونيو ١٩٧٠م مباشرة طرح مشروع (وليام روجرز) الشهير في ٢٠ يونيو وفى هذه الأثناء وبينما كان عبدالناصر في بنغازى وزّع البعثيون منشورا يقول أن عبدالناصر سيقبل المشروع الأمريكى كما قبل قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) وكانت سوريا التى يحكمها حزب البعث قد رفضت ذلك المشروع (كما كانت قد رفضت المشاركة فى مؤتمر القمة الذى دعى إليه جمال عبدالناصر مباشرة بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م) وكان الناصريون في بنغازى قد أوجب عليهم هذا الموقف الرد بأسرع ما يمكن فقد استوضحوا عبدالناصر عن المشروع وهل سيقبله وما فائدة القبول أو الرفض ؟ فقال أنه سيزور الاتحاد السوفييتى يوم ٢٩ يونيو أى بعد بنغازى مباشرة وأن الحكومة المصرية تدرس مشروع روجرز وأن هناك مشكلة تواجه الجنود والضباط المصريين الذين يقومون ببناء قواعد الصواريخ بالقرب من قناة السويس لأنهم يواجهون هجوم الطيران الإسرائيلى يوميا وهناك خسائر كبيرة بينهم ونحن لابد أن نقيم تلك القواعد لنحمى العمق المصرى من الهجمات الجوية الإسرائيلية ونوّفر غطاء للطائرات المصرية عندما نقرر عبور قناة

السويس وإذا ما تأكد أن قبول المشروع يتيح فرصة لإتمام بناء القواعد سوف يتخذ بشأنه القرار المناسب.

وهكذا أمكن للناصريين في بنغازى أن يردوا على المنشور البعثى ردا مفحما، وكان الرئيس عبدالناصر أثناء زيارته تلك لليبيا قد ناقش مع قادة الثورة الليبية بناء على رغبتهم مطلب إقامة وحدة اندماجية فورية وهى التى كانوا يلحّون عليها دوما (بين مصر وليبيا وسوريا) وكان في غاية الحذر عند مناقشة هذا الموضوع حيث انه لم يفصل فيه نهائيا وإن قبل الفكرة من حيث المبدأ لتناقش مستقبلا، وتعميما للفائدة هذا ما ذكره محمود رياض وزير خارجية مصر في ذلك الوقت في كتابه الصادر سنة ١٩٨٥م بعنوان (البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط) وهو الذي كان مرافقا لعبدالناصر في زيارته لليبيا وبعدها مباشرة للأتحاد السوفييتى وما جاء في هذا الكتاب يؤكد ما كنا سمعناه من عبدالناصر أثناء وجوده ببنغازى عندما استطلعنا رأيه في مشروع (وليام روجرز).

قال محمود رياض، لقد سافر جمال عبدالناصر إلى موسكو يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠م وكان الوفد المرافق له يضم الفريق فوزى ويضمنى في مباحثات كانت من أكثر جولات المباحثات حسما مع الاتحاد السوفييتى، وبدأت الجلسة الأولى من المباحثات بعد ظهر يوم ٣٠ يونيو وحضرها من الجانب السوفييتى كل من بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى وباناماريوف وغروميكو والمارشال غريتشكو والسفير فينوغرادوف، واستهل عبدالناصر حديثه بالإشارة إلى نتائج زيارته لليبيا، فذكر أن الزعماء الليبيين يطلبون قيام الوحدة الكاملة بين مصر وليبيا وسوريا وأنه وافق على دراسة إقامة اتحاد فيدرالى مع إدراكه للمشاكل التى تواجه مثل هذا الإتحاد.

وتساءل بريجنيف عن كيفية الإعداد للوحدة بين الدول الثلاث ؟

ورد عبد الناصر بأنه سوف تشكل لجنة لوضع المبادئ العامة خلال شهر وفى حالة إقرارها من الدول الثلاث يمكن إجراء استفتاء شعبى في مطلع عام ١٩٧١م، ثم أضاف عبد الناصر أنه لم يكن يرغب في إقامة مثل هذا الاتحاد قبل إزالة آثار العدوان الإسرائيلى، والذى جعلنى أوافق من حيث المبدأ على شكل فيدرالى من الوحدة هو خشيتى من المؤامرات الخارجية على ليبيا خاصة وأننى لمست هذه المرة الخلافات بين أعضاء مجلس الثورة الليبى (ذكر الصحفى الأستاذ هيكل قصة مخالفة عن هذا اللقاء وكعادته ادعى أشياء لا وجود لها، ونحن نصدق رواية وزير الخارجية المصرى التى أوردها فى كتابه)... يضيف رياض..

وعلق بريجنيف قائلا، إن هذا الموضوع معقد للغاية فهل هناك جذور تاريخية تربط بين الشعبين المصرى والليبى ؟

ورد عبد الناصر بأن الجذور التاريخية موجودة دائما بين جميع الشعوب العربية، ثم تحدث عبدالناصر عن الجبهة قائلا، إننا نتعرض لغارات إسرائيلية عنيفة جدا بطائرات الفانتوم الأمريكية وبمعدات إلكترونية متطورة جدا والهدف من تلك الغارات كما صرح دايان هو منع الجيش المصرى من استكمال استعداداته الهجومية لتحرير أراضينا المحتلة ولقد بلغت خسائرنا في شهر مايو حوالى ألف قتيل وجريح ومع ذلك فإن الجنود والضباط المصريين يواجهون تلك الخسائر بروح معنوية مرتفعة جدا وثقة أكيدة في قدرتنا المتزايدة على أن نترل بإسرائيل خسائر لا تستطيع تحملها ومن الناحية الإجمالية فإن القوات المسلحة المصرية سوف يصل حجمها قبل نهاية هذه السنة ١٩٧٠م إلى

ثلاثة أرباع مليون مقاتل، وفى الربع الأول من العام القادم إلى مليون مقاتل، والمسألة الأساسية هنا هى أن الولايات المتحدة الأمريكية تواصل إمداد إسرائيل بمعدات الحرب الإلكترونية وقد تم تزويد إسرائيل بالطائرات التى تستطيع تحديد مواقع الصواريخ مما سهل عليهم التشويش على موقع الصاروخ ثم ضربه بالطائرات..

وأضاف عبدالناصر، ومشكلة سلاح الطيران عندنا هى أن طائرة الميج تبقى في الجو عشرين دقيقة بينما تستطيع طائرة الميراج مثلا البقاء في الجو مدة ساعة والفانتوم أكثر من ذلك ولهذا فمن الخطأ القول بأنه يمكن مواجهة مائة طائرة ميراج وفانتوم بمائة طائرة ميج،وأفاض عبدالناصر في شرح هذا الموضوع موضحا الدور الذي تلعبه أجهزة الحرب الإلكترونية وأنه بدون حصول مصر على أجهزة إلكترونية مماثلة في تصورنا فإن دفاعنا الجوى سيبقى ضعيفا..

وبدأت الجلسة الثانية من المباحثات في صباح اليوم الثانى أول يوليو وكان المارشال قريتشكو قد تلقى معلومات جديدة عن الغارة التى قامت بها إسرائيل في اليوم السابق على مواقع الصواريخ المصرية وهى التى أسقطنا فيها لإسرائيل طائرتى فانتوم وطائرتى سكاى هوك فأشار غريتشكو في بداية الجلسة إلى أن المعلومات لديه تفيد بان هناك طائرتى فانتوم أخريين قد أسقطهما الدفاع الجوى المصرى، وقد أعاد بريجنيف فتح موضوع الوحدة المقترحة بين مصر وليبيا وسوريا فعلق قائلا إن مثل هذا الاتحاد سيقوم في ظروف حرب قائمة فعلا بينما يوجد لكل بلد موقف يختلف عن الآخر، فمصر قبلت القرار ٢٤٢ بينما رفضته سوريا، ثم انتهى إلى التساؤل عن وجود خطة منسّقة لحل الأزمة الحالية سلما أو حربا أو أن قيام مثل هذا الاتحاد سوف يؤدى إلى تعقيد حل

الأزمة، وكان واضحا أن بريجنيف بسؤاله الأخير كان يعبر عن عدم ارتياحه للاتحاد المقترح..

ورد عبدالناصر قائلا: إننا عندما قبلنا قرار مجلس الأمن كان معنى هذا أننا نحترم وعدنا من حيث قبولنا لحل سلمى إذا كان يؤدى فعلا إلى تحقيق مطالبنا العادلة ومع ذلك فإن أى حل سلمى لن يكون عادلا ما لم يستند إلى قوة عسكرية مصرية فعالة تمنع إسرائيل من تجاوز قرار مجلس الأمن، والرفض السورى لقرار مجلس الأمن ليس رفضا للحل السلمى ولكنه تشكك في إمكانية فرضه على إسرائيل، وفى حالة قيام الاتحاد فإننا لن نبدل موقفنا هذا، ولكن تحقيق الحل السلمى يحتاج إلى زيادة قوتنا العسكرية لأن إسرائيل لن تتخلى عن الأرض ما لم تشعر بقوتنا، وذكر عبد الناصر أننا وافقنا على ارتباطات السلام التى كانت تلح عليها الولايات المتحدة الأمريكية وقام دوبرينين سفيركم في واشنطون بإبلاغها لروجرز، ثم انتقل عبد الناصر إلى مبادرة روجرز الأخيرة قائلا.

إنه لا يوجد فيها جديد فهى تصحيح للموقف الأمريكى الذي كان قد ابتعد عن قرار مجلس الأمن، وهم الآن يعودون إليه ويقترحون تكليف يارنج باستئناف مهمته، وأضاف عبد الناصر أنه من الضرورى أن تكون هناك توجيهات محددة ليارنج في هذه المرة، وبدون ذلك فإننى أتوقع فشله في مهمته، وعموما فبالنسبة للموقف السياسى يمكن أن يجتمع الصديق أندريه جروميكو مع وزير خارجيتنا محمود رياض للاتفاق حول الموضوع آخذين في الاعتبار أن غولدا مائير رفضت المبادرة.

وهنا استفسر كوسيجين قائلا، هل دار بحث بينكم وبين الأمريكيين بخصوص مبادرة روجرز ؟

وأجاب عبدالناصر بأن بيرجس رئيس رعاية قسم المصالح الأمريكية في القاهرة قد أبلغ وزير الخارجية قبل حضورنا إلى موسكو بأنهم جادون في التوصل إلى حل سلمى وأن موافقتنا على مبادرة روجرز سوف تساعد الولايات المتحدة في الضغط على إسرائيل.

ووافق بريجنيف على أن يجتمع غروميكو معى لبحث الموقف المشترك من المبادرة الأمريكية ودراسة تفاصيلها معلقا بأنه إذا كانت لدى مصر أشياء تراها غير مقبولة فعلينا أن نبلغها لهم.

وتوجه عبدالناصر في اليوم التالى إلى مستشفى بجوار موسكو لإجراء فحوصات طبية تستغرق عدة أيام، على أساس أن تتم خلال ذلك اجتماعات مشتركة بينى وبين غروميكو لبحث الموقف السياسى، واجتماعات بين الفريق فوزى والمارشال غريتشكو لبحث الاحتياجات التى نحتاجها من الأسلحة.

ومن المستشفى طلبنى عبدالناصر وعندما توجهت إليه كان في الغرفة على صبرى عضو الوفد وعضو اللجنة التنفيذية العليا، وكان عبدالناصر قد وافقنى في القاهرة على كل ما جاء في مذكرتى حول المبادرة الأمريكية، سواء بالنسبة لتحليل الموقف الأمريكى وأسلوب ردنا عليه أو بالنسبة لضرورة التفاهم مع السوفييت، وسألنى عبدالناصر عن توقعاتى من القادة السوفييت فذكرت له أن موافقتنا على قبول المبادرة الأمريكية لن تكون شيئا مرضيا للسوفييت، لأن قبولنا لمبادرة روجرز سوف تعطى للولايات المتحدة الأمريكية فضلا كبيرا ويصبح الحل وكأنه مرتبط بهم وحدهم وليس بالسوفييت الذين قد

يجدون أنفسهم في موقف المتفرج، وكنت قد سجلت هذا الرأى من قبل فعلا في إحدى المذكرات التى قدمتها إلى الرئيس عبدالناصر قبيل مغادرتنا للقاهرة، والآن فإن عبدالناصر بدأ يتناقش معى حول أسلوب تنفيذ المقترحات فيما لو اعلنت مصر عن قبولها لها، واوضحت له أننى سوف أكون في حاجة لبعض الوقت للأتصال بالأمريكيين والتأكد من نواياهم والحصول على المزيد من التأكيدات، فربما أنجح معهم في الحصول منهم على مواقف أكثر تحديدا بالنسبة للأنسحاب الشامل، والأمر الثانى هو أننى لابد أن أتباحث مع يارنج للأتفاق معه على أسلوب الأشراف على وقف إطلاق النيران لأضمن عدم مخالفته من جانب إسرائيل، ولا يجوز أن نترك للولايات المتحدة الأمريكية أن تكون هى الحكم في تفسير مبادرتها وأيضا الأشراف على وقف إطلاق النيران خاصة وأننى لا أنسى أبدا أن دين راسك وزير الخارجية الأسبق قد أعلن في ٥ يونيو أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعرف من الذي أطلق الطلقة الأولى في الحرب ومن ثم فقد سبق لهم المغالطة وقد يكررون معنا ذلك في المستقبل.

وكان عبدالناصر في ذلك اليوم متأثرا بشدة من واقعة أبلغه بها الفريق محمد فوزى وزير الحربية فقبل سفر عبد الناصر إلى موسكو كان قد اجتمع بضباط أحد مواقع الصواريخ وفى سلسلة الغارات الإسرائيلية التى قامت بها إسرائيل على الجبهة أصيب هذا الموقع بضربة مباشرة واستشهد جميع ضباطه، وقد ترك هذا الحادث أثرا نفسيا عميقا في نفس عبدالناصر وشعر بأنه المسؤول قبل أى اعتبار آخر عن حماية جنود وضباط الصواريخ وبناء مواقع حصينة لهم، وكانت إسرائيل قد تلقت من الولايات المتحدة الأمريكية بعد إسقاطنا لطائرات الفانتوم أجهزة إلكترونية جديدة تنذر الطائرات الإسرائيلية عن

اقتراب الصواريخ المصرية وهى خبرة اكتسبها الأمريكيون في حرب فيتنام، مع ذلك فقد لجأت قوات الدفاع الجوى إلى إطلاق أكثر من صاروخ واحد على كل طائرة معادية واحدة ومن موقعين أو أكثر حتى لا يتمكن جهاز التشويش في الطائرة من التشويش على جميع الصواريخ في آن واحد وهو الأمر الذي ثبتت فعاليته فعلا وهكذا ففى العشرين يوما الأولى من يوليو أسقطنا لإسرائيل ١٣ طائرة من بينها ست طائرات فانتوم وأسرنا لها تسعة طيارين، وفى نفس هذا الوقت كانت هناك تطورات سياسية أخرى تلقى بمزيد من الظلال على الموقف الأمريكى ففى حديث تلفزيونى في ٢ يوليو أشار الرئيس الأمريكى نيكسون إلى مصر وسوريا باعتبارهما (جارين عدوّين لإسرائيل) وقال، إننى أعتقد أن الموقف في الشرق الأوسط الآن خطير بدرجة رهيبة وأنه شبيه بالوضع في البلقان قبل الحرب العالمية الأولى، مما قد يجر الدولتان العظيمتان، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى إلى مواجهة لا تريدها أى منهما بسبب الخلاف الحاد هناك، ثم شرح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة بقوله إنها تقوم على :

١ – أن من مصلحتنا السلام وسلامة كل قطر في المنطقة .

٢ – إننا ندرك بأن إسرائيل لا ترغب في أن تقذف بأى بلد آخر إلى البحر بينما الدول العربية تريد أن تقذف بإسرائيل في البحر .

٣ – إذا تغيّر توازن القوى بحيث تصبح إسرائيل أضعف من جيرانها فسوف تقع الحرب وعليه فمن مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية المحافظة على توازن القوى، وسوف تحافظ على هذا التوازن .

وفى نفس الوقت نقلت الأنباء عن هنرى كيسنجر مستشار نيكسون للأمن القومى قوله: إننا بصدد محاولة للتوصل إلى تسوية على النحو الذي يكفل تقوية نظم الحكم العربية المعتدلة، وليس النظم الراديكالية، إننا بصدد محاولة لطرد الوجود السوفييتى العسكرى وذلك قبل أن يرسّخوا أقدامهم .

إن مثل تلك التصريحات أكدت في ذهن عبدالناصر شكوكه في جدية المبادرة الأمريكية،وكان رد عبدالناصر على هذا الإدعاء أنه لا توجد دولة عربية تريد أن تلقى بإسرائيل في البحر ولكن إسرائيل هى التى ألقت بمليون فلسطيني في (بحر من الرمال) والقضية لم تكن أبدا نظما راديكالية ونظما معتدلة في العالم العربي لأنه لو كان كيسنجر ونيكسون صادقين في ذلك فلماذا لم يفعلا شيئا للملك حسين ولم يعيدا إليه الضفة الغربية المحتلة وهو يمثل نظاما معتدلا بمقاييس كيسنجر؟

وقد عدنا إلى الاجتماع بالقادة السوفييت في الكرملين يوم السبت ١١ يوليو ظهرا وبدأ بريجنيف بالحديث بعد أن قام المارشال غريتشكو بتقديم تقريره عن الأوضاع العسكرية وذكر بريجنيف بأن الاتحاد السوفييتى قد قرر من جانبه الاستجابة لمعظم الطلبات التى تقدم بها الفريق محمد فوزى ويصل ثمنها إلى حوالى أربعمائة مليون دولار وأنه قرر أيضا تقديم تخفيض في القيمة يصل إلى خمسين في المائة، وأكد بريجنيف أن الأسلحة سوف تصل إلى مصر طبقا للجدول الزمنى الذي تم الاتفاق عليه بين الجانبين وطبقا لذلك فسوف يصل إلى مصر ثلاثة أرباع الكميات المطلوبة قبل نهاية سنة ١٩٧٠م .

وهنا علق عبدالناصر قائلا: إننى أود أن أشكر الاتحاد السوفييتى على معاونته لنا على الصمود في وجه الأطماع الإسرائيلية التوسعية فإسرائيل تريد

منا أن نترك لها القدس والضفة الغربية والجولان، ولو أنني وافقتهم على ذلك لكان من الممكن أن نستخلص سيناء كاملة وربما قطاع غزة منذ سنة ١٩٦٨ بناء على إقتراحات وزير الخارجية الأمريكى السابق دين راسك، وأضاف عبد الناصر قائلا: إننا على إستعداد لقبول الحل السلمى والأقرار بوجود إسرائيل بالرغم من المعارضة العربية، والسماح لهم بالمرور في قناة السويس ولكن على إسرائيل قبل ذلك أن تنسحب من جميع الأراضى العربية المحتلة وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني، ثم انتقل عبدالناصر إلى مناقشة المبادرة الأمريكية المطروحة فقال إن المبادرة تطلب منا الموافقة على إيقاف إطلاق النيران لمدة ثلاثة أشهر واستئناف يارنج لمهمته من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن، وأضاف، إن معنى ذلك أن نعود إلى ما كنا عليه عندما صدر قرار مجلس الأمن في نوفمبر ١٩٦٧م وتعهد الولايات المتحدة بتنفيذه، والآن فنحن على إستعداد لقبول المبادرة الأمريكية الجديدة في هذا الإطار ولكن ماذا بعد ذلك ؟

إن تصريحات نيكسون وكيسنجر الأخيرة في مطلع هذا الشهر تدل على النوايا الأمريكية ضد العرب ولذلك فإن المعركة سوف تطول، وهناك مخطط أمريكى إسرائيلى، وعلينا أن نتعاون سويا من أجل التوصل إلى اتفاق حول الخطط العسكرية والسياسية، ومعنى تصريحات نيكسون أن الولايات المتحدة لن تسمح لمصر بالتفوق الجوى على إسرائيل ولا حتى بالتعادل الجوى، ولذلك فإننا سوف نحتاج باستمرار إلى دعم للسلاح الجوى وخاصة بالنسبة لنوعية الطائرات لمواجهة طائرات الفانتوم التى أعطتها الولايات المتحدة لإسرائيل.

ورد بريجنيف قائلا، لقد ذكرتم الآن أنكم مستعدون لقبول المبادرة الأمريكية فما هو المقصود بذلك ؟ وفى نفس الوقت فقد فهمت الآن منكم أنكم تعتبرون الحل السلمى قد أصبح غير وارد، والأمر يحتاج إلى مزيد من وضوح الرؤية.

رد عبد الناصر قائلا، اجتمعت قبل حضورى بأعضاء اللجنة التنفيذية العليا بالقاهرة واتفقنا على أن يكون ردنا على المبادرة الأمريكية بالاتفاق معكم، وفى رأينا أن إسرائيل لن توافق على المقترحات الأمريكية مما قد يحدث انقساما داخل إسرائيل ونحن نعتقد بأن الحكومة الأمريكية تتوقع منا رفض المبادرة، كما أنهم يتصورون أن الاتحاد السوفييتى لا يريد تحقيق السلام في المنطقة، ولذلك فإنهم في حالة رفضنا مبادرتهم سوف يتعللون بهذا الرفض للإسراع بتقديم المزيد من الأسلحة والطائرات إلى إسرائيل ولذلك فإنه من رأى الموافقة على المبادرة الأمريكية وننتظر نتيجة ذلك وفى هذه الحالة سوف نعود خلال الأشهر الثلاثة إلى الحديث مع يارنج كما حدث في الماضى .

قال بريجنيف معلقا، إننا نتصوّر أن الولايات المتحدة قد اتفقت مسبقا مع إسرائيل بشأن المبادرة أو أنهم يتوقعون من إسرائيل قبولها، وبالتالى فقد يكون ما أعلنته إسرائيل عن رفضها للمبادرة هو مجرد ستار..

وهنا تساءل بودقورنى قائلا، هل ترون أنه ليس من مصلحة إسرائيل قبول وقف إطلاق النيران لمدة ثلاثة أشهر كما تطلب المقترحات الأمريكية الأخيرة ؟

ورد عبدالناصر: إن إسرائيل تسعى إلى وقف دائم لإطلاق النيران وليس وقفا محدد المدة، لأن الوقف الدائم هو الذي يتيح لإسرائيل أن تستقر في

الأراضى العربية المحتلة، أما بالنسبة لمدد محددة هى ثلاثة أشهر يتم خلالها فقط الالتزام بوقف إطلاق النيران فإن هذا يعنى أن استئناف إطلاق النيران بعد انتهاء المدة يصبح شرعيا، بالإضافة إلى ذلك فإنهم يعلمون أننا في خلال تلك الفترة سوف ندعم قواعد الصواريخ .

علق بريجنيف قائلا، أى أننا نستفيد من هذه الفترة في تعزيز مواقعنا...

قال عبدالناصر، هذا صحيح ولكنه يفيدنا سياسيا أيضا ويثبت أن مصر والاتحاد السوفييتى يسعيان إلى السلام وعندئذ قرأ وزير الخارجية غروميكو التقرير السياسى الذي وضعناه سويا، وقال إننى بحثت مع رياض تفاصيل المبادرة الأمريكية وقد وجدنا أنها تسمية غير صحيحة لأنه لا توجد أى مبادرة، واتفقنا على أنه إذا كان هناك أى جديد فهو من الناحية الإجرائية فقط حيث إنهم كانوا في الماضى يصرّون على المفاوضات المباشرة والآن يقبلون بالمفاوضات غير المباشرة، ثم ذكر غروميكو أن السفير الأمريكى في موسكو قد زاره مرتين مؤكدا أن الولايات المتحدة لا تقصد فعلا مفاوضات مباشرة، وعلق غروميكو قائلا: إن هذا يمثل تراجعا كان مرجعه هو ضغطنا عليهم باستمرار ثم أن الأمريكيين يقولون أن اقتراح استئناف يارنج لمهمته هو موقف سوفييتى أيضا، وأنهم سوف يمارسون ضغطا حيويا على إسرائيل وبروح بنّاءة، مع ذلك فالمبادرة الأمريكية لا تشير إلى الاجتماعات الرباعية في نيويورك فتلك الاجتماعات لا تعجب الأمريكيين من البداية ولكنهم أيضا لا يستطيعون تجاهلها وأضاف غروميكو قائلا، إن الأمريكيين يصرحون لنا بضرورة انسحاب إسرائيل ولكن في كل مرة نسألهم أن يتقدموا بتصريح واضح عن الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة فإنهم يترددون ويتحدثون عن ضرورة إحداث

تعديلات ومعنى ذلك أن هذه المسألة الحيوية باقية دون قرار، وقد أبدى لنا الفرنسيون استياءهم من عدم تشاور الولايات المتحدة معهم قبل تقدمهم بالمبادرة، ولذلك فإنه عند استئناف يارنج لمهمته يجب أن نطالب بانسحاب القوات الإسرائيلية بالكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة وإذا أعلنا موافقتنا على قبول المبادرة وكما اتفقت مع الوزير رياض فلابد أن نوضح أن ذلك يمثل مواقفنا السابقة.

وهنا تحدث بريجنيف بشئ من الانفعال، فقال: نحن أصدقاؤكم بل نحن إخوة لكم واشتركنا سويا في أعمال ضخمة في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والآن تحاول الولايات المتحدة الأمريكية أن تأخذ زمام المبادرة وتدّعى أنها تتقدم بمشروع كامل للتسوية وكأنهم أصحاب فضل في حل المشكلة ولكن لا يجوز أن نسمح بإعطاء الصورة بأننا قد قبلنا مشروعا من جانب المعتدى، أننا نقدم إليكم أسلحة للدفاع عن أنفسكم بينما تقدم الولايات المتحدة لإسرائيل كل الأسلحة اللازمة للاعتداء عليكم وهم يريدون بمبادرتهم الأخيرة أخذ كل جهد بذلناه من أجل تحقيق السلام العادل ومعاونتكم في ذلك، ونحن متأكدون من التعاون والتفاهم الكامل معكم، ولذلك يمكننا أن نفكر سويا في الطريقة التى لا تعطى للعدو ثمار ما قمنا به، ولا يجوز أن نقف موقف المدافع عن نفسه، وكأننا نحن المعتدون، والدبلوماسيون المصريون والسوفييت يمكنهم أن يجدوا أساليب وطرقا لطرح الأمريكيين على ظهورهم كما في المصارعة خاصة وأننا نحظى بتأييد كامل من فرنسا، واختتم بريجنيف كلمته بقوله: إنه قد تحدث بصراحة وانفعل بعض الشئ وذلك بسبب الطريقة الخبيثة التى قدمت بها المقترحات الأمريكية.

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

وعلق عبدالناصر قائلا: إننى أتفق مع الرئيس بريجنيف في أنه لا يوجد فعلا ما يمكن أن يسمى مبادرة وإذا كنا نريد حلا سلميا عادلا للعرب فإننى واثق بأن الولايات المتحدة لن تقدم لنا مثل هذا الحل، لأنهم يريدون التخلص منا في مصر قبل كل شئ، ثم بعدها السيطرة على مصر كلها لتكون أداة لخدمة مصالحهم في المنطقة ولذلك فإننا ندخل معهم في معركة قاسية وطويلة، ومن هنا فنحن نود الاتفاق معكم على الرد، وقد فهمنا منكم عدم رفض المبادرة من حيث المضمون، وإن كنا نعلم أنه لن تكون هناك نتيجة جادة لها .

تساءل بريجنيف قائلا، إذا قبلنا باقتراح الولايات المتحدة الأمريكية بوقف إطلاق النيران لمدة ثلاثة أشهر فماذا سيحدث بعد ذلك ؟

رد عبدالناصر: سنعود إلى ما كنا عليه .

تساءل بودقورنى، يبدو أن الأمريكيين لديهم أمل في توصل الأطراف الثلاثة مصر والأردن وإسرائيل إلى نتيجة ما خلال الأشهر الثلاثة وإلا لا يصبح هناك معنى لاقتراح تلك المدة.

ثم تساءل بريجنيف، هل لدى الولايات المتحدة معلومات بأنكم ستوافقون على مبادرتهم ؟

رد عبدالناصر قائلا، إذا كنا سنقبل المبدأ فإن من الأفضل قبول المبادرة الأمريكية لأننا بذلك نضع الولايات المتحدة وإسرائيل في مأزق، وإذا تجاهلنا الموضوع سيقولون أننا رفضنا مبادرتهم ويتعللون بذلك لشحن مزيد من الطائرات لإسرائيل مع ذلك، ففى حالة قبولنا للمبادرة يجب أن تكون لدينا من الآن خطة لمواجهة الاحتمالات التى ستنشأ في حالة فشلها، أما بالنسبة للعالم العربى فإننى سوف أتحدث في عيد الثورة يوم ٢٣ يوليو وسأشرح الموضوع

بالكامل، ولذلك فإنه من المفيد أن نخطر الولايات المتحدة بردنا على مبادرتها يوم ٢٢ يوليو قبل خطابي إلى الشعب وسأذكر فيه أنه لا جديد في المبادرة الأمريكية إلا من الناحية الإجرائية ولكن المهم هو ما بعد ذلك، إن يارنج سيعود إلى استئناف مهمته ولكننا لسنا مستعدين للبقاء في تلك الدوامة لمدة أخرى تتجاوز الأشهر الثلاثة المحددة، وهنا فإني أرى ضرورة أن يجتمع الصديق أندريه قروميكو ووزير خارجيتنا محمود رياض مرة أخرى للانتهاء من بحث كافة الاحتمالات السياسية خاصة وأننا اتفقنا على كافة المسائل العسكرية .

وفعلا قد اجتمعت مع قروميكو بعد ذلك واتفقنا على الخطوط الأساسية في ردنا وهى لا تختلف عن النقاط التى اقترحتها على الرئيس عبدالناصر في القاهرة يوم ٢٧ يونيو فيما عدا أن قروميكو رأى أهمية التأكيد شفويا خلال اتصالنا مع الولايات المتحدة على ضرورة مواصلة المباحثات الرباعية والمباحثات الثنائية بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية، وفى ١٦ يوليو تم الاجتماع الرابع والأخير بيننا وبين القادة السوفييت حيث بدأ بقيام بريجنيف بتلخيص ما توصلنا إليه في الأجتماعات السابقة وأشار إلى تأييد الاتحاد السوفييتى لمصر وبقية الشعوب العربية وأن الدول المحبة للسلام ترغب في التوصل إلى حل سلمى ومن ثم ففى حالة وجود مثل هذا الحل تصبح الدول العربية غير محتاجة للحرب وأحلام إسرائيل التى كانت لديها في أعقاب عدوان يونيو ١٩٦٧م من فرض الحل الإسرائيلى على العرب قد تبددت، ثم أضاف قائلا، إننا أهتممنا بتقوية وسائل الدفاع المصرية وفى نفس الوقت واصلنا البحث عن الوسائل السلمية لحل الأزمة، وقد أدت مساعداتنا العسكرية للقوات المصرية إلى جعل نسبة السلاح للفرد في مصر حاليا أكثر من نسبة السلاح للفرد قبل العدوان الإسرائيلى وأمكن خلال الفترة القياسية

الماضية إعادة بناء الجيش المصرى على أسس سليمة ونحن نعرف أن الدوائر الأمريكية قلقة الآن للغاية بسبب الوجود السوفييتى القتالى في مصر ولكن هدفنا كان هو ردع المحتل الإسرائيلى..

ثم تناول بريجنيف موضوع الوحدة بين مصر وليبيا وسوريا وهو الموضوع الذي كان قد أثير في اجتماعنا الأول، فقال إن سياستنا مازالت هى العمل على تقارب الدول العربية وتوحيد جهودها ولكننى أود باسم زملائى أن أعبر عن رأينا بالنسبة لموضوع الوحدة، فالوحدة هدف نبيل للغاية ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار دروس التاريخ خاصة وأن الحكام الجدد في ليبيا شبان صغار السن تنقصهم التجربة وفى سوريا هناك أحزاب متصارعة، ولذلك فإن وحدة مصر وليبيا وسوريا سوف تواجهها مشاكل ونحن كأصدقاء لكم نعتقد أن الأمر يحتاج إلى تفكير طويل خاصة وأنه سبق وحدث انفصال بين سوريا ومصر عام ١٩٦١م فإذا قامت الوحدة الآن وحدث إنفصال مرة أخرى فإن سمعة ووزن وزعامة جمال عبد الناصر سوف تتأثر في العالم العربى، وهو أمر يجب علينا تفاديه، وأرجو ألا يعتبر كلامى هذا موقفا من جانبنا ضد الوحدة العربية، وإنما المقصود بحديثى هو التأكيد من عدم حدوث أى شئ في المستقبل يضر بمصر، ثم انتقل بريجنيف إلى الناحية العسكرية فقال إننا نتفق معكم في أن الحرب بين مصر وإسرائيل هى أساسا حرب جوية إلا أن الحرب في النهاية تحتاج إلى جيش قوى وكفء لأنه القوة الأساسية وبدونه لن تحل الطائرات المشكلة وقد خصصنا كميات كبيرة من الأسلحة لتقوية الجيش المصرى بدرجة كبيرة جدا، وسوف نرسل إليكم ضمن الصفقة الجديدة نوعا جديدا من الصواريخ من طراز (سام ٣) مع استمرار بقاء الجنود السوفييت

في أطقم الصواريخ التى تدافع عن العمق المصرى، وإننى أعرف أننا لم نلب كل طلباتكم ولكننى أؤكد لكم أننا قدمنا كل ما في استطاعتنا، ومن بين المسائل التى لم تحل هو طلبكم الحصول على الطائرة (تى يو) قاذفة القنابل، ويحسن أن نؤجل الموضوع حاليا لأنه قد يسبب مضاعفات دولية، ثم أشار بريجنيف إلى ما وصلهم من معلومات عن قيام وزارة الإعلام في مصر باستطلاع رأى الشعب في وجود الخبراء السوفييت .

ورد عبدالناصر قائلا، إن هذه المعلومات غير صحيحة والذى يحدث عندنا هو أن مصلحة الأستعلامات التابعة لوزارة الإعلام وغيرها من الأجهزة ترسل إلى بناء على طلبى تقارير دورية عن مشاعر الرأى العام بالنسبة لمختلف الموضوعات الجارية، كما يوجد لديكم هنا في الاتحاد السوفييتى حسب ما نسمعه من إذاعات الغرب عدد من الكتاب اليهود المنشقين ضدكم .

قال بريجنيف: إننى أثرت هذا الموضوع لكى يكون واضحا أنه بانتهاء مشكلة الشرق الأوسط سوف يرحل مستشارونا وخبراؤنا وطيارونا من مصر مباشرة لأننا لا نرضى أن نتهم باحتلال أراضى الغير وهى الصورة التى تحاول الدعاية الأمريكية المضادة رسمها لنا .

وهنا جاء دور عبدالناصر لينفعل فقال بشئ من الحدة: إننى غير سعيد بسماع هذا الكلام فلم أكن أرضى لنفسى بالحضور أساسا إلى موسكو لو أننى تشككت لحظة واحدة في شبهة وجود ما يسمى باحتلال سوفييتى، فأنا الذي طلبت من الاتحاد السوفييتى الخبراء والطيارين وأنا الذي سأطلب من الاتحاد السوفييتى استردادهم حين تنتهى مهمتهم التى جاءوا لأجلها، والذى يتحدث عن أحتلال سوفييتى في مصر هم جولدا مائير ونيكسون وكيسنجر قال

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

بريجنيف ضاحكا، عموما أيها الصديق عبدالناصر فلا بأس من أننا تبادلنا تلك التوضيحات بهذه الصراحة لأن تلك الإشاعات المضادة تؤلمنا بقدر ما تؤلمكم، الآن فإننى أقترح أن يزوركم قريبا الرفيق باناماريوف لمواصلة التشاور لو تطلبت التطورات التالية .

رد عبدالناصر قائلا: بكل سرور، والآن فإننى أود أن ألخص الموقف قبل عودتى إلى القاهرة، إننا نمر في ظروف صعبة للغاية، وحاسمة للغاية، وإذا سقطت مصر سيسقط الشرق الأوسط كله، وعندما عرض علينا موضوع الحل السلمى قبلناه .

أضاف عبدالناصر، سبق وأن سألنى الدكتور روجز فيشر أستاذ القانون الدولى في جامعة هارفارد الأمريكية حول إمكانية قبول مصر وقف إطلاق النيران لمدة محددة وأذيع ردى في الولايات المتحدة وهو أننا مستعدون لقبول وقف إطلاق النيران لستة أشهر إذا أعلنت إسرائيل عن التزامها بالانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة أما بالنسبة للمبادرة التى تقدم بها إلينا وليم روجرز فإننا لم نخطرهم بشئ حتى الآن .

تساءل بريجنيف، استكمالا لسؤالى السابق ما هو الأفضل عربيا، قبول المبادرة الأمريكية أو قيامكم بمبادرة منكم ؟ ووافقنا على قرار مجلس الأمن على قصوره، وقبلنا ارتباطات السلام التى طلبتها الولايات المتحدة الأمريكية عن طريقكم، وقد تحدث الرفيق بريجنيف عن ضرورة التنسيق، وأنا أيضا طالبت بذلك في الجلسة الماضية، ولكن التنسيق غير موجود حاليا فما هى خطتنا السياسية في المستقبل؟ لقد اتفقنا على قبول المبادرة وسوف يتم وقف إطلاق النيران لمدة ثلاثة أشهر ولكن ما هى الخطوة التالية؟ ماذا لو انتهت تلك

المبادرة إلى الفشل؟ إن الولايات المتحدة سوف تعمل بعد قبولنا لوقف إطلاق النيران إلى إثارة المتاعب أمامنا وسوف يعملون على الإيقاع بيننا وبين الفلسطينيين وبين الدول العربية وبعضها البعض، وأنا أتحدث يوميا عن السلام وإسرائيل تتحدث عن الحرب، ونحن لا نستطيع أبدا تسوّل السلام فمصر الضعيفة عسكريا لن تحصل إلا على الإستسلام المهين لمطالب إسرائيل، ولذلك فيجب أن نكون واضحين من الآن وبعد أن أصبحنا أقوياء، إننا نقبل المبادرة الأمريكية من موقع القوة ومن ثم فمفاوضاتنا ستكون على هذا الأساس، ولكن هناك احتمالا كبيرا بانتهاء فترة الأشهر الثلاثة إلى لا شئ، وفى هذه الحالة نكون قد فعلنا ما في وسعنا لكى نؤكد للجميع أننا كنا جادين حتى اللحظة الأخيرة، نحن لن نقبل عندما يستأنف يارنج مهمته أن نتفاوض لسنة أخرى، فنحن الآن في بداية السنة الرابعة للعدوان ويمكن اقناع الشعب بالصمود ولكن بشرط وجود أمل واضح ومحدد بالنسبة لتحرير أراضينا بالكامل، ولقد صمدتم أنتم بعد الغزو الهتلرى لأراضيكم ولكنكم كنتم تخططون بأمل واضح لانهاء العدوان، وفى الأسبوع الماضى غضب نيكسون وكيسنجر لأننا نضرب طائرات الفانتوم التى تغير على أراضينا ونسقطها بالصواريخ، لأن ذلك حسب مفهومهم يغير من ميزان القوى، ومن الناحية العسكرية فإننى أكرر أن الحرب هى أساسا حرب جوية، وبعد أن بدأت طائرات الفانتوم تتساقط بفعل شبكتنا الجديدة من صواريخ الدفاع الجوى أعلنت الصحف الأمريكية عن قيام الولايات المتحدة الأمريكية وخلال ثمانية وأربعين ساعة بإرسال أجهزة إلكترونية لإسرائيل ضد الصواريخ كما تم تجهيز طائرات الفانتوم بأجهزة إلكترونية للتشويش، ونحن قد حضرنا إلى موسكو مطالبين بأسلحة، ولكن يجب

أن نكون واضحين في أننا قد أعطينا الحل السلمى فعلا كل الفرص الممكنة، وأنتم من جانبكم بدأتم الحديث في الحل السلمى عقب العدوان مباشرة عندما تقابل الصديق كوسيجين مع جونسون في قلاسبورو، ومن وقتها استمرت الاتصالات والمحاولات لثلاث سنوات دون نتيجة، ثم انتقل عبدالناصر إلى موضوع الحرب الإلكترونية فقال بعد أن شرح الطريقة التى تعمل بها أجهزة التشويش، إن الولايات المتحدة الأمريكية وفرت لإسرائيل تلك الأجهزة لكى تحتفظ بكفاءة طائرات الفانتوم ضد دفاعنا الجوى، وأنا أرى أنه لا يوجد حاليا أى تخطيط مشترك بيننا، وهذا يكون أمرا سيئا للغاية في المسائل العسكرية، فحاليا يقود الفريق فوزى المصريين ويقود الجنرال كاتشكين الوحدات السوفيتية في العمق دون وجود تنسيق واضح بينهما، وقد أصبحتم في المعركة فعلا والعالم كله يعلم بوجود طيارين سوفييت مقاتلين وصواريخ يعمل عليها سوفييت في العمق المصرى والمطلوب الآن هو أن نعمل بكفاءة أكثر، وأثار عبد الناصر بعد ذلك موضوع الطائرة (تى يو) القاذفة التى أشار إليها بريجنيف فقال، إننى أفهم تماما وجهة نظر الرئيس بريجنيف ولكن وجهة نظرى هى أنه عندما تعلم إسرائيل بوجود وسائل دفاع وردع قوية لدينا فإنها سوف تمتنع عن أى محاولة للقيام بمهاجمة الأغراض المدنية في مصر، والدفاع بدون قدرة على الردع يبقى دفاعا ضعيفا.

وعندئذ تحدث بريجنيف قائلا: إننى أفهم مخاوف الرئيس عبدالناصر، وقد أثرتم نقاطا هامة بالنسبة للدفاع الجوى وأجهزة التشويش الأمريكية التى لم توفر الولايات المتحدة مثلها لبعض حلفائها في حلف شمال الأطلسى ومن ناحيتنا فإننا سنطلب من وزارة الدفاع أن تدرس كافة النقاط المثارة، وأن

يقدموا لنا تقريرا وافيا عن الاجراءات العاجلة التي يمكن إتخاذهـا في الفتـرة المقبلة وسوف نرسل إليكم خلال أيام عددا من العلماء السـوفييت لدراسـة الجوانب العملية الناتجة عن استخدام الأجهزة الأمريكية الجديدة على الطبيعة.

وهنا اقترح عبدالناصر أن يقوم على صبرى عضو اللجنة التنفيذية العليا بزيارة موسكو كل شهرين لبحث الموضوعات العسكرية، ورحب بريجنيـف بذلك، وبعدها وجه إليه عبد الناصر الدعوة لزيارة القاهرة.. انتهى .

لقد أردت بهذا عندما عرجّت على ما أورده وزير خارجية مصر بشأن زيارة الرئيس جمال عبدالناصر إلى موسكو والتباحث مع القادة السوفييت أن يفهم كل مشكك أن تصميم عبد الناصر على إزالة آثار العدوان كان جـدّيا وكان قريبا، وهناك في ما تناوله النقاش كثير من النقـاط المتـصلة بالقـضية الفلسطينية والعربية عموما حيث أن عبد الناصر لم يكن يفصل بين ما يخـص مصر وبينما يخص العرب، ونراه في هذا اللقاء يقول إنه لو تخلى عن المطالـب العربية وبشكل خاص الفلسطينية لاستعاد سيناء كاملة كما ذكر أنه مستعد أن يعترف بإسرائيـل شرط أن تنسحب أولا من كل الأراضـي العربيـة إلخ... ولقد كان جمال عبـد الناصر قد ذكر أثناء وجوده في بنغازى بعض أفكـاره تلك بشأن الزيارة.

غادر عبد الناصر ليبيا بأمل تحقيق الوحدة الاتحادية..

وغادر روسيا بأمل إزالة آثار العدوان بالسلاح السوفييتى..

وغادر دنيانا دون أن يحقق لا الوحدة ولا إزالة آثار العدوان..

وجاء بعده من أنكر كل ذلك بل وتآمر على كل جهود عبد الناصر..

وبعده تفرّق العرب ولن يلتقوا على وحدة أو اتحاد أو حتى تفاهم..

وابتعدت الوحدة آلاف الأميال لكننى على قناعة أن الأمل لم ينقطع..

وصدق نزار قبانى عندما قال فى تلك المرثيّة الرائعة :

(قتلناك يا جبل الكبرياء ويا آخر قنديل زيت يضئ لنا في ليالى الشتاء)

وبعد زيارة عبد الناصر التاريخية تلك بدأ رجـال ثورتنـا في تنظـيم مؤسسات الدولة الجديدة وكان تقرر أن يستحدث تنظيم سياسى على غـرار التنظيم القائم في مصر وهو الاتحاد الاشتراكى حيث إنه لابد لبلورة الأفكـار التى أعلنت عن تنظيم شعبى سياسى، وهكذا تكونت في كـل محافظـة لجنـة عرفت باسم (اللجنة التأسيسية) للاشراف على تكوين التنظيم الجديد الـذي يجب أن يكون مماثلا في كل شئ للاتحاد الاشتراكى القائم في مـصر حـتى أن قانونه الأساسى كان بنفس اللغة والمعنى، وكنت أحد أعضاء اللجنة التأسيسية في محافظة بنغازى وبعد أن تأسس الاتحاد الاشتراكى وانتخبت أمينا عاما له في محافظة بنغازى رأيت أن أستقيل من إدارة المهاجرة والجوازات بحيث أتفـرغ للعمل السياسى.

وبعد الاستقالة مباشرة عيّنت عميدا لبلدية بنغازى بجانـب عملـي في الاتحاد الاشتراكى، ومن هنا كان علىّ أن أقسّم وقتى بين الجانب التنفيذى في البلدية والسياسى في الاتحاد الاشتراكى، وبلدية بنغازى من أقدم البلديات في ليبيا وبها حشد كبير من العمال والموظفين، وعلى أساس النظام الجديد كـان لابد من تطوير عملها بشريا وفنيا ولهذا اتخذت إجراءا إداريا بإحالـة بعـض المسنّين والذين لا يستفاد منهم في العمل على التقاعد وفى هذا لم أكن أضع في

حسابي الجانب القبلى إذ لم أر ولا اعتقدت أن ذلك في ذهن أى من قادة الثورة لأن النظام القبلى الذي كان أساس الحكم السابق لا يمكن أن يعتمده النظام الجديد، هكذا اعتقدت، ولقد أحيل عدد كبير من العمال والموظفين في البلدية على التقاعد وهنا بدأت العاصفة وصوّر الأمر على أننى ضد هذه القبيلة أو تلك وكان هناك في كواليس الحكم من يؤجج هذا الاتجاه ومع ذلك فقد كنت أرى أننى بذلك أخدم الثورة وفى نفس الوقت أخدم بنغازى المدينة التى أحببتها من كل قلبي وعشت فيها فترة طفولتي وشبابي، كما حدث التنافس غير الشريف بين العاملين في منظمة الاتحاد الاشتراكى الليبى مثلما بدأ في مصر في عهد الرئيس جمال عبدالناصر وقلّد في ليبيا، ويذكر أن صحافة السادات قد تناولته بالتقريع ومختلف أنواع التهم بعد وفاة عبدالناصر وفتحت أبواب جهنم على عهده..

حدث التنافس عندما انتهى التنظيم من بناء كل أماناته في المحافظات العشر بليبيا ومن المعروف أنه لم يكن لليبيين سابق معرفة بالتنظيمات السياسية وهكذا جاء بناء الاتحاد الاشتراكى على أساس جهوى وقبائلى وشخصى ولذا كانت بعض الأمانات تتوفر لها الأمكانيات البشرية القادرة والثقافية المناسبة بينما الأخرى أو الأخريات لم تنهض من مكانها فبقت تمثل تجمعا أو مكانا يلتقى فيه بعض الأشخاص، وكانت تلك غير القادرة تتحسس من التى طوّرت أجهزتها، ولقد حدث في أمانة محافظة بنغازى أن كان التنظيم يصدر مطبوعة شهرية هى (مجلة الاتحاد الاشتراكى) وكذلك العديد من الدراسات والكتيبات بل وإعادة نشر مطبوعات الاتحاد الاشتراكى المصرى مثل (الميثاق والألف سؤال وبعض خطب عبدالناصر) وإذ لم يكن الأمين العام يتقبل فكر عبدالناصر

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

في حين لم تصدر الأمانة العامة على الاطلاق غير منشورات الأوامر كأنها هى إدارة حكومية وليست تنظيم سياسى، ولم تكن هناك وحدة فكر ولا حتى وحدة هدف، ومن هنا صار الأمين العام يرى في أمانة بنغازى كما لو كانت اتحاد اشتراكى آخر وحدث ما لم يكن متوقعا (دسائس ومؤامرات واتهامات الخ...) ولم تتردد أمانة بنغازى في الرد بالمثل (والبادئ اظلم) وتحول الوضع إلى عداء شخصى ولذلك بادر الأمين العام بالبحث عن طرق ووسائل يعاقبنا بها وإذ لم تتح له فرصة بمخالفة قانونية أو إدارية فقد انتهز فرصة تكريم بعض الكتاب والفنانين وكنت الوحيد المرشح لجائزة العلوم فأمر باعطائها لشخص آخر لم يكتب كلمة واحدة فى مجال العلوم بينما كنت آنئذ قد أصدرت ثلاثة كتب علمية هى (المسطرة الحاسبة وهندسة الراديو والتلفزيون ومستقبل التلفزيون الملّون) وعندما أعلنت الأسماء كتبت مقال احتجاج نشر في جريدة الحقيقة التى تصدر ببنغازى بدأته بقول (أرسطو، حسبك من التكريم أن تكون مستحقا له لا أن تناله) وهكذا ثارت ثائرة السيد الأمين العام وسنرى فيما بعد تطورات ذلك الخلاف عندما أتاحت له الظروف السياسية فرصة الانتقام.

ولأنه من المعتاد في كل تغيير أو ثورة أن تتم محاسبة بعض الناس الذين حكموا في العهد الذي انتهى وقد عرف مصطلح عن ذلك يقول (محاسبة الذين أفسدوا الحياة السياسية والذين أثروا بغير وجه حق) تشكلت محكمة ليبية أطلق عليها اسم (محكمة الشعب) ولسوء الحظ اختارت الثورة السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى رئيسا لتلك المحكمة ومن الجلسة الأولى ظهر على أنه فارغ الفكر عشوائى متذبذب العقل حتى أن المشاهدين كانوا يتندرون على مداولاته وأسئلته وعندما أراد أن يحاكم الصحفيين اتضح أنه لم يقرأ (ربما) صحيفة في

حياته وهكذا كان المتهمون أقوى من المحكمة لأن رئيس المحكمة لم يكن يقرأ صحف هؤلاء الذين يقفون أمامه وكذلك كانت حالة الذين يمثلون الادعاء..

والحقيقة أنني كنت أرى أن أى بداية لابد أن تكون صحيحة في كل شئ خصوصا بالنسبة لوظائف الدولة الجديدة بحيث يكون الرجل المناسب في المكان المناسب وربما تكون هذه نظرة مثالية أوقعتنى في كثير من المشاكل والصعاب وأحيانا حتى العداوات، فمثلا عندما صار التفكير في تشكيل أول وزارة بعد الثورة علمت بأن شخصا كنت أعرفه معرفة تامة ويعرفه أغلب سكان بنغازى قد اقترح ليكون وزيرا للوحدة والخارجية (أيام كانت الوحدة على رأس كل موضوع) أحسست أنه من واجبى تجاه رجال منحونى ثقتهم أى أعضاء الثورة التى رفعت شعارات قومية أن أبلغهم بما أعرف عن هذا الرجل، وهكذا بادرت بإبلاغ بعضهم (وقتئذ) أن السيد المقترح وزيرا للوحدة والخارجية كان شريكا لليهودى (بيو ناحوم) الذي كان قد نقل أغلب خردوات الحرب العالمية الثانية بواسطة ليبيين إلى دولته (إسرائيل) عبر إيطاليا، وأنه كان قد هرب من البلاد فى لباس امرأة وأقام في مصر لأسباب شخصية بحتة وأنه لا يؤمن حتى بوحدة ليبيا ناهيك عن الوحدة العربية وأنه لا يليق بثورة قومية أن تشرك مثله في الحكم، وهذا الرجل لا يعيش إلا على التآمر والدسيسة، ولكن قولى ذاك لم يحل دون تعيينه وزيرا للوحدة والخارجية !!

ونتيجة لموقفى هذا منه حدثت بيننا فيما بعد الكثير من الخلافات والصدام وقد حاول وهو وزيرا أن يتدخل في أعمال بلدية بنغازى لمجرد أننى عميدها وصار ينقل قصصا مختلقة ليحرّض مجلس الوزراء وكذلك مجلس الثورة قائلا أننى أضع صور عبدالناصر في مكتبى وفى كل مكان متجاهلا قائد الثورة.

وكان لابد لى أن أقف ضده ليس فقط بسبب موقفه هذا وإنما لأنه ضد المشروع القومى وضد عبد الناصر بشكل خاص حتى أن الخلافات بيننا قد وصلت ساحات المحاكم الليبية وأذكر هنا وللتاريخ أيضا أن الرائد الخويلدى الحميدى (كان برتبة رائد وقتذاك) وكان يشغل منصب وزير الداخلية والحكم المحلى قد وقف مع الحق حيث أيدنى في مواقفى عندما كنت عميدا لبلدية بنغازى وأجريت العديد من الاصلاحات والتغييرات الشئ الذي مسّ مصالح بعض المنتفعين وهكذا صاروا يتآمرون ويشككون في كل مواقف وأعمال عميد البلدية ولقد عرفت الرائد الخويلدى صادق النوايا قوى الإرادة وطنى مخلص وقومى ملتزم، وأيضا مثل ما عمل معى المدعو وزير الخارجية ذاك صار يحرّض القيادة ضد أول رئيس لوزراء ليبيا بالقول أنه ليس ليبيا وأن ولاءه لسوريا حتى أخرجه من منصبه (وهو الدكتور محمود المغربى الذي صار سفيرا فيما بعد بلندن، وكان يأمل أن يتولى هو ذلك المنصب إلخ...) ولقد استمرت الاجراءات القضائية بينى وبينه ثمانى عشرة جلسة ولم تنته المشاكل معه إلا بعد موته في حادث الطائرة الليبية التى أسقطتها إسرائيل فوق سيناء.

ولأن البلدية هى الجهة التى تقوم بخدمات كثيرة في البلاد فقد كنت منذ استلمت عمادة بلدية بنغازى أرفض أن تقوم أجهزة البلدية بأى خدمات خاصة كما كانت تفعل في السابق وحدث أن عرض علىّ أحد المهندسين مخطط طريق خاص بمنزل شخص كان مسؤولا كبيرا في الحكم السابق (قائدا للجيش ووزيرا سابقا) وطلب المهندس الموافقة على المخطط من أجل التنفيذ قائلا: إن العميد السابق أمر به فرفضت قائلا: إن أعمال البلدية عامة لكل سكان البلدية وليس خاصة.

وخلال اليوم الثانى قابلنى صاحب البيت (ذلك المسؤول السابق) طالبا المساعدة في تنفيذ الطريق ومتسائلا لماذا أرفض؟ فقلت له لو كان الطريق يخدم منطقة أو بيوت أخرى ما كنت لأمانع أما وإنه لك فقط فلن ينفذ طالما بقيت على هذا الكرسى، خرج غاضبا لأنه يعتقد أن لا أحد يمكن أن يرفض طلبه.

اتضح فيما بعد أن هذا المسؤول السابق صهرا لأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة وما كان من ذلك العضو وهو النقيب محمد المفريف رحمه الله وكان يشغل منصب وزير الإسكان وقد عرف عنه أنه عصبى، إلا أن أمر بتنفيذ الطريق وكررت الرفض مهما كان الأمر مرددا ما كنت قلته لصهره فتوعدنى بالعقاب وأقسم ألا يهدأ له بال إلى أن يضعنى وراء القضبان (حسب تعبيره) ولكن الأيام لم تمهله لأنه لم يدرك أن فوق كل قوة قوة الخالق ودولة الظلم لا تدوم والظالم يلقى عقابه في الدنيا والآخرة، ذلك أننى اتقيته بالله، وكلمة الله لا مبدل لها.

في بلدية بنغازى والفروع التابعة لها بمحافظة بنغازى حاولت أن أنفذ مجموعة من المشاريع الخدمية وكنت أحمل الكثير من الأفكار وأتطلع إلى جعل المدينة من أجمل المدن الليبية التى تتوفر فيها الخدمات والأنشطة وأطبق فيها ما رأيت في أوربا وأمريكا وبلدان أخرى التى رأيت فيها كيف يطبق ويسخّر العلم في كل شئ، وما رأيته في الخارج جعلته في داخلى كما لو كان شريطا فوتوغرافيا منذ كنت في تلك البلدان دون أن أتوقع أن الأيام ستجعلنى في موقع المسؤولية بحيث أنفذ ما تمنيت أن يتحقق في بلادى، النظافة، الماء النقى في كل بيت، الطريق الذي يخلو من الحفر، المناطق الخضراء، ملاعب الأطفال في

أغلب الميادين والحدائق، الحدائق العامة المنّسقة، الأنشطة التجارية والترفيهية، السينما والمسرح والمكتبات، وكنت أول من فكر وخطط لما يسمى (سينما السيارات) أى أن العرض السينمائى يكون في الهواء الطلق وهناك مواقف للسيارات بحيث يوقف أى مواطن سيارته وتكون الشاشة الكبيرة أمام المواقف وبجانب موقف السيارة هناك عمود صغير به خيط مكّبر الصوت وما على صاحب السيارة إلا أن يسحب خيط مكبر الصوت إلى داخل سيارته بحيث يسمع الصوت وهو يشاهد العرض وهذا النوع من السينما يصلح لبلادنا بحيث تكون العائلة في سيارتها وهى تشاهد العرض وعندما ينتهى العرض ما على صاحب السيارة إلا أن يترك خيط المكبر ليعود إلى مكانه، وهكذا نظام كنت رأيته بالولايات المتحدة الأمريكية.

ثم وبمساعدة أهل الخير في بنغازى أقيم أكبر وأجمل مشروع لتخليد ذكرى جمال عبدالناصر في شارع جمال عبدالناصر ببنغازى (يجد القارئ صورة المبنى ضمن هذه المذكرات، وبعد ذلك مع الأسف لم تتح فرصة تنفيذ الكثير من هذه المشاريع الحضارية إلخ... بسبب الخلافات والمؤامرات والمواقف الشخصية والقبلية..

وإذ كنت قد بدأت بتحديث أجهزة البلدية وواجهت الكثير من المشاكل والنقد غير الواقعى والتزّمت القبلى وبعض العداوات لمجرد أن هذا الموظف قد نقل من هذا المكان إلى آخر أو ذاك قد أحيل على التقاعد عندما بلغ السن القانونية وكأن الموظف لا ينقل لأنه ورث مكان الوظيفة وأن المسن لا يحال إلى التقاعد كأنما التقاعد جريمة وليس انتهاء خدمة إلخ... وكانت ردود الفعل من هؤلاء البعض ليس ضد العميد فقط بل ضد كل أعمال

البلدية، تلك الأعمال التى كانت لخدمة الناس وصاروا يخّربون، فمثلا عندما تقرر تشجير الشوارع والميادين كانوا يقتلعون الشجيرات ويرمونها على حافة الطريق وعندما أضيئت الميادين والشوارع كانوا يحّطمون المصابيح، وكان علينا في البلدية لكى نحافظ على المشاريع التى تخدم الناس أن نجعل من إدارة الحرس البلدى إدارة عسكرية بالكامل وأن نحصل لجنود الحرس على صلاحية الضبط القضائى مثلهم مثل بقية أفراد البوليس وهو ما حدث في أسرع وقت..

كانت وسائل نقل الناس والبضائع في دائرة البلدية تتم بواسطة عربات تجرها حيوانات (خيول أو حمير) فقامت البلدية بالتعاقد مع شركة إيطالية لتصميم وصنع عربات نقل مماثلة لتلك التى تجرها الخيول والحمير (مماثلة في الشكل والسرعة والحمولة) وقد سلّمت تلك العربات لأصحاب عربات الحيوانات بأسعار مخفّضة وتولت البلدية إصدار رخص قيادتها رغم احتجاج وزارة المواصلات باعتبارها صاحبة الاختصاص وبذلك لم يبق حمار أو حصان يجر عربة ضمن دائرة البلدية، كما قامت البلدية بإنشاء مواقف مجمّعة للسيارات (كاراجات مجمّعة) في كل مكان بالمدينة، كان بعضها خاصا بالبلدية والبعض الآخر قام به مواطنون بترخيص من البلدية نظير أجرة بسيطة عن كل سيارة، وكانت سيارات الأجرة (التاكسيات) تعمل بدون عدادات الشئ الذي يخلق مشاكل عادة بين صاحب التاكسى والراكب فقامت البلدية بإنشاء ورش خاصة واستوردت عدادات بحيث تم تركيب عداد لكل سيارة أجرة مع تحصيل ثمنها من صاحب السيارة بالتقسيط المريح وكذلك أصدرت لائحة لتنظيم عمل سيارات الأجرة..

وإذ لم تكن هناك ملاعب للأطفال فقد قامت البلدية بإنشاء عشرات الملاعب التى تتوفر فيها المراجيح والهزازات ومختلف الألعاب وجعلتها في الميادين والأماكن المناسبة بحيث يلعب بها أطفال المنطقة تحت إشراف باحث اجتماعى أو باحثة اجتماعية وعسكرى من الحرس البلدى وجميعها بالمجان، ولأول مرة في تاريخ مدينة بنغازى تتوفر فيها تلفونات مركّبة في الشوارع بحيث يمكن لأى مواطن أن يتصل إن أراد بواسطتها مقابل قروش بسيطة، وهذا النوع من التلفونات يسمى (COIN TELEPHONE) كذلك لم تكن شوارع المناطق الجديدة بالمدينة مرقمّة ولها أسماء فتشكلت لجنة لتسمية الشوارع والميادين وتم تصنيع اليفط بالأرقام والأسماء بواسطة متعهد ليبى حصل على الموافقة في عطاء عام، وقامت البلدية بالاعلان في عطاء عام عن مشروع تنظيف المدينة حيث فازت شركة ليبية بعطاء تنظيف المدينة، وكانت في مدينة بنغازى حديقة حيوانات فقامت البلدية بتطويرها عندما استوردت حيوانات من أنواع مختلفة لادراك المسؤولين بأن حديقة الحيوان بالنسبة للمواطنين إضافة إلى أنها مكان تفسح وترفيه هى بمثابة الجامعة التعليمية حيث يتعرف المواطن والأطفال بشكل خاص على الحيوانات كما هى وليس في الصور فقط، ولقد استمرت البلدية في تأسيس المشاريع الحضارية حتى أن اعلانات البضائع أو المنشورات الإرشادية صارت لها أماكن خاصة مضاءة ومجانية ولم تعد هناك فوضى فى وضع الملصقات على الحيطان.

ولكن مع الأسف، فإن كل هذه المشاريع والخدمات أتاحت فرصة لأولئك المرضى الذين لا يعملون ولا يتركون من يعمل فصاروا يشكّكون في كل المشاريع ويدّعون أنها لمصلحة العميد وإن لم تكن خاصة به فلابد أنه يحصل

على عمولات أو رشاوى ممن يستفاد منها وكانت البرقيات والرسائل تنهال على وزارة الحكم المحلى باعتبارها المسؤولة عن المحافظات والبلديات وكذلك على مجلس قيادة الثورة وكان أن تشكلت لجان للتحقق والتحقيق ولم تجد شيئا مما قيل على الاطلاق، ويعلم الله أن يدى لم تمتد لمال عام ولا فكّرت يوما في السعى وراء الكسب حتى الحلال منه غير ما أتقاضاه نظير عملى الرسمى، وعندما تقاعدت صرت مكتفيا قانعا بالمعاش التقاعدى ولم يدخل بطون أولادى بفضل الله خبز بمال حرام من قريب أو بعيد.

وعلى أى حال وبعد كل ذلك فقد كنت سعيدا بأن أتمكن من تنفيذ ما تمنيته لمدينتى بنغازى وأعرف تماما أن عقلاء المدينة والذين يريدون الخير لمدينتهم كانوا يقدّرون ما قمت وأقوم به وغيرهم عرفوا تلك الحقيقة بعد أن تركت العمل وابتعدت عن بنغازى ولعل المثل الليبى يصدق على ذلك الذى يقول (ما تشكرنى لين تجرّب غيرى).

وأذكر أنه لما كان السكن احتياجا ملّحا لكل مواطن وكانت هناك آلاف الأكواخ (براريك من التنك) يسكنها العديد من المواطنين قامت البلدية بتشكيل لجان لدراسة وضع سكان تلك الأكواخ اجتماعيا وماديا من أجل تحديد المستحقين فعلا للسكن فوجد أن هناك ثلاثة عشر ألف كوخ منتشرة في مختلف أطراف المدينة، ولهذا قامت البلدية بتخطيط مناطق كاملة وخصصت آلاف القطع يتم توزيعها حسب الأحتياج لكل مواطن بأثمان بسيطة جدا أى رمزية (خمسة قروش للمتر الواحد) وهنا أيضا أشاع المشكّكون والحاقدون لأسباب شخصية لا علاقة لها بالمصلحة العامة بأن العميد قد حجز لنفسه ولابنائه القطع الممتازة من الأرض ويعلم الله أننى لم أحجز حتى قطعة واحدة لى

أو لأولادى والذى حدث أننى تقدمت إلى مصرف الأمة في بنغازى (كأى مواطن) أطلب قرض إسكانى ولما تمت الموافقة على القرض اشتريت أرضا من مواطن ليبى بثمن دينار للمتر الواحد في حين كنت أبيع (نيابة عن البلدية) للمواطنين أراض بثمن خمسة قروش للمتر، ولقد أقمت بيتا لأسرتى بذلك القرض ومازال البيت الوحيد لى ولأولادى حتى تاريخ كتابة هذه المذكرات الآن (٢٠٠٦م) وكنت أدفع ديون القرض من مرتبى الشهرى لمدة عشر سنوات (١٩٧٢– ١٩٨٢).

وبعد عمادة البلدية صدر قرار تعييني محافظا لمحافظة بنغازى وفى هذه الوظيفة اختلفت مسؤولياتى حيث صارت سياسية وتنفيذية عكس مسؤوليات عميد البلدية الخدمية، فالمحافظ تدخل في مسؤولياته البلديات والتعليم والصحة والفنون والآداب والأمن العام والزراعة والصناعة وكل ما يكون في حدود محافظته، وكان قانون الحكم المحلى الذي أصدرته الثورة من أحسن القوانين كما كانت المنجزات المعمارية والصحية والتعليمية والزراعية شاملة خلال سنوات الثورة الأولى (١٩٦٩– ١٩٧٤م) وكان هذا القانون يخوّل المحافظ صلاحيات رئيس الوزراء في محافظته علما بأن المحافظات كانت عشرة في ليبيا وكلها تتنافس ودّيا من أجل تقديم الخدمات للمواطنين من سكانها في التعليم والصحة والإسكان والزراعة إلخ...

وفى منصب المحافظ اهتممت بالمسرح حيث إنه لأول مرة تخصص وتجهّز أماكن للنشاط المسرحى وللفرق الفنية فقد تم تجهيز المسرح الشعبى والمسرح الحديث ومسرح الشباب وكنت وما زلت من عشّاق المسرح إدراكا منى لمعنى مقولة (اعطنى مسرحا أعطيك شعبا) كذلك قناعتى بالمواهب الليبية التى رأيتها

وكنت أحضر رغم مشاغل الوظيفة الكثيرة وخصوصا في ذلك الوقت حيث كانت خطوات الثورة سريعة جدا في البناء والتشييد في كل مكان من بلادنا، كنت أحضر أغلب العروض المسرحية التى تقدمها الفرق الليبية وألحظ مواهب أولئك الشباب الذين لو أتيحت لهم الفرص في العمل المسرحى لكانوا قدموا الكثير المفيد وجعلوا من المسرح فعلا مدرسة لشعب يتقدم ويتذوّق الفن الراقى ولكن مع الأسف مساحة الحرية صارت فيما بعد ضيقة نتيجة لضيق أفق وصدور بعض المسؤولين وما كان يوشّوش به الانتهازيون.

كذلك حاولت رغم الظروف الصعبة والمشاغل الكثيرة خلال مرحلة التحوّل تلك أن أنشئ ما يسمى (منطقة الفن) أو حى الفنانين بحيث يتجمع فيه كل الرسّامون والنحّاتون بمختلف تخصصاتهم واتجاهاتهم الفكرية والفنية في الرسم والنحت وغيره، وكذلك عرض بعض المقتنيات والصناعات الشعبية القديمة وقد وضع مخططا لذلك قرب مشروع سينما العائلات (الذي لم ينفذ كذلك) في منطقة السلمانى وكنت أعرف أن الاتحاد الأوربى يخصص ميزانيات لهذه المشاريع بعد مرور خمس سنوات على إنشائها، لكن المشروع واجه كثير من النقد والتهجم كما حدث لمشروع حديقة الحيوانات في بنغازى (وهذا نفذ بفضل الله) رغم كل شئ، ولو قدر لمشروع حى الفنانين أن يتم لكان مثّل تراثا ثقافيا تفخر به البلاد وقد مر على تلك الفكرة الآن أكثر من ثلاثين سنة ولم يحدث اهتماما إلا بالحجارة والحديد والأسمنت فى غير هذا المشروع الحضارى !.

كانت هناك (في بنغازى بالذات) معاول هدم مع الأسف لا ترى في أى عمل أو نشاط إلا الجانب المظلم ولا تنظر إلا من خلال نظارات سوداء

ولا تجد أمامها دائما إلا التشكيك والاتهام وكان هناك من يتجاوب مع أصحاب المعاول أى أناس في النظام الرسمى القائم وبذلك تم إفشال أغلب المشاريع العلمية والفنية والترفيهية بل وصل الأمر إلى هدم كل ما هو قديم في المدينة التاريخية (بنغازى) وأحمد الله أن ذلك الهدم لم يتم في عهدى عندما كنت محافظا.

كذلك كان في نفس مستوى الاهتمام التعليم والصحة والزراعة والمستشفيات والبناء المدرسى وهذه لم تبخل عليها الدولة بالميزانيات الكافية وبالتالى فإنه لم يحدث أن تأخر بناء مدرسى أو صحى في محافظة بنغازى عن الموعد المحدد له في خطة التنمية السنوية، وكنت أهتم بشكل خاص بتلك المبانى القديمة والتى أعتبرها جزءا من تاريخ مدينة بنغازى وهكذا شكلت لجنة فنية مهمتها تحديد أماكن تلك المبانى وتسجيلها والقيام بصيانتها لأنها من وجهة نظرى ثروة وطنية لا تقدر بثمن، ولم أسمح بهدم أو تغيير شكل أى مبنى قديم مثل تلك الدار التى كانت بها مطبعة المحيشى الحجرية والمبنى القائم بشارع سيدى سالم المحاذى لسوق الظلام وكذلك سوق الظلام وسوق الجريد ومبنى مقر مجلس النواب فى العهد السابق والفندق البلدى، وسور المدينة، وجعلت لمبنى تخليد ذكرى الشيخ عمر المختار حرسا خاصا يتولى الإشراف على المبنى بحيث يقوم أى زائر بالكتابة فى سجل زيارات خاصة، ولقد كنت ومازلت أعتقد أن تلك المبانى لا تقدر بثمن باعتبارها ثروة وطنية ولكن مع الأسف جاء فيما بعد من هدمها وقضى على جزء هام من تاريخ مدينة بنغازى، كما حاولت أن أجعل من تلك البحيرات الواقعة شرق وغرب مدينة بنغازى مناطق للتتره وممارسة رياضة القوارب على الرغم من أن الذين سبقونى ردموا أجزاء

منها دون إدراك لأهميتها بالنسبة للمدينة وسكانها، وأعطيت متسعا من الوقت واهتماما خاصا وكبيرا لرياض الأطفال بحيث أقيمت المبانى الخاصة بها وتكوّن مجلسا بالمحافظة يشرف على إعداد المناهج وتحصيل الأموال اللازمة للصرف الذاتى على مختلف الأنشطة ولقد جهّزت الرياض بلعب الأطفال وزوّدت بالمشرفين والمشرفات المتخصصين في هذا المجال التربوى.

كان مقر مجلس قيادة الثورة في بنغازى وقتئذ ربما تكريما لهذه المدينة التى انطلقت منها الثورة وبالتالى كانت تستقبل ضيوف الثورة الليبية كما كان قائد الثورة خلال تلك الفترة يتنقل بحرية وبساطة حتى أنه كان يجلس مع طلبة الجامعة على مدرجات المدخل ويقود سيارته بنفسه دون حرّاس ولا مراسم وتنبيهات، وربما كانت هكذا بداية الثورات قبل أن تدخل أجهزة المخابرات المخاوف على حياتهم وفى أفكارهم وبالتالى تحيطهم بأسوار عالية من الوهم بحيث لا يتصل بهم أحد ويمكن لتلك الأجهزة أن تتصرف تلك الأجهزة فى مصائر الناس!!

وكان اهتمام المحافظة بإظهار مدينة الثورة بمظهر المدينة الحديثة، وكما ذكرت كانت التيارات الحزبية قد نشأت وتطورت في دهاليز وأزقة هذه المدينة العربية القلب والوجدان، وعندما تكّون الاتحاد الاشتراكى سعت أغلب التيارات تلك إلى اختراقه منذ بداية التأسيس ولما فشلت صارت تتربص به الفرص إلى أن جاءت الفرصة الذهبية عندما أسقطت إسرائيل الطائرة الليبية فوق صحراء سيناء سنة ١٩٧٣وهى طائرة مدنية تنقل ركاب مدنيون قتلوا جميعا وتقرر إجراء مراسم الدفن في بنغازى بحضور بعض أعضاء الثورة ومسؤولون مصريون، فبدأت تحركات الإخوان المسلمين الذين كانوا يرون في

الاتحاد الاشتراكى كما لو أنه طبعة ثانية من الاتحاد الاشتراكى المصرى الذي ناصبوه العداء واعتبروه عدوهم التقليدى..

عندما بدأ تحركهم وكانت أمانة الاتحاد الاشتراكى تعرف نواياهم طلب أعضاؤها الاجتماع بالعقيد معمر القذافى للتشاور فيما يجب عمله وكانت إشاعات كثيرة قد انتشرت في بنغازى مفادها أن المصريين ضللوا الطائرة الليبية ولم يوفروا لها الحماية الجوية إلى أن أسقطتها اسرائيل وهكذا بدلا من إدانة إسرائيل اتجهت الإدانة إلى مصر التى يجب محاسبتها وقد رفعت شعارات تنادى بذلك، وفى الاجتماع مع العقيد القذافى وتبلّغ بما يمكن أن يحدث أثناء إجراءات الدفن طلب منه أن يلقى كلمة التأبين التى يجب أن يذكر فيها أن الحادث إنما هو عدوان وقرصنة جوية إسرائيلية لكنه رفض قائلا أن الشهداء من بنغازى والمأتم في بنغازى وبالتالى فإن الذي يتحدث يجب أن يكون محافظ بنغازى، كذلك رأي أعضاء الأمانة بإن إجراءات أمنية مشددة يجب أن تتوفر تحوطا لما يمكن أن يحدث لكن ذلك لم يتم ولذلك استغلت المناسبة بواسطة أولئك الحزبيون (إخوان وحزب تحرير إسلامى وشيوعيون وغيرهم) فنظّموا مظاهرات وحطّموا مقر الاتحاد الاشتراكى وأغلب إعلاناته في المدينة وأحدثوا فوضى أثناء الدفن في المقبرة برمى الحجارة على المشيّعين دون تمييز.

وكان علينا في أمانة الاتحاد الاشتراكى أن ندرس ذلك الحدث من أجل أن نعرف من كان وراء تلك التطورات ومن الذي كان متواطئا مع هؤلاء الناس وإحداث هذا الشغب الذي قد يؤلب جهات معينة لتقوم بالمزيد من الاحتجاج والشغب في المدينة وضد أمانة الاتحاد الاشتراكى واكتشفنا بعد

البحث والمناقشة والتقصى أن ما ينتظرنا مستقبلا قد يكون مدمرا حيث كانت الاتجاهات والأفكار والأهداف في غاية الاختلاف الشئ الذي يمكن أن يُستغل في أى وقت وقد تمتد آثاره ابعد مما حدث، وكانت في ذلك الوقت وقبل أن تظهر نوايا هؤلاء الناس قد بذلت جهودا ومحاولات كثيرة من أجل تحقيق الوحدة العربية قامت بها القيادة الليبية خلال السنوات الأولى للثورة وأهمها مع مصر في عهد الرئيس السادات على الرغم من أن رجل الوحدة الحقيقى كان قد مات، وكذلك مع سوريا في عهد الرئيس حافظ الأسد وكنت شاهدا على بعض المحاولات ومشاركا في البعض الآخر ولهذا لاحظت تناقضات لا تحصى وخلافات لا تُعَد فكريا وسياسيا وإجتماعيا واقتصاديا وماليا وحتى قانونيا وكان تجاوز كل تلك العقبات يحتاج لتضحيات كثيرة وكبيرة من أناس يؤمنون بالوحدة فعلا، والواقع أن أغلب العناصر التى كانت تبحث في مشاريع الوحدة لم تكن تؤمن بها ولا تحمل فكرها ومعتقدها (وكما هو معروفا فإن الوحدة لا يحققها إلا الوحدويون والاشتراكية لا ينفذها إلا الاشتراكيون) وهذا لم يكن موجودا ولا حتى متوقعا ولا ينتظر من تلك التيارات إلا إشعال النار وخلق المشاكل فى وجه أى جهد وحدوى أو حتى نوع من التقارب العربي.

وسأذكر واحدة من الأحداث التى كنت طرفا فيها وهى محادثات الوحدة الليبية المصرية، فلقد تشكلت لجان من الجانبين وكنت عضوا في لجنة التنظيمات السياسية التى تتكون من ثمانية عشر عضوا يقابلهم نفس العدد من الجانب المصرى ولم يكن بين الليبيين الثمانية عشر أكثر من عدد أصابع اليد الواحدة يؤمنون بأى وحدة وكما قيل قديما (الصلاة وراء على أقوّم ولكن الأكل على مائدة معاوية أدسم) وحدث في هذه الأثناء أن عقد الطلبة

الناصريون في جامعة عين شمس ندوة انتقدوا فيها سياسة الرئيس السادات وما كان منه إلا أن ألقى في نهاية شهر ديسمبر ١٩٧٢م خطابا هدد فيه أولئك الذين يرتدون ثوب عثمان (على حد تعبيره) وفى اليوم الثانى بعد الخطاب تم إلقاء القبض على كل الطلبة الناصريين في الجامعة وكنت أعرف أغلبهم فاتصل بى شقيق أحد أولئك الطلبة ويدعى (عاصم) حيث أبلغنى بأسماء عدد من الطلبة ومن بينهم شقيقه (جمال) وكان من المقرر عقد اجتماع بين اللجنة المصرية واللجنة الليبية في اليوم الثانى فأبلغت زملائى الليبيين بأننى سأطرح موضوع اعتقالات الطلبة وأطلب تفسيرا لما حدث إذ كيف يعتقل الناصريون ونحن نعمل من أجل تحقيق الوحدة ولم أكن أدرى أن هناك من يتنصت علينا إما بالتسجيل أو بالتبليغ ولذلك بدلا من اجتماع اليوم التالى تأجل الموعد وجاءنى أحد أعضاء اللجنة المصرية ويدعى (أحمد عبدالآخر) (صار وزيرا فيما بعد مع السادات) وقال إنهم سمعوا أننى أريد طرح موضوع اعتقالات الطلبة للمناقشة في اجتماع اللجان وهذا سيعتبر تدخلا في الشئون الداخلية وقد يحدث مشاكل لكننى قلت له أن الذين اعتقلوا ناصريون وهذا من صميم اختصاصنا ولابد أن يطرح الموضوع للمناقشة، لم يقتنع وكرر الطلب بأن لا أطرح هذا الموضوع على الإطلاق وإذا ما طرح فسوف يخلق مشاكل لى شخصيا، بمعى أنه كان يلمّح بالتهديد، وقلت سوف لن أتراجع عن موقفى.

وعند اجتماع اللجنتان برئاسة سيد مرعى وكان فيما أذكر يشغل منصب الأمين العام المساعد للاتحاد الاشتراكى في مصر (وهو مقرّب من السادات) وعندما افتتح الجلسة طلبت الكلمة وطرحت موضوع الاعتقالات مطالبا بايضاح لأن اعتقال الناصريين لا يساعد على تحقيق الوحدة ويؤثر على

مواقفنا وأفكارنا، فثار الرجل قائلا أن هذا يعد تدخلا في شأن مصري ولا يحق لأحد بحثه وعند إصراري طرح الموضوع للتصويت فصوت جميع الأعضاء ضدى ماعدا واحد من الجانب المصرى وهو (الدكتور يحى الجمل) وكان الدكتور يحى الجمل وزيرا للعدل وهو من كبار رجال القانون فى مصر وقد استمرت علاقتى به من وقتها حتى الآن، الذي قال إنه يمكن لأى عضو أن يطرح ما يشاء، لكن الجميع رفضوا حتى مجرد الاستماع ولذلك قلت أنه لا يشرفنى أن أستمر في العمل بلجنة توافق على اعتقال الشباب الناصرى في وقت نحن نسعى فيه لتحقيق الوحدة التى نادى بها عبد الناصر، انسحبت من الاجتماع وبعد ساعة واحدة تحديدا عندما عدت إلى الفندق الذى أقيم فيه جاءنى ثلاثة من الضباط وطلبوا منى فورا مغادرة البلاد خلال نفس اليوم،قلت أنا فى بلادى أشغل منصب المحافظ وأمين الاتحاد الاشتراكى فى محافظتى كما أننى عضو بواحدة من أهم لجان الوحدة، قالوا هذا ليس مهما ولابد من تنفيذ الأمر وهكذا ضموا أمتعتى ونقلونى إلى المطار كما لو كنت مجرما..

منعت من وقتها دخول مصر بحجة أننى هجمت على الرئيس السادات والشعب المصرى (وتلك فريّة) ولم يكن منعى مهما لكن المهم والمؤلم أن الجانب الرسمى الليبى اتخذ نفس الموقف عندما استدعانى الرائد (عمر المحيشى) عضو مجلس القيادة الليبية وقتئذ إلى طرابلس وعندما قابلته ندد بموقفى ذاك متهمنى بمختلف النعوت وهدد بمعاقبتى عندما قال أن ما قمت به هو نوع من المزايدة والتطرف، فقلت أن الذي يزايد لابد أنه يبغى مناصب أو ترقيات أو تقّرب من قيادة أو رئاسة أما انا فلست من هذا النوع ولا يهمنى إلا موقفى ومعتقدى وها أنا ذا أقدم استقالتى من منصب المحافظ والأمين العام للاتحاد

الاشتراكى في بنغازى ومن عضوية أى لجنة من لجان الوحدة أو غيرها ثم أتحمل عواقب ما يمكن أن يأتى من عقاب أو إجراءات، تمتم بكلمات لم أسمعها، ثم تراجع فجأة قائلا إن ما تفّوه به ليس موقفه ولا يعبّر عن رأيه الشخصى وإنما هو رأى العقيد القذافى، هكذا قال، ولم أفهم غرضه لكننى استأذنت في الخروج وإذ لم تقبل استقالتى عدت إلى بنغازى وبقى أمر منعى من دخول مصر قائما طيلة عهد الرئيس السادات.

لم تحقق تلك اللجان شيئا (وعادت حليمة لعادتها القديمة) عادوا بخفى حنين منهم الشامت ومنهم الفارح ومنهم (ربما) المتأسف، ولما لم تفلح المحاولات التقليدية رأت القيادة الليبية أن تجعل الشعب الليبى يسلك طريقا آخر لفرض الوحدة على مصر، وهكذا دعى لاجتماع بالأمانة العامة في طرابلس حضره أمناء الاتحاد الاشتراكى في المحافظات وكنت أحدهم وأعضاء الأمانة العامة من أجل صياغة وثيقة تحملها مسيرة شعبية يقوم بها كل الليبيون تمر عبر الأراضى الليبية من رأس جدير إلى القاهرة بحيث تسلمها للرئيس السادات مطالبة بالوحدة الفورية وبرئاسته..

وبعد إعداد الوثيقة عندما كنا بمقر الأمانة العامة فى طرابلس عاد كل منا إلى مقر عمله، وفجأة حضر إلينا بأمانة الاتحاد الاشتراكى فى بنغازى عددا من الشباب وطلبوا عقد اجتماع مع أعضاء الأمانة وطلبوا الاشتراك فى احتلال الإذاعة والبدء فى الإعلان عن المسيرة الشعبية وإذاعة نص الوثيقة التى قالوا إنها كتبت بدم فتيات ليبيات (وهذا فى الواقع لم يحدث) فقد كتبت الوثيقة على الآلة الكاتبة ووقعّت من جانب كل المشاركين، قلنا لهؤلاء الشباب كيف يمكن احتلال الإذاعة وهى محروسة بالجنود والدبابات؟ فأصروا على موقفهم

(ولم نكن نعلم أن هناك موافقة رسمية بذلك) وهكذا فعلوا وبالتالى صارت الإذاعة الليبية تعلن عن المسيرة التاريخية فبادر السادات بارسال وفد على مستوى عالى يمثل الاتحاد الاشتراكى المصرى لبحث ترتيبات المسيرة المعلن عنها وطلب منى استقبال الوفد أولا لمقابلة العقيد القذافى وثانيا للاجتماع بلجنة المسيرة والتى تشرف على كل الترتيبات.

وفى مقابلة الوفد للعقيد قال لهم أن تلك إرادة شعبية ولا دخل له في الأمر وعليهم أن يتفقوا على كل شئ مع اللجنة التى تتولى مسؤولية المسيرة، وهكذا تم ترتيب اجتماع بين الوفد المصرى ولجنة المسيرة (كلها من الشباب ومن غير أعضاء أمانة بنغازى لأننا لم نكن لنوافق عليها هذا عمل لم نستشر فيه) حاولت بعد ترتيب اللقاء أن أنسحب لأننى لست عضوا في لجنة المسيرة لكن الوفد المصرى أصر على أن أترأس الاجتماع وكانت مناقشات الاجتماع هادئة ومنظمة وخلالها أعلن رئيس الوفد المصرى قائلا إنه سعيد باللقاء وسوف يبلغ الرئيس السادات بالنتائج، لكن الذي حدث بعد عودة الوفد المصرى إلى القاهرة أن وصفت الصحف المصريه الاجتماع بالمهزلة وذكرت أن أمين الاتحاد الاشتراكى في بنغازى (المقصود شخصى) هجم على الرئيس السادات في حضور الوفد المصرى (ويعلم الله أن هذا لم يحدث) المهم، استمرت الإذاعة الليبية تردد الأناشيد الوطنية وتدعو الناس للانضمام إلى المسيرة الشعبية المتجهة إلى القاهرة من غرب ليبيا عبر طرابلس وبنغازى إلى مصر ولإننى كنت مسؤولا عن المحطة الأولى لهذه المسيرة، أى بنغازى فقد بدأت مع آخرين الإعداد لاستقبال المشاركين فيها وكانت الترتيبات بإشراف الرائد محمد نجم عضو مجلس قيادة الثورة فى ذلك الوقت، وعندما وصلت المسيرة إمساعد ثم

دخلت الحدود المصرية فوجئت بأن الرئيس السادات قد أمر بمنعها بالقوة ومهما كانت النتائج وكان على السائرين أن يتوقفوا جميعا عند منطقة تسمى (الضبعة) داخل الحدود المصرية وتقرر اختيار خمسة من أعضاء المسيرة لحمل الوثيقة إلى السادات في القاهرة وفى هذا الوقت أعلن أن العقيد القذافى قدم استقالته وهكذا عادت المسيرة ما عدا أولئك الذين كانت نواياهم في شئ غير الوحدة..

واتهمتنى السلطات المصرية شخصيا بأننى قائد المسيرة وأنا والله لم أكن حتى من السائرين معها ولا وافقت عليها وكنت قد أبلغت موقفى هذا للرائد (محمد نجم) الذي كان في ذلك الوقت عضوا في القيادة الليبية وهو ممن عرفتهم عن قرب وله مكانة في نفسي لعروبته ومواقفه الشجاعة في الحق، وأذكر أنه قبل أن يترك وظيفته الهامة بما فيها من مزايا ونفوذ قال لى إنه لا يوافق على أسلوب الحكم بالثورة الشعبية التى يرى أن البارزين فيها لا يخدمون مصالح البلاد ولا الأهداف التى قامت الثورة من أجلها، ولقد ترك العمل نهائيا وعاد إلى صفوف الناس العاديين مقيما ببنغازى، وفيما أعلم أنه مازال حتى الآن يمارس حياته كأى مواطن عادى.

قلت إن الإعلام المصرى اتهمنى بأننى القائد والمنظّم للمسيرة الشعبية الشئ الذي لم يخطر على بالى، وزيادة أو إمعانا في التزوير والتضليل أصدر المدعو (موسى صبرى) وهو صحفى مصري كتابا بعنوان (وثائق أكتوبر) ذكرنى فيه بالأسم على أننى القائد والمحّرض على تلك المسيرة وعلى الرئيس السادات ورددت عليه بكتاب يفنّد أقواله بعنوان (وثائق الوحدة لا وثائق أكتوبر) لكن بعض الصحف المصرية الرسمية رددت أقوال موسى صبرى هذا

فقط وهو الذى كانت الصحف الحرة المصرية تطلق عليه الاسم الذى اختاره لنفسه (كلب السلطة).

عند هذا الحد دخلت الثورة الليبية في طور آخر من التفكير والعمل وكانت قد تشدّدت في فرض اللغة العربية بحيث منعت كتابة الحروف اللاتينية حتى في الاعلانات وكان على كل زائر أجنبى أن يعرّب كل مستنداته بما في ذلك جواز سفره وإن لم يفعل يمنع من دخول البلاد حتى لو كان في مهمة أو عمل، وسنّت قوانين أساسها الشريعة الإسلامية ومنعت جميع أنواع المسكرات تناولا وتجارة، وأمرت بإغلاق محلات اللهو كالنوادى الليلية ومنعت الموسيقى الأجنبية حتى أن منظر أكداس آلات الموسيقى التى تحرق في الميادين كان مألوفا وكذلك الكتب الأجنبية وما يظّن أنها كتب إباحية واى صحيفة تظهر فيها صورة امرأة بعض أجزاء من جسمها عاريا بحيث تطمس الصورة بالقلم الأسود إذا لم تمنع نهائيا وغالبا ما تنزع صفحات كاملة منها بحسب هوى رقيب المطبوعات.

ولقد أدى هذا الاتجاه الجديد إلى إعلان الثورة الشعبية التى كانت ربما الغاية منها تغيير نمط العمل الحكومى والقضاء على البيروقراطية ولكن الأمور تركت على عواهنها حيث تشكلت لجان شعبية من كل من هب ودب وصارت تستولى على أجهزة الدولة وإداراتها دون معرفة ووعى بطريقة عرفت باسم (الزحف) ولقد تجاوز هذا الزحف المصالح الحكومية إلى الزحف على المصالح الخاصة كالمتاجر والشركات الأهلية وهو الشئ الذي فتح الباب واسعا للسرقة والاستغلال لأن الزحف تحول إلى استيلاء دون تدقيق أو تسجيل ولا قيودات فكان صاحب الشركة أو المتجر يطرد من شركته أو متجره دون أن

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

يعرف من يكون هؤلاء الذين يستولون على الشركة أو المتجر ودون أن يعطى إيصالا أو رسالة أو شئ من هذا.

ولقد استولت اللجان على البلديات والمحافظات وصار بدل العميد الواحد أو المحافظ الواحد عشرات العمد والمحافظون لأن أعضاء اللجنة التى استولت كان كل واحد منهم يعتبر نفسه عميدا أو محافظا، وكذلك الحال كما حدث في الداخل حدث بعد فترة من الزمن للسفارات في الخارج، فقد تم الاستيلاء عليها وصار بدل السفير لجنة تتكون من خمسة أو ستة أشخاص وبيعت ممتلكات السفارات كحالة السيارات مثلا بأرخص الأثمان لأن اللجان ترى أن استعمال السيارة التى كان يستعملها السفير (كالمرسيدس) عارا ولا يجب أن تستعملها اللجنة وتم شراء العديد من السيارات الجديدة من أنواع أخرى لكل عضو، وتغيّر اسم السفارات إلى مكاتب (في البلاد العربية كان اسمه مكتب أخوة وفى البلاد الأجنبية صار اسمه مكتب علاقات) وقبل ذلك كما تشكلت لجان في المحافظات تشكلت لجنة في محافظة بنغازى ولكنها تأخرت فيما يسمى زحفا ولأن الأمين العام للأتحاد الاشتراكى كان ينتظر الفرصة للأنتقام من المحافظ والمحافظة في بنغازى (تشفيا) فقد بادر بالمجئ من طرابلس حيث جمع اللجنة وأنّب أعضائها قائلا لماذا لم تزحفوا على (هذا الامبراطور – حسب تعبيره) محافظ بنغازى، وعليكم الآن ليس فقط أن تزحفوا على المحافظة وإنما على المحافظة وعلى أمانة الاتحاد الاشتراكى بسبب أن المحافظ هو فى نفس الوقت الأمين العام للاتحاد الاشتراكى بالمحافظة.

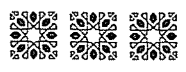
فى هذا الوقت اتصل بى صديق أثناء اجتماع السيد الأمين العام باللجنة ليبلغنى فحوى ما كان يدور من حديث وترتيبات، ورغبة فى عدم مجرد الحديث

مع أعضاء اللجنة جمعت أوراقى الخاصة وتركت مكتبى لكى لا أرى هؤلاء الذين سيزحفون، وعندما جاءوا سمعت أنهم كانوا صبية يهتفون بالقول (ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) وكأن المحافظ كان غازيا ولم يعيّن بقرار رسمى وطبقا للقانون، وربما كان المتوقع أن تكون الثورة الشعبية إطارا تتجمع فيه قوى الشعب كله بقيادة خيارها من المتعلمين والمثقفين والخبراء لكنها وقد جاءت عشوائية مفاجئة لم ينضم إليها هؤلاء الأخيار ولذلك شابها الكثير من الخلط، ولأنها من البداية كانت هوجاء من جمع غفير لا يعى أهداف الثورة الشعبية والمقصود منها فقد أعطت إنطباعا سيئا لازمها لفترة طويلة من الزمن في وقت يتقدم فيه العالم بخطى سريعة وأكثر مما يتوقع أى إنسان وكان يجب التأنى في هذا الأجراء وتوجيه القادرين على العمل والقيادة بحيث تكون مقاليد الأمور في أيديهم وشتى المواقع تحت رقابتهم مع استمرار الثورة الشعبية في الاتجاه الصحيح، ومن المؤكد أن الاستجابة لرغبات عامة الناس أو نواياهم في الأمور الهامة ضار وغير مفيد..

وأنا أذكر عندما كنت عميدا لبلدية بنغازى وقد لاحظت أن طلاء البيوت الخارجى والمبانى متنوعا بحيث يجعل الناظر إليه يتقزز وليس فيه ذوق فنى لأنه يظهر المدينة كوجه امرأة لا تعرف استعمال المكياج فتضع الأحمر الفاقع مع الأبيض والأصفر وغيرهما مما يثير الاشمئزاز، وكان إن طلبت من الإدارة الفنية إعداد دراسة بحيث تطبّق على المبانى القديمة منها والجديدة على أن يكون طلاء البيوت موحدا أو شبه موحد مع إلزام أصحاب المبانى الجديدة بجعل الطابق الأرضى أو الذي تحته موقفا للسيارات الخاصة بسكان العمارة أو المبنى وذلك من أجل تخفيف ازدحام السيارات في الشوارع والميادين وتسهيل الأمر على المواطنين الذين يقيمون في المبنى لأننى لاحظت في أغلب مدن العالم

اهتماما بالذوق العام والناحية الجمالية في البناء وشكله الخارجى الذي يحدثه تناسق الطلاء أو توحيده، لكن الذي حدث أن لا أحد قبل بالذى قررته البلدية رغم أنه للصالح العام وبالتالى انهالت الشكاوى على كل المسؤولين متهمة البلدية وعميدها بالتسلط والدكتاتورية وكانوا يقولون كيف يمكن أن يفرض على مالك المبنى نوع خاص من الطلاء الخارجى بل وتمادوا في القول أن هذا القرار لابد أنه متحيزا لتاجر أو شركة تستورد نوعا من الطلاء ويمكن أن يكون عميد البلدية شريكا في المتجر أو الشركة!! واستجابة للشكاوى تقرر إلغاء تلك الترتيبات وعندما أبلغت بالقرار تذكرت انه كما يقال لا يمكن (جر الناس إلى الجنة بالسلاسل) ومع الأسف لم يدرك هؤلاء الناس ولا الذين ألغوا القرار أن البناء إنما هو نتاج ثقافى وحضارى وفنى يدل على ما وصل إليه المجتمع من إحساس بفن العمارة والجمال، إضافة إلى تقدير القيمة التاريخية في الحفاظ على المبانى القديمة التى أعملوا فيها الفؤوس والمعاول مع الأسف ليقطعوا بذلك مراحل التاريخ الوطنى، على أن تلك المعاول والفؤوس قد استخدمت بلا رحمة بعد خروجى وأنا أحمد الله على ذلك لأننى أرى أن قطع التاريخ جريمة فى حق المجتمع، ولا أعرف حتى الآن من كان وراء ذلك العمل البشع، وكنت أعتقد أن المبانى والمقار أو حتى التماثيل والصور يجب أن تبقى شهودا على أصحابها وكانت مدينة بنغازى محاطة بسور ربما أقيم فى العهد التركى الأول وكان يجب أن يبقى كمعلم تاريخى ولكن مع الأسف هدم فى ليلة ليلاء وطمس جزء من تاريخ المدينة بذلك وغيره........

بعد خروجى من المحافظة صدر قرار تعينى سفيرا ولهذا قصة أخرى أرويها في الفصل التالى.



الفصل الخامس

السفارة والعمل الدبلوماسي،،

أحسست بأن هذا التعيين إنما يعنى إبعادا رغم أهمية المنصب الدبلوماسى وبذلك فقد تأسّيت وخالج نفسى قلق شديد بسبب إبعادى عن مدينة أحببتها، وعندما استدعيت إلى طرابلس لاستلام أوراق تعينى واعتمادى سفيرا ومفوضا فوق العادة وكذلك جواز سفرى الدبلوماسى أبلغت بأن عملى سيكون في الصومال أى في شرق أفريقيا وهى منطقة لم أرها في حياتى ولا أى مكان في أفريقيا وقتئذ، فكّرت في أن أعتذر عن قبول المنصب رغم أن أوراق اعتمادى قد وقعّت وأنا لم أستشر وكنت أعرف أن القاعدة في وظائف الدولة الآن تقول (أن العمل تكليف وليس تشريف) بمعنى أنه لا خيار لأحد، وإذا ما اعتذرت فقد أواجه مشاكل ليس لى قبل بها أو قدرة على مواجهتها، وهكذا استلمت أوراقى على مضض وحجزت تذكرة سفر إلى بنغازى من أجل أن أحزم أمتّعتى وأودّع أهلى ولكن قبل السفر فوجئت بمدير المراسم بوزارة الخارجية يتصل بى ليبلغنى ضرورة تأجيل سفرى وقال أنه قد تقرر تغيير مكان عملى فبدلا من الصومال سيكون في قبرص، وحمدت الله على ذلك لأن قبرص بلد أوربى ولى فيه أصدقاء وكنت سعيدا بهذا التغيير الذي حدث في آخر لحظة دون أن أعرف السبب وما كان يهمنى أن أعرف، وانتظرت أوراق الاعتماد الجديدة لثلاثة أيام بعدها طلب منى السفر بأسرع وقت ممكن وعلىّ تأسيس مقر السفارة إذ لم تكن هناك علاقات دبلوماسية سابقة بين البلدين وهذه المرة الأولى التى تتبادل فيها الدولتان العلاقات الدبلوماسية ولهذا فأنا أول سفير في تاريخ هذا البلد يمثل ليبيا، لم يطل بى المقام في بنغازى وعندما أعددت نفسى للسفر لاحظت أن والدتى كانت قلقة جدا ولقد كبر والدى وصار يتحرك

ببطء رغم أن تجارته قد تقدمت، وكنا قد انتقلنا إلى البيت الذي ابتنيته قبل أن أخرج من المحافظة حيث حصلت على قرض عقارى إذ كانت تسهيلات كثيرة تمنح من البنوك لبناء المساكن، وصرت رب أسرة تتكون من زوجة وأطفال، وقبل أن أسافر كان عليّ أن أسدد ديونى إذ لم يكن مرتبى يكفى لأسرتى وسداد القرض وأقساط السيارة وكنت قد اشتريت قطعة أرض في طرابلس عندما عدت من الولايات المتحدة الأمريكية منذ أكثر من عشر سنوات بواسطة أحد أقاربى وهكذا اتصلت به طالبا منه بيع تلك القطعة بأى ثمن لأننى أريد أن أسدد ديونى قبل أن أسافر للعمل في الخارج وهذا ما حصل، بيعت الأرض بثمن بسيط ولكنه كان كافيا لتسديد الدين وغادرت إلى قبرص، وكان بعض أعضاء السفارة قد سبقونى إلى هناك، وبعد وصولى مباشرة في بداية سنة ١٩٧٣م تحدد موعد تقديم أوراق إعتمادى للرئيس المطران (مكاريوس) وفى المفهوم الدولى في هكذا علاقات فإنه عندما يقدم السفير أوراق اعتماده بعد وصوله البلد المعتمد فيه فورا يعنى أن العلاقات مرحب بها ومرغوبة ولا تواجه أى صعاب..

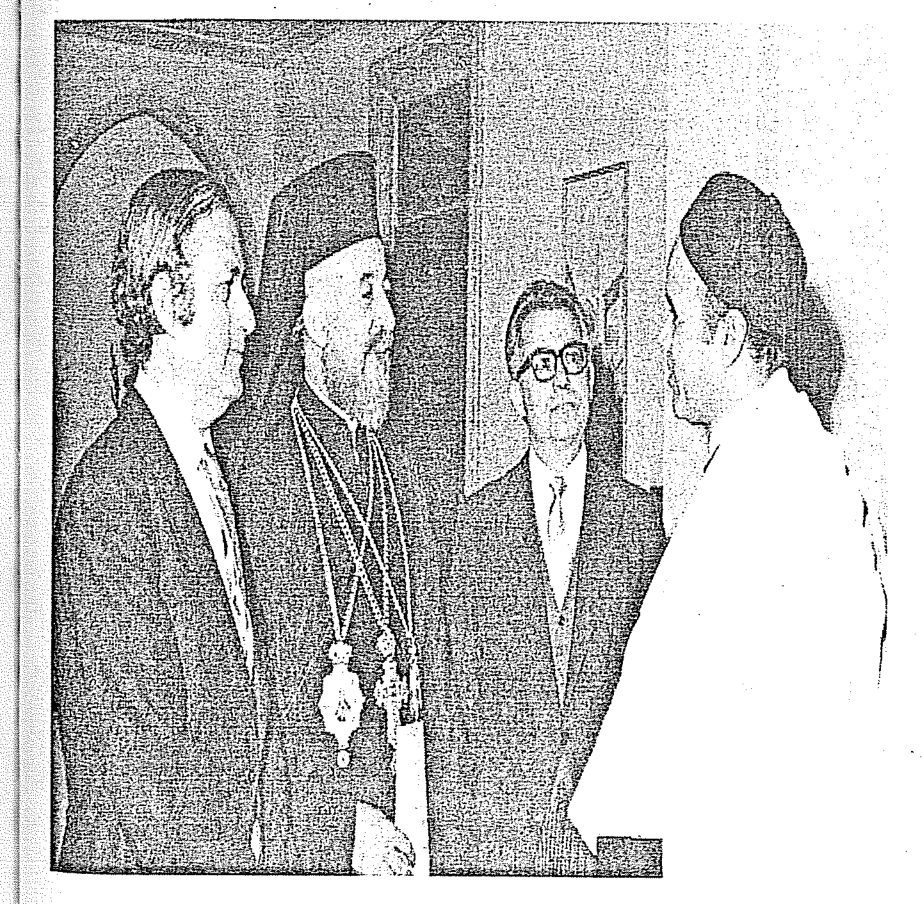
كنت أعرف أن الرئيس مكاريوس صديق جمال عبدالناصر ويحمل له تقديرا بالغا وتبعا لذلك فهو محب لكل العرب، وعندما قدمت أوراق اعتمادى (وفى البروتوكول الدولى يقوم السفير بإلقاء خطاب بحيث يرد عليه الرئيس بخطاب وكلا الخطابين يحددان ملامح العلاقات) وهكذا أشرت في خطابي إلى مواقف ونضالات الرئيس جمال عبدالناصر والعقيد معمر القذافى كما أشرت إلى العلاقة الخاصة بالرئيس مكاريوس، تلك العلاقات التى أعرف عنها الكثير ورد مكاريوس بخطاب ودى ترحيبى حوى كثيرا من الأطراء لعبدالناصر وللعقيد القذافى..

تقديم أوراق اعتمادى للرئيس المطران مكاريوس
ومعه وزيرا الخارجية وشئون الرئاسة



مع الرئيس المطران مطاريوس وعلى يمينه وزير الخارجية

ويساره وزير شئون الرئاسة فى قبرص



وقبل موعد تقديم أوراق الاعتماد زارنى مدير مراسم رئاسة الجمهورية القبرصية ليشرح إسلوب وطريقة تقديم أوراق الاعتماد ومن ضمنها أن السفير يجب أن ينحنى أمام الرئيس قبل أن يبدأ فى إلقاء خطابه فقلت له أن الانحاء فى الإسلام لا يجوز إلا أمام الله سبحانه وتعالى، فقال أنه يجب أن يبلغ وزير شئون الرئاسة قبل أن يجيبنى وكانت الموافقة..

ومنذ البداية كانت العلاقات قد بدأت بداية طيبة، وكان علىّ بعد تقديم أوراق الاعتماد أن أنشغل بالزيارات التقليدية للوزراء القبارصة ورؤساء المؤسسات كالمعاهد والجامعات وكبار رجال الدين ورؤساء الأحزاب الوطنية والسفراء المعتمدون في البلاد وهو أيضا تقليد دولى من أجل التعارف بين السفراء والمسؤولين ومن خلاله عادة تنشأ وسائل التبادل المعلوماتى أو التعاون بين البلدان..

كان مقر سفارتنا قد أقيم في فندق الهيلتون إذ كان تأسيس المقر الدائم يحتاج بعض الوقت وكذلك الحال بالنسبة لسكن السفير، وكان علىّ أن اقرأ كل ما له علاقة بالعمل الدبلوماسى كالاتفاقيات الدولية وغيرها لأننى أول مرة أدخل هذا المجال دون أن أسعى إليه، ولقد كانت فترة عملى في قبرص تقتضى أن أقوم بكثير من الوظائف بعضها لا علاقة له بالعمل الدبلوماسى، وأنا لا أذيع سرا عندما أقول أن ليبيا كانت تقف مع الجبهة الوطنية التى كان يتزعمها كمال جنبلاط فى لبنان أثناء الحرب الأهلية وبالتالى كانت تساعد هؤلاء بكل وسائل المساعدة فى هكذا حال (الحرب الأهلية) ولهذا كنت مكلفا بكل ذلك إضافة إلى عملى الدبلوماسى فى قبرص، وكما هو معروف فإن قبرص هى بوابة الشرق الأوسط منها وإليها أغلب التحركات وهى مركز المخابرات الدولية

إضافة إلى أنها مركز سياحى تجارى مفتوح على الشرق والغرب وعلاقاتها التاريخية مع العرب قديمة ودائمة منذ غزوة معاوية بن أبي صفيان سنة ٦٤٧-٦٤٨ ميلادية ولقد كانت لى علاقة حميمة مع رئيس الحزب الاشتراكى القبرصى الدكتور (فاسوس ليساريدس) وهو بالإضافة إلى رئاسة حزبه مقرّبا من الرئيس مكاريوس وهو طبيبه الخاص، كما أن حزبه يؤيد القضايا العربية بشدة والتزام، ومع ذلك سعيت لخلق علاقات مع بقية الأحزاب القبرصية، ولأن النظام القبرصى ديموقراطيا كانت هناك أحزاب فاعلة معتقداتها مختلفة منها ما هو في اليسار ومنها الوسط ومنها اليمين ويمين اليمين ولها ارتباطات عربية ودولية عديدة، والصحافة حرة مؤثرة، وفى جزيرة قبرص قسمان وشعبان من جنسين مختلفين ولغتين مختلفتين أيضا، الشعبان عاشا معا لفترة من الزمن بعد الاستقلال ولكنهما تقاتلا وأنقسما فصار الأتراك القبارصة في الجزء الشمالى من الجزيرة والقبارصة اليونانيون في الجنوب والغرب، وفى قبرص الدولة المعترف بها عالميا تتكون من القبارصة اليونانيين، كذلك هناك قوات وقواعد عسكرية أجنبية بريطانية ويونانية وتركية ووجود عسكرى أمريكى يعمل من خلال القواعد البريطانية وإن كان غير معلن في الغالب (تجسسى) حيث طائرات (u-2) تحلق فوق المنطقة بكاملها ليلا نهارا..

ومثل بقية أجهزة المخابرات هناك للمخابرات العربية وجود معروف، ويلقى العرب عموما ترحيبا وقبولا بين القبارصة اليونانيين، وللحكومة القبرصية حرس وطنى صغير يشبه الجيش قياداته تتكون من ضباط معارون من الحكومة اليونانية وهؤلاء الضباط ولاءهم لبلدهم (اليونان) وكان هناك توترا بين قبرص واليونان حيث إن قبرص ديموقراطية بينما اليونان نظامها عسكرى

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

دكتاتورى، وكانت هذه المؤسسة العسكرية في قبرص وضعها غريب، حرس وطنى كل أفراده من القبارصة اليونانيون وكان الرئيس مكاريوس محبوبا بين كل القبارصة وبالتالى فإن هؤلاء الجنود وهم قبارصة لابد أن يكونوا موالين لمكاريوس في حين أن ضباطهم ينتمون لبلد آخر ونظام مخالف، وكما هى لعبة المخابرات وخصوصا تلك التابعة لدول كبرى تمتلك أجهزة ومعدات متقدمة يمكنها أن تتنصت وتتغلغل،ويظهر أن المخابرات المركزية الأمريكية أرادت إسقاط الحكم العسكرى في اليونان فصارت تبحث عن الحلقة الضعيفة لكسرها وإحداث ما تخطط له..

هذه الحلقة الضعيفة كانت قبرص التى تتشابك فيها مصالح وسياسات خصوصا بين تركيا واليونان ذلك أن الحكومة التركية تتعهد دائما بحماية أتراك قبرص بينما اليونان يفترض أنها تحمى يونان قبرص، فقامت المخابرات الأمريكية بتسريب معلومات مدعومة بوثائق إلى مخابرات الرئيس مكاريوس تقول أن الضباط اليونانيون العاملون بالحرس الوطنى القبرصى يخططون لانقلاب عسكرى ضد مكاريوس فقرر مكاريوس إبعادهم وهكذا طلب من الحكومة اليونانية سحبهم لأنه يريد أن (يقبرّص) الحرس الوطنى كما قال، وكان ذلك القرار متسرّعا وغير مدروس، لكن الحكومة اليونانية رفضت طلبه، وردا على هذا الموقف غير الودى أصدر مكاريوس قرارا من جانب واحد بإبعاد الضباط اليونانيين وإعادتهم إلى بلادهم لكن هؤلاء سبقوه بترتيب انقلاب سنة ١٩٧٤م وحاولوا قتله عندما داهموا مقر رئاسته بالدبابات لكنه تمكن من الفرار إلى مدينة أنصاره (بافوس) وقامت القوات الإنجليزية بنقله من هناك إلى القاعدة العسكرية البريطانية في منطقة اسمها (أكروتيرى) أى أنها وفرّت له الحماية

وذلك موقف بريطانى عليه عشرات علامات الاستفهام وهو ربما ما يؤكد أن مكاريوس لم يكن المستهدف من كل الذي حدث، ومن القاعدة البريطانية توجه مكاريوس إلى الأمم المتحدة في نيويورك حيث تحدث عن مؤامرة الانقلاب متهما اليونان بتدبيره وفى هذا الوقت كان الانقلابيون قد عيّنوا رئيسا للبلاد وهو صحفى مغمور يدعى (سامبسون) وكان على تركيا أن تتحرك فغزت الجزيرة وأنزلت أربعون ألفا من الجنود مزودين بكل المعدات العسكرية الثقيلة وقصفت الجانب اليونانى في العاصمة (نيقوسيا) بالطائرات لأنها كما أعلنت لابد لها أن تحمى الأتراك القبارصة من الانقلابيين اليونانيين ولأن الحكم العسكرى في اليونان قد عجز عن تقديم أى حماية للقبارصة اليونانيين ومواجهة تركيا عسكريا قامت مظاهرات شعبية في أثينا (ربما هى أيضا بسبب مساندة مخابراتية) فسقط ذلك الحكم العسكرى وحل محله حكم مدنى برئاسة السياسى المخضرم (كارامنليس) الذى كان مقيما بمنفاه فى باريس منذ حدوث الانقلاب العسكرى فى اليونان.

وكان مكاريوس قد حصل على تأييد دولى وعاد إلى بلاده رئيسا معززا، وأذكر بهذه المناسبة أن بلادى كان لها دورا مشرفا في مساندة الشرعية المتمثلة في حكم مكاريوس وساعدته ماديا وسياسيا (يجد القارئ رسائل بذلك ضمن هذه المذكرات) وقبل عودة مكاريوس والتدخل العسكرى التركى سيطرت على الجانب اليونانى ميليشيات مدعومة من الانقلابيين تسمى (أيوكا – ب) وهذه كان لها دورها في النضال ضد البريطانيين في عهد ما قبل الاستقلال وكان آنئذ اسمها (أيوكا – أ) ولكنها بعد الاستقلال اختلفت مع مكاريوس حيث كانت تنادى بالوحدة الفورية مع اليونان البلد (الأم) كما كانوا

يقولون بينما كان مكاريوس ضد ذلك المطلب إدراكا منه للوضع الدولى ومعرفته أن تركيا سوف لن تسمح بذلك، ولقد سيطرت هذه المنظمة بعد الانقلاب على العاصمة (نيقوسيا) لعدة أيام فصارت تعتقل وتقتل أنصار مكاريوس وكان علينا في السفارة الليبية أن نحمى أصدقاؤنا ولهذا قمنا رغم وجود تلك الميليشيات بنقل رئيس وكل قيادات الحزب الاشتراكى القبرصى وبعض وزراء حكومة مكاريوس وحميناهم داخل مبنى السفارة على الرغم من أن منظمة أيوكا تلك هددت بقصف السفارة عدة مرات وما كان يشرّف بلادى أن تتخلى عن أصدقائها فداومنا على حماية كل الذين تعاملوا معنا إلى أن عاد النظام الشرعى بعودة مكاريوس مما عزز موقف ليبيا في هذا البلد، كما أن مكاريوس بعد عودته وهدوء الأحوال في البلاد قرر أن يؤدى زيارة رسمية (في شكل مودّة) إلى ليبيا وكانت زيارته تلك ناجحة بكل المقاييس..

بعد تلك الزيارة فتحت أبواب قبرص على مصاريعها للنشاط والاستثمار الليبي ووافق الرئيس مكاريوس على كل المشاريع التى اقترحناها ومنها تخصيص أرض لإقامة مبانى إدارية لمحطة إذاعة ليبية وهذا امتياز لم يعط لغير ليبيا وقبلها بريطانيا التى كانت لها إذاعة بسبب وجودها الطويل في البلاد وكذلك وافق لنا على إقامة مصنع للأسمنت ومصفاة نفط بطاقة تجارية (يجد القارئ مراسلات تبودلت مع الحكومة تؤكد ما ذكرنا ضمن هذه المذكرات) وسمح مكاريوس للسفارة الليبية بأن تباشر نشاط سياسى وتعليمى دينى إسلامى في الجانب القبرصى التركى رغم كثير من الاعتراضات والنقد الذي كانت توجهه الصحافة القبرصية اليمينية ولكن البيروقراطية وفوضى اللجان الشعبية فيما بعد في ليبيا عرقلت كل المشاريع ما عدا إنشاء معهد إسلامى في الجانب

التركى من قبرص الذى وافقت عليه وموّلته جمعية الدعوة الإسلامية الليبية قبل فترة سلطة اللجان الشعبية.

ومع ذلك ورغبة في السير قدما بتلك المشاريع واستغلال الفرصة كنت أتنقل شخصيا في رحلات بين قبرص وليبيا محاولا إقناع جهات الاختصاص في بلادى بضرورة وأهمية تلك المشاريع دون جدوى ولم أجد إلا الوعود الفارغة وربما كان إصرارى على تلك المشاريع سبب نقلى من قبرص فيما بعد إلى الاتحاد السوفييتى ولابد أنه ليس عقابا لأن المنصب هو أعلى منصب دبلوماسى لأهمية الاتحاد السوفييتى في ذلك الوقت ورغبة ليبيا في تطوير ودعم قدراها العسكرية، ولهذا قصة أعتزّ بها إذ أن هذا الانتقال كان له أثر كبير في حياتى، ولقد ألّفت كتابا عن تاريخ قبرص وعلاقتها بالعرب بعنوان (قبرص من معاوية إلى أجاويد _ ٦٤٨- ١٩٧٤م) وقبل إن أغادر قبرص أهدانى الرئيس مكاريوس (تحفة أثرية) للذكرى عمرها ألفان وثمانمائة سنة أحتفظ بها ضمن مقتنياتى.وكذلك وسام الجمهورية...

غادرت قبرص بالباخرة إلى بيروت وهى باخرة روسية كأنها فندق خمس نجوم يعوم في البحر بعد شهر حافل بالنشاط حيث أن العرف الدبلوماسى يحتم على السفير عند حضوره أن يقوم بزيارة السفراء المعتمدين زيارات تعارف ومجاملة وكذلك الوزراء والمسؤولين فى البلد، وعند مغادرته يفعل نفس الشئ، ويحدث في حالة المغادرة أن تقام مآدب غداء أو عشاء للتوديع يحضرها رجال السلك الدبلوماسى في البلاد المعتمدين بها وكذلك بعض المسؤولين في الدولة ويتم فيها تبادل الكلمات الوداعية، ومع الأسف فإن اللياقات الدبلوماسية بين السفراء العرب تغيب أحيانا لأنهم يتأثرون بخلافات سياسات دولهم ومواقف

رؤسائهم وفى هذه الفترة كان عميد السلك الدبلوماسى العربى فى قبرص سفير لبنان وكان إسمه فيما أذكر (بهيج تقى الدين) وكان عليه تبعا لذلك أن يقيم حفل توديع بمناسبة سفرى.

وهكذا فى جمع كبير من الدبلوماسيين العرب وسفراء الكتلة الشرقية أقام مأدبة غداء على شرف السفير الليبى المغادر، وبعد تناول طعام الغداء وما تبعه وقف ليلقى كلمة وداع كما يقتضى الحال وكان هناك خلاف بين بلدينا بل بينى وبينه شخصيا، قال فى كلمته، أذكر أننى فى بداية حياتى الدبلوماسية وكنت سفيرا فى السودان زارنى سفير ألمانيا فى بيتى وصرت أتحدث عن النظام الألمانى الشرقى باعتباره نظاما فاشيا دكتاتوريا ولم أفطن أن السفير الألمانى هذا كان هو سفير ألمانيا الشرقية، وأضاف مبتسما، هكذا يحدث مع الدبلوماسيين الجدد، وكان بالطبع يقصدنى، وكان علىّ أن أرد عليه بكلمة شكر، فقلت بعد بعض كلمات التقدير والمجاملة أن سعادة السفير اللبنانى بعد كل مدة العمل الدبلوماسى الطويل يكرر نفس الخطأ إذ لم يدرك أن سفير ألمانيا الشرقية موجودا الآن فى بيته ومن هنا فإن الخطأ وعدم الفهم لا علاقة له بمدة العمل وإنما بالإدراك والفهم ولقد ابتسم أغلب الحضور وانكمش المضيف فى مقعده ربما خجلا من نفسه فهو رغم الادعاء بالخبرة والأقدمية ارتكب نفس الخطأ إلخ...

وقبل أن تبحر الباخرة إلى بيروت ومنها بالطائرة إلى موسكو كان السفير السوفييتى وبعض أعضاء سفارته في وداعى وهذا أيضا تقليد دبلوماسى متّبع، من بيروت خلال اليوم الثانى غادرت بالطائرة السوفيتية التابعة لشركة (إيروفلوت) حيث استغرقت الرحلة حوالى ثلاث ساعات وكانت هذه أول

مرة استقل فيها طائرة روسية وكانت الفكرة عن الطائرات الروسية سيئة بسبب ما يبثه الإعلام الغربي والعربي المتأثر بذلك الإعلام ودعايته حتى أن زميلي السفير الليبي في لبنان الذي كان في وداعي بالمطار أشار إلى تلك الطائرة قائلا (قد لا تكون هناك مقاعد في الطائرة يجلس عليها الركاب) والحقيقة أنني لم أجد أى فرق بين هذه الطائرة وهى من نوع (ت ٥٤) وغيرها من الطائرات الغربية ولا أبالغ إذا ما قلت أن الخدمة فيها أفضل من مثيلاتها الغربيات.

في مطار موسكو كانت الأرض مغطاة برداء أبيض إذ كان الفصل شتاء والثلوج تتهاطل باستمرار وعندما خرجت من الطائرة أحسست كأنني أدخل ثلاجة وقد نبهني أحد أعضاء السفارة الذين كانوا في الإستقبال إلى ضرورة الحذر وأنا أمشي على أرض المطار لكي لا أنزلق وأقع لكنني كنت مستعدا لذلك البرد بالملابس الصوفية والحذاء المطاطي الثقيل والبالطو بغطاء الرأس إلخ... وهذه المرة كنت متسلحا بخبرة لا بأس بها في العمل الدبلوماسي بعد عملي في قبرص ولم أعد أتخوّف من الأخطاء البروتوكولية، كذلك كانت السفارة قائمة في موسكو بموظفيها ومبناها ولا أقول مبانيها فهي تتكون من مبنى واحد به المكاتب وسكن السفير وقاعات الضيافة حتى أننا كنا نسميها (سجن من ثلاثة طوابق) فلقد كان الطابق الأرضي يضم المكاتب بينما الطابق الثاني يحوي قاعات الاستقبال والضيافة والطابق الثالث سكن السفير وكانت في سكن السفير خادمة عايشت ثلاثة سفراء وقائم بالأعمال قبلي وما كان لي إلا أن أبقيها بحيث أكون السفير الرابع الذي تخدمه هذه السيدة البدينة جدا وهي في إعدادها للطعام كأنها عاشت في ليبيا منذ ولدت، هذا أولا، وثانيا فإن

أي أجنبي إذا ما أراد استخدام سوفييتي أو سوفيتيه لابد له أن يقدم طلبا لمؤسسة الخدمات السوفيتية وتسمى (أوبيديكا) وينتظر الموافقة لعدة أسابيع وعند الموافقة يتحدد مرتب المستخدم أو المستخدمة من طرف تلك المؤسسة وليس من طرف صاحب العمل، وأيضا أنا لم أكن في حاجة لأكثر من خادمة في البيت فقد عشت أعزبا طيلة عملي في قبرص وهكذا سيكون الحال في موسكو لأنني لا أنقل أحدا من عائلتي (أطفالي وزوجتي) معي بسبب أن والداي ليس لهما أحد يعيش معهما وقد بلغا مرحلة من العمر تجعلهما في حاجة لمن يراعيهما وكان على زوجتي أن تقوم بذلك، ومن تقاليد الليبيين ألا يتركوا الكبير من الأسرة وحيدا وخصوصا الوالدان (وهي عادة اجتماعية طيبة) عملا بقول الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء، ٢٣)، وكما هي العادة أو البروتوكول قدمت نسخة من أوراق اعتمادي مع نسخة من الكلمة التي سألقيها في حفل تقديم أوراق الاعتماد.

وخلال فترة الانتظار بدأت في تنظيم عملي وتكليف أعضاء السفارة كل بعمل كنت أراه مناسبا له، ولم تمر عدة أيام حتى تحدد الموعد مع رئيس هيئة اتحاد الجمهوريات السوفيتية في موسكو، ومن التقاليد البروتوكولية المرعية في روسيا أن السفير الجديد يقدم أوراق اعتماده لأحد رؤساء الجمهوريات السوفيتية الخمسة عشر وبقدر أهمية بلده ونوع العلاقات أو الأهمية التي توليها القيادة السوفيتية لها يتحدد اسم الرئيس ووقت تقديم أوراق الاعتماد، فإذا كان البلد صديقا أو هاما تقدم أوراق الاعتماد في أقرب وقت ممكن للرئيس

الأهم (مثلا رئيس هيئة اتحاد الجمهوريات في موسكو) أما إذا لم يكن الأمر كذلك فإن السفير قد ينتظر أسابيع ليقدم أوراق اعتماده لواحد من رؤساء الجمهوريات مثلا (رئيس جمهورية أوزباكستان أو أوكرانيا أو مولدافيا إلخ...) وبالنسبة لبلادى فقد تحدد موعد تقديم أوراق الاعتماد خلال عشرة أيام لرئيس هيئة اتحاد الجمهوريات السوفيتية فى موسكو بمعنى أن ذلك تقدير خاص ورغبة في علاقة متينة وأهمية يوليها القادة السوفيت لليبيا في ذلك الوقت، ولأن ليبيا صارت أقرب اليهم باعتبارها بلدا إشتراكيا وكذلك فهى لابد أن تكون إما محايدة بين الغرب والشرق كما فعل عبد الناصر أو صديقا كما فعل كاسترو وفى الحالتين فهى الأقرب إليهم.

وقبل اليوم والساعة المحددين زارنى مدير المراسم السوفييتى ولهذا المنصب فى الاتحاد السوفييتى أهمية كبيرة ويشغله عادة رجال ذوى خبرة دبلوماسية طويلة ومعرفة بكل إجراءات البروتوكولات والتعامل الدولى، ليطلعنى على شكليات المراسم وهى وإن لم تكن معقدة فإنها طويلة (طابور شرف وموسيقى وخُطب) بعدها لقاء على انفراد مع الرئيس الذى تقدم إليه أوراق الاعتماد تبحث فيه أمور العلاقات وكيف يمكن تطويرها أو تعزيزها، وتتحدد مدة اللقاء مع الرئيس أيضا تبعا لأهمية البلد الذى يمثله السفير من ربع ساعة إلى ساعة كاملة (في مبنى الكرملين مع الرئيس يتحدد حسب رغبة الرئيس) على أن تنقل السفير واحدة من السيارات الخاصة بأعضاء المكتب السياسى وتسمى (زيل) في الذهاب والعودة، وهذه السيارة لا تستعمل إلا مرة واحدة لأى سفير جديد أو ضيف كبير على أنها عند استعمالها لا تتوقف في الطريق إطلاقا وبها جهاز يغيّر إشارات المرور الضوئية تلقائيا، أى أنها عندما تنطلق لا تقف إلا داخل مبنى الكرملين، كذلك فإنه في نظام السير على الطرق

في موسكو وهى واسعة جدا هناك منطقة بيضاء في الوسط لا تسير عليها إلا سيارات المكتب السياسى وسيارات المطافئ والأسعاف.

المهم قدمت أوراق اعتمادى سفيرا ومفوضا فوق العادة لليبيا في الاتحاد السوفييتى وتقرر بعد تقديم أوراق الاعتماد أن يتم اجتماع منفرد مع الرئيس ولمدة عشرون دقيقة لا يتواجد مع الرئيس والسفير إلا المترجم، وعند الاجتماع بدأ الرئيس وكان (بيدقورنى) وهو أهم رؤساء الجمهوريات السوفيتية وواحد من ثلاثة يديرون شئون هذه الدولة العظيمة (بيدقورنى وبريجنيف وكوسيجين) بدأ بيدقورنى بالسؤال عن سياسة بلادى وكثير من الأسئلة الهامة لكننى قلت له فخامة الرئيس إن المدة المحددة لى معك ربما لا تكفى أن أجاوب عن كل الأسئلة لأهميتها فقال لك الوقت الكافى ولا تهتم بما حدد.

كانت تلك بداية ممتازة فهؤلاء قلما يغيّرون أى قرار وهكذا انتهزت الفرصة لأجعل منها بداية تفاهم أعتقد أنها فتحت الأبواب لعلاقات مثمرة مع دولة إذا تكلم أحد رؤسائها اهتز العالم لكلامه، وعندما انتهى الاجتماع ودعنى الرئيس بدقورنى بحرارة شادا على يدى لبعض الوقت مازحا بالقول إن عمرى فوق السبعين سنة ولكننى كما ترى قويا بسبب (الفودكا) لم أعلّق، ولقد كان فعلا يتمتع بقوة ممتازة ولياقة بدنية كما ظهر لى ولا أعرف دور الفودكا فى ذلك وهى مشروب مفضل لديهم فى هذا البلد.

عدت إلى مكتبى مع بعض أعضاء السفارة الذين رافقونى أثناء مراسم تقديم أوراق الاعتماد وتم إبلاغ جميع البعثات الدبلوماسية في موسكو بالحدث كما تقتضى الأعراف الدبلوماسية، وكان علىّ بعدئذ أن أبدأ زيارات المجاملة

والتعارف مع المسؤولين السوفييت أولا في الخارجية ثم مع السفراء الأجانب وكان هناك وقتئذ قرابة مائة وستون سفارة في موسكو وهذا يعنى مائة وستون زيارة متتالية أى ما لا يقل عن أربعة أشهر في زيارات المجاملة هذه وهى لابد أن تتم حسب أولويات وجود السفراء في البلد يضاف إليها المناسبات الاحتفالية التى تقام في الأعياد القومية لكل بلد وإستقبال زوار الاتحاد السوفييتى من رؤساء الدول في المطارات ومن تقاليد الخارجية السوفييتية أن الزائر إذا كان من أفريقيا جمعت كل سفراء أفريقيا بالمطار وإذا كان من آسيا فعلت نفس الشئ للسفراء الآسيويون أو من الأمريكتين وهلم جرا، وكل هذه المراسم والاحتفالات تجعل أى سفير منشغلا ليلا ونهارا وعلى حد التعبير الشعبى الليبى (لن تجد وقت أتحك فيه راسك) وهناك كذلك بالنسبة لنا استقبال الوفود الليبية المدنية والعسكرية وهى كثيرة لا تنقطع ومطالبها أيضا كثيرة مع تأفف أغلب أعضائها الذين تعوّدوا على التعامل مع الغرب وأضواء الغرب وليس في رؤوسهم إلا الغرب الذي يدفع الرشاوى ويقدم أشياء لا أود ذكرها هنا وجميعها مغريات لهؤلاء الذين عاشوا على تلك الملذات وهى التى لا يوفّرها الاتحاد السوفييتى ولا هى من تقاليده في التعامل مع دول العالم.

وبسبب تأفف مسؤولينا كثيرا ما فشلت مباحثات هامة ومفيدة في وقت كانت فيه بلادنا في أشد الحاجة إلى وسائل الدفاع والمساندة في المحافل الدولية من بلد كالاتحاد السوفييتى وتأثيره فى السياسة الدولية ووضوح مواقفه مع حركات التحرير والدول التقدمية، وبلادنا واحدة من تلك البلدان واحتياجاتها العسكرية والسياسية كثيرة وملحّة وهامة وهى تواجه كثير من احتمالات العدوان أو حتى الحروب..

ومع كل هذه المشاغل فقد كنت أقتطف سويعات أشاهد فيها تلك الإبداعات التى يقدمها فنانو مسرح (البولشوى) وهو من أشهر المسارح في تلك البلاد، وفرق الباليه في روسيا ذات شهرة عالمية وهى كثيرة (غالبا في كل مدينة بالاتحاد السوفييتى) وإذ كنت في بنغازى أثناء عملى محافظا أو عميدا أتابع المسرح الناهض وأولئك الشباب الذين يحاولون رغم كل الظروف تقديم ما يمتّع القليل من الناس الذين يرتادون المسرح، فإن هذه الرغبة لم تفارقنى عندما كنت سفيرا ومشاغل السفارة لا حدود لها وكانت تلك متعتى الوحيدة في موسكو..

ومسرح البولشوى يقدم أعمالا إبداعية بحيث لا يتسع المسرح إلا بقدر لرواده الكثر، ولهذا فإنك لا تستطيع الحصول على تذكرة الدخول ما لم تبادر قبل يوم أو اثنين من العرض بشراء تذكرة أو تذاكر، وكان لى صديق يتمتع بعلاقات طيبة مع مدير البولشوى ألجأ إليه كلما أتاحت مشاغلى فسحة من وقت، ومن أجمل ما يتمتع به الإنسان في هذا البلد هو المسرح والموسيقى والكتاب وبأثمان زهيدة جدا، وما أعتز به ضمن مقتنياتى القليلة تلك اللوحة التى أهدتنى إياها لجنة التضامن السوفيتية وهى تحمل رسم جمال عبدالناصر بالألوان وقد كتب عليها (جمال زعيم العرب وصديق السوفييت) وقد أبدع في رسمها الفنان الروسى (بارنانوفسكى) وأنا أضعها الآن في صدارة صالون جلوسى (ببيتى المتواضع) .

وأذكر أن موقف تلك الدولة كنا في أشد الحاجة إليه في وقت كان الخلاف السياسى يظهر على كل المستويات مع سياسات الرئيس أنور السادات في مصر، ذلك الخلاف الذي أدى فيما بعد إلى مواجهات عسكرية

وتقاتل على الحدود بين البلدين وبذلك تحوّل الوضع من محاولات الوحدة أو حتى الاتحاد أو التعاون إلى القتال وهى المرة الأولى التى يحدث فيها ذلك عبر تاريخ الشعبين الشقيقين، كما كان هناك توترا آخر مع الجار الجنوبي (تشاد) والجنوبي الشرقي (السودان) وإذ كان هؤلاء الجيران يحصلون على التأييد السياسى والدبلوماسى وحتى العسكرى من الغرب (فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية) فقد كان على ليبيا أن تسعى للتقرب من الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى وتوثيق الروابط الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية معها حيث إنه كان من الواضح أنك لا يمكن أن تكون اشتراكيا أو قل مستقلا ويرضى عليك الرأسماليون فى الغرب الأمريكى والأوربى بمعنى أنك لابد أن تأتمر بأمرهم.

في هذا الوقت مرضت والدتى واشتد بها المرض ولم يعرف الأطباء نوع المرض وقد جئ لها بالطبيب بعد الآخر ولم تفد مع مرضها تلك الأدوية الكثيرة التى كان يأمر بها الأطباء وكان عليّ رغم كل المشاغل أن أطلب الأذن في أجازة قصيرة من أجل الوقوف بجانبها ومحاولة البحث لها عن علاج، وبعد فترة تقرر إرسالها للعلاج في الخارج وما كنت أريد لها أن تعالج في غير بلادى وعارضت في بادئ الأمر لكن والدى كان في غاية القلق وخفت أن تتوف فيظن أننى كنت سببا دون أن يفهم قصدى وما كان لى أن أغضبه ولهذا وافقت على سفرها إلى لندن وإذ كنت ملتزما بمواعيد عمل كثيرة إضافة إلى أن الأجازة القصيرة قد انتهت انتدبت أحد أقاربى لمرافقتها في العلاج، وكان والدى حزينا لمرضها اشد الحزن ولم أره يضحك أو حتى يبتسم منذ غادرت والدتى البيت للعلاج في الخارج وكنت أدرك أسباب قلقه ذلك أن زواجهما

كان عروة وثقى بينهما وعلاقة حميمة طويلة، ورأيت أن سلواه الوحيدة كانت تلك العلبة الصغيرة التى تحمل مسحوق التبغ (النشوق) الذي صار يكثر منه وهو يدفعه في أنفه بين وقت وآخر ربما ليهدئ أعصابه وليبعث في نفسه بعض الطمأنينة، وكنت أضرع لله أن يلهمه مزيدا من الصبر، وكذلك صار لا يستمع إلا للقرآن الكريم وبشكل خاص سورة البقرة من شريط يضعه في جهاز راديو صغير يدور طول الوقت ولقد تحوّل البيت إلى شبه مأتم طيلة فترة غياب الوالدة والى أن مَن الله عليها بالشفاء وعادت معافية كما عادت الحياة إلى طبيعتها في بيتنا لكن ذلك الشفاء لم يكن دائما فقد جاء في التقرير الطبى أن مرضها عضال ولا شفاء منه على أننى لم أبلغها بما في التقرير ولا عرف والدى بذلك وما لبث المرض حتى تجدد وقد أدخلت مستشفى البلدية في بنغازى وهو من أحسن المصحات حينئذ علاجا وعناية وكان عليّ أن أعود من موسكو مرة اخرى لأكون بجانبها لكنها رأت أننى أترك عملى ولهذا كانت تقول أنها بخير ولا يجب أن أبقى هكذا معها تاركا مسؤولياتى، وبسبب إلحاحها غادرت على أمل أن أعود المرة الثالثة لأجدها معافية في البيت ولكن كما قيل (إذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع) انتقلت إلى رحمة الله يوم ٢٦ أبريل ١٩٧٥ كما عرفت فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن أوصت ألا تنقل إلى البيت وإنما إلى المقبرة مباشرة، وعندما سألت قيل لى أنها كانت لا تريد لأطفالى الصغار أن يروها ميتا.

عدت إلى بنغازى عند إبلاغى لأجدها قد دفنت وأن البيت صار مأتما كما هى العادة في حالات الوفاة عند الناس في هذا المجتمع، ورغم أن والدى كان صبورا مؤمنا فقد ترك كل شئ حتى دكانه لم يعد يجلس فيه وقد انكب

على الصلاة والتسبيح وظللت أحاول أن أهوّن عليه قائلا في كل مرة أن الموت علينا حق وما كان يثير قلقى أنه كان في كل مرة يقول أنه لن يعيش بعدها لأكثر من سنة، وسبحان الله فقد حدث تماما ما قاله إذ لم يمر على وفاة رفيقة عمره أكثر من أحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما حتى مرض وخلال ثلاثة أيام توفى ودفن بجوار رفيقته في مقبرة (سيدى عبيد ببنغازى) أى أنه عاش بعدها أحد عشر شهرا وسبعة وعشرون يوما ولقد كنت بجانبه عندما رفع سبابته ليتلو الشهادة ومال رأسه إلى اليمين وقد أصفرّ وجهه، وما أصعب تلك اللحظات وما أبشع رهبة الموت ولكنى حمدت الله أنهما انتقلا إلى الرفيق الأعلى وهما راضيان عنى وقد أديا فريضة الحج مرتين ثم زارا الأراضى المقدسة معتمرين وحاجين فيما بعد، وهذا الإحساس عوّضنى كثيرا عن فقدهما فلم أجزع.

عدت إلى عملى في موسكو وأن لبعض المهام لأننى في داخلى قررت أن أترك أى عمل في الخارج مهما كانت الأمور إذ لم يعد هناك من يؤانس أولادى الصغار، ولقد كانت هناك ترتيبات لأن يقوم السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى السيد (بريجنيف) بزيارة لمصر رغم الخلاف السياسى الذي خلقته سياسة الرئيس السادات الموالية للغرب وتحديدا للولايات المتحدة الأمريكية وإجراءاته التى اتخذها ضد رجال عبدالناصر وتخليه تماما عن سياسة عدم الانحياز والتشكيك في المنتجات السوفيتية ومنها السلاح الذي كان يستعمله جيشه وطرد الخبراء السوفييت من مصر عسكريين ومدنيين.

ومن جانبى كنت أسعى مع بعض الأصدقاء بأن أحصل على موافقة أحد القادة الآخرين (بدقورنى أو كوسيجين) لزيارة ليبيا، وبقدرة قادر ألغيت زيارة

بريجنيف إلى مصر (دون جهد منا) وتمت الموافقة على أن يقوم السيد (كوسيجين) بزيارة رسمية لليبيا تستغرق أربعة أيام وقد وضع برنامجا حافلا لهذه الزيارة التى عدّت نصرا مؤزرا للدبلوماسية الليبية، وكان كوسيجين قبل القيام بالزيارة يستدعينى بين وقت وآخر مستوضحا بعض الأمور في ليبيا على الرغم من أنهم لابد أن يعرفون كل شئ فى ليبيا وغيرها فى المنطقة والعالم.

قال ذات مرة أنه قد يزعجه أن يبحث مع القذافى الشأن الدينى لأنه ملحد بينما القذافى مسلم متشدد (على حد تعبيره) وكان علينا أن نبلغ هذا للقيادة الليبية بحيث يتم تحاشى الإشارة إلى هذا الموضوع، وسألنى في مرة أخرى ماذا يمكنه أن يهدى القذافى في هذه الزيارة والهدايا في مثل هذه الحالة تعتبر مسألة بروتوكولية؟ ولقد وفقّنى الله في أن أعرف أن هناك نسخة من القرآن الكريم موجودة في طشقند وهى أقدم نسخة من القرآن الكريم أهديت للمسلمين في سمرقند على عهد الخليفة (عثمان بن عفان رضى الله عنه) عندما تم جمع القرآن الكريم وكانت واحدة من ثلاث نسخ فى ذلك الوقت..

قلت للرفيق كوسيجين أن نسخة من هذا المصحف الإسلامى ستكون أجمل وأثمن هدية تقدم للعقيد القذافى أثناء زيارتكم، وافق على الفور، وأذكر أننى أشرت إلى هذا الموضوع فى كتابى عن الاتحاد السوفييتى وكيف أن نقل تلك النسخة الكريمة من كتاب المسلمين قد أدت إلى حرب شبه أهلية ولم ترجع تلك النسخة إلا بعد قيام الثورة البلشفية بأمر من لينين.

وهكذا أعدت نسخة من ذلك الكنز الذي لا يقدر بثمن قدمت للعقيد القذافى أثناء زيارة رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى السيد كوسيجين بعد أن وضعت في حافظة جلدية رائعة، وكان علىّ أن أسبقه إلى طرابلس بحيث أكون

ضمن المستقبلين، وعند وصوله تشكلت لجنة شرف وهذه عادة ما ترافق الزائر في جولاته حسب البرنامج المعد، وبعد المباحثات والاتفاقات العديدة التى وقعت كان ضمن برنامجه زيارة بنغازى باعتبارها المدينة الثانية في ليبيا بعد طرابلس العاصمة (وكنت قبل الزيارة قد ذكرت للسيد كوسيجين في واحدة من اللقاءات أننى كنت عميدا لبنغازى وأنا أعرف انه كان فى زمن سابق عميدا لمدينة لينينغراد وتمنيت أن توضع في برنامج زيارته مدينة بنغازى وهو ما تحقق) واثناء إعداد البيان الختامى حدث أول خلاف فقد حاول التريكى (كان مدير إدارة بالخارجية وقتئذ) أثناء إعداد البيان الختامى فرض تعبير رفضة الجانب السوفييتى بشدة في حين تمسك به هو وقد اقترح الجانب السوفييتى صيغة بديله ومنطقية لكن هذا رفض، والتعبي ذاك يقول (عمر المختار شيخ الشهداء على الإطلاق) وقال الوفد السوفييتى أنه لا يمكن أن يقبل غير تعبير (عمر المختار شيخ الشهداء الليبيين) وقد حاولت إقناع التريكى بمنطق الاقتراح السوفييتى لكنه أصر (وربما) كان بذلك يحاول إفشال الزيارة وهنا أبلغت أبو زيد دورده وكان وكيلا لوزارة الخارجية الذي سحب التريكى من الاجتماع وكلفنى بإنهاء البيان الختامى مع الوفد السوفييتى وجاء التعبير (شيخ الشهداء الليبيين).. كانت هذه أول مشكلة..

ومرة ثانية فى هذا الجزء من الزيارة كادت أن تحصل مشكلة بروتوكولية أخرى فقد حاول الليبيون أن يقنعوا الزائر الكبير بأن يستخدم طائرة ليبية طالما أنه سيطير داخل الأجواء الليبية لكنه رفض بإصرار ولو لم يتراجع الجانب الليبى لكانت زيارة بنغازى قد ألغيت لأنه قال أن الوسيلة الوحيدة التى يستعملها القادة السوفييت هى الطائرة المخصصة لهذا الغرض،

والحق أنها طائرة مجهّزة بكل أدوات التكنولوجيا المتقدمة جدا، أقول هذا لأننى رافقته في نفس الطائرة إلى بنغازى والعودة منها، ومن المتبع في زيارات القادة السوفييت أن يسبقهم عدد من الخبراء والمختصين في الأمن بحيث يدرسوا كل شئ على الطبيعة، وفى زيارة كوسيجين للجبل الأخضر قرب بنغازى (وكانت بناء على طلب الجانب الليبى) سبقه خبراء لدراسة المكان والمياه وغير ذلك حتى أن بعض المشرفين على مشاريع تلك المنطقة صاروا يتندرون على تلك الاحتياطات كأنما الشيوعى أو الاشتراكى لا يحتاج إلى تلك الاجراءات الصحية والأمنية !! وبعد العودة إلى طرابلس وقبل إنتهاء الزيارة أقام الرائد جلود مأدبة غذاء باعتباره رئيس وزراء ليبيا على شرف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى في المدينة السياحية بطرابلس وحدث أن كنت أجلس على مائدة الغذاء في الجانب الذي يجلس فيه الرائد عمر المحيشى وبيننا وكيل وزارة الخارجية وقتئذ أبو زيد دورده فخاطبنى المحيشى وكانت بيننا خلافات كثيرة قائلا يا سفير (متجاهلا اسمى عن قصد) أريدك أن تكون في استقبالى عند زيارتى لموسكو (وأنا أعرف أنه كان مدعوا للزيارة وبذلت في ترتيب تلك الزيارة جهدا كبيرا) فقلت آسف لدى ظروف عائلية وسوف أذهب إلى بنغازى حال انتهاء زيارة كوسيجين، فعاد وقال بتعال، لابد أن تكون هناك، وكررت القول أن ذلك غير ممكن خصوصا أن هناك قائم بالأعمال في السفارة وأن برنامج الزيارة معد ومرتب، وهنا تدخل وكيل الوزارة قائلا انه سوف يتولى الموضوع وكان يعلم أننى لن أتراجع عن موقفى وهو يعلم بالخلافات التى بيننا منذ وقت طويل إلا أنه أراد أن ينهى النقاش كى لا يحدث ما يعكر الجو بسبب عصبية وتوتر الرائد المحيشى باعتباره عضو قيادة ويعتقد أنه يستطيع أن

يأمر فيطاع على الرغم من أننى كنت على غير وفاق معه منذ كان مشرفا على لجان الوحدة بين مصر وليبيا، والحقيقة أننى رغم ذلك الخلاف ما كنت لأمتنع عن استقباله أثناء زيارته لموسكو لولا أن والدتى قد توفيت منذ فترة قصيرة وكان علىّ أن أواسى والدى ولو لعدة أيام بالبقاء إلى جانبه في هذه المحنة التى أفقدته رفيقة عمره كما أن المعزّون مازالوا يتوافدون على أهلى فى بنغازى ولابد لى أن أكون هناك حتى انتهاء فترة العزاء على الأقل ..

سافر الرائد المحيشى إلى موسكو في زيارة رسمية بينما بقيت في بنغازى لكن وكيل الخارجية وكان صديقا له مكانة خاصة في نفسى طلب منى أن لا أجعل موقفه صعبا بعدم حضورى مع المحيشى في زيارته، وعندما لاحظ إصرارى قال على الأقل سافر خارج البلاد إلى أى مكان بحيث يمكننى أن أرد على المحيشى إذا ما سأل أنك خارج البلاد على شرط أن تبلغنى عن المكان الذى تبقى فيه، وهكذا سافرت إلى رومانيا بعد بنغازى وأقمت ببوخاريست وأبلغت الأخ أبو زيد عن مكانى ورقم هاتفى وبعد يوم واحد فوجئت باتصال من طرف المحيشى الذى كان فى موسكو واعتقدت أنه سوف يطلب مجيئى وكنت مصمما على عدم تلبية طلبه مهما حدث لكنه قال لى أنه أدرك أنه لم يعزّينى فى وفاة والدتى ولهذا اتصل من أجل التعزّية فقط، وما كان لهذا الجانب الإنسانى إلا أن يؤثر فقررت أن ألتحق به بعد هذا الموقف الذى قدّرته عاليا، التحقت به بعد يومين من وصوله موسكو وقد أبلغنى القائم بأعمال السفارة الذي استقبلنى في المطار أن الرائد المحيشى وزوجته وضعا في حجرة واحدة بفندق (روسيا) وكانت تلك معاملة غريبة جدا إذ إنه من المعتاد أن ينزل كبار الزوار في بيوت خاصة معدّة أصلا لرؤساء الدول وكبار الزوار وهذه البيوت تقع على تلال لينين قرب مبنى الجامعة وهى مرتفعات خضراء جميلة، وعندما

ذهبت لمقابلته وجدته ثائرا يلعن اليوم الذي عرف فيه حتى اسم هذا البلد وهؤلاء الناس (يقصد الاتحاد السوفييتى وقادته) ولقد حاولت أن أهدئ من ثورته متعللا ببعض الأعذار واعدا بأننى سأعرف السبب إذ ربما هناك أمر غير مقصود ولكنه لم يهدأ حتى أنه حاول قطع الزيارة وعدم توقيع بروتوكول التعاون الذي كان معدا وعدم حضور مأدبة الغذاء التى كانت على شرفه (مجاملة) لكننى بعد جهد جهيد أقنعته بأنه ليس من اللائق أن يغادر وأن لا يوقّع ما جاء من أجله مهما كانت أسباب ما حدث له، قرر أن يغادر فورا بعد الغذاء في نفس اليوم متجها إلى (سالزبورج بالنمسا) فقلت له إننا في السفارة ننصح بعدم القيام بهذه الزيارة أو على الأقل تأجيلها إذ إنها تتوافق مع زيارة رسمية يقوم بها الرئيس السادات للنمسا وسوف تفسّر وسائل الإعلام زيارتك كما لو أنها محاولة للتصالح مع السادات أو أنها لافساد زيارته ولابد أن السفارة النمساوية قد أبلغت جهات الاختصاص هناك قبل أن تعطيك تأشيرة الدخول وأخبار الزيارة في هذه الحالة لابد أن تكون قد تسرّبت أو هى سرّبت لوسائل الإعلام في النمسا وغيرها في حين أن وسائل الإعلام تلك على علم بما حدث ويحدث من خلاف بين ليبيا ومصر، فقال إنه مصرّ على القيام بهذه الزيارة ولا يهمه رأى السفارة ولا ما سيقوله الإعلام، قلت له لعلمك فإن واجبى يقتضى بأن أبلّغ وزارة الخارجية الليبية بما دار بيننا، قال افعل ما تشاء فلا أنت ولا الخارجية يمكن أن تمنعنى من هذه الزيارة.

وفى الاجتماع مع الجانب السوفييتى بصعوبة وعلى مضض وقّع مع الجانب السوفييتى بروتوكول التعاون وحضر مأدبة الغذاء التى أقيمت على شرفه لكنه كان كما لو أنه فى مأتم وليس بين مسؤولين يقوم بزيارتهم كما أنه لم يرد على كلمة الجانب السوفييتى التى ألقاها وزير التصنيع الروسى وقد جرت

العادة أن يلقى المضيف كلمة ترحيب ويرد الضيف بكلمة شكر أو إشادة أو شئ من هذا، وكان المحيشى مباشرة قبل فترة الغذاء قد أرسل زوجته وحقائبه إلى المطار.

وودّعناه بالمطار وكان غاضبا منى ومن السوفييت، وعندما رجعت إلى مكتبى أبرقت إلى الخارجية بكل التفاصيل وكما يقال (رب ضارة نافعة) فلقد حدث أنه بعد أن أكتشفت محاولة الانقلاب التى خطط لها الرائد المحيشى وآخرون (كما أعلن في ليبيا) تطوّع أحد أعضاء المخابرات الليبية بكتابة تقرير قال فيه أننى وسفير آخر كنا على علم بالمحاولة تلك، وأن المحيشى وعدنا بمناصب وزارية وهكذا استدعيت والسفير الآخر إلى طرابلس وما حال دون إثبات تلك التهمة ضدى إلا تلك البرقية التى أرسلتها من موسكو والخلاف الذي حدث بيننا أثناء زيارة كوسيجين إلى طرابلس (ويعلم الله) أننى لم أعرف شيئا مما نسب إلى ظلما وقد سجن السفير الآخر ولابد أنه أيضا لا يعلم شيئا لكن الظرف كان عصيبا في ذلك الوقت (وما أكثر المخبرين الذين لا هم لهم سوى إلصاق التهم جزافا بالناس نفاقا وتقربا من الحكام) وفى مثل تلك الحالة لا أحد يتحرى الحقيقة، ويحدث أن تنسب الأشياء للناس إما لأسباب شخصية وفى أحيان أخرى لمجرد الظهور بمظهر الحرص الكاذب على النظام القائم (أى نظام) ولا حول ولا قوة إلا بالله، والواقع أننى حتى قبل استدعائى إلى طرابلس كمتهم كنت قد قدمت استقالتى ذاكرا فيها سبب واحد وهو أننى بعد وفاة والدتى لم أعد قادرا على البقاء بعيدا عن والدى وأسرتى وكان وزير الخارجية وقتئذ أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ويدعى (عبدالمنعم الهونى) قد أبلغنى شخصيا عند استدعائى إلى مكتبه أن استقالتى قُبلت وعلىّ أن أذهب لتوديع

زملائى، ولهذا غادرت من فورى إلى موسكو وأبلغت الخارجية السوفيتية رسميا بانتهاء مدة عملى، وكنت في هذا الوقت قد انتهزت الفرصة فسجلت في جامعة موسكو لدراسة الماجستير في الاقتصاد والعلوم السياسية التى سيشرف عليها الدكتور (جيناديروف بوتين) ثم باشرت مراسم التوديع وبعد قرابة شهر عدت إلى بنغازى باعتبارى مستقيلا وصرت أفكر فيما يمكن أن أعمل خلال الفترة القادمة .

وعندما تحسّنت صحة والدى بعد قرابة شهرين قابلت وكيل وزارة الخارجية في طرابلس طالبا رسالة قبول استقالتى لكنه (ويا للمفاجأة) أبلغنى أن كلام وزير الخارجية ذاك لم يكن صحيحا وأن الاستقالة لم تقبل وأن الوزير نفسه متهما بالتآمر والإشتراك في محاولة المحيشى وأنه هرب إلى الخارج !!

لم أعرف السبب في ذلك التصرف من وزير مسؤول حتى هذه الساعة، وكان علىّ أن أباشر عملى مرة أخرى كسفير لبلادى ولكن في مكان آخر، وكان هذا المكان الآخر في بلدين فى وقت واحد هما (لبنان وقبرص) لبنان الذي تجتاحه حرب أهلية وقبرص التى مازالت تلعق جراحها من انقلاب سابق لم يدم طويلا.

وكانت الحرب الأهلية فى البلد الأول قد قسّمته إلى جزئين متحاربين وبالتالى لم تكن هناك أنشطة دبلوماسية كثيرة وكذلك الحال بالنسبة للبلد الثانى، وهكذا كان لدى الكثير من الوقت بحيث خصصت متسعا من الوقت للقراءة والكتابة فألّفت كتابين بالتوالى عن الاتحاد السوفييتى الأول بعنوان (خرافة الستار الحديدى حول بلاد السوفييت وقد ترجم هذا إلى عدة لغات كالروسية والدارية والألمانية والأكرانية) والثانى بعنوان (الاتحاد السوفييتى نظرة

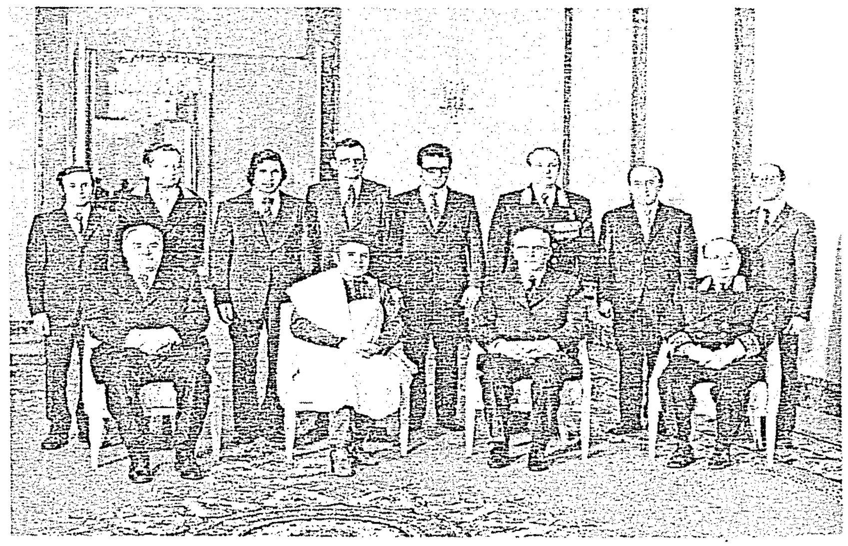
من الداخل وقد نشر الأخير قبيل انهيار هذا البلد الكبير ولا أعلم ما إذا كان قد ترجم إلى لغات أخرى) وكنت تبرّعت بريع ترجمات الكتاب الأول لصندوق السلام السوفييتى الذى أنشئ حديثا أى قبل انهيار هذا البلد الكبير بوقت غير طويل.

وعندما منحتنى لجنة جائزة أبي على بن سينا تلك الجائزة (وهى في الأدب من أجل السلام) وكنت أحد عربيين منحا هذه الجائزة وهى عبارة عن وسام ومبلغ مالى قبلت الوسام وتبرّعت بالمبلغ المالى لنفس الصندوق وأذكر أن العربى الذى منح تلك الجائزة قبلى هو المرحوم الشاعر الفلسطينى محمود درويش.

عندما تسلمت الجائزة فى حفل رسمى بموسكو وجهت الدعوة إلى السفير الليبى وبعض أعضاء السفارة باعتبار أن المكرّم مواطن ليبى لكن هؤلاء لم يهتموا ولقد آلمنى ذلك لأننى كنت أرى أن التكريم لليبيا وليس لشخصى فقط، بينما كان عددا من الدبلوماسيين العرب قد حضروا ذلك الحفل وبالتأكيد لاحظوا عدم وجود السفير الليبى ولا غيره من الليبيين وهو موقف يوحى بأنهم لا يقدرون أنفسهم بعدم تقدير أحد مواطنيهم!!

وعلى أى حال فأنا أرى أن من لا يقدر مواطنيه لا يحترم وطنه، ولا أقول ليس مواطنا، ذلك أن ما يمنح لمواطن من أى بلد إنما هو تكريم وفخر للبلد الذى ينتمى إليه.

مع رئيس هيئة اتحاد الجمهوريات السوفييتية بودقورنى بعد تقديم أوراق اعتمادى وأعضاء السفارة والمسؤولين السوفييت بمكتب الرئيس..



جائزة ابن سينا لثاني عربي الأول الشاعر الفلسطيني محمود درويش

والثاني عبد الوهاب الزنتاني

جائزة ابن سينا الدولية

في العام ١٩٨١ اقيلت وكالة انباء نوفوستي بالاشتراك مع منظمات اجتماعية وثقافية وعلمية ودينية في الاتحاد السوفياتي و منظمات مماثلة واشخاص في بلدان آسيا وافريقيا على أستحداث جائزة دولية تحمل اسم العالم الموسوعي العظيم ابي علي بن سينا .

وتقوم لجنة حكم دولية بمنح الجائزة سنويا لمواطن سوفياتي . وممثل للبلدان الافروآسيوية لقاء افضل نتاج في مجال الادب والصحافة و العلوم الاجتماعية . و العمل في سبيل تعزيز السلام والصداقة بين الشعوب الافروآسيوية والاتحاد السوفياتي . ويمكن ايضا منح الجائزة لاتحادات الفنانين والعلماء .

وقد منحت جائزة ابن سينا للشاعر الفلسطيني محمود درويش والكاتب الليبي عبد الوهاب الزنتاني والشاعر الباكستاني فايز احمد فايز والشخصية الاجتماعية الفليبينية والمؤلفة الموسيقية لوكريتسيا كاسيلاغ والمجلة السوفياتية " آسيا وافريقيا اليوم " ومعهد بلدان آسيا وافريقيا التابع لجامعة موسكو . وبنشاطهم الفعال اسهم هؤلاء الفائزون للجائزة واولئك الذين لم نذكرهم بقسط كبير في قضية تعزيز اواصر الصداقة والتفاهم بين الشعوب . مجسدين بذلك عمليا مثل الانسانية والعدالة والسلام التي عمل من اجلها ابن سينا .

هذا وان لجنة الحكم الدولية تعلن انها سوف تنظر في العروض الفردية والجماعية لاختيار الفائزين بالجائزة للعام ١٩٨٩ التي تتلقاها في موعد اقصاه الاول من حزيران (يونيو) على العنوان التالي : الاتحاد السوفياتي . ١٠٣٧٨٦ . غ س ب . موسكو . ك ٢١ . زوبوفسكي بولفار ٤ . وكالة انباء نوفوستي .

ДИПЛОМ

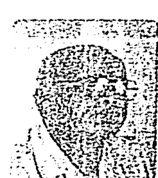
Лауреату Международной премии
Агентства печати Новости
имени Абу Али ибн Сины (Авиценны) за 1986 год
АБДЕЛЬ ВАХАБ АЗ-ЗИНТАНИ
за деятельность, направленную на укрепление мира и дружбы
между народами Азии, Африки и Советского Союза

Сопредседатели Международного жюри

РАФИУДДИН ХАН Республика Индия	МИРЗА ИБРАГИМОВ СССР

Члены Международного жюри

ДАО ТУН Социалистическая Республика Вьетнам	ШЕЙХ АБДУЛГАНИ АБДУЛЛА СССР
ЛУКРЕЦИЯ Р. КАСИЛАГ Республика Филиппины	МУХАММЕД АСИМОВ СССР
МАФИЗУЛ ИСЛАМ Народная Республика Бангладеш	АНАТОЛИЙ ГРОМЫКО СССР
АСАДУЛЛА ХАБИБ Демократическая Республика Афганистан	ЕВГЕНИЙ ПРИМАКОВ СССР
АБДАРРАХМАН ХАМИСИ Арабская Республика Египет	ПУЛАТ ХАБИБУЛЛАЕВ СССР
АХМЕД КЬФТАРУ Сирийская Арабская Республика	НИКОЛАЙ ФЕДОРЕНКО СССР
БАРДЖЕС Х. АЛЬ-БАРДЖЕС Государство Кувейт	ВАЛЕНТИНА ФЕДОТОВА СССР
ИБРАГИМ ЗИМАС Федеративная Республика Нигерия	КАРЕН ХАЧАТУРОВ СССР





الفصل السادس

سفير في بلد الموت

عندما أبلغت بعدم قبول استقالتي اعتقدت أن جهودى كانت مقدّرة وهكذا عدت إلى العمل الدبلوماسى مزودا بطاقة تنبع من اعتقادى ذاك ويا لهول ما اكتشفت عندما وصلت بيروت عاصمة لبنان حيث الموت يرفرف على الرءوس في كل مكان وقدّرت أننى أرسلت ليس للعمل وإنما للموت المحتم إذ إن الصواريخ والقنابل في هذا البلد كالماء والهواء، وكم هالنى ما وجدت (سفارة مهدمة تم الاستيلاء على كل ما فيها ونسفت مبانيها، قلق يسيطر على من بقى من موظفيها بينما كان اسم ليبيا وكل ليبى على قائمة الأعداء الألداء بالنسبة لقرابة نصف سكان لبنان ولا يستطيع أى دبلوماسى ليبى التحرك أبعد من بيروت الغربية !) ولا يستطيع أن يمشى مسافة كيلومتر واحد مستقيما دون أن يتخفى فى مبنى أو أى مكان إتّقاء القصف العشوائى حيث تنهال القنابل والصواريخ فجأة إضافة إلى وجود القنّاصة على أسطح المبانى ومهمتهم القتل دون تمييز.

في البلاد أحزاب وتنظيمات ومنظمات ومليشيات وجيوش جميعها تحمل السلاح ومن كل نوع، تداخل عربي وأجنبى، وتدخل في مختلف الأمور، الحرب في كل مكان والقتل في كل موقع، وكانت الحرب الأهلية تلك بين المسيحيين والمسلمين ومن ضمن المسلمين الفلسطينيون (المنظمات الفلسطينية التى تنتشر في بيروت الغربية ولكل منها قيادات وارتباطات) وأغراض ونوايا ومواقف منفلتة..

كان الجانب المسيحى يتهم ليبيا بالوقوف عسكريا وسياسيا مع الجانب المسلم، وتلك حقيقة لأن الجانب المسيحى ذاك كانت وراءه الدولة الصهيونية واتحاد الكنائس العالمى وبعض الدول الغربية، وبالتالى كانت المليشيات المسيحية تقصف السفارة الليبية بمنطقة الرملة يوميا بالقنابل والصواريخ ولا يستطيع أحد في هذه المنطقة خلال ثلاثة أرباع اليوم وكل الليل التحرك من مكان إلى آخر مطمئنا لأن الشوارع في الغالب مقفلة والمليشيات في كل مكان وإطلاق النار متواصل بين أطراف كثيرة دون أن يعرف أحد من هو الصديق ومن هو العدو إضافة إلى ما كان يعرف بالقنّاصة الذين يقتلون الناس دون تمييز وهم يطلقون النار من فوق أسطح البنايات وكأنهم هواة قتل، ولم تكن هناك مواصلات جوية أو برية ولا اتصالات هاتفية في الغالب، ومع الأسف لقد كرر الفلسطينيون نفس الأخطاء التى ارتكبوها في الأردن عندما أتاحوا لجيش الملك حسين أن يستخدم القوة ضدهم وفرصة للملك حسين كى يتخلص منهم وكانوا فى الواقع كأنهم هم الذين يحكمون البلد وأصحاب الحق فيه دون تقدير أو احترام للنظام القائم والسكان الأصليين..

وهنا في لبنان لم يعد هناك من يمكنه أن يقوم بذلك الدور الذي كان يقوم به الرئيس جمال عبدالناصر حيث كانت كلماته ترسم الخطوط الحمراء التى لا يمكن تجاوزها كما فعل سنة ١٩٧٠م عندما انفجر الوضع بين المنظمات الفلسطينية والنظام الأردنى، وأذكر أنه أثناء زيارته لبنغازى في يونيو ١٩٧٠م كان يبدى القلق الشديد بشأن وضع المنظمات الفلسطينية في لبنان ويقول لقد حذّرت زعماء المقاومة الفلسطينية كما كنت فى السابق قد حذرتهم فى الأردن وكذلك الملك حسين بأن إسرائيل تسعى لتفجير الوضع بين الفلسطينيين

والجيش الأردنى وهو الشئ الذي يخدم أغراضها ويخلق فتنة بين الأردنيين والفلسطينيين تدوم طويلا وأن أى صدام يحدث سوف يجعل الجيش الأردنى يقضى تماما على الفدائيين الفلسطينيين، وأنا أعلم أن هناك تجاوزات كثيرة يقوم بها الفلسطينيون تثير حنق وغضب الأردنيين عموما والعسكريون خصوصا، وكنت دائما أقول لأبو عمار إنكم يجب أن تتصرفوا كضيوف على الأردن وعلى غيره وأن تحترموا الشرعية، وهذا ما قلته لأبى عمار والعماد البستانى قائد الجيش اللبنانى وكذلك الرئيس شارل حلو عندما تأزمت الأمور بين الشرعية في لبنان والمنظمات الفلسطينية هناك وكان الجيش اللبنانى على استعداد لسحقهم خلال سنة ١٩٦٩م وقد دعينا كل الأطراف إلى القاهرة في نوفمبر ١٩٦٩م وأوقفنا ما كان يمكن أن يحدث والذى قد يحدث الآن.

تذكرت ما قاله الرئيس عبدالناصر سنة ١٩٧٠م بينما كنت أجلس بين اثنين هما في الواقع أعداء وإن تظاهرا بأنهما صديقان وكانت المناسبة حفل عشاء في بيت الحزب القومى السورى الاجتماعى، والصديقان العدوان هما (أبو عمار وأحمد الخطيب) أحمد الخطيب كان قائد جيش لبنان العربى، وأبوعمار عمار كعادته كان يوزّع الابتسامات وهو يدير نظره بين وجوه الجلوس وكنت بين الاثنين عندما مال علىّ أبوعمار ليسألنى، ألا ترى أننا قد خلقنا في لبنان جيشا عربيا ؟

وقبل أن أرد بادر أحمد الخطيب بكلمات سريعة حادة قائلا :

نحن الذين خلقنا جيش لبنان العربي يا أبا عمار، فرد أبو عمار، طبعا طبعا يا قائد، وهنا قلت المهم إنه جيش لبنان وأأمل أن لا يتحوّل إلى حزب أو منظمة فدائية، لم يعجب كلامى أبو عمار ولم يعلّق بينما قال الخطيب سوف

نجعل كل الجيش عربيا، وهذه كانت مبالغة منه لأنه لابد يدرك أن لا مقومات لهذا الجيش بدون السفارة الليبية وأبو عمار، وكان أبو عمار يرى أنه الحاكم الفعلى للبنان.

سكت أبو عمار ولابد أنه كان يضمر شيئا فقد أحمر وجهه وارتعشت يده اليمنى التى أحسست بها حيث كان يضع يده فى يدى.

وبعد انتهاء حفل العشاء خرج مسرعا (لاختيار) (هكذا يخاطبون رئيس منظمة التحرير عادة) وظهر القلق على وجه أحمد الخطيب فسألنى، هل قلت ما زعّل أبو عمار ؟ رددت عليه قائلا، معلوماتى تقول أن أبا عمار كان العقل المدّبر للانقسام الذي حدث في الجيش اللبنانى ولهذا فهو يريد أن تكون تابعا له شئت أم كرهت، نظر بعيدا وقال ربى يستر.

ولم تمض عشر ساعات حتى دبر أبو عمار انقلابا على أحمد الخطيب بواسطة أحد ضباطه ويدعى (البوتارى) وأبو عمار كان يعتقد جازما أنه الوحيد الذي يحكم كل شئ في لبنان بواسطة مجموعات من الفدائيين الذين يتلقون تعليماتهم من المسؤول على أمن أبي عمار أى (أبو الحسن سلامة) وتلك خطيئة أبو عمار القاتله، وكان أبو الحسن ذاك يستخدم عددا من البلطجية الذين يشوّهون بتصرفاتهم وجه النضال الفلسطيني وكان يعيش كأمير في بلد نفطى خصوصا عندما تزوج ملكة جمال لبنان آنئذ وتدعى (جورجينا رزق) على الرغم من أنه متزوج وله اطفال من امرأة فلسطينية واغتالته الموساد بعد ذلك، ولهذا الزواج والاغتيال قصة أخرى ليس هذا مكانها على الرغم من أننى أعرف تفاصيلها كاملة).

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

ومن تلك التصرفات المشينة التى يؤتيها البعض ممن لا يدركون (أو أنهم مأجورون) أذكر أننى كنت في طريقى ذات يوم إلى السفارة بمنطقة الرملة في بيروت الغربية وعندما وصلت مدخل السفارة وجدت امرأة تصرخ وتلطم خدّيها وتحاول تمزيق ملابسها من جهة الصدر وعندما سألتها قالت أن طفلها الرضيع قد افتكّه منها فلسطيني يقف على حاجز تفتيش بالقرب من السفارة (وكان كل شخص يحمل بندقية يمكنه أن يقيم حاجزا في بيروت الغربية ويعمل ما يحلو له) أخذت المرأة تلك إلى الحاجز وكان هناك أربعة فلسطينيين ثلاثة منهم يقفون على الحاجز وفى أيديهم رشاشات والرابع وهو فيما يظهر رئيسهم يجلس على حجر بالقرب منهم وفى يده (سوكنى الرشاش) الذي يضعه على ركبتيه وعندما وقفت السيارة سألت عن طفل تلك السيدة ولماذا أفتك منها كما قالت عند هذا الحاجز ؟ فرد ذلك الجالس قائلا، هذا رأسه، رفع رأس الطفل بيمناه مقطوعا وكان ذلك منظرا بشعا تقشعر منه الأبدان ولن أنساه في حياتى، فقلت له باشمئزاز دون أن أمعن النظر فى الرأس الذى كان يقطر دما، هل حررت فلسطين بهذا العمل البشع ؟ أجاب لقد قتل ابنى الرضيع أيضا منذ أيام وأقسمت أن أقتل أى طفل لبنانى أجده في طريقى، قلت لا حول ولا قوة إلا بالله، وغادرت المكان بتلك المسكينة محاولا أن أهدئ من روعها وأنى لها أن تهدأ وقد قتلوا فلذة كبدها !بتلك الطريقة البشعة !!

هذه نوعيات من تلك التجاوزات التى كانت تحدث دون رادع ولا ضمير، وما كان يتكرر من بعض الفدائيين في لبنان إذا أمكن أن يقال أنهم فدائيون؟ وهو ما أحدثوه في الأردن مع فارق وحيد بين البلدين إذ قام الجيش الأردنى بعد موقف شجاع من عبد الناصر بإخراجهم من الأردن بدلا من

قتلهم إلى بلد قريب من فلسطين بينما أخرجهم من لبنان الجيش الإسرائيلى إلى أبعد من ذلك (إلى المغرب العربى وتحديدا فى تونس)!!.ومع الأسف فهم لا ينتقدون أنفسهم أبدا.

وضمن هذه الظروف والأحداث كنت شخصيا أحتاج إلى السفر أحيانا إلى قبرص لأننى سفير غير مقيم بها ولذلك يتوجب علىّ حضور المناسبات الرسمية كعيد الاستقلال وغيره، وكانت الوسيلة الوحيدة هى النقل البحرى بقوارب صغيرة تستغرق رحلتها من بيروت إلى لارنكا بقبرص تستغرق ساعات طويلة وتلك رحلة مملّة ومزعجة لسفير ينوى حضور حفل قد لا يستغرق ساعة ثم يعود إلى مقر عمله الرسمى، بمعنى أن حضور مناسبة ساعة واحدة يستغرق سفر في الذهاب والعودة إلى (أكثر من أربعين ساعة) ورغم هذا فقد حدث أن اتهمنى أحد أعضاء القيادة الليبية أننى أهرب من بيروت خوفا من الحرب، والحقيقة أن لموقفه ذاك أسباب إذ أن هناك بوزارة الخارجية الليبية من كان يقدم الأخبار على غير حقيقتها وهو على رأس تلك الوزارة (ولعلنى لست فى حاجة إلى ذكر اسمه هنا) وعندما اتهمنى هذا العضو بذلك (وهو الرائد عبد السلام جلّود) كنت مرغما أن أرد عليه دفاعا عن موقفى فقلت له أنا أقود سيارتى بنفسى وأعيش فى وسط الحرب فى بيروت وعاصرت حربا أخرى فى قبرص حيث كانت الطائرات التركية تقصف كل ما يتحرك على الأرض والآن أتنقل بين لبنان وقبرص بالقوارب التى يمكن أن تغرق فى الطريق لمجرد أننى أشعر بتأدية واجبى أما أنت فكنت محروسا بفصيل عسكرى سورى عندما كنت تزور بيروت وتعود لتقيم بسكن فخم فى العاصمة السورية دمشق (أعترف الآن أن الرد كان قاسيا ولكن تلك طبيعتى ولابد أن أقول أن الرائد عبدالسلام أشاد بموقفى بعد فترة من الزمان عندما عرف الحقيقة).

فى لبنان هذا البلد الصغير الذي كان كل شئ فيه يعلن عن الديموقراطية والحرية ما حدث ويحدث فيه لو كان في بلد آخر لخرب فيه كل شئ ولما تعافى مرة اخرى، لكن الشعب اللبنانى بحويته النادرة لا يتوقف عن العمل والانتاج ذلك أن الخراب الذي تحدثه القنابل يتم إصلاحه في نفس الوقت، مثلا، تتوقف الكهرباء فتجدهم يستخدمون محركات توليد الكهرباء دون أن يتوقف أى عمل، وتنقطع خطوط الهواتف فيبادرون بتوصيلها، ويقل البترين فتظهر براميل البترين في الشوارع، وكانت الصحف اليومية تصدر في مواعيدها اليومية رغم كل ذلك، والملاهى والنوادى تمارس نشاطها ليلا نهارا حتى أن بعض الملاهى أو النوادى كانت تعلن عن حفلاتها كما يلى (حفل ساهر بالنادى الفلانى يرجى الأتصال على رقم الهاتف كذا ونحن نوفر الحراسة المسلحة للراغبين ذهابا وعودة) أى أن الذي يريد السهر ينقل وكأنه ذاهب إلى الحرب والواقع أنها حرب لكن اللبنانى يسّخر حتى الحرب في خدمته لأنه شعب يتمتع بحوية نادرة وقدرة على ممارسة الحياة مهما كانت الصعاب.

وعندما اتفق العرب عبر الجامعة العربية على إرسال قوات عربية إلى لبنان تسمى (قوات الأمن العربية لتحول بين الجانبين المتقاتلين) كانت ليبيا أول من بادر بإرسال قوة بكل معداتها، وأشهد وقد كنت مسؤولا مباشرا أن ما قدمته بلادى للمنظمات الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية يفوق ما قدمته الدول العربية مجتمعة من مواد غذائية تموينية وكذلك من المعدات العسكرية بما فيها مختلف أنواع الأسلحة وكانت السفارة الليبية تدفع مبالغ شهرية لكل منظمة وكل حزب في الجانب الغربى من بيروت، كان الدقيق والسكر والأرز ومختلف المعلبات تصل بالبواخر إلى الموانى في صيدا وصور من ليبيا مباشرة،

وكان تسليح أحزاب الحركة الوطنية التى يقودها السيد (كمـال جنـبلاط) بالكامل يصل أحيانا مباشرة من ليبيا وفى أحيان أخرى من مـصادر الـسلاح نفسها بعضها مباشر ومعلن والبعض الآخر مهّرب وسرى، وفى كل الأحـوال كنا نحن الذين ندفع كل التكاليف، وكنت شخصيا رغم صعوبة السفر أنتقـل إلى قبرص ومنها إلى أثينا باليونان لتأجير البواخر التى تنقل المواد الغذائيـة أو المعدات العسكرية إلى أخوتنا في لبنان دون أن يكون لبلادى غرض أو إنحيـاز إلى جانب دون آخر فى المنظمات الفلسطينية أو الحركة الوطنيـة اللبنانيـة، وعندما انقسم الجيش اللبنانى وصار جزءا منه يسمى جيش لبنان العربى (ولم يكن لنا دورا في ذلك الانقسام) اتصل بالسفارة قائده وبعض عناصره مؤيدين من طرف أبو عمار يطلبون المساعدة في دفع مرتبات أفراد هذا الجيش قمنـا بذلك بلا مقابل سياسى أو عسكرى، وعلى الرغم من أن جيش لبنان العـربي هذا لم يوفق في أن يلعب دورا لا في الحرب ولا في السلام وحـاق بـضباطه وقائده ما ينتج عادة في مثل تلك الحالة حيث اعتقلت سوريا قائد هذا الجيش أحمد الخطيب ووضعته في سجن المزّة بدمشق (ولا أحد يعرف السبب) وكان نائبه ويدعى (النقيب عمر) قد لجأ إلينا في السفارة معلنا انه مهدد في حياتـه وكان علينا أن نحميه فنقلناه وزوجته إلى ليبيا وتلك مغامرة ليعيش في سلام ولم يمس بسوء وبقى محميا هانئا إلى أن استقرت الأمور فى بلاده وعاد.

وحدث في نفس الوقت أن جاءنا من يطلب المساعدة علـى تأسـيس منظمة فلسطينية جديدة وكان هذا (أبو العباس ومعه نفر من رفاقه) فقلنا أن سياسة بلادنا تقوم على منع الانقاسامات وبالتالى منع التقاتل بين الفلسطينيين باعتبارنا مع القضية الفلسطينية ككل والشعب الفلسطيني (وهذا ما تنكر لـه

مع الأسف بعض القادة الفلسطينيين عندما طردوا من لبنان بعـد الهجمـة الإسرائيلية على بيروت وإعلان العقيد القذافى أن إخراج الثورة الفلسطينية من لبنان كإخراجنا من حجرات زوجاتنا) هذا القول كان مبنيا على معلومـات نقلت إليه من أبو عمار شخصيا وكنت أحد ثلاثة ليبيين قابلوا أبو عمار قبـل الغزو الإسرائيلى مباشرة وسمعت ذلك من قائد الثورة الفلسطينية أبو عمـار وفحوى الخبر كما يلى :

(كانت المعلومات تتواتر بأن إسرائيل ستقوم بغـزو لبنـان لإخـراج الفلسطينيين من هناك ولهذا أرسلت القيادة الليبية وفـدا كنـت رئيـسه إلى أبوعمار في بيروت وعندما قابله الوفد ليبلغه المساندة والتأييد الليبيين ويـسأله (ماذا يريد ومـاذا سيفعل تجاه الغزو المتوقع) قال سـوف أقاتـل إلى آخـر فلسطيني ولن أخـرج من لبنان، وأريد كذا وكذا، ثم قلنا يا أبا عمـار نحـن مكلّفون بزيارة الاتحاد السوفييتى وابلاغ القادة السوفييت موقف ليبيا الرسمى تجاه ما يتوقع أن يحدث فى لبنان واحتمال الغزو الإسرائيلى لهذا البلد الـشئ الذى لا تقبله ليبيا فماذا تريد منا أن نقول للقادة السوفييت؟ قال مـا أراده أخى معمر هو ما أريده.

ولهذا فإن موقف ليبيا الذي أعلنه العقيد القذافى كان مؤسسا على مـا قاله أبو عمار لا غير وإن كان أبو عمار نفسه (رحمه الله) قد أنكّر بعد الخروج مواقف ليبيا ومساعداتها، وما أذكره الآن وقد عاهدت نفسى أن أذكر الحقائق دون تحيّز لأحد هو ما حدث تفصيلا..).

وأنا هنا أقدم شهادة للتاريخ بعد أن تقاعدت من عملى الدبلوماسى منذ سنة ١٩٨٩م وبلغت من العمر خمسا وستون سنة، وما أسجله إنما هـو أولا، يمثل رأى الشخصى في مختلف القضايا التى عايشتها أو شاركت فيها..

وثانيا، تجاربى في مجالات العمل التنفيذى والسياسى والدبلوماسى.

وبعد لقاء أبوعمار فى بيروت قبل الغزو الإسرائيلى لهذا البلد مباشرة سافرنا إلى الاتحاد السوفييتى وتحدد لنا موعدا مع أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى (فيما أذكر اسمه عليموف) وبعد المجاملات الدبلوماسية المعتادة فى ذلك حالات أبلغناه تحيات القيادة الليبية وقلقها الشديد بشأن توقع الغزو الإسرائيلى واحتلال عاصمة عربية لأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى، وقلنا أن القيادة الليبية تتوقع موقفا حازما من أصدقائنا السوفييت كما فعلوا سنة ١٩٥٦م أثناء العدوان الثلاثى على مصر عبدالناصر وهو الشئ الذى قدّره عاليا كل الشعب العربى.

هز الرجل رأسه وقال: أين عبد الناصر الآن، ثم أضاف، بعده العرب لا يحاربون ونحن لا نستطيع أن نحارب نيابة عنكم لأننا مسؤولون عن السلام العالمى، توقف قليلا ثم قال: لقد أعطيناكم مختلف أنواع الأسلحة، أعطينا لسوريا صواريخ لم تعط لحلف وارسو بعد، لكنكم لا تحاربون..

تدخل أحد رفاقى وقال، أنتم تعطوننا سلاح قديم بينما أمريكا تقدم أحدث الأسلحة لإسرائيل وبالتالى فهى متفوقة علينا ليس فى الرجال وإنما بالسلاح الأمريكى،حتى أن معركة جوية حدثت منذ فترة بين الطائرات السورية والطائرات الإسرائيلية فسقطت خمس طائرات سورية ولم تسقط طائرة واحدة إسرائيلية، ورفيقى الذى قال هذا الكلام حيا يرزق ويشهد على ما أقول وأنا تأكيدا لشهادتى أذكر اسمه (إنه الأخ محمود الخفيفى) وهو مقيم فى بنغازى متعه الله بالصحة.

مال الرجل السوفييتى إلى الأمام وهو مسؤول كبير وقال إن طائرة الميج ١٧ كانت تقاتل طائرة الفانتوم وتتغلب عليها فى فيتنام، ونحن إزاء هذا الحادث بعثنا ثلاث جنرالات للتحقيق فيما حدث فوجدنا أن الطيار السورى عندما يطلب منه الإقلاع للقتال يقلع بالطائرة ثم يقفز منها وبالتالى فإن الطائرة لا تقاتل بدون طيار وهذا يعنى أن الطيارين عندكم لا يؤمنون بقياداتهم أو قضيتهم وأنا هنا أروى ما سمعت.

هذا ما حدث تماما قبل الغزو الإسرائيلى، والذى حدث أن إسرائيل غزت واحتلت وأجبرت أبوعمار ورجاله على مغادرة لبنان ولم يتحرك أحد غير العقيد القذافى الذى أعابوا عليه دعوته للقتال وعدم الخروج من بيروت، وهذه شهادتى للتاريخ وأنا مسؤول عن كلمة فيها.

ولقد كنت في لبنان على علاقة وطيدة مع المنظمات الفلسطينية جميعها وقادتها وفى مقدمتهم (أبو عمار) رغم خلافاتها واختلافاتها وارتباطاتها، ومع جميع أحزاب الحركة الوطنية اللبنانية وعلى رأسها (السيد كمال جنبلاط) الذي اغتيل فيما بعد، وأذكر أننى كنت معه في بيته بالمختارة منطقة عالية قبل اغتياله بيومين اثنين أى يوم ١٣ مارس ١٩٧٧م بناء على طلبه وتحدد موعدا بيننا بعد هذا اللقاء بيوم واحد في بيروت وقال لى بالحرف الواحد إننا سنلتقى إذا امتد بي العمر، وهنا سألته، ماذا يتوقع وهل هناك ما يهدد حياته؟ فقال نعم، لقد هددونى عدة مرات، قلت ممن جاء التهديد؟ أجاب قيادة بلد قريب، وحدث أنه اغتيل وهو في طريقه من عالية إلى بيروت يوم ١٦ مارس ١٩٧٧م وكان الطريق يمر متعرّجا ممتدا عبر جبل به طريق واحد ضيق وعليه حراسة عسكرية سورية مشددة من أعلاه إلى أسفله ومن هنا فإنه لا يمكن تبرئة سوريا

من المسؤولية إذا لم تكن هى فعلا التى اغتالته (رحمه الله) وربما أنه كان يعنى القيادة السورية عندما قال إنه مهدد من طرف بلد مجاور، على أننى بهذا لا أتهم ولا أبرئ وإنما أروى ما عايشت وسمعت، وكنت قد مررت بتلك الحراسات عندما كنت ذاهبا إليه وعند العودة.

وكان عملنا في السفارة الليبية خلال هذه الفترة مقتصرا على الجانب الغربى من بيروت أى مع المنظمات الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ودار المفتى الذي كان في ذلك الوقت (الشيخ حسن خالد) وقد اغتيل هو الآخر (رحمه الله) وأذكر أن الشيخ حسن خالد كان قد طلبنى ذات يوم إلى بيته ليبلغنى موقفه من الحرب كما لو كانت بلادى طرفا مباشرا فيها !!

قال: أنا ضد الحرب فهى تدمر بلادنا وكل إمكانياتنا..

فقلت : ونحن كذلك وما يحدث فى حرب لبنان يعد خسارة لنا..

قال: أنتم تأتون بالسلاح ونحن لا نريده..

قلت: بعض السلاح والغذاء لنصرة الجانب العربى المسلم وهو واجب دينى وقومى، قال: لا نريد ذلك.

قلت: إن الجانب الآخر تناصره إسرائيل وتزوّده ليس بالسلاح فقط وإنما بالخبراء والمعلومات.

قال: أعرف، وسكت، وعلمت فيما بعد نبأ اغتياله وهو ليس لديه سلاح ولا يحارب ولا أعرف من اغتاله رحمه الله..

ولقد تعاملنا مع بعض الشخصيات اللبنانية، وأذكر أننى عندما تحدد لى موعدا لتقديم أوراق اعتمادى للرئيس (سركيس) في قصر بعبدا كان موعد

تقديم أوراق الاعتماد يتناسب تماما مع (أربعينية اغتيال كمال جنبلاط) ولقد فكرت فى الأمر ورأيت أنه لا يمكن أن يحسب على بلادى أن سفيرها قدم أوراق اعتماده فى مثل هذه المناسبة ليتناول نخبا مع رئيس الجمهورية ربما على روح كمال جنبلاط ولأن أعتقادى كان مبنيا على احتمال قصد الإحراج فقد اعتذرت رغم أن الموعد كان محددا ولم أقدم أوراق اعتمادى فى ذلك اليوم رغم علمى أن ذلك مخالف للعرف الدبلوماسى (ومع الأسف فقد فسّرت الخارجية الليبية هذا الموقف على غير حقيقته وكان وزيرها التريكى) ومن المعروف فى العمل الدبلوماسى وتنفيذ أسس السياسة الخارجية لأى بلد تكون عادة هناك قواعد وخطوط يلتزم بها العاملون فى هذا المجال، وكانت السياسة الخارجية الليبية فى هذا الوقت تحكمها الأهواء والمواقف الشخصية، وهذا ما سأتناوله تفصيلا فى الجزء الثانى بإذن الله، أما الخارجية اللبنانية فقد ارتضت تحديد موعد آخر وقبل تقديم أوراق الاعتماد فى الموعد الثانى قيل لى أن الحكومة اللبنانية لا يمكنها أن توّفر لموكبى الحماية إلا في محيط القصر الجمهورى وكانت السفارة بعيدة عن منطقة القصر ولذلك كان علينا أن نخاطر بالمرور في مناطق غير آمنة ولم يكن بدا من ذلك حتى أن بعض أعضاء السفارة اقترحوا عدم رفع العلم على سيارة السفير لأن رفع العلم على السيارة يسهّل على أى قنّاص أن يطلق النار عليها لكننى رفضت ذلك واتجهنا في موكب إلى قصر بعبدا بأربع سيارات تتقدمهم سيارة السفير وعلى مقدمتها العلم الليبى وتمت مراسم تقديم أوراق الاعتماد وعاد الموكب مع نفس الطريق دون حدوث أى طارئ بحمد الله.

كانت هذه الحرب الأهلية في لبنان وهى حرب كانت مستعرة لا يفرق القائمون بها بين أحد كما لو كانت مهمتهم القتل فقط من أجل القتل، لا فرق بين عسكرى ومدنى، بين طفل ورجل أو امرأة !! كما أن التدمير كان يشمل كل شئ كأنما هؤلاء الذين يحاربون أو يتحاربون لا علاقة لهم بالبلاد على الإطلاق، أى كأنهم غزاة جاءوا من بلد بعيد للقضاء على هذا البلد الذى كان آمنا متقدما هادئا ديموقراطيا يعتمد على الزراعة والسياحة، ليله لهو ونهاره عمل وإنتاج، وبمعنى آخر فهو ليس كأى بلد عربى آخر، وانا أذكر وذكرت أن كثيرين بما فيهم الدول العربية كانوا منغمسين فى هدم هذا البلد الجميل بسبب خلافاتهم. على أنه لابد من القول أن أصابعهم جميعا قد احترقت فى لبنان.

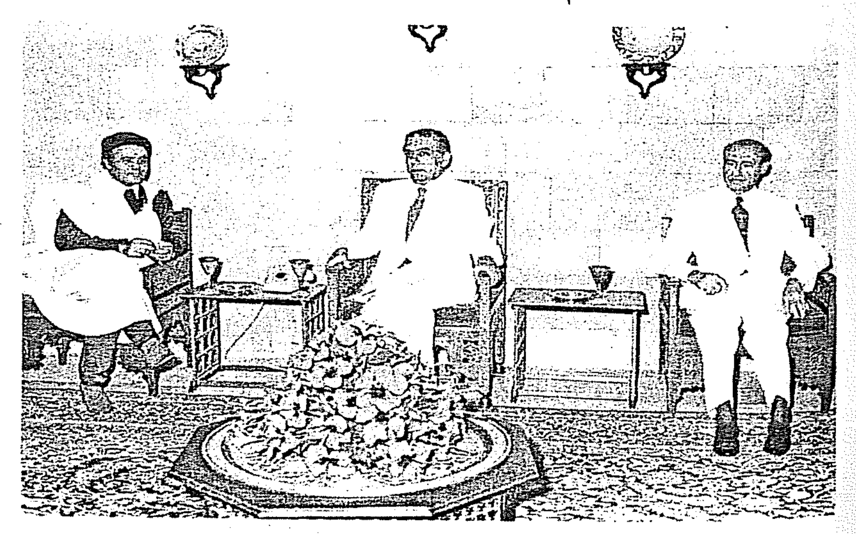
ولقد كانت ظروف المعيشة فى غاية الصعوبة حيث كان أعضاء السفارة بما فيهم السفير لا يحصلون على المواد الغذائية إلا بصعوبة بالغة وغالبا من تموين القوات الليبية المعسكرة في صيدا وهى أيضا تواجه كثير من الصعاب..

لكن رغم كل شئ فلقد كانت مجالات الثقافة واسعة ثريّة وغنيّة فالكتب تصدر متناولة مختلف الشئون الثقافية والأدبية والعلمية، وكانت الندوات تعقد بين وقت وآخر والصحف تصدر يوميا وهى كثيرة ومتنوّعة ولهذا كنت أتابع بالقراءة والمشاركة في الندوات السياسية والملتقيات الحزبية كما كنت على تواصل شبه يومى بالقوى القومية وفى مقدمتها الأحزاب الناصرية كالحزب (العربى الاشتراكى) والحزب (الناصرى اللبنانى) كما أننى لم أتوقف عن الكتابة والتأليف حيث أصدرت عددا من الكتب تأليفا وترجمة خلال فترة عملى في لبنان.

مع الرئيس إلياس سركيس، الرئيس اللبنانى قبيل تقديم أوراق الاعتماد،



مع الرئيس اللبنانى سيركيس ويرى على يساره وزير خارجيته بعد تقديم أوراق الاعتماد وهو فؤاد بطرس..



وكان من المعتاد أن يلتقى كل سفراء ليبيا في طرابلس عند انعقاد مؤتمر الشعب العام سنويا وبالتالى يتم تقييم أعمالهم وأنا أعتقد أن العمل الدبلوماسى الليبي في أغلب بلدان العالم كان على مستوى تطلعات الشعب الليبي وأهداف ثورته قبل أن تحدث الثورة الشعبية، وخلال انعقاد مؤتمر الشعب العام سنة ١٩٧٦م تفجر الوضع السياسى العربي (وهو لم يكن على ما يرام أصلا) عندما أعلن الرئيس السادات مبادرته لزيارة إسرائيل وهو الشئ الذي أحدث انقساما مرعبا ومدوّيا في الوطن العربي وبين قادة الرأى العام والحكام العرب، وبشكل خاص في أوساط الشعب الليبي ورجال الثورة الليبية الذين كان بعضهم مازال يؤمن بإمكانية تحقيق نوع من الوحدة العربية، وكان ما يحدث في مصر عادة يؤثر مباشرة على ليبيا إضافة إلى أن هذا الذي أعلنه الرئيس السادات لم يحدث مثله من قبل ولم يتوقّعه أحد في الوطن العربي ولقد وقع كالصاعقة دون مقدمات ولا استعداد.

ومن خلال البحث داخل مؤتمر الشعب العام المنعقد وقتئذ تقرر إرسال وفد ليبي إلى السودان للتحدث مع الرئيس (محمد جعفر نميرى) واستطلاع رأيه لأن البلدان الثلاث تتشابك مصالحها (مصر وليبيا والسودان) إضافة إلى تواصلها الجغرافى وبالتالى تأثير موقف السادات عليها وعلى مجمل الوضع العربي والمستقبل العربي، والغرض المباشر من التحدث مع نميرى لأنه مازال يقول أنه قومى وربما أمكن إقناعه باتخاذ موقف ضد السادات ومبادرته أو يمكن أن يلعب دورا فى التأثير على السادات، ووقع الاختيار عليّ وزميل آخر للقيام بتلك المهمة على أن نغادر فورا وفى نفس الليلة إلى الخرطوم بطائرة خاصة، قمنا فورا من قاعة الاجتماعات إلى مطار طرابلس دون أن نحمل حتى ملابس خفيفة أو نتصل بأحد ذلك أن المهمة عاجلة والظرف صعب.

وصلنا الخرطوم صباح اليوم التالى وحدد لنا في نفس صباح ذلك اليوم موعدا مع الرئيس نميرى وكان يوم جمعه وهى عطلة المسلمين الأسبوعية، قابلنا نميرى في مكتبة بقصر الضيافة في تمام الساعة التاسعة والنصف وبدأ مباشرة في الحديث عن موقف ليبيا وما يسميه الغزو الليبى الفاشل الذي حدث على بلاده سنة ١٩٧٦م وكان فيما يظهر مازال يحمل كثيرا من الجراح والغضب على ليبيا بسبب ذلك الحدث أى الغزو الذى دخلت طلائعه أم درمان..

والواقع أن الذي حدث لم يكن غزوا ليبيا وإنما كان غزوا سودانيا قامت به قوات المعارضة السودانية التى انطلقت من الأراضى الليبية، والحق أن تلك المعارضة كانت مدعومة من ليبيا وقد فشل ذلك الغزو مما دفع نميرى إلى اتهام ليبيا وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في نفس السنة، ونحن الآن في أواخر سنة ١٩٧٧م وقد جئناه نريد منه موقفا سياسيا ضد مصر ومبادرة السادات ونتوّقع كذلك إعادة العلاقات الدبلوماسية لكنه في هذا الاجتماع ربما لأنه مازال مجروحا لم يتح لنا فرصة لنشرح سبب مجيئنا ومهمتنا هذه التى كانت عاجلة وهامة، لكنه استمر لثلاث ساعات يتحدث وحده معلّلا أسباب قطع العلاقات وموقفه من العقيد القذافى وأنه لابد (من أجل الكرامة) أن يرد على ذلك العمل بالمثل حتى قال أنه سيضرب طرابلس كما ضرب القذافى الخرطوم وأم درمان، وكان علينا أن نستمع دون كلمة واحدة من جانبنا لأن المهمة تقتضى الكثير من الصبر ولسنا في حاجة لأن نزيد من ثورة نميرى وغضبه، وفى تمام الساعة الثانية عشرة هدأ قليلا وقال أنه سيخرج لأداء صلاة الجمعة في أم درمان وحدد لنا اليوم التالى لنلتقيه في بيته، وهو ما حدث والحقيقة أننا فوجئنا بشيئين:

الأول – أنه خرج من القصر وقاد سيارته بنفسه وبلا أى حراسة متوجها إلى مخبأ أعداءه (الأنصار) في أم درمان.

والثانى – أن بيته كان متواضعا جدا ولا يوجد أمامه إلا جندى حراسة واحد كما لاحظنا أن أثاث البيت أيضا في غاية التواضع وهو من صنع محلى (هذا قبل أن يعرف الرئيس نميرى أحد الأثرياء السعوديين الذى يدعى خاجقجى حيث صار يقضى أوقاته في الغابة السوداء بألمانيا وقبل عملية الفلاشا الشهيرة التى أمطرت عليه وبعض أعوانه مئات الملايين من الدولارات كما أعلن وقتئذ) المهم نحن عندما دخلنا البيت استقبلنا نميرى مرحبا بشوشا وقد دعانا إلى الجلوس وتناول القهوة السودانية، كما قال، وبادرناه بسؤال ربما في اعتقادنا كان يمكن أن يرطّب الجو، قلنا فخامة الرئيس رأيناك أمس تذهب إلى وكر أعدائك (الأنصار) في أم درمان وبلا حراسة ؟ ابتسم وقال إن الشعب السودانى طيب وينسى بسرعة وليس هناك أسباب تدعونى لأن أخشى أحدا.

في هذا اللقاء كان الرئيس هادئا وأنصت باهتمام، وبعد أن شرحنا أسباب مجيئنا وماذا تتوقع منه القيادة الليبية بل والأمة العربية بإعتباره ثائر وقومى، لكنه كان مترددا في تحديد موقفه من السادات وقد أشار إلى المصالح المشتركة وتخوفه من ردّات الفعل العربية عادة والمصرية بشكل خاص ذلك أن هناك ملايين السودانيين يعيشون في مصر (كما قال) إضافة إلى أعداد الطلبة الدارسين هناك، ثم وعد بدراسة الحدث مع حكومته وقال إن العرب يجب أن ينتظروا نتيجة الزيارة وأنه لا أحد يمكن أن يمنع السادات طالما أنه أعلن عن مبادرته تلك وهو رجل عنيد.

وسألناه: بماذا نعود إلى القيادة الليبية ؟ قال لا بأس، نعيد الآن العلاقات الدبلوماسية وسوف ندرس موقف السادات ونتّخذ ما يناسب.

عدنا إلى ليبيا عبر لندن حيث أن الطائرة الخاصة التى جاءت بنا لم تنتظر، وقدّمنا شرحا لموقف نميرى وقلنا أن النتائج وإن لم تكن محددة فقد كانت مريحة وتقرر إعادة العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفارة مع السودان وكنت أول سفير ومفوض فوق العادة إلى السودان بعد هذه التطورات المتلاحقة والمزعجة (على الأقل في نظر القيادة الليبية) التى أرادت موقفا عربيا ضد تلك المبادرة.

انتقلت من فورى لمباشرة مهام السفارة بعد قرار إعادة العلاقات الدبلوماسية بين بلادى والسودان وكانت هذه المرة الأولى التى تطأ فيها قدماى أرض أفريقيا السوداء كمقيم (والسودان يجمع بين العروبة والأفريقية) وعندما قابلت أحد أعضاء مجلس الثورة الليبية في طرابلس قبل سفرى لأستنير برأيه وكانت لى عنده مودّة وتقدير، قال لى ستذهب إلى بلد (على الأقل ناسه عندهم أخلاق) وتلك في الغالب حقيقة إذ كنت من جانبى أحمل كثيرا من الود لعدد من طلبة السودان الذين عرفتهم أثناء الدراسة في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية وعن طريقهم عرفت العديد من رجال الجالية السودانية في ذلك البلد، وعندما كلّفت بالعمل في السودان منّيت نفسى بأن أجد بعض أولئك الطلبة بعد أن عادوا (كما أتوقع) إلى بلادهم يشغلون مناصب عالية في الدولة أو المؤسسات المدنية الأخرى إعتقادا منى بإن العناصر المثقفة المعطاءة العالمة لابد أنها تشارك في بناء وتقدم بلدانها ولكن مع الأسف فقد اكتشفت فيما بعد أن ذلك تصّور أو اعتقاد غير حقيقى فما يحدث في الوطن العربى يحدث أكثر منه في هذا السودان لأنه بلد طارد غير مستقطب لعدة أسباب :

أولها: تلك الانقلابات العسكرية التى لا تقّدر العلم ولا المتعلمين كما أنها لا تقيم مؤسسات العلوم والبحث العلمى بل هى حتى لا تحافظ على ما يمكن أن يكون موجودا منها.

وثانيها: ذلك الفقر الذي يعم البلاد ويسحق عظام الناس في بلد تحت أرضه وفوقها الثروات الهائلة التى لا يستفاد منها، مقابل الفرص المتنوعة والامتيازات الكبيرة التى تقدمها البلاد المتقدمة والولايات المتحدة بشكل خاص للعلماء والنابغين، والسودانيون من النوابغ مثل باقي العرب عندما تتاح لهم فرص الدراسة والبحث العلمى وأنا أعرف أن هناك علماء وخبراء ونوابغ كثر استهوتهم تلك الاغراءات والفرص المتاحه سودانيون وعربا وكان يمكن أن أكون واحدا من المقيمين هناك لولا بعض الظروف العائلية الخاصة وقد أشرت إليها فيما تقدم.

المهم أننى غادرت بلادي بأسرع وقت ممكن وعندما استقر رحالى في الخرطوم رحت أبحث أولا عن أى شئ ليبى فلم أجد ما يدل على أنه كانت هناك علاقات أو تمثيل دبلوماسى أو أقتصادى رغم التواصل القديم والكبير بين البلدين والشعبين غير شعار كان يرفعه نميرى أيام الخلاف بينه وبين العقيد القذافى (حسب تعبيره) يسمى (قرش الكرامة) ولقد ظهر هذا التعبير عندما طالبت ليبيا بتسديد قرض كانت منحته للسودان عن طريق مؤسسات مالية (بعد الخلاف أيضا) وهذا اعتبره نميرى إهانة للسودان فصار يطلب من الناس التبرع من أجل رد الدين وحفظ الكرامة، والحق أن شعار (قرش الكرامة) عندما يعرض على شعب أبي كالشعب السودانى لابد أن يكون تأثيره بالغا والاستجابة له كبيرة لكن ظروف الناس كانت قاسية وربما ليس هناك ما يتبرعون به.

كنت عندما وصلت السودان بأسرع وقت وقد طلب منى ذلك وليس رغبة من جانبى قد فكّرت في أن أستأجر حجرة في فندق متواضع ثم عدلت عن ذلك لأنه لا يليق بسفارة ليبيا أن تكون في غرفة واحدة وكان لابد من تأجير جناح حيث يمكن أن أستقبل فيه زوارى خصوصا أنه لا يوجد مكان غير الفندق، وقد نصحنى مندوب إدارة المراسم بالخارجية السودانية الذى استقبلنى بالمطار أن أنزل بفندق (الهيلتون) كمكان لإقامتى وعندما سألته عن أى ممتلكات لليبيا قال لا أعرف ولكنه أرشدنى إلى أن السفارة الجزائرية هى التى ترعى المصالح الليبية في السودان ويمكننى الاستفهام منها، شكرته وبعد يومين اتصلت بسعادة السفير الجزائرى وعندما التقيته أبلغنى أن هناك مبنى كان مقرا للسفارة الليبية بمنطقة تسمى (الامتداد) مازال مقفلا وهناك بضعة سيارات (كانت ثلاثة) قد أستطيع أن أستفيد منها وتفضّل بأن أرسل معى من يساعدنى عندما ذكرت له أن أعضاء السفارة الليبية لم يصلوا بعد، استفدت بواحدة من تلك السيارات وكان علىّ أن أنتظر بعض الوقت إلى أن يلتحق بى بقية أعضاء السفارة بحيث أقدم نسخا من أوراق اعتمادى لوزارة الخارجية السودانية حسب العرف الدبلوماسى وأطلب تحديد موعد مع الرئيس، وكنت أعرف أنه لا يمكن للسفير الجديد أن يقوم بأى نشاط سياسى أو دبلوماسى قبل أن يقّدم رسميا أوراق اعتماده لرئيس البلد، لكن سماحة التعامل السودانى مكّنتنى من العمل والاتصال بالوزراء ورؤساء الأحزاب حتى قبل تقديم أوراق اعتمادى الذي تأخر بسبب عدم اكتمال أعضاء السفارة ولم يمر كثير من الوقت حتى صرت وكأننى سفيرا مقيما منذ سنوات، وبعد أن باشر بقية أعضاء السفارة العمل بها حدد موعدا لتقديم أوراق الاعتماد وتمت مراسم التقديم بيسر وقد

حرصت أثناء تلك المراسم أن أحاول في خطابي تطمين الرئيس نميرى الذي سمعت أنه مازال يتشكك في نوايا الجانب الليبي وكان بعد محاولة الغزو تلك التى حدثت سنة ١٩٧٦م قد أوقف أى نشاط ليبى في بلاده بما في ذلك الشركة الزراعية الليبية السودانية القابضة التى كان لها نشاط ملحوظ في مجالها ويعمل بها عدد كبير من السودانيين كما أن حساب السفارة في بنك السودان كان مجمدا وكان علينا أن ندفع إيجارات المبانى وبعض الديون الأخرى ومرتبات سابقة لأولئك المستخدمين السودانيين الذين أضيروا بسبب قطع العلاقات الدبلوماسية وكذلك مواجهة مصاريف التأسيس الجديد للمقر لأن جميع المعدات والآليات والأجهزة كانت عاطلة أو هى اختفت وكان سكن السفير قد استولى عليه بكل ما فيه صاحب المبنى، ولأننا لم نشأ أن نبدأ بداية غير مرضية على الرغم من أن هناك من نصح بمقاضاة بعض الناس إلا أننا صرفنا النظر عن كل الذي حدث وبدأنا نؤسس من جديد دونما بحث فى أمور الماضى..

والحقيقة أن طلباتنا سرعان ما أجيبت فقد أفرج عن أموال السفارة وتمت الموافقة على تصفية وضع الشركة الزراعية وفتحت خطوط المواصلات بين البلدين بما في ذلك المواصلات الجوية حيث باشرت شركة الخطوط الجوية الليبية رحلاتها بين الخرطوم وطرابلس، وبعد أن تنظّمت السفارة حيث جهزت بالمعدات والأثاث والسيارات والموظفين المحليين وقد أعطينا الأولوية في التوظيف لأولئك الذين كانوا يعملون إما بالسفارة قبل قطع العلاقات أو الشركة الزراعية الليبية السودانية قبل أن يوقف نشاطها، ثم صار البحث عن مبنى لائق ليجهز كسكن للسفير بعد أن كنا نقيم بالفنادق وتلك إقامة غير مريحة إضافة إلى التكاليف الكثيرة رغم أن ليبيا لم تكن تبخل على سفاراتها وممثليها بالخارج.

لم يمر وقت طويل حتى استقر جميع أعضاء السفارة في مساكن مناسبة بعائلاتهم، وبالتالى كان علىّ أن أبدأ برنامج زيارات التعارف التقليدية للوزراء ورؤساء الأحزاب وسفراء البلدان العربية والأجنبية، وعندما باشرنا العمل في السفارة لم يتمكن القسم القنصلى من مواجهة ضغط الناس الذين يرغبون السفر إلى ليبيا وكأن أهل السودان يعتزمون ترك بلادهم، وصار محتما على القسم القنصلى إما أن يوقف التأشيرات أو أن يستعين ببقية أعضاء السفارة ولأننا نريد أن نعطى انطباعا طيبا أردنا أن يستعين ببقية أعضاء القسم التجارى ولو مؤقتا ولقد أصبح الشارع الواقع أمام السفارة مقفلا تماما بسبب تزاحم الناس واضطرت شركة الخطوط الليبية أن تخصص رحلتين في الأسبوع إلى طرابلس بدلا من رحلة واحدة، والحقيقة أن السودانى مرحبا به في ليبيا، وللناس في هذا التزاحم عذرهم لأن بلدهم فقير وظروفهم صعبة وفرص العمل نادرة إن لم تكن مفقودة، وكانت تلك أول مشكلة تواجه السفارة وترهق موظفيها.

ومن أجل إرضاء بعض الجهات عملنا ما يسمى (كوتا) أى نسبة من التأشيرات شهريا لكل حزب وخصوصا تلك الأحزاب الكبيرة كالأمة (الأنصار) والاتحادى الديموقراطى (الختمية) وغير هذه وتبعا لذلك نشأت علاقات طيبة مع الأحزاب السودانية حيث كنا نتعامل مع كل الأحزاب دون أى تمييز رغم أن هناك من يلتزم بخطنا القومى (الحزب الناصرى) وكان هذا الحزب يتكوّن من طلبة في جامعة الخرطوم ليس لديهم إمكانيات العمل كالمقر أو منبر إعلامى (جريدة مثلا) ولا حتى وسائل مواصلات مثل بقية الأحزاب وبشكل خاص تلك الأحزاب الطائفية القوية جدا بإمكانياتها الكبيرة، وكان علىّ أن أسعى إلى هؤلاء الشباب الناصريون لأنهم لابد أن يدركون أن النظام

الليبي مازال يرفع شعارات قومية وينادى بالوحدة العربية رغم كل الظروف وهؤلاء كانوا يرفضون التعامل مع أى مسؤول وعلى أى مستوى فى السودان مما يمثّل موقف رافض للنظام القائم، وفى هكذا حالة إنما يعزلون أنفسهم ولا يمكن لتنظيم سياسى أن يتقدم ويؤثر إذا كان معزولا عن محيطه الاجتماعى ومن أجل أن يمارسوا أى نشاط سياسى خارج مدرجات الجامعة كان لابد من توفير وسيلة مواصلات وتجهيز مقر للحزب وإمكانيات مادية بحيث يمكنهم إصدار مطبوعة تعبّر عن أفكارهم، وكان نظام نميرى وقتئذ يسمح بنشاط الأحزاب كعقد الندوات والتجمع وإصدار المطبوعات بل أن نميرى نفسه كان له برنامج تلفزيونى ليلة كل جمعة يرد فيه على أسئلة المواطنين وشكواهم ورسائلهم كما كانت تعقد ندوات مفتوحة بشارع الجمهورية يتحدث فيها من يشاء فيما يشاء دون قيد ولا محاسبة، وكان أول ما حققناه للحزب الناصرى شراء مقر وتأسيس مكتبة عامة وفّرت لها مؤسسة ناصر كميات كبيرة من الكتب الثقافية والأدبية والعلمية مجّانا (مؤسسة ناصر للثقافة والإعلام كانت مؤسسة ليبية مقرها بيروت ثم انتقلت إلى إيطاليا ومديرها ليبى مثقف ناصرى صادق – رحمه الله) ثم وفرّنا للحزب عربة نقل وضعت تحت تصرف المشرف على المكتبة، وعندما حل موعد انتخابات مجلس الشعب السودانى موّلنا حملة الحزب الانتخابية وكانت المرة الأولى التى تظهر فيها ملصقات قومية توضع على الحيطان وعلى الرغم من أنه كان معروفا أن مرشح الحزب الناصرى لن يفوز أمام مرشح الأنصار أو الختمية أو الجبهة الإسلامية التى كانت قوية جدا وقتئذ لأنها تتحرك من داخل كواليس الحكم حيث تحالف رئيسها مع نظام نميرى بعد المصالحة الوطنية التى قادها السيد الصادق المهدى نيابة عن المعارضة السودانية.

كانت الجبهة الإسلامية قد غيرت اسمها فيما بعد فصارت تسمى الجبهة القومية بحيث تضم آخرين (ربما غير إسلاميين) وعلى إثر اتفاق بورتسودان الذي عرف باسم (المصالحة الوطنية في بورتسودان) وهى التى قادها الصادق المهدى نائبا عن جميع أحزاب المعارضة السودانية في مواجهة رئيس الجمهورية نميرى والتى كانت تعمل من خارج البلاد ومنها الجبهة الإسلامية قبل أن تغيّر اسمها.

عادت قوى المعارضة السودانية من الخارج وصدر مرسوم جمهورى بالعفو العام في حق كل المعارضين السابقين، وكان اتفاق بورتسودان ينص على كثير من القضايا ولكن الرئيس نميرى لم ينفذ إلا بند العفو العام ولذلك فإن زعامات المعارضة رفضت المشاركة في الحكم ما لم ينفذ نميرى جميع البنود، وهذا الامتناع أتاح فرصة ذهبية لزعيم الجبهة الإسلامية الدكتور حسن الترابى الذي خالف المعارضين وقبل بالمشاركة في الحكم وبالتالى تغلغلت الجبهة الإسلامية في مرافق الدولة وكان نميرى قد أعلن نفسه أميرا للمؤمنين بعد أن أصدر كتابا أعد له عنوانه (النهج الإسلامى لماذا) وفى نفس الوقت من خلال مهرجان صاخب أقامة أعوانه في الاتحاد الاشتراكى رقّى إلى رتبة مشير فصار إسمه (رئيس الجمهورية المشير أمير المؤمنين محمد جعفر نميرى) وتبعا لهذا النهج الجديد الذي أسماه (إسلامى) منع تناول أو بيع جميع أنواع المشروبات الكحولية في حين أنه كان يتناول الخمر يوميا حسب ما يعرف عنه فى البلاد، ولعله كان تخلى عن تلك العادة وتاب إلى بارئه، كما كان المواطن السودانى إما أن يكون في البار أو في المسجد لأنه في الغالب لا يوجد وسط، والإنسان السودانى يعشق الحرية وكان قد أسقط نظام عسكرى دكتاتورى يقوده اللواء

(إبراهيم عبود) قبل أن يحدث إنقلاب نميرى، كذلك أصدر الرئيس نميرى قوانين نصّت على قطع يد السارق وجلد الزانى وهكذا انقسم الشعب السودانى بين معارض (وهذه الأغلبية) وبين مؤيد (وهذه الأقلية) ولم تراع تلك القوانين حالة الفقر التى يعانى منها المواطنون وبالتالى صارت تجارة الخمور المصنّعة محليا رائجة وزادت حالات السطو والسرقة وتدهورت حالة البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى أن المياه صارت نادرة في البيوت والكهرباء تنقطع يوميا لساعات تزيد على الخمسة فأعلن نميرى نفسه رئيسا لمؤسسة الكهرباء اعتقادا منه بأن العاملين في تلك المؤسسة إذا ما صار رئيس الجمهورية رئيسا لهم سوف يجدّون في العمل والذى حدث أن انقطاع الكهرباء بدلا من ساعات خمس صار ثمانية ساعات أو أكثر حتى بدأ السودانيون يتندرون بالقول (إن الكهرباء اللى يمسها يموت ولما مسّها نميرى ماتت) وظهرت فى هذا الوقت الكثير من النكت التى تمس الرئيس وحكومته.

وبالنسبة لنا فإنه مما زاد من أعباء السفارة ومسؤولياتها أن حدود السودان متصلة بثلاث دول بها منظمات تحمل السلاح ضد نظمها وهى (تشاد وأوغندة وأريتريا) وكانت مقار ومكاتب منظمات تحرير هذه البلدان في السودان ولما كانت ليبيا تدعم هذه المنظمات فقد كانت السفارة في الخرطوم مكّلفة بتوفير وتوصيل مستلزمات هذه المنظمات وحركات التحرير، وكنت عندما نقلت من لبنان اعتقدت أننى سأبتعد عن الحروب والسلاح ومشاكل المنظمات والمليشيات العسكرية فوجدت نفسى أتعامل مع منظمات ثلاث دول واقعة في الشرق والغرب والوسط بدلا من بلد واحد وهى تشاد وأوغندة وأريتريا بدلا من لبنان، وهذه البلدان فيها منظمات مختلفة وعلينا أن نتعامل

معها جميعا وهى أيضا كحالة المنظمات في لبنان لكل منها ارتباطات واتجاهات وولاءات وفى تعاملاتها خيط رفيع إذا مسّ حدثت مشاكل وحتى كوارث أقلها التقاتل وتغيير الولاءات.

ومن جانب ليبيا كانت هناك قنوات تتعامل مع هذه المنظمات مختلفة هى الأخرى بعضها صادق في التعامل والبعض الآخر يبحث عن مكاسب ومنافع شخصية، ولهذا فإن السفارة في السودان كانت بين المطرقة والسندان مما اقتضى كثير من الحرص والحذر وكثيرا ما كنت أستدعى إلى طرابلس لأقل هفوة أو شكاية من هذا المكتب أو ذاك، كما كانت أجهزة المخابرات لدول كثيرة تلعب أدوارا سرية خدمة لبلدانها إضافة إلى تنافس تجّار السلاح سواء أكانوا دولا أو أفرادا، وفى خضم هذه المشاكل لم أستطع أن أجد وقتا حيث كان بودى أن أدرس الماجستير في جامعة الخرطوم بدلا من موسكو البعيدة وقد زرت هذه الجامعة العريقة عدة مرات وإن كانت زيارات إما للمجاملة أو لحضور ندوة أو محاضرة كلما أمكن ذلك، وإعداد رسالتى كان يحتاج إلى متسع من الوقت الشئ الذي لم يتوفر لى وقتئذ بسبب المشاغل والمشاكل التى أشرت اليها وبالتالى اضطررت إلى تأجيل هذه الرغبة رغم أنها تلّح علىّ كلما تذكرت نصائح والدى رحمه الله وعهدى له بأن لا أترك فرصة لا أستغلها في التعليم والقراءة والبحث..

وفيما يتعلق بالمهمة الأولى عند نميرى فإنه لم يستطع أحد مهما كان أن يمنع الرئيس السادات من زيارة إسرائيل رغم كل الجهود التى بذلت وكان نميرى قد قال أنه لا أحد يمكن أن يمنع السادات طالما أنه أعلن رغبته تلك وعلى ضوء ذلك بادر الزعماء العرب بعقد اجتماع قمة في بغداد (ويا ليتهم

ما فعلوا ذلك) حيث أنهم في اجتماعهم ارتكبوا الخطيئة القاتلة عندما أعلنوا أنهم سيدفعون المليارات من الدولارات للرئيس السادات إن هو عدل عن قراره وقرروا إرسال لجنة من بينهم لإبلاغه ذلك القرار السئ وما كان من السادات إلا أن أعلن على الشعب المصرى عندما جاءت لجنة الملوك والرؤساء العرب إلى القاهرة قائلا (إن العرب يريدون شراء الشعب المصرى) وقد رفض استقبال تلك اللجنة التى كانت برئاسة سليم الحص رئيس وزراء لبنان فى ذلك الوقت وعادت خالية الوفاض خائبة، وردا على موقف السادات ذاك اعلن الملوك والرؤساء العرب إنشاء جبهة قالوا عنها إنها (جبهة الرفض والصمود) وكعادة هؤلاء الحكام (قول بلا عمل) وإن كانوا قد رفضوا فإنهم لم يتصدوا ولا صمدوا، كما قرروا نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة وعندما بحثوا عن مكان لها اختلفوا على كل عاصمة عربية بسبب الخلاف بين هذا وذاك ولم يجدوا إلا تونس فانتقلت الجامعة وهى (جثة هامدة) إلى مدفنها في العاصمة التونسية أى مقرها الجديد، وبدأت حرب الإعلام العربى (بالردح) دون فائدة أما الرئيس السادات فإنه لم يلتفت إليهم ولا هو اهتم بما قرروا ولابد أنه كان يدرك أنه بلا مصر لن يكون هناك سلم ولا حرب، وأن العرب رغم قرارهم ذاك سوف يعودون إلى مصر (وتلك حقيقة تاريخية رغم مكابرة هؤلاء ومزايداتهم).

استمر السادات في مشاريعه وانعقدت الاجتماعات واللقاءات والتسويات بينه وبين اليهود (من كوين كاستل إلى كامب ديفيد) حيث وقّعت اتفاقية سلام بإشراف الرئيس الأمريكى وزيادة فى التحدى أعلن السادات عن تأسيس جامعة إسلامية بدلا من الجامعة العربية التى ذهبت إلى تونس.

ولولا الشعب المصرى وقواه الحيّة التي رفضت التعامل مع اليهود رغم الضغوط والاغراءات والتهديد والاعتقال حيث نكّل السادات بأحرار مصر ما كان للعرب أن يفعلوا شيئا إلى أن اغتيل السادات فتسابقوا جميعا عائدين إلى مصر دون أن يتغيّر شيئا من السياسات التى اختطّها السادات وأعادوا جامعتهم إلى القاهرة ثم هرولوا في نفس الاتجاه من أجل استرضاء أمريكا وإسرائيل وكانوا قد لعنوا (سلسفيل) السادات عندما قال أن ٩٩% من أوراق الحل في يد أمريكا..

كنت في هذا الوقت بين أول مرة أقابل فيها نميرى قبل زيارة السادات لإسرائيل وأخرى قد مرت على وجودى ثلاث سنوات ونيّف قضيتها في الخرطوم ولقد كانت سنوات في رأى مثمرة مع الشعب السودانى خائبة ومثيرة مع نظام نميرى، وهنا تذكرت قصة كنت سمعتها من السفير الفرنسى عندما كنت أزوره في أول مجيئى قال (أنا أعتبر نفسى سفير ناجح طيلة خدمتى السابقة التى امتدت عشرون سنة إلى أن جئت إلى السودان فحدث أننى لم أرسل تقريرا واحدا أو أقرر تحليلا واحدا صحيحا ولهذا قدمت استقالتى لكى لا يلازمنى الفشل بسبب سياسات نميرى التى لا تعرف مبدأ ولا نهاية ولا استقرار).

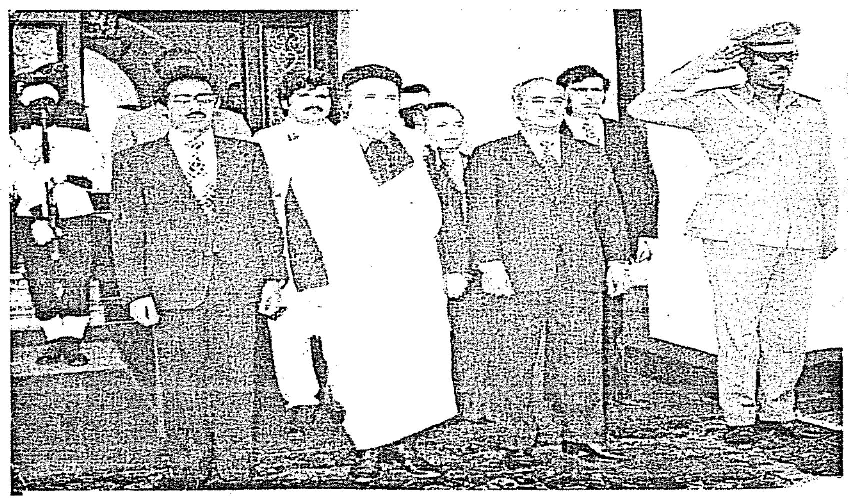
ولعل السفير الفرنسى كان محقا لأنه يتعامل مع النظام الرسمى فقط وهو لا يتكلم اللغة العربية وبالتالى كان ذلك بالتأكيد حاجزا بينه وبين الشعب السودانى الودود المضياف المحب للنقاش والمؤمن بالديموقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

والآن وقد مر على اتفاقية كامب ديفيد وسياسات السادات ثلاثة عقود ونيّف صار أولئك الذين رفضوا مواقفه ومبادراته يلهثون وراء ما كان قد نادى به بعد ضياع الوقت والمال، وأنا أقرر هنا أننى كأى مواطن ليبى آخر كنت ضد سياسة السادات بالكامل ومع ذلك فأنا أقرر حقيقة وواقع الآن وحتى لو كانت تلك الاتفاقية مهينة من حيث نصوصها فهؤلاء لن يحصلوا حتى على جزء منها الآن!! سواء منهم الذين يتفاوضون مع إسرائيل بشكل غير مباشر وعن طريق طرف ثالث أو رابع وبالتالى هم يكابرون فقط، وهذا الموقف أكثر مهانة لهم ولشعوبهم، أو أولئك الذين قبلوا بالجلوس مع الإسرائيليين بعد فوات الوقت وقد تقدمت الدولة الصهيونية فى كل المجالات، وفى الوقت الذى تعلن فيه خلال كل شهر على أكثر التجارب إثارة على الصواريخ من مختلف الأنواع والأحجام والمسافات وكذلك على الأقمار الاصطناعية وبكل تعنت وتحدى تضرب فى كل مكان من الوطن دون رادع ولا حتى صوت احتجاج، نرى الحكام العرب لا هم لهم إلا التنكيل بمواطنيهم والتفكير فى كراسيهم.

مع الرئيس السوداني محمد جعفر نميري أثناء تقديم أوراق الاعتماد



مع الرئيس السوداني محمد جعفر نميري قبل تقديم أوراق الاعتماد
ويرى بعض أعضاء السفارة ورجال القصر



مع الصادق المهدى رئيس حزب الأمة بالسودان، وزميل من أعضاء السفارة..



وبينما كنت منشغلا ببعض المهام فجأة كما هى العادة دائما استدعيت إلى طرابلس بموجب برقية كان نصها غريبا، تقول يطلب حضوركم لمقابلة العقيد القذافى وهذا نص غير معتاد وإن كان يوحى بالأهمية والاستعجال فغادرت الخرطوم عبر خط طيران طويل (الخرطوم جدة بيروت أثينا طرابلس) والسبب أننى كنت ممنوعا بقرار من جهات عليا في مصر آنئذ من دخول مصر ولو مررت بالقاهرة لواجهت الكثير من المشاكل كما حدث مع بعض الزملاء الليبيين قبلى الذين اعتقلوا بقرار من السادات متهمين بأنهم ضد مصر وسياساتها.

في طرابلس قيل لى أن ثلاثة منكم مطلوبون لمقابلة العقيد القذافى بأمر منه (سفيران وشخص ثالث) وإذ تأخر الشخص الثالث كان علينا أن ننتظر لأكثر من ثلاثة أسابيع دون أن نعرف من هو الشخص الثالث ولا سبب طلبنا للمقابلة تلك، وبعد أن حضر الشخص الثالث ولم يكن سفيرا تحدد موعد المقابلة وكانت ودودة جدا مع العقيد القذافى حيث قال لنا أنه اختارنا لأنه يتوّسم فينا الصدق والالتزام القوميين وأنه يريدنا أن نترك أى عمل آخر ونتفرغ للعمل القومى وعلينا أن نؤسس مركز دراسات لهذا العمل التاريخى، وأن لجنتنا من الآن تسمى (لجنة العمل القومى) وكنا ثلاثتنا في قمّة السعادة إذ نشرّف بهذا العمل الذي كاد أن يغيب عن الأذهان في خضم ما يحدث في الوطن العربي، ولهذا استسمحناه في أن نتفرغ لبعض الوقت بحيث نعّد دراسة نرسم بها ملامح عملنا المستقبلى ونقدمها اليه، وبعد فترة أعدت الدراسة، وفى حديثه معنا قال أنه يريد دراسات قومية تساعده على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وأن كثير من الناس الذين يقابلونه لا يعرف حتى ما إذا كانوا (قوميين أو إقليميين، مسلمين أو مسيحيين) بل إنه أصدر فورا تعليماته إلى أمين الاتصال (وزير) قائلا إن أى مقابلة معى يجب أن تكون عن طريق هذه اللجنة، وعندما سألناه، لمن تتبع هذه اللجنة ؟ قال لى شخصيا فى أعمالها ودراساتها وما يتصل بمهامها.

وكان الذى حدث مباشرة بعد ذلك اللقاء أننا لم نستطع حتى مقابلته وكان علينا أن نقدّم الدراسة إلى جهة أخرى (مكتب الرائد عضو القيادة فى ذلك الوقت عبدالسلام جلّود !!) وعندما قابلنا الرائد عبدالسلام وقدمنا تلك الدراسة شارحين أسباب إعدادها وأهميتها فى العمل المكلّفين به مظهرين الكثير

من الحماس لكنه فى الحقيقة لم يظهر أى اهتمام بل وضعها على المنضدة دون أن ينظر فيها وكان ذلك غريبا حيث أن التكليف أصلا جاء من قائد الثورة.

استأذنا فى الإنصراف، وعند مغادرتنا لم يقل شيئا مما أشعرنا بأن الأمر قد تغير دون أن نعرف السبب أو من الذى يغير الموقف والاتجاه ؟

وبعد عدة أيام فوجئنا بقرار يضعنا أعضاء في لجنة شعبية، وسألنا عن مصدر القرار فلم نجب بشئ !! كما أن الموفد الذى بلّغنا بذلك الخبر لم نكن نعرفه بشخصه أو وظيفته إذا كان يشغل أى وظيفة، ولقد حدثت تغييرات كبيرة وكثيرة بعد الثورة الشعبية حتى أن كثيرين شغلوا مناصب هامة لم يكونوا معروفين لأحد وقد جاءوا بما عرف وقتذاك باسم (التصعيد) وحدث فى هذا التصعيد الشئ الكثير كإحياء القبلية والمناطقية وبالتالى كان أفراد القبيلة لا يختارون أحدا لأى عمل أو منصب من خارج القبيلة وليس مهما ما إذا كان الشخص مؤهلا أو حتى متعلما أم لا ونحن نعتقد أن الخبرة والثقافة والعلم هى أدوات وغاية الثورة الشعبية والهدف منها، أما الفوضى والتخبط بل والفساد مع الأسف الشديد فهى نتيجة طبيعية لعدم الخبرة والجهل والتى ينتج عنها الفساد فى كل شئ، ولابد أن ذلك هو الغرض أصلا من الثورة الشعبية.



الفصل السابع

لجنة العمل القومى في عمل لا قومى

أسعدنا كثيرا ما كنا سمعناه في تلك المقابلة من العقيد معمر القذافى (قبل أن يحدث التغيير المفاجئ) لأن العقيـــد القذافى يستطيع أن يقـــوم بدور هام في العمل القومى من أجل لم الشمل وتقريب يوم الوحـــدة وكـــذلك إتاحـــة الفرصة لكل القوميين العرب بأن يلتقوا في طرابلس ويعملوا معـــا لمـــساعدته والوقوف خلفه في تحقيق عمل يشرّفه ويشرّف ليبيا، ونحن لم نكن نبغى شيئا من وراء ذلك بل إننا رجوناه بأن نبقى جنودا مجهولين يحيون ويموتون مـــن أجـــل وحدة عربية تعـــزّ الأمة بعـــد اهانتها وتقوّيها بعد أن نالها الضعف والهـــوان عندما غاب من دنيا العرب ذلك الرجل الذي ناضل وضحى بكل شئ مـــن أجل وحدتها (جمال عبدالناصر) وكما أشرت تفرغنا وأعددنا الدراسة وعندما جئنا لتقديمها إليه والإستئناس برأيه حيل بيننا وبينه وقد طُلـــب منـــا تـــسليم الدراسة لطرف آخر ولم نعـــرف سببا لذلك وما الذي تغّير وكنا على إتفـــاق بإن نعود إلى أعمالنا بعد الانتهاء من الدراسة لتسليم مهامنا ثم نعود متفرغين لما كلّفنا به لكن كانت المفاجأة أننا أبلغنا بأننا أعضاء في لجنة شعبية وأن عملنـــا سيكون في بيروت بلبنان فقلنا لذاك الذي أبلغنا القرار إن ما نعرفه أننا لجنـــة عمل قومى وليس أعضاء في لجنة شعبية، فرد بإصرار قائلا، بل أعضاء في لجنة شعبية وفى لبنان !،،

المفاجأة كانت هائلة ورغم ذلك فمن ناحيتى رفضت على الفور وقلت إننى لا يمكن بعد أن كنت سفيرا أعود عضوا في لجنة شعبية وفى نفس البلـــد الذي كنت فيه، ومع الأسف قبل الزميلان الآخران أن يعملا بتلـــك اللجنـــة

الشعبية. وكان هذا التطور من أغرب الغرائب وكان هناك سؤال ملح يتردد، هل الأقليميون أقوى من قائد الثورة بحيث يمكنهم أن يغيروا الاتجاه ٣٦٠ درجة خلال مدة لم تزد عن شهر؟؟

أم أن العقيد نفسه غيّر رأيه ذلك أن ما نعرفه عنه أنه رجل قوى ولا يتأثر بمن حوله ؟؟

ولقد كانت تلك صدمة عنيفة بالنسبة لى ولا أعرف كيف كانت لغيرى ولعلنى لم أفهم القصد من ذلك التطور وكان إصرارى على الرفض ؟

فكرّت في أن أستقيل وأترك العمل نهائيا وكنت فيما سبق قد قدمت استقالتى ثلاث مرات: (الأولى عندما حدث الخلاف مع وكيل وزارة الداخلية وكنت وقتئذ ضابطا بإدارة الجوازات.

والثانية عندما حدث الخلاف مع عضو القيادة أمين عام الاتحاد الاشتراكى وكنت عميدا لبلدية بنغازى وأمينا للاتحاد الاشتراكى في بنغازى..

والثالثة عندما حصل الخلاف مع عضو القيادة المشرف على لجان الوحدة بين ليبيا ومصر وكنت محافظا لبنغازى وأمينا للاتحاد الاشتراكى في بنغازى وعضوا بواحدة من لجان الوحدة)..

ولقد كانت كل هذه الخلافات من أجل مبادئ ومواقف قومية ولا أقول إننى كنت دائما على صواب في كل خلاف لكننى كنت ألتزم برأيي مضحيا بأى وظيفة أو منصب، وكان بعض الأصدقاء يقولون إن هذا نوع من الغلواء في الرأى وأشتطاط في المواقف من جانبى، ولكن على أى حال فإن (الطبع يغلب التطبّع كما يقال) ولا يمكننى أن ألغى من عقلى ما آمنت به حتى

لو كان خطأ وهو ليس كذلك، وعندما فكرت في الاستقالة هذه المرة رأيت أنها قد تفسّر بأنها خلاف مع من يشغل أعلى منصب في البلاد مما قد يجر عليّ الكثير من المشاكل وقد يستغل ضدى من أطراف أعرف أنها انتهازية تتصيّد المواقف.

وقبل أن أحزم أمرى كان الواجب يقتضى وقد كنت سفيرا لبلادى في السودان أن أعود إليه من أجل توديع زملائى السفراء والمسؤولين هناك وأترك مسؤولية السفارة لمن يأتى بعدى ولم أكن أعلم بأن هناك لجنة شعبية وصلت الخرطوم وقامت بما يسمونه (زحفا) على السفارة بما فيها ومن فيها ولا أن الزحف قد طال سفارات أخرى..

وفى طريقى إلى الخرطوم مررت ببيروت وكان فى نيّتى أن أتعاقد على نشر كتاب وزيارة السفارة هناك لتحية زملاء أعرفهم فوجدت مجموعة من الناس يهشّمون أقفال مكاتب السفارة ويتنادون بأصوات عالية متهجمين بالكلام على كل عمل دبلوماسى وكل دبلوماسي، وكنت أنوى البقاء يوما أو يومين في بيروت وعندما رأيت هذا التصرف في السفارة وممتلكاتها مما يعطى صورة سيئة عن الثورة الشعبية غادرت فورا وفى نفس الوقت عن طريق جدة إلى الخرطوم، وعندما وصلت هناك وجدت لجنة شعبية تصرفها عكس ما رأيت في بيروت حيث كان أمينها رجل عاقل في تصرفه وإجراءاته وهذا يعنى أن الجوهر في الإنسان وليس في الفكرة، وذلك فارق كبير، وقد زارنى بعد يوم من وصولى ليقول إنه لم يشأ أن يتصرّف فى أى شئ قبل حضورى وأنه يودّ أن يأخذ رأى فى العمل والتعامل، أسعدنى ذلك وقلت له إن أول ما يتوجب عليّ أن أقوم به هو القيام بزيارات توديع للمسؤولين والزملاء السفراء كما يقضى

البروتوكول ثم زيارة رئيس الجمهورية كما يحدث عادة عند مغادرة أى سفير لمكان عمله فشجّع على ذلك، وعندما أنتهيت من مراسم التوديع أقام أمين اللجنة الشعبية حفل توديع حضرة أغلب السفراء ورجال الدولة وبذلك قدم صورة حسنة عن ليبيا حيث فهم الناس أن الثورة ليست ضد السفراء وإنما ضد المنهج والأسلوب في العمل الدبلوماسي، وبدورى لم أسرع في العودة وقد بقيت مع هذا الأمين أعرّفه بالمسؤولين ورجال السياسة في البلاد لأن ذلك فيما رأيت واجب أقوم به كما كان الحال في العمل الدبلوماسى بل ورد على موقفه وتصرفه العاقل، وتبيّن على ضوء هذه الأحداث أن الثورة الشعبية لم تتوقف على الداخل والاستيلاء على كل مصالح الدولة وإنما امتد سعيرها إلى الخارج وتم الزحف على السفارات العربية الليبية فى كل مكان، وإذا كان هناك في الداخل نظيرا لها يمكن أن يحاسبها أى المؤتمرات الشعبية حيث انها أى اللجان مهمتها تنفيذية بينما المؤتمرات رقابية سياسية فإن تلك اللجان في الخارج باستيلائها على السفارات كانت طليقة وأعضائها غالبا يتصرفون على غير وعى ومسؤولية مما أساء كثيرا لليبيا فى الخارج.

وحدث أنه بدل السفير الواحد صار هناك خمسة سفراء إذ أن اللجنة تتكون من خمسة أعضاء وكل واحد من هؤلاء الأعضاء يعتبر نفسه سفيرا، وبدل سيارة فارهة واحدة كانت للسفير صارت خمس سيارات لأن كل عضو أراد نفس السيارة من نوع السيارات الأخرى، وغيّر اسم السفارة بحيث أصبح اسمها مكتب (في البلاد العربية أى مكتب أخوه وفى البلاد الأجنبية اسمها مكتب شعبى) ولهذا انخفض مستوى التمثيل فبدل السفير صار أمين اللجنة قائما بالأعمال بالوكالة كما ألغيت جوازات السفر الدبلوماسية وبالتالى

فقد أعضاء اللجان الحصانة الدبلوماسية، وغيّر علم الدولة وصدرت تعليمات بحرق العلم السابق علنا وبحضور الصحفيين، وإذا كنت فهمت أسباب الثورة الشعبية فإننى لم أفهم أسباب حرق العلم الليبى بذلك الشكل (علما بأنه علم الاتحاد الذي لم يتحقق وبذلت فيه وعليه جهود وأموال !).

وفى الخرطوم ودعت أمين وأعضاء اللجنة تلك وحزمت حقائبى التى تكرر حزمها في أكثر من مكان وعدت إلى بلادى.

وإذ كنت أحمل ذكريات طيبة عن الشعب السودانى المحب للحرية والذى وقف ويقف عنيدا ضد النظم العسكرية فقد ألّفت كتابا عن السودان كان عنوانه (أزمات السودان بين ديمقراطية الشعب ودكتاتورية العسكر صدر بالقاهرة عن دار غريب سنة ١٩٩٧م).

ذكرت فيما تقدم إننى بعد وفاة والدى قررت العودة إلى البلاد وأن لا أعمل بالخارج مرة أخرى حيث لم يعد هناك من يؤانس عائلتى الصغيرة ولكن استقالتى لم تكن قد قبلت وكلّفت بمهام دبلوماسية أخرى وهذه المرة كان علىّ أن اصحب عائلتى معى بحيث يمكننى أن أشرف على تربية أطفالى وفى نفس الوقت أتيح لهم فرص الدراسة في مدارس راقية، ورأيت أن أنسب مكان لهم هو قبرص للإقامة وهى واحدة من البلدين اللذين كلّفت بالعمل فيهما سابقا، ومن فضل الله أن أولادى قد وفقوا في التعليم والآن منهم اثنان يحملان درجة الدكتوراه في مجالات مختلفة، وكما ذكرت قبل هذا التكليف أننى كنت قد فكرت في الاستقالة بعد انتهاء عملى الدبلوماسى بالسودان، ولكن لاحت أمامى فرصة رأيت أنها قد تكون نافذة تؤدى إلى عمل يخدم الوحدة ويخدم أهداف ثورة بلادى في تأكيد مطلب الاشتراكية وهى واحدة من أهداف

نظامها الجديد حيث عرض عليّ أن أشغل منصب الأمين العام المساعد لمنظمة الأحزاب الاشتراكية في منطقة البحر الأبيض المتوسط ومقر هذه المنظمة طرابلس فعدلت عن التفكير في الاستقالة واستقر بى المقام في طرابلس عندما وافقت على هذا العمل الجديد، وتلك هى المرة الأولى في هذه المدينة رغم أنها عاصمة بلادى حيث أننى عشت في بنغازى التى أحببتها بعروبتها والنفس القومى بها، وقبل أن أباشر العمل بمنظمة الأحزاب الاشتراكية استدعانى أحد أعضاء القيادة وقال لى أنهم في القيادة قرروا تكليفى بمهمة جديدة في الأمم المتحدة أى أن أكون مندوب الجماهيرية (وهذا الاسم السياسى الجديد لليبيا) بتلك الهيئة الدولية ولكن بشروط، والمسؤول الليبى هو العميد وقتئذ أبوبكر يونس، فقلت أولا شكرا على هذه الثقة التى أعتز بها، ولكنى أعتذر مقدما عن قبول أى شرط وإذا رأيتم وأنتم أصحاب القرار أننى أفيد فى ذلك العمل فسوف أقبل إذ أن خدمة بلادى واجب وشرف وحبها يجرى في دمى وعروقى كما التزمت دائما بالعمل من أجل الوحدة العربية، وأنت تعلم أننى من المؤمنين بالوحدة العربية وهى ليست قضية وإنما أمل ومطلب كل من يريد العزة لأمة العرب، قلت ذلك وأنا أعرف أنه أكثر منى تحمّسا للوحدة العربية ولعله كان يرى أن العمل الدولى يتطلب ذلك ؟ وأضفت إننى لا أستطيع أن ألغى ما في وجدانى وعقلى وأعدت القول، إذا ما رأيتم أننى يمكن أن أفيد في هذا العمل فإنى أقبل بكل إمتنان أما غير ذلك فلا..

والواقع أن الدهشة البالغة تملكتنى إذ لم أعرف سبب الحديث في موضوع ليبى بحت أمام رئيس حزب لبنانى على الرغم من أنه صديق وناصرى، ومع ذلك ما كنت أتمنى أن يحصل أمامه ما حصل حيث كان من الممكن أن

يتحدث هذا المسؤول الليبى معى على انفراد وأنا ما زلت أشغل وظيفة سفير بالخارجية الليبية وأتوقع أن أكلف بأى عمل طالما أنى موظف في الدولة، وخمّنت في بادئ الأمر أن هذا المسؤول يريد شاهدا على رفضى فيكون عذره بعد ذلك أنه تحدث إلىّ أمام فلان، هذا تفكير أولى ولكن هل هو في حاجة لشاهد غير ليبى لو اراد معاقبتى إذا ما رفضت ؟ وأنا أعرف أنه رجل خلوق متسامح وودود، أسئلة كثيرة مرت برأسى إلا أننى مع ذلك توقعت حسن النية.

وعلى ضوء ذلك الموقف لم يتم التعيين وحمدت الله على أننى لم أضعف أمام إغراء المنصب الدبلوماسى الدولى الكبير، وبعد ذلك الحديث صرف النظر عن فكرة تكليفى بالعمل فى الأمم المتحدة كممثل لليبيا إذ ربما أعتبر ما قلته إنما هو نوع من الرفض، والحقيقة أننى لم أرفض فى أى وقت ما أكلف به لأننى أعتبر خدمة بلادى فى أى موقع أراه مناسبا وأرى أننى أستطيع أن أعمل به، وبعد فترة من الوقت استلمت عملى كنائب لأمين عام منظمة الأحزاب الاشتراكية فى البحر الأبيض المتوسط وكان الأمين العام أحد زملائى وقد عملنا معا فى بداية تكوين منظمة الاتحاد الاشتراكى الليبى رحمه الله..

كان مقر هذه المنظمة فى طرابلس ولأنها تجمع أحزاب هامة تنتمى لدول منطقة البحر الأبيض المتوسط رأينا العمل السريع على استكمال مؤسساتها لكى تكون فاعلة فى خدمة دول البحر الأبيض المتوسط وهى:

(ليبيا – الجزائر – تونس – المغرب – مالطا – اليونان – فرنسا – مصر – قبرص – لبنان) ولقد كان برنامج إنشاء تلك المؤسسات يقوم على :

أولا – فى الجانب الإعلامى (تأسيس اتحاد الصحفيين فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وإنشاء صحيفة ناطقة باسم المنظمة، وإنشاء إذاعة باسم المنظمة وتأسيس معهد دراسات سياسية واجتماعية واقتصادية.

ثانيا – إعداد برنامج سنوى للندوات والمؤتمرات تعقد كـــل مـــرة فى واحدة من دول البحر الأبيض المتوسط .

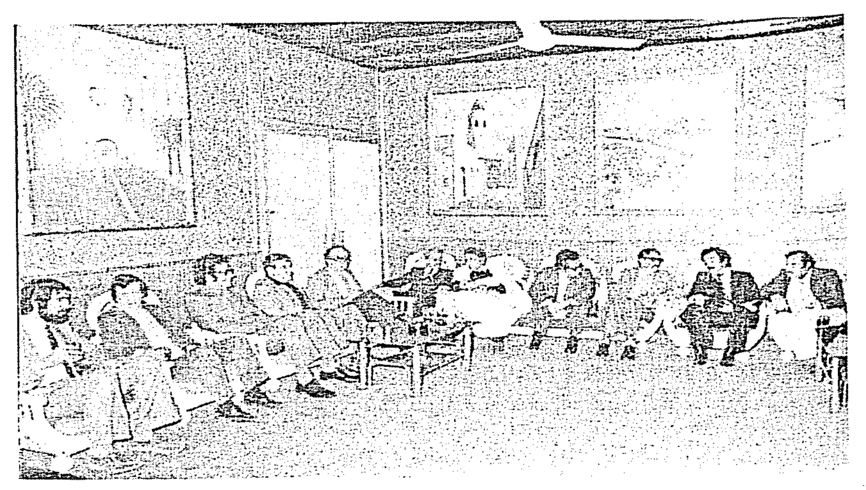
وهكذا بالنسبة للبند الأول فقد عقد مؤتمرا للصحفيين بمالطا شارك فيه العديد من صحفيى هذه البلدان ونتج عنه تأسيس اتحاد الصحفيين وانتخـــاب أمين عام ومساعدان، ثم اتفق على موعد اجتماع قادم بقبرص من أجل إنشاء الإذاعة وأعدت رسالة وجهت إلى الحكومة القبرصية من أجل الترخيص وشراء أرض لبناء مقر الإذاعة.

أما بالنسبة للبند الثانى فقد تم ترتيب ندوة حوار للأحزاب القبرصـــية التركية واليونانية لبحث قضية قبرص والخلاف التركى اليونانى شـــارك فيهـــا أعضاء مراقبون من بقية الأحزاب وكان ذلك أول لقاء بين تلك الأحزاب منذ تاريخ الحرب بين الفئتين القبرصيتين (القبرصية التركية والقبرصية اليونانيـــة) ومن ثم إنقسام الجزيزة بسبب تلك الحرب وكان الاجتماع بطرابلس بعنـــوان (المائدة المستديرة)..

جانب من رئاسة اجتماع مؤتمر الأحزاب الاشتراكية فى مالطا



مع الدكتور ليساريدس ومندوبي الأحزاب الاشتراكية في منطقة البحر الأبيض



مع رئيس الحزب الاشتراكى القبرصى

الدكتور ليساريدس الذى ترأس اجتماع الأحزاب



وإذ كنت منذ سنة ١٩٧٣م أشارك في أنشطة منظمة تضامن الشعوب الأفروأسيوية متطوعا قبل أن توافق ليبيا على تشكيل لجنة وطنية للتضامن، وأستمرت مشاركاتى منذئذ إلى أن تشكلت اللجنة الوطنية الليبية للتضامن حيث كنت أحد أعضائها وكنت أرى أهمية هذه المنظمة لارتباطها بمؤتمر (باندونج) والزعماء الثلاثة (عبدالناصر ونهرو وسوكارنو ثم انضم إليهم تيتو) وكانت أهدافها إنسانية بحتة ومن أجل خدمة الشعوب ورأيت أن الفائدة منها قد تكون إضافة إلى الأعمال الإنسانية كلقاء الوفود العربية الشعبية التى قد يحدث بينها نقاش وتنسيق يفيد التفاهم العربي وقد يؤدى إلى نوع من

الوحدة أو الاتحاد، وحدث فعلا عندما تم التنسيق بين اللجنة الليبية واللجنة المصرية لإصدار مجلة مشتركة تعنى بشأن الوحدة العربية وخدمة أهداف اللجنتين والبلدين..

وقد انعقد المؤتمر العام للمنظمة في الجزائر سنة ١٩٨٣م حيث تم انتخابى نائبا لرئيس تلك المنظمة وكان لابد لى أن أتفرغ للعمل بها في مقرها بالقاهرة ولهذا طلبت إعفائى من منظمة الأحزاب الاشتراكية لأننى لا أستطيع العمل بمنظمتين فى وقت واحد، والواقع أننى كنت أفضل الإقامة بالقاهرة بدلا من طرابلس وتمت الموافقة على أن أعمل مع منظمة الشعوب الأفروأسيوية بالقاهرة وكانت السياسات والمواقف بين ليبيا ومصر متعارضة متناقضة وكل طرف ينظر في الأتجاه المعاكس للآخر حتى أن جوازات سفر الليبيين جميعا كتب علي صفحاتها عبارات تقول (هذا الجواز صالح لجميع دول العالم ما عدا إسرائيل وجنوب أفريقيا ومصر) وكان إعلام البلدين لا شغل ولا هم ولا هدف له إلا التجريح والتهجم على الطرف الآخر، في هذا الجو السياسى المضطرب والمشحون بالكراهية ووفق لى أن أعمل بالقاهرة في مصر، وصحيح أن المنظمة دولية وهى منظمة شعوب بها أكثر من مائة وعشرين حزبا وتنظيما شعبيا من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وبعض القوى التقدمية في أوربا ولكن من يريد أن يدخل مصر لابد له أن يخضع لقوانين وإجراءات السلطات المصرية وهكذا الحال بالنسبة لأى بلد آخر، وكان جواز سفرى يحمل نفس العبارات بمعنى أنه غير صالح في مصر إضافة إلى أننى كنت ممنوعا من دخول مصر أثناء عهد الرئيس السادات بسبب موقفى أثناء إجتماعات لجان الوحدة بين ليبيا ومصر فماذا سيحدث ؟

وكان هناك اجتماع عاجل بمقر المنظمة في القاهرة ومن المفروض أن أحضر باعتبارى واحدا من نواب الرئيس الأربعة وكنت قد أبلغت رئاسة المنظمة بساعة وتاريخ حضورى دون أن أسعى إلى تغيير تلك العبارات في جواز سفرى (بدون قصد طبعا) والسبب أننى كنت خارج البلاد (في قبرص) وجواز السفر الدبلوماسى لا يغيّر إلا في وزارة الخارجية وكانت وقتئذ وزارة الخارجية الليبية قد غيرّ اسمها فصارت تسمى أمانة الاتصال الخارجى والتعاون الدولى.

سافرت إلى القاهرة بذلك الجواز وكان في استقبالى رئيس المنظمة ومدير العلاقات ومعهما ضابط من الجوازات المصرية برتبة عقيد فيما أذكر، وعندما حيانى طلب جواز سفرى وتذكرة الطائرة ليأمر بإتمام إجراءات الدخول ولابد أنه كان يعلم بما في الجوازات الليبية لأنه لم يفاجأ عندما اطلع على تلك الصفحة التى كتب عليها النص في جوازى وقد فكر قليلا وقال إن الجواز بهذه العبارة غير صالح للاستعمال في مصر، ثم أضاف عبارة هزتنى من الأعماق، قال (أومالو دا أنت في بلدك) هكذا دخلت بلدى فعلا فأنا من محبى قاهرة المعز لدين الله، مصر التى ذكرها الله في كتابه العزيز (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) والتى رفع اسمها عاليا معززا جمال عبد الناصر.

دخلت بلدى الثانى دون أن أحتاج لجواز سفر صالح أو غير صالح ولو كنت في أى بلد آخر ما كان يسمح لى بالدخول، حضرت الاجتماع الذي تعقده المنظمة ولأنه لم يكن هناك أى ليبى يعمل بهذه المنظمة فقد أقر في الاجتماع أنه بالإضافة إلى كونى نائبا للرئيس أكون أيضا عضوا بالسكرتيريا الدائمة، والواقع أن المنظمة كانت تتمتع باهتمام ودعم وتمويل الاتحاد

السوفييتى وكانت تحت رعايته المالية والسياسية وهناك أكبر عدد من السوفييت بإداراتها لأن الروس كانوا يرون أن أهدافها تقدمية وهى في كل اجتماع (طبعا بتأثير ممثليهم) تشجب سياسات الاستعمار والاحتكارات الدولية وتنادى بحرية الشعوب، بمعنى أنها ضد الغرب الرأسمالى وهذا ما تحبذه السياسة السوفيتية آنئذ، وكانت أغلب المناصب في المنظمة لابد أن يشغلها من يرضى عنه رئيس الوفد السوفييتى (رئيس لجنة التضامن السوفيتية) ولا أنكر أننى كنت أعرف أنهم راضون عنى أى (السوفييت) قبل أن يغضبوا فيما بعد ويقفوا ضدى في مؤتمر نيودلهى.

راضون عنى ليس لأننى شيوعيا وهم يفضلّون الشيوعى على غيره وإن بشكل غير مباشر وإنما لأننى كنت قد ألّفت كتابا وصدر بعنوان (خرافة الستار الحديدى حول بلاد السوفييت) وكان ذلك قبل أن أعرف منظمة التضامن هذه وإنما خلال فترة عملى سفيرا لبلادى بالاتحاد السوفييتى (صدر هذا الكتاب بعد إنتهاء فترة عملى فى موسكو وانتقلت من هناك) والواقع أننى كنت ومازلت على قناعة بأن اشتراكية هذا البلد كانت لصالح الناس وأن نظامه الأجتماعى كان رائعا خلاف تلك الصورة التى يعطيها وينشرها الغرب (مع ما كان يشاع عن القادة السوفييت كونهم تحولوا إلى أباطرة والمبالغة فى امتيازاتهم الشئ الذى ساعد فيما بعد أولئك الذين عملوا على هدم هذه الدولة الكبيرة مثل غورباتشوف ويلتسين) وأنا على قناعة حتى الآن أن ما ذكرته في كتابى كان قائما على ملاحظة ودراسة وبحث ومعاشرة حيث أننى زرت أغلب الجمهوريات السوفيتية في ذلك الوقت..

المهم أن انتخابي نائبا لرئيس المنظمة كانت اللجنة السوفيتية فيما عرفت بعدئذ وراء ترشيحى في مؤتمر الجزائر لمنصب أحد نواب الرئيس، ثم أبدت فكرة أن أشغل أكثر من منصب نائب الرئيس وعددهم أربعة فى ذلك الوقت .

وكما قلت كان الاتحاد السوفيتى يرعى شئون المنظمة ويصرف على ندواتها ومؤتمراتها وسفر أعضائها إلى أى مكان بطائرات شركة الخطوط السوفيتية (إيروفلوت وهذه بأساطيلها الجوية كانت تعمل بين القارات الأربع) علما بأن المنظمة تفككت ولم يبق منها إلا المبنى في القاهرة عندما انهار الاتحاد السوفييتى حيث توقف الدعم المالى والسياسى على الرغم من أن المنظمات الأعضاء كانت تدفع اشتراكات سنوية قدرها خمسة آلاف دولار أميركى ومع الأسف كانت هذه الأموال تنهب وتستغل فى غير أعمال المنظمة وهو ما اكتشف فيما بعد..

بعد أن شاركت في اجتماع المنظمة كان من اللازم أن أحصل على تأشيرة إقامة طالما أن عملى سيكون بصورة مستمرة في القاهرة ولأننى أردت ألا أحرج المسؤولين بهكذا طلب فقد أجلّت إجراءات الإقامة إلى أن أعود إلى بلدى وأغيّر جواز سفرى بحيث يكون صالحا، وفعلا عدت وتغيّر الجواز ثم أستمر عملى في القاهرة وإذ كان قد تقرر في مؤتمر الجزائر أن تدفع اللجان الأعضاء اشتراكا سنويا لدعم ميزانية المنظمة وكان مبلغ الاشتراك يساوى خمسة آلاف دولار سنويا وتبعا لذلك التزمت بلادى بدفع الاشتراك السنوى المقرر ولهذا صار من حقى أن أراقب وضع ميزانية المنظمة أولا لأن بلدى يدفع اشتراكه وثانيا لأن وظيفتى كنائب للرئيس وعضوا في للسكرتارية يلزمنى

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

بذلك، ولقد وجدت أنه ليس هناك محاسبية منظمة في ميزانية هذه الهيئة وأن الأمر متروكا لتصرف شخص واحد هو السكرتير العام للمنظمة فقلت في الاجتماع أن ذلك إجراء غير قانونى وغير صحيح ونحن ملزمون أمام بلداننا بأن ننظم إجراءات الميزانية طالما أن هذه البلدان تدفع اشتراكات سنوية، ونظام الوظائف منذ أن تأسست المنظمة هرمى (المؤتمر العام ثم المجلس ثم المكتب السياسى ثم الرئيس ونواب الرئيس ثم السكرتير العام وبعده السكرتيريا الدائمة) ولقد نُص في الميثاق أن رئيس المنظمة لابد أن يكون من البلد المضيف وإذ كانت مصر هى البلد المضيف فإن الرئيس كان منها دائما أما السكرتير العام فبالانتخاب وكان دائما من الحزب الشيوعى (أى حزب شيوعى) بتزكية ودعم عادة من رئيس اللجنة السوفيتية وكان في هذه الأثناء السكرتير العام شيوعى عراقى يقيم كلاجئ في مصر وكان في كل اجتماع يشكو من الظروف المالية للمنظمة ولهذا تقرر عقد اجتماع طارئ للمكتب السياسى في أثينا باليونان لبحث ترتيبات المؤتمر العام القادم وإمكانيات المنظمة المالية مع احتمال تشكيل لجنة تتابع هذا الشأن وإذا لزم الأمر أن تقوم بزيارات للبلدان الأعضاء من أجل الحصول على الدعم المالى اللازم وكذلك حث اللجان الأعضاء على دفع اشتراكاتها المتأخرة بحيث يمكن الصرف على المؤتمر العام القادم.

ولسوء الحظ أو حسنه (لا أعرف) حدث أثناء اجتماع المكتب السياسى أن أصّر الأعضاء على أن أكون رئيسا للجنة المالية ولقد حاولت الاعتذار عن قبول هذا التكليف لكنهم أصّروا عليه وتكونت اللجنة المالية من ثمانية أعضاء واتفق على أن يعقد أول اجتماع للجنة في القاهرة بأسرع وقت

وأن تبدأ أولا فى مراجعة ميزانيات السنوات الثلاثة الماضية ثم يقوم ثلاثة من أعضائها بزيارة بلدان اللجان الأعضاء من أجل البحث عن حلول للوضع المالى في المنظمة، وحدث أن اللجنة في أول اجتماع لها لم تمكّن من مراجعة ميزانيات المنظمة حسب قرار المكتب السياسى حيث رفض السكرتير العام أن تطّلع اللجنة على الفترة الماضية مما بعث في نفوس الأعضاء بعض الشكوك، ولهذا عقد اجتماعا للسكرتارية الدائمة لبحث الأمر فأصر السكرتير العام على موقفه وأيده رئيس اللجنة السوفيتية ومع الأسف كان هذا لا هم له إلا تهريب المعدات إلكهربائية وغيرها إلى موسكو بالتعاون مع آخرين وبمساعدة السكرتير العام (هذا الأمر اتضح فيما بعد) ولأننى كنت رئيسا لتلك اللجنة رفضت موقف السكرتير العام واتهمت رئيس اللجنة السوفيتية بالتستر عليه، (والواقع أنه لم يكن من المعتاد أن يرفع أى صوت فى وجه رئيس اللجنة السوفييتية وهو الذى يقرر كل شئ فى هذه المنظمة ومن هنا بدأ الغضب على هذا الذى رفع صوته) وهكذا فشل كل شئ وقد انسحب أربعة من أعضاء اللجنة المالية بضغط من رئيس اللجنة السوفيتية وفقدت لجنتنا النصاب القانونى لأى اجتماع فيما بعد وهنا قفل السكرتير العام كل الأبواب فى وجهى رغم عضويتى فى الرئاسة وفى السكرتارية.

وحدث أن توفى رئيس المنظمة الذي كان يدعم اللجنة المالية وجئ برئيس جديد مرشح من جانب الوفد السوفييتى كالعادة، وكان مهادنا وضعيفا وبضغط من الوفد السوفييتى الذي جاء به حاول أن يلغى اللجنة المالية التى لم يبق منها إلا ثلاثة ورئيسها لكنه فشل إزاء إصرارنا على متابعة عملنا حتى لو كان غير قانونى ولم تنقض فترة أسبوع حتى اكتشفنا أن الاشتراكات التى

كانت تدفع نقدا توضع في حساب خاص بالسكرتير العام في بنك بقبرص يسمى (هيلينك بنك) في نيقوسيا وكان الفضل في هذا لأحد أعضاء اللجنة الذي كانت له علاقات متينة مع بعض المسؤولين في قبرص حيث حصل على رقم ذلك الحساب وكشف بالمبالغ.

وهنا حدثت أزمة حيث رفض رئيس الوفد السوفييتي حتى مجرد الحديث في هذا الأمر وجعل رئيس المنظمة الجديد يقف نفس الموقف، وتوقف كل شئ رغم الدليل المادى الذي قدمناه وصار رئيس الوفد السوفييتي يروّج إشاعة تقول إن الذي حدث إنما هو مؤامرة أمريكية لتخريب المنظمة وما كان منه ومن رئيس المنظمة إلا أن تسترا على السكرتير العام بطرد ثلاثة مصريين من القسم المالى وموظفة في مكتب السكرتير العام كانت تتقاسم معه تلك المبالغ وأوقفا كل تدقيق أو تحقيق إلى أن حل موعد المؤتمر العام الذي عقد في نيودلهى عاصمة الهند وكانا قد خططا لإسقاطى من المنظمة (من منصب نائب الرئيس وعضوية للسكرتارية) وهكذا تحوّلت حسب رأيهما فجأة من صديق للسوفييت إلى عدو لهم!! ولولا موقف رئيس الحزب الاشتراكى القبرصى وهو أقدم نائب رئيس في المنظمة الذي هدد بأنه سينسحب نهائيا من المنظمة وسوف يفضح كل شئ ولهذا لم يفلحا في إسقاطى وكنت قد أدركت أن عملى بهذه المنظمة لن يكون مرغوبا فيه بعد الآن كما عرفت أنها منظمة يسيطر عليها مجموعة من المنتفعين فقررت أن أقطع علاقتى نهائيا بها وسكرتيرها ورئيسها، وخلال فترة عملى لم أفد منها شيئا غير حرية التنقل بين القاهرة وموسكو حتى ناقشت رسالتى ووفقت بحمد الله، وأقول الآن غير نادم لو أننى سايرت وسرت مع الركب لحصل ما يلى:

١- لبقيت في القاهرة مقيما وفى المنظمة نائبا للرئيس وعضوا بالسكرتارية.

٢- وفى المنظمة على حساب السوفييت متجولا في كل بلد ومدعوما منهم،

٣- ومن بلادى على مرتب بالعملة الصعبة وبلا مدة محددة طالما رغبت،

ولكنى لم أساير ولم أجامل، وأكرر أن ((الطبع يغلب التطبّع) وعدت إلى بلدى، وما بخلت يوما بجهد في أى موقع وضعت فيه في الخارج أو في الداخل عميدا ومحافظا وسفيرا، ولم أسع إلى وظيفة أو منصب ولا جاه أو مال بغير حق منذ عرفت الدنيا حتى الآن..

ولقد كنت أجتهد ليكون عملى صادقا لوجه الله والوطن، وأعتقد أننى وفقت في تقديم خدمات قدر طاقتى البشرية للثورة في سنواتها الأولى وهى سنوات كانت حرجة بالتأكيد لأن الناس كانت تنتظر الكثير الكثير مقابل ما أعطت من تأييد وترحيب، ولكن يظهر أننى كنت أحلّق خارج السرب وأفكر فيما لا يريد البعض، وبعد فترة ليست بالطويلة من عودتى أقيم مهرجانا تكريميا وتلك سنّة حميدة أن تكرّم الدولة بعض الناس اعترافا بما قدموا من خدمات أو تضحيات، ولقد أسعدنى أن أسمع بذلك دون أن أتوقع تكريمًا لم أنشده في يوم من الأيام ولا توجّعت أو أتوجّع إذا ما فاتنى (وهذا حدث عدة مرات) وعندما بدأت المناسبة وأبرز عنوانها والمشاركون فيها تملكنى كثيرا من الأسى بسبب ذلك العنوان الذي رفع في واجهة قاعة التكريم، ونصّه كما يلى (تكريم المناضلين والمبدعين والمخلصين) ولم يكن لى تعليق على كلمة (مبدعين) ولا كلمة (مناضلين) ولا اعتراض لأن من أقام الحفل أو قرره له أن يحدد من المبدع أو المناضل حسب رأيه وهواه إنما كلمة مخلص فهى شئ آخر

بمعنى أن الذي لم يكرّم ليس مخلصا ومن يكون غير مخلص فهو مرتزق وإذا استمر في العمل إنما يؤكد ارتزاقه.

وهكذا قلت إننى لا يمكن أن أكون مرتزقا وكانت القطيعة، فقد قررت ترك العمل مهما كان الآتى، وكتبت عدة كلمات طلبت بها إحالتى إلى التقاعد ولما وصلت ووفق عليها فورا وهذا زاد من سعادتى لأننى لست مرتزقا ولأن الدولة لا تريدنى ولها أسبابها مثلما لى أسبابى (وكفى الله المؤمنين القتال) ومع ذلك القرار رأيت أن أترك حتى تلك المدينة التى عشت فيها طفولتى وشبابى (بنغازى) ليس تذمرا ولا كرها إنما رغبة في الانفراد والتفرغ حيث كان هدفى دائما أن أكرّس وقتى للقراءة والتأليف والترجمة، ولأننى على قناعة أن تأليف كتاب أفضل وأعظم من أى وظيفة أو منصب، ورأيت أن المكان الذي أتفرغ فيه هو موقع رأسى (بلدة الزنتان) وهناك أخترت ربوة خارج البلدة أقمت عليها بيتا متواضعا بعد أن وفّقت في الحصول على قرض عقارى من أجل البناء مازلت أدفع أقساطه حتى وقت كتابة هذه السطور، وكان أمامى هدفان.

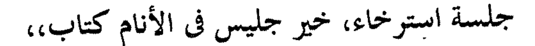
الأول، أن أباشر إكمال تعليمى العالى والفرصة سانحة.

والثانى، أن أجد امرأة من أقاربى تكون رفيقة حياتى فيما بقى منها.

ولقد تقاعدت في نوفمبر ١٩٨٩م، وتزوجت في ديسمبر ١٩٩٢، وأنهيت دراستى العليا في ابريل ١٩٩٤، ولابد أن أذكر أن مرحلة الدراسة العليا قد بدأت كما ذكرت بالولايات المتحدة وانتهت بعد التقاعد أى من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٩٤، بل إننى حتى بعد هذه الفترة فكرت فى أن أدرس القانون بالجامعة المفتوحة وكليتها التى أنشئت ببلدة يفرن لكننى عدلت عن

الفكرة بعد زيارة تلك الكلية.. وحتى الآن ألّفت وترجمت ستة وأربعون كتابا في الآداب والعلوم والتاريخ إضافة إلى العديد من الروايات والمسرحيات ولم انقطع عن الكتابة الصحفية أبدا بتوفيق الله وعونه.

وعندما انتقلت إلى بلدتى (الزنتان) التى غادرتها منذ كان عمرى ست سنوات وعدت إليها وقد جاوز عمرى خمسين سنة فكرت فيما يمكن أن أقدمه من عمل لأهلى وأنا خارج أى منصب أو سلطة وحقهم علىّ الآن حيث كنت قد بذلت جهدى فى أعمال كانت بعيدة عنهم وليس لدى إلا قلم وبعض الأفكار وحصيلة علمية لا بأس بها.


جلسة استرخاء، خير جليس فى الأنام كتاب،،







تزوير التاريخ للخدمة الاقليمية وفى أضيق نطاقها

(القبليّة !!)

كنت قد قرأت كتابا عنوانه (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) وكان فيه الكثير من التزوير التاريخي من منطق إقليمي والإساءة إلى كل المجاهدين وقد خص كاتبه قبيلته بكل البطولات في معارك الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي بداية من سنة ١٩١١م ورأيت أنه لابد لي أن أرد على ما جاء في هذا الكتاب مسترشدا بإحداث التاريخ الوطني ومتوخيا إحقاق الحق ورد الاعتبار لأناس ظلموا وهم أحق بالإنصاف فتفرغت لتأليف الرد وقد جاء في كتاب عنوانه (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) ثم ألّفت كتابا آخر عن حياة الشيخ سالم بن عبدالنبي الذي أساء إليه ذلك الكاتب بإن قّلل من دوره في معركة قارة سبها التي حدثت سنة ١٩١٤م وكان الكتاب بعنوان (الشيخ سالم بن عبد النبي قائد معركة قارة سبها وبطل معارك القبلة) ولأن مؤلف كتاب (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) واسمه محمد سعيد القشاط كان متخصصا في التزوير والإساءة لكل قبائل الجبل الغربي وغيرهم فقد أصدر كتابا آخر عنوانه (الصحراء تشتعل) لم يترك فيه سيئة لم ينسبها إلى الزنتان وورفلّه بشكل خاص وغيرهم، وتوالت الكتابات والردود بيننا ومن ناحيتي لم أتوقف أو أتردد في تفنيد كل ما كتب بالوثائق والمستندات دون أن أتعرض له كشخص لكنه أصدر كتابا عنوانه (من قيادات الجهاد على كلّه والمبروك الغدى) تعرض فيه لي شخصيا بالقول (إن قلمه أشرف من أن يترل إلى مستوى شتائم وسباب عبدالوهاب الزنتاني، على طريقة بوليس العهد المباد) وهنا كان عليّ أن أرد بما أعرف وأمتلك فجاءت ردودي في كتابان هما :

١– الجهاد الوطنى أدب وتاريخ أمس واليوم وغدا..

٢– إسهامات الليبيين في النضال الفلسطيني من الحسيني إلى عرفات..

وجعلت مقدمتى الكتابين في شكل ردود على السيد القشاط أوردها هنا من أجل التاريخ:

تقول مقدمة كتاب (إسهامات الليبيين في النضال الفلسطيني وهى بعنوان – كلمة لابد منها..

(معذرة قارئى الكريم فقد حدث أثناء إعداد هذا الكتاب وبعد أن فرغت منذ أسابيع من تأليف كتاب عن (دور الليبيين في الثورة الجزائرية) هذه الأدوار والإسهامات التى تشرّف كل ليبى وليبية وكنت قد كرسّت كل وقتى لها بحثا وتقصّيا وتحقيقا، صدر كتاب السيد القشاط وعنوانه (من قيادات الجهاد على كلّه والمبروك الغدى) ونعتقد أنه لا يمكن لأحد ممن قرأوا تاريخ الجهاد الوطنى الليبى أن ينكر على مثل هذين القائدين الكبيرين نضالهما لو اقتصر الأمر عليهما كمجاهدين (حسب ما ذكر مؤلف الكتاب) من قبيلة لها كغيرها من القبائل الليبية دورها في النضال الوطنى لكن الأستاذ القشاط وكعادته لا يبنى بيتا إلا على هدم آخر ولا يكتب كلمة (بقلمه الشريف جدا !!) إلا ويكون مغروسا في سم زعاف، ولأننى لا أريد أن أدخل على أحداث موضوع كتابى هذا المضيئة في حياة أمتنا العربية بعض المغالطات ولا أقول السفاهات أكتفى برد مقتضب على ما خصّنى به الأستاذ القشاط وأتعهد بإذن الله أن أرد على كل كلمة في كتابه عندما أفرغ من تأليف كتابى هذا..

يقول القشاط على الصفحة (١٧٥) ما يلى :

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

(أما كتب عبد الوهاب الزنتانى المليئة بالشتائم والسباب والمغالطات (وألفاظ بوليس العهد المباد) الخالية من أدب المثقفين والأسلوب العلمى فلست محتاجا للرد عليها لأن قلمى أشرف من أن ينحدر إلى أسلوب عبدالوهاب مع أننى أملك من الوثائق الدامغة وصور وقصائد الشعر الشعبى ما يجعل عبدالوهاب ومن يدافع عنهم يتوارون خجلا من الناس، آمل أن يفهم أن التاريخ وثائق وحجج وليس مهاترات، إلخ) ...

هكذا بالضبط الأستاذ القشاط يعيّرنى بما أسماه بوليس العهد المباد!! وأنا أقرر هنا أن ليس في تاريخ حياتى ما يخجلنى أو يخيفنى، نعم لقد كنت عضوا في قوة دفاع برقة أدرّس علوم اللاسلكى ثم انتقلت إلى البوليس الاتحادى وأنشأت أول مدرسة لتعليم اللاسلكى (عندما كان اللاسلكى آنئذ الوسيلة الوحيدة للاتصالات) ويشهد بذلك أغلب ضباط الشرطه أو (البوليس كما يحلو للسيد القشاط أن يقول) الذين تدربوا على اللاسلكى ومازالوا يعملون في أجهزة الأمن الليبية، وكنت ضابطا يحمل درجة البكالوريوس في الإلكترونيات، ثم انتقلت للدراسة في بريطانيا وبعدها ألمانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية وعدت إلى بلادى لأعمل في مختلف المجالات، وكنت عميدا ومحافظا وسفيرا في العديد من البلدان العربية والأسيوية والأفريقية، وأنا أتحدى السيد القشاط أن يجد في كتاباتى كلمة واحدة تقرّبا أو تزلّفا أو نفاقا لأى حاكم منذ بدأت الكتابة في الصحف المحلية والعربية مع بداية سنة ١٩٦٠م وهذه أسماء الصحف التى نشرت فيها مقالات أو دراسات طيلة أربعة عقود أو أكثر..

(الصحف الليبية، جريدة الحقيقة وجريدة العمل وجريدة برقه في بنغازى)

(الصحف العربية، جريدة الأهرام وجريدة صوت العرب ومجلة الموقف العربى ومجلة صباح الخير ومجلة التضامن في مصر)

(وفى لبنان مجلة الشراع ومجلة إلى الأمام)

(وفى الكويت جريدة القبس)

(وفى قبرص مجلة الموقف العربى)

(وفى لندن جريدة الناصرية)

كذلك أتحداه أن يجد كلمة واحدة يمكن أن يشتم منها نفاقا أو تزلفا أو تدليسا أو تقربا من أى حاكم في أى من الكتب التى ألّفتها أو ترجمتها وعددها حتى الآن ستة وأربعون كتابا أعتبرها إسهاما متواضعا في النهضة الثقافية في بلادى، أما عن بوليس العهد المباد (كما قال) فلقد كنت ضابطا يدرّس العلوم كما ذكرت، وإذا كانت الجندية (شرطة أو جيش أو كما يقول بوليس عارا أو سبّة فإن السيد القشاط قد شرّف بهذه الصبغة أو التهمة حتى إخوتنا الذين يقودون البلاد الآن !) وأقول إننى لم أكن شاعرا شعبيا يدبّج القصائد الشعبية في مناقب وفضائل وأعمال حكام العهد الذي صار يعيّر به الناس عندما تغيرت الأمور والسياسات والنظم، وهذه قصائد السيد القشاط تزلّفا ونفاقا وتملّقا نذكر بعضها هنا..

ومصيبة القشاط أنه اعتقد أن تلك القصائد قد أختفت أو أخفيت بطريقة ما، وسوف أنشر كل قصائد نفاقة تلك وغيرها من مقالات التزلف في الكتاب الذي تعهدت أن أعدّه ردا على كتابه هذا..

أما قوله إن قلمه أشرف من أن ينحدر إلى أسلوب عبدالوهاب في الشتائم والسباب فإن قلمه الشريف جدا هو الذي زوّر به أحداث التاريخ

بشهادة العاملين بمركز جهاد الليبيين وهم متخصصون في البحث التاريخى وقد أثبتوا بالبحث أن القشاط قد زوّر ما أسماه (مذكرات عون سوف) ولقد نشرت تلك الدراسة في كتابى (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربى)..

كذلك شهادات أخرى نشرت بمجلة الشهيد (العدد الرابع سنة ١٩٨٣م) وهى أبحاث قيّمة تتألف من إحدى عشرة صفحة حول كتاب (خليفه بن عسكر، الثورة والاستسلام) أكدت مجافاة القشاط للحقائق التاريخية وتحديدا أوضحت (إن الكاتب، المقصود القشاط، جاء تفسيره واستخدامه لبعض الوثائق بصورة غير سليمة كالوثيقة المنشورة بالصفحة ٣٦٩ وهى عبارة عن رسالة من محمد شيلابى إلى أحمد المريض يعلمه فيها أن سليمان البارونى يكتب مكاتيب في بعض الناس من الزاوية يشوهّهم فيها، وكذلك تفسير الكاتب للوثيقة المنشورة على الصفحة ٣٨٢ وكذلك تفسير الوثيقة في الصفحة ٣٦٩ من محمد فكينى إلى هيئة الأصلاح المركزى، وأيضا الخطأ في تاريخ الوثيقة بصفحة ٣٦٦ وصفحة ٣٦٤، وفى صفحة أخرى من هذا البحث تقول (يذكر الأستاذ القشاط في صفحة ٢٢٧ أن الشيخ سوف كان أحد قادة معركة الأصابعة (جندوبه) التى حدثت طبعا سنة ١٩١٣م في أواخر شهر مارس إلا أن الشيخ محمد سوف لم يكن حاضرا أصلا في معركة جندوبه وليس هناك مصدر يدل على حضوره المعركة... انتهى).

كذلك هناك تزوير في الوثائق والنصوص التى نشرها في الكتاب كرد على كتابه (معارك الدفاع عن الجبل الغربى) حيث كان يكتب تحت كل وثيقة ما يخالف نصها معتقدا أن القارئ لن يفطن لما في الوثيقة، وقوله شتائم وسباب عبدالوهاب الزنتانى فإنه إذا كان يرى أن الإشارة إلى عمليات التزوير شتما

وسبابا فإني لا أتنصل من ذلك ولا أنكره ولست وحدى الذى دمغ القشاط بالتزوير بل إن الباحثين فى مركز جهاد الليبيين أكدوا ذلك.

وبقلمه الشريف جدا !! قال عن زعماء واحدة من القبائل الليبية المجاهدة أنهم عندما يطلب منهم المشاركة في الجهاد يقولون (أتركونا نشاور نساويننا) جاء ذلك في كتاب له عنوانه (الصحراء تشتعل) والقبيلة هي (ورفلّه) ولقد أشرت إلى ذلك في محاضرة لى بمركز جهاد الليبيين معيبا على القشاط هذا السلوك وغيره ويشهد بهذا رجال تلك القبيلة الذين كانوا حضورا بقاعة المحاضرات، وكانت قولته تلك قلّة أدب في حق قبيلة لها تاريخها المشرّف في الجهاد الليبي، ونجده الآن في كتابه هذا المعنون (من قيادات الجهاد على كلّه والمبروك الغدى) يكرر نفس الإساءة وقلّة الأدب مع نفس القبيلة محاولا خلق فتنة بين أفراد القبيلة نفسها عندما قال (جاءت الطفلة تشتغل مع العاملين في نقل الحجارة وكانت إذا رأت أحدا من جماعة (أبناء تلّيس) تغطى وجهها لتحتجب عنه أما إذا كان معها الآخرون من العاملين فإنها لا تحتجب، فسألها أحد الشباب من رجال ورفلّه العاملين معها، لماذا لا تحتجبين منا نحن في الوقت الذي تحتجبين من أولاد تلّيس ؟ أجابته غاضبة ومختصرة، إننى أحتجب من الرجال وأنتم مثلى نساء، فالرجال هم الذين يفرضون علينا العمل أنا وأنتم، جواب مؤلم ومفعم بالاحتقار والإزدراء، أغضب الرجل، وأيقظت قولتها في نفسه شيئا أضمره، وفى اليوم التالى اجتمع ثلاثة رجال هم :

١ – النجار جد الصيعان ببنى وليد وهو الضيف القادم للمنطقة

٢ – القجار جد الصرارة أو السبايع

٣ – خمخم جد السلاطات المناسله.

واتفقوا على الثورة ضد أولاد تّليس ومهاجمتهم يوم الجمعة في المسجد وكانت بجانبهم جيفة حمار ميّت فاتفقوا على أن الذي يصمم على الثورة ينهش من جيفة الحمار تأكيدا على التصميم، وفعلوا ذلك وهاجموا أولاد ابن تلّيس وأبادوهم وخربوا مدينتهم التى لا تزال بقاياها حتى الآن، وفر من بقى من أولاد تلّيس والتحق بقبيلة ورشفانه حيث حمتهم وكوّنوا بها قبيلة لا تزال حتى الآن بورشفانه، وتقول ابنة أبناء تلّيس وهي في منفاها بورشفانه :

(النجار والقجار وخمخم يا دايا

لا نق عليهم طار ولا جتنى فيهم عزايا) .. انتهى..

وأعتذر عن نقل كلماته غير اللائقة – مثل جيفه وحمار الخ – لأن هذه فتنة أيقظها القشاط، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها –آمين..

هذا ما أضافه السيد القشاط من شرف على قبيلة ورفلّه إلى ما قاله عنها في كتابه السابق، وليتصوّر القارئ الكريم سفاهة هذا الكاتب الذي يستدل بالجيّف ويثير الفتن بين الناس بل بين أفراد القبيلة الواحدة! ولقد أوردت كلامه هذا تأكيدا على قلمه النظيف الشريف جدا جدا، وفى نفس الكتاب خص قبيلة أخرى بنفس (العزّار المتخصص فيه وهى قبيلة الرحيبات) لأن قلمة الشريف لا يتناول إلا الجيف والتشكيك في الحرمات وتسفيه المجاهدين.

وعلى الرغم من أننى لا أعرف تحديدا الجهة الرسمية في بلادنا التى تموّل وتشجّع كتابات هذا القشاط المثيرة للفتن والأحقاد إلا أننى يقينا أعرف أن دار الملتقى التى كان مقرها في ليماسول بقبرص ثم انتقلت إلى بيروت في لبنان قد طبعت ونشرت للسيد القشاط (أحد عشر كتابا) ربما ليس آخرها كتابه

المعنون (الصحراء تشتعل) الملئ بالتحقير والاستهزاء والافتراء على قادة وأسر وقبائل كان دورها بارزا في الجهاد الليبى، وأعرف أن تلك الدار تابعة لجهة رسمية في ليبيا، كما أنني أعرف شخصيا المشرف الليبى على تلك الدار عندما كانت في قبرص.

وكتب القشاط التى دأبت دار الملتقى على نشرها وتوزيعها بعضها ليس حديثا وهذا يعنى أن المقصود من النشر تشجيعا ومساعدة مع الأسف الشديد، وأرى بكل تواضع أن من يقف وراء شطحات وإساءات القشاط لا يخدم البلاد ولا التاريخ الذي يجب أن يحترم ويحمى من التزوير والافتراء، وفى النهاية أقول، قليلا من الحياء يا شاعر العهد الذي تشتمه الآن!! وأعتذر للقارئ الكريم فقد كان هذا الإيضاح ضروريا ولم يكن الانتظار ممكنا، وأريد أن أسأل القشاط، ألست أنت القائل :

(يعيش ملك الأمة إدريس   عمم بإصلاحاته
على رفعة هالوطن حريص   يتمم مشروعاته ؟؟)

أو لست أنت القائل :

(بفضل خطط إدريس الزينا   وشعب الليبيين
رامى تاجا فوق جبينه   بانى مجد متين ؟؟)

أو لست أنت القائل :

(مليك ليبيا قاد السفينة بيهم   بنجاح نجاها البحر وغريقه
يحميه ربى الملتجى حاميهم   ويحيا ولى العهد دوم رفيقه ؟؟)

ألست أنت القائل :

(نهنى شباب الأمة   والشعب هللى إفليبيا ملتمته
وطن صارت رقعته منظمّه   إدريس بعد حكم الله هو سيده ؟؟)
وجلّى علينا من كساد وغمّه   موش عيب لينا نكثروا تمجيده !)

ولكى لا ينكر أو يتملّص السيد الشاعر الشعبى القشاط مما كتب، أو كما فعل فى كتاب كان قد ألفه يمجّد فيه الحكم الملكى والملك إدريس الذى عمل على حرقه وإخفاء ما بقى منه بعد الثورة مباشرة، هذه أجزاء من قصائده الشعبية تزلّفا وتقرّبا ونفاقا أثناء العهد السابق.

والقصائد واردة في كتابه المعنون (بين نجوع البادية) الطبعة الثانية وقد قدمه هو نفسه للقارئ قائلا :

(لا أطيل عليك فهذه الطبعة الثانية من الكتاب الذي أعدنا طبعه بإلحاح منك ومن المكتبات التى تولت توزيعه وما نفاذه بسرعة من الأسواق إلا لكونه حاز رضاك (ص ٣٥) الخ..

يقول على الصفحة (٥١) :

(إدريس فيها للشعب رزم   وقال نبغى إستقلال
على الشعب الليبى يخمم   وما يهنا له بال
في قضية هالوطن خدم   التحقيق الآمال
رفعها إليا هيئة لمم   واللى يبغى نال
أعلن بالمرسوم رسم   اليوم يوم إستقلال

والشعب مع الجـيش　　　إنظّم ورسمـوا في إحتفـال
تحررنا والله رحـم　　　إتعيش دولة لبطـال !!)

وعلى الصفحة التالية (٥٢) يقول :

(صار ابن الشعب الرئيس　　　إيسدد في خطـواتـه
يعيش ملك الأمة إدريـس　　　عمـم بإصـلاحاتـه
علـى رفعـة هالوطـن　　　حريص يتمم مشروعاتـه
وصـار اللى في السـوق　　　رخيص وكثرت منتوجاتـه
الصـادر بيترخّـص　　　ترخيص وهكى وارداتـه
وكل حـاجة ليهـا　　　خصيص إثبت في حسلأاباته
وقانـون أمشـرّع تنصيص　　　بالحكـه فـقراتـه
شبحنـا إفلـوّل كـان　　　بصـيص يزدادوا إشعاعاتـه
متربـص في أحـسن　　　تربيـص ويعطى مرسوماتـه
إزياده ما تـعـرف　　　تنقيص الميزانية إسنيـن
على ترفيـه الشعب　　　حريص ويحي فيـه الديـن !!)

وعلى الصفحات التالية (٥٣-٥٤) يقول :

بدت الحالة في التقديـم　　　زراعات الفـلاح
ونشطت حركات التعليـم　　　وعممنا الإصـلاح
وبنوك تسير ابتنظيـم　　　أتحاسـب في لربـاح

وكل مرة مشروع عظيـم　　　وكل الشعب ارتـاح
وجيش عايش في الحـرب　　　قـديم بمدافع وإسلاح
إيرقى الضباط مراسيـم　　　من قائد لصـلاح
وسفره للدولة تـدعيـم　　　جملة ناس إمـلاح
وفى الهيئة لينا كلّيـم　　　أبدا مـا ينـزاح
شبـاب ناهض ما يحمل　　　ضيم للرفـعة كـدّاح
وكشافة ورئيس عظيـم　　　ولى العهد الزيـن
إدريس بجوال البر عليـم　　　إيطوّل عمره آميـن

***

توا عشر إسـنين قضينـا　　　في عهد الحـرية
مروا كيف البرق علينـا　　　بإصلاحات قويـه
وفيهم حققنا أمانينـا　　　للأمه الليـبيـة
والتعليم أسهّل لينـا　　　حتى من الأميـه
كليات عسـاكر زينـا　　　وإتخرج بالميـه
من بعـد الحرب تمنينـا　　　وصرنا دوله حيـه
وما ترسـم حاجه إلا بينـا　　　في الجامعة العربيـه
وفى هيئة لـم بدينـا　　　لينا أصوات قويـه
بفضل خطط إدريس الزينا　　　وشعب الليبيـن
رامى تاجـه فوق جبينـه　　　بانى مجد متين !!)

***

ويستمر القشاط في تدبيج قصائد المديح والتزّلــف الآن دون خجــل، ونجده يقول على الصفحة (٦٨) من نفس الكتاب..

توحدت يا وطن مبروك لينــا	بخطـــــوات زينــــــه
خطاهم مليك وطنا الحر بينــا	إفمجــدك إيبــــــــنّى
التشتيت يا وطن مكروه رينــا	وذقت لمرار فيه على صغر سنى
إهنيك يا وطـــــن الشجاعة	وحصـــــن المنـــاعــه
وظنيت توحيد شملك أشاعــه	إفـــروحــــــى إنـــــمنّى
وقت إسمعت الخبر في لذاعــه	في بير محذوف وأنشلت كنّــى
توحدت يا وطـــن كثـــرت	أفراحك عن الجرف زاحـــك
زعيم حر مراده ديما صلاحك	أوعنك امـــــــوّنـــى
وجاب الدوا بيه ضمّد جراحك	ويا بشرة الخير في الوطن رنّى
مبروك يا وطن عيد الضحيــه	ووحــــــده قويـــــه
انضم شمل لطراف كانت قصيه	خبرهـــــا أوصلـــــنى
اليوم غات للتاج ترفع تحيــــه	وطبرق أونالوت فيها أهّــنّى!!)

إلى هنا أكتفى بهذا القدر وسوف يطالع القارئ الكـريم جميــع تلــك القصائد والكتابات المليئة بالنّفاق التى كان يدبّجها هذا الــشاعر في محاســن وأفضال ذلك العهد...

ولابد لى أن أقول إن الله سبحانه وتعالى قد وعد مثل هــؤلاء النــاس حيث قال في كتابه الكريم: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ (التوبة: ٦٨).





الفصل التاسع

الدفاع عن حقيقة تاريخ الجهاد الوطنى باعتباره جزءا من تاريخ أمتنا العربية

من أجل تصحيح التاريخ هذا ما جاء في مقدمة الكتاب الثانى الذي كان بعنوان (الجهاد الوطنى أدب وتاريخ، أمس واليوم وغدا) علما بأن الكتابين قد منع تداولهما في ليبيا رقيب المطبوعات دون إبداء أى سبب وكنت أتمنى ألا يحدث ذلك ولهذا اضطررت أن أنشرهما في (الإنترنت) ليقرأهما من يرغب لأنى أعتبر الجهاد الوطنى الليبى جزء مشرّف من تاريخ أمتنا العربية، تقول مقدمة هذا الكتاب :

رغم كل محاولات التصحيح بالوثائق والمستندات كالوثيقة المنشورة في هذا الكتاب على الصفحة رقم (٢٧٤) والتى كانت ردا على فريّة أتى بها السيد القشاط في كتابه الصادر سنة ١٩٩٨م والمعنون (الصحراء تشتعل) حيث قال (أن الزنتان يميلون مع الريح من أجل مصالحهم بدليل تخلّيهم عن زعيمهم أحمد السنى عندما أعتقله عبد النبى بالخير) وعلى الرغم من أن الشيخ أحمد السنى لم يكن زعيما على الزنتان فقد تقدم أهالى الزنتان ومعهم سبع قبائل أخرى بمذكرة (موجود نص الوثيقة في الكتاب) إلى المجاهد الشيخ عبدالنبى بالخير يطلبون فيها إطلاق سراح الشيخ أحمد السنى، رغم ذلك عاد السيد القشاط في كتاب أصدره أخيرا بعنوان (من قيادات الجهاد الشيخ المبروك الغدى والشيخ على كلّه) إلى ترديد نفس القصص المختلقة والتى لا تستند على أى مرجع معترف به، والسيد القشاط في كل رواياته يستشهد بالأموات لأنهم لا يتكلمون !!

كذلك حديثه الذي يكرره بمناسبة وبغير مناسبة عن (سقوط قارة سبها سنة١٩١٤م ودور الشيخ سالم بن عبدالنبى فيها) وهو يشكك في دور هذا الزعيم وقيادة المجاهدين هناك، وقد فندّت افتراءاته بالعديد من الوثائق والروايات الشفوية المسجلة في نشرات مركز جهاد الليبيين، وكذلك كتابات القادة الطليان مثل (قراتسيانى ويلاردينيللى وأنجلو دل بوكا وغيرهم) يجدها القارئ الكريم على صفحات الكتاب..

لقد بلغت به الإستهانة بنضال المجاهدين الليبيين إلى أن يصف تلك القارة التى كانت عملية احتلالها فاصلا وفيصلا في تاريخ الجهاد الليبى ضد الغزو الإيطالى عندما وصفها بأنها (مجرد مخزن سلاح يحرسه عدد من المجندين غير الإيطاليين) ولقد أوردنا وها نحن نورد اعتراف آخر صريح جاء في كتاب (أنجلو دل بوكا) وعنوانه (الإيطاليون في ليبيا، الجزء الأول، صفحات ٢٦٦- ٢٦٧) يقول الكاتب الإيطالى وهو يتحدث عن سقوط القلعة وأهميتها العسكرية وما فيها من سلاح وضباط وجنود، ما يلى بعنوان :..

سقوط قارة سبها فى أيدى المجاهدين، :

لقد كانت حامية قارة سبها والتى كانت تحت إمرة النقيب ميليوريني مكوّنة من ثمانية ضباط وتسعة من ضباط الصف وثلاثة وسبعون جنديا إيطاليا، وتسعة عشر جنديا حبشيا، وتسعة ليبيين من سكان الساحل، وثمانية وستين عسكريا فزانيا، وكانوا مزودّين إلى جانب أسلحتهم الفردية بمدفعين جبليين من عيار (٧٠ ملم) مع ما يزيد على ألف (١٠٠٠) قذيفة وأربعة رشاشات ثقيلة، وهذا فيه ما يزيد عن الكفاية للاحتفاظ بالحصن (أيليا) الذي كان مقاما على قمة تلّة تشرف على السهل ولكن نظرا لأن أعمال الإنشاء لم

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

تستكمل بعد فقد كان رجال الحامية لا يزالون يقيمون في التكنات المنتشرة أسفله، وفى ليلة ٢٨ نوفمبر تمكن بضعة مئات من السنوسيين يرشدهم جنديا هاربا ويقودهم سالم بن عبدالنبى ومحمد دحنوس وعلى الشنطه وسالم دتّه، تمكنوا من التسلق إلى الحصن دون أن يفطن اليهم أحد وسيطروا عليه ولم ينتبه الإيطاليون إلا في الساعة الرابعة وعشر دقائق فجرا إلى هذه الخدعة التى جعلتهم موضع تهكم وسخرية - أنتهى)..

يجد القارئ الكريم مقتطف النص مترجما ضمن الوثائق..

مع كل ذلك مازال السيد القشاط يردد ما اصطنعه خياله بحيث يقلل من قيمة تلك العملية العسكرية ودور المجاهدين الليبيين فيها وسيرى القارئ أقواله بروايات مختلفة متناقضة مفتعلة، فمثلا ها نحن نجده يكتب في (مجلة الوحدة العربية الصادرة سنة ١٩٧٣م) ما يلى على الصفحات (٤-٥-٦) يقول:

كان سالم بن عبدالنبى الزنتانى من أخلص العناصر الوطنية في الجهاد، رجلا لا ينام على ضيم ربتّه الصحراء فأحسنت تربيته وصهرته المحن فخرج قوى العود صلب الشكيمة حاد الذكاء سريع التدبير في المواقف الحرجة وإلى جانب ذلك كان شجاعا ظهرت بسالته في الانجازات التى كانت تقوم بها القبائل لإستياق الإبل أيام ضعف العهد العثمانى، وكما هى عادة العرب في القديم - انتهى.

هذا ما قاله على صفحات تلك المجلة، ثم نجده يضيف على نفس الصفحة قائلا، استطاع سالم بن عبدالنبى أن يجمع مجموعة من الأشخاص قرابة ثلاثمائة أو كما تقدرهم بعض المصادر ٣٢٥ رجلا من مختلف القبائل ويخرج بهم من جهة (إدرى) مارا بالقرب من أوبارى في حركة سريعة إلى أن وصل

الرملة (زلاف) وهى منطقة رملية صعب الوصول إليها، وقام في الرملة باستعراض رجاله وتفقدهم واتضح له عدم صلاحية بعضهم للقتال فاستبقاهم في الرملة ووضع عليهم حراسا من الموثوق فيهم حتى لا يتسرب أحدهم ليخبر العدو، وقسّم المجموعة التى اختارها للحرب إلى مجموعتان، الأولى تتجه إلى (ادرى واوبارى) لاحتلالهما وعلى رأس هذه المجموعة (المهدى كنيفو الزنتانى والدحنوس الزنتانى) وسار سالم بن عبدالنبى على رأس القسم الآخر متجها إلى قلعة (قاهرة) الحصينة قلب فزان وقلب القوات الإيطالية..

ويضيف على الصفحة التالية (٥) قائلا بعنوان إحتلال قلعة القاهرة سبها ٢٨ نوفمبر ١٩١٤م ما يلى :

قبض سالم بن عبدالنبى على رجل من الحطمان كان جنديا مع الطليان أخذ إجازته لزيارة أهله، وأجبر سالم هذا الرجل على السير معهم ليكون خبيرا للقوة الصغيرة المهاجمة، وسارت المجموعة القليلة في عددها الكبيرة في إيمانها ووصلت يوم ٢٧ نوفمبر إلى جبل صغير يقع غربى سبها بحوالى ١٥ كيلومترا وعسكرت هناك إلى أن أظلم الليل وقد كانوا أثناء سيرهم في طابور طويل حتى لا تتنبه جواسيس العدو لكثرة الآثار ومواطئ الإبل.

ثم وعلى عنوان بالخط العريض وعلى نفس الصفحة (٦) يقول القشاط (سالم بن عبد النبى الزنتانى يقود ٤٠ مجاهدا ويقتحم القلعة — اللحظة الحاسمة — وغرقت الشمس في بحر الصحراء مساء يوم ٢٧ من نوفمبر ١٩١٤م وتناول المجاهدون حبات من التمر كعشاء لهم، ووقف سالم يختار من مجموعته القليلة والتى لا تمتلك إلا أربعين بندقية، المجموعة الفدائية التى ستقتحم القلعة، وسار أربعون شبحا في الظلام يتقدمهم قائدهم يسوق أمامه الخبير الذي

ربطه بحبل من يده وبيده رأس الحبل (أرجو أن يلاحظ القارئ الكريم أننى أنقل كلماته المكتوبة حرفيا وكما هى) مهددا إياه بالقتل في حالة إصدار أى صوت أو تنبيه للعدو، ووصلت المجموعة إلى مرتفع صغير قرب القلعة غربى (البطاح) بجوار المطار الآن، بينه وبين القلعة قرابة الكيلو مترين، وجلسوا هناك للاطمئنان والتأكد من نوم الجنود، وبعد منتصف الليل تحركت المجموعة وأمامها الخبير صاعدة الجبل الذي تقع القلعة على رأسه مع طريق ضيق ملتو مجهول بالنسبة للمدنيين إلى أن وصلوا إلى الباب حيث وجدوا الحارس نائما فقتلوه بالسيف حتى لا يسمع الجنود إطلاق الرصاص، وأخذوا بندقيته وساروا يتسلقون القلعة إلى أن وصلوا أعلاها فأطلقوا النار على الجندى المكلف بالمراقبة وكان بجواره كلب بوليس فقتلوه هو الآخر وارتفعت صيحات التكبير في أرجاء القلعة وكان أول المكّبرين الشيخ (سالم بن عبدالنبى) كما هو الاتفاق بينه وبين زملائه المجاهدين.

هذه واحدة من روايات السيد القشاط، ونجده يقول كذلك..

وفى سكون الليل قبل الفجر بقليل ترددت في متاهات الصحراء أصداء التكبير والطلقات النارية فبثت الرعب والفزع في جنود المعسكر الذين كانوا يغطون في نومهم، فأشجعهم هو الذي تمالك أعصابه وعرف طريق الفرار حافى القدمين حاسر الرأس في لباس النوم، واقتحم المجاهدون مخزن السلاح والذخيرة وتسلحوا جميعا وتم لهم الاستيلاء على القلعة دون خسائر تذكر، وفى الصباح لحق بهم بقية المجاهدين الذين تركوا غربى سبها يحرسون الإبل وهكذا استطاع أربعون مجاهدا اقتحام قلعة سبها الحصينة والاستيلاء عليها دون مساعدة أحد باستثناء ذلك المجند الوحيد الذي أجبر قسرا على أن يقود المجاهدين إلى الطريق

المؤدى للقلعة غير أن الإيطاليين يقولون في مصادرهم أن الجنـــود الفـــزانيين الموجودين بالقلعة ساعدوا المجاهدين على إحتلالها، ولقد ردد ذلــك الأســـتاذ (خليفة التليسى) في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) معتمدا على المصادر الإيطالية التى تريد أن تخفف من هزيمتها، ولقد كنت أتمنى أن يكون ذلك حقا، ولكن جميع الذين ألتقيت بهم سواء أكان من الحاضرين في المعركة أم من الذين عاشوها نفوا أن يكون أى جندى مع الإيطاليين ســـاهم معهـــم أو ســـاعدهم باستثناء الحطمانى الخبير الذي سبق ذكره.

ويستمر السيد القشاط في سرد أحداث تلك المعارك وهو الشئ الذي يخالفه أو يتنكر له بعد مرور أكثر من عقدين من الزمان، فيضيف، وبعد معركة (القاهرة) بسبها وسقوطها بيد المجاهدين اندلعت الثورة في كافـــة الـــبلاد، وحاولت إيطاليا إرجاع هيبتها فلم تفلح.

.. وبعنوان (الثأر والهزيمة) يقول، موقعة مرسيط ٧ من أبريل :

الهزيمة المنكرة التى تعرضت لها القوة الإيطالية في (خرمـــة الخدامـيـــه) ووادى مرسيط، والثانية فى معركة (القرضابية الشهيرة) والواقع أن الإيطاليين جهزوا ثلاث حملات لا أدرى كيف أهمل الأستاذ التليسى ذكر الثالثة، ربمـــا لأن الإيطاليين كتموها في مصادرهم، فالحملة الثالثة خرجت من جادو في نفس الوقت الذي خرجت فيه حملة مرسيط وحملة القرضابية متجهـــة إلى غـــدامس لحمايتها من القوة المجاهدة التى استولت على (أوبارى وإدرى) بقيادة (المهدى كنيفو الزنتانى ودحنوس الزنتانى) وأخيرا ألتحق بهما (خليفه بـــن عـــسكر) في رملة (زمزم) بين (غدامس ودرج). انتهى..

نكتفى بهذا القدر من روايات القشاط بحيث نخلص من هذا الذي أورده إلى أن قائد المجموعة في قارة سبها الشيخ سالم بن عبدالنبى النـــاكوع الزنتـــانى وهو الذي رفع الآذان من أعلى القلعة (حسب رواية القشاط هذه) وبحـــسب روايات القادة الطليان أنفسهم، هذه واحدة.

والثانية أن قائد مجموعة المجاهدين الذين احتلوا أوبـــارى وأدرى هـــو المهدى كنيفو الزنتانى (أيضا طبقا لرواية القشاط) وكذلك روايات الطليان..

ونسأل الآن، ترى ماذا قال القشاط بعدئذ في كتبه عن القـــارة وعـــن الشيخ سالم بن عبدالنبى والمهدى كنيفو ؟؟

هذا ما قاله في كتابين متتالين :

في كتابه المعنون (الصحراء تشتعل) قـــال، ليلـــة ٢٧-٢٨ هـــاجم المجاهدون القلعة إذ اختاروا أربعة عشر مجاهدا لاقتحامهـــا والـــصعود إليهـــا يتقدمهم سالم الحطمانى ويسير خلفهم بسيفه أرحومه التركى السباعى وكـــان سالم بن عبدالنبى مع المنتظرين أسفل القلعة ولم يصعد معهم إلى أن تم احتلالهـــا ورفعوا الآذان في أعلاها!!

هنا نحن نرى العجب العجاب، قال فيما سبق أن سالم بن عبدالنبى كان يقود أربعين مجاهدا اقتحم بهم القلعة وكان أول من رفـــع الآذان، وفى هـــذا الكتاب (الصحراء تشتعل) جعلهم أربعة عشر وجعل سالم بن عبدالنبى الـــذي قال عنه إنه شجاع ومقدام وذكى وأنه القائد، جعله يخاف ويبقى أسفل القلعة إلى أن احتلت ورفع الآذان في أعلاها وكان المؤذن المجاهد أحمد البريكـــى !! جاء هذا الكلام على الصفحة (٦٨) من الكتاب المشار إليه أعلاه.. وعلـــى الصفحة رقم (٦٩) قال في شأن تطهير أوبارى ما يلى :

وصل كاوصن على رأس قواته المجاهدة إلى أوبارى ونشبت المعركة مع الإيطاليين المستحكمين داخل الحصن، وطوقهم المجاهدون مدة ستة عشر يوما حاول خلالها قائد المجموعة الإيطالية الملازم (توكوتيكا) الفرار ولكنه قتل وأخيرا أستسلمت الحامية بعد أن أرسلت مجموعة من نداءات الإغاثة للجنرال (ميانى) لنجدتها،..

يذكر القارئ الكريم مما تقدم أن القشاط قال إن الذي قاد مجموعة المجاهدين الذين احتلوا أوبارى هو (المهدى كنيفو الزنتانى) ونراه الآن يجعله شخص آخر!! ودون خجل ولا حتى قليلا من الاحترام لما يكتب قال في كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، الشيخ على كلّه والشيخ المبروك الغدى) وعلى الصفحة (٢٥٨) أن عبدالوهاب الزنتانى ينصّب المهدى كنيفو الزنتانى قائدا لمعركة أوبارى دون أى دليل يدفعه الحماس لقبيلته متجاهلا قيادتها الفعلية !!

يا سبحان الله كيف يستطيع القشاط أن يلحس كلامه ويسفّه نفسه! ألم يقل هو نفسه أن كنيفو قائد معركة أوبارى وهو ما أوردناه فيما تقدم !!؟؟

وقصة خروج الشيخ سالم بن عبدالنبى إلى تونس بعد انتهاء الحرب حيث سيطر العدو على البلاد وهى التى سماها السيد القشاط هروبا عندما قال.خروج الشيخ سالم بن عبدالنبى الزنتانى إلى تونس سنة ١٩٢٩م،لم يضع الناكوع وقته فقد لاحت بادرة الأمل التى يترقبها فبادر ببيع الإبل الهزيلة والمواشى التى لا تتحمل السفر وأعد عدته واختار أحد عشر مجاهدا ممن تسعى السلطات للإطباق عليهم، وممن سألوه عنهم في التحقيق، وأبلغهم بخطة الهرب كاملة وحدد لهم التوقيت، وطلب إليهم تجهيز الزاد والماء ودلّهم على البنادق التى خبأها ابنه صالح، ولكى يطمئن (البريقادير) عاد إلى أدرى وأبلغ السلطات

بأنه سينقل عائلته وأقاربه إلى براك حسب الأوامر والموعد المحدد فأرسل معه (البريقادير) عددا من الجنود الإيطاليين، فعرّج بهم على مزرعته وأمر أحد العمال بأن يعد للجنود طعاما وأن يسقيهم عصيرا من جذوع النخل وبقى معهم حتى ساعة متأخرة من الليل إلى أن فقدوا السيطرة على عقولهم ثم أقترح عليهم الاستمرار في لهوهم وسهرهم وأضاف أنه لا داعى لازعاج أنفسهم إذ أنه ذاهب للتأكد من أن النجوع قد تم تجهيزها للرحيل وأردف قائلا سأراكم في الصباح الباكر عندما تكون القافلة قد استعدت للتوجه إلى براك ولكن كان قد بيّت أمرا فما أن غاب عن أنظارهم حتى وجد أصحابه في إنتظاره ومعهم الإبل والزاد والماء والبنادق فدعاهم للإسراع صوب تونس واستغلال ما تبقى من الليل للسير مسافة أكثر قبل انبلاج الصباح وسأله المجاهدون، أتترك ابنك وأخوك في السجن ؟ فرد قائلا ليس هذا وقت كلام ولنعتبر الذي حدث بمثابة هجوم نجا منه من نجا وراح من راح، انتظر الحراس الذين تركهم في المزرعة وقتا طويلا، ومضت الساعات وهم يتوقعون مجيئه ولكنهم في النهاية غادروا المزرعة مسرعين إلى المركز وأبلغوا (البريقادير) بأن الناكوع هرب فأودعهم السجن وأبرق للقيادة فأمروا باعتقاله هو الآخر لأنه وافق على منح الناكوع فرصة لبيع مواشيه وترحيل أسرته فأستغل الناكوع الظرف وأفلت من الإعدام لأن في مخططهم إعدامه بمجرد الحصول على الأسلحة ووضع أسرته وأقاربه ببراك تحت الإقامة الجبرية، وانقطعت أخبار الناكوع والمجاهدين المرافقين له رغم خروج أعداد من الجنود الطليان للبحث عنه ولكن بعد خمسة أيام من هروبه قابل رجلا في مكان يسمى (عوينة وتّين) على حافة الحمادة الحمراء، وسأله عن وجهته فأخبره المجاهد أنه ذاهب إلى الوالى الإيطالى بعد أن يطمئن

على إبله ويتركها في رعاية شخص ذكر له اسمه، وأضاف بإنه سيخبر الوالى عن المعاملة السيئة التى لقيها من السلطات الإيطالية في سبها وأنتشر هذا الخبر في فزان فساعد على صرف انتباه المستعمرين إلى ناحية عدم جدية الهروب، وخلق تباطؤا في البحث عنه الأمر الذي ساعد المجاهد ورفاقه على النجاة.. انتهى.

هذه رواية السيد القشاط عن خروج الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبى..

ثم نجده في كتاب آخر عنوانه (من قيادات الجهاد، الشيخ على كلّه والشيخ المبروك الغدى) يقول عكس ذلك تماما، وهذه روايته الجديدة حيث قال على الصفحة (٣١٥) ما يلى :..

في غدامس تم تجنيد الشباب بالقوة ومن بينهم الشيخ محمد الذي حمل اسم والده محمد الشيبانى الصويعى ووصل في الجيش إلى رتبة (شمباشى) وقد ساهم في مساعدة الكثيرين من الليبيين الذين يقعون في قبضة الإيطاليين، كما ساهم في مساعدة الشيخ سالم بن عبد النبى الزنتانى على الهروب، وعطل المجموعة التى كلفت باللحاق به وهو يعرف أن الشيخ سالم عند انطلاقه كان بدون سلاح كما أخبرنى شخصيا رحمه الله !! انتهى..

يا الله ما هذا الكذب المفضوح ؟ قال إن الشيخ المجاهد كان معه أربعة عشر مجاهدا يحملون الماء والزاد والسلاح وأن السلطات الإيطالية حاولت اللحاق به ولسبب ما تأخرت، ثم نجده ينسب ما أسماه (هروب) الشيخ لأحد الصيعان الذي عطل الطليان عن اللحاق بالمجاهد الذي لا يحمل سلاحا !!! شمباشى يعطل الطليان ويساعد مجاهد كبير على الهرب، لاحظوا تعبير الهرب !!

ونراه يقول عندما كان يتحدث عن عائلته أنها هاجرت!! ومتى كانت هجرة جده وأبيه؟ لقد هاجروا سنة ١٩١٣م وعادوا إلى البلاد سنة ١٩٢٩م أى بعد إنتهاء الحرب ومع ذلك يقول إنهم هاجروا أما الشيخ المجاهد الذي شارك في أغلب معارك الجهاد الليبى كقائد شهد له الإيطاليون أنفسهم والذى خرج في نهاية الحرب أى سنة ١٩٢٩م فهو حسب تعبير القشاط قد هرب !!

والسيد القشاط لا يخجل من التزوير فنجده يختلق المعركة ويصطنع لها قادتها ورجالها كما يصوّر له خياله مخالفا ما كان كتبه عنها سابقا وأحيانا في نفس الكتاب !! ففى كتابه المذكور (من قيادات الجهاد، الشيخ على كلّه والشيخ المبروك الغدى) يعود للحديث عن قارة سبها فيقول ما هو أعجب من العجب في التناقض والتزوير، فعلى الصفحة (١٢٢) يقول:

توجّه الشيخ المهدى السنى من (واو) إلى فزان ليستطلع الأوضاع ويحرّض الناس على الجهاد والتقى في طريقه إلى مرزق بأم الأرانب مجموعة تتكون من حوالى ستين مواطنا ذاهبين لزيارة السيد عابد السنوسى للتبرك به، فاجتمع بهم وحرّضهم على الجهاد وطلب منهم العودة، وجعل من منطقة زلاف مركزا لتجميع مجموعاته بعد أن أشترط على كل شيخ أن يحضر معه ٢٥ مجاهدا ومن زلاف زحف المجاهدون إلى سبها والى إدرى وأوبارى حيث استطاعوا اقتحام قلعة (قاهرة) في ٢٨ نوفمبر ١٩١٤م وأبادوا حامية أوبارى واستولوا على إدرى.. انتهى !! انتهى.

يرى القارئ هذا الاختلاق والتزوير المناقض لكل ما ذكر سابقا، مرة الشيخ سالم وأربعون مجاهدا يحتلون القلعة والمهدى كنيفو يحتل أوبارى، ومرة أخرى ارحومه التركى وأربعة عشر مجاهدا يحتلون القلعة وكاوصن ومن معه

يحتلون أوبارى ثم المهدى السنى وستون مواطنا يحرّضـهم فيحتلـون القلعـة وأوبارى وإدرى إلخ !!؟

وهذه قصة أخرى ربما جاءت للسيد القشاط في منامه، يقول في هامش الصفحة ١٢٨ من نفس الكتاب (المجاهد ارحومه التركى السباعى من قيادات الجهاد الليبي وقائد مجموعة إقتحام قلعة سبها (قاهرة)..

هنا أيضا ادعاء واختلاق وقد جاء في نفس الكتاب بـين الـصفحتين فقط !! قال في الأولى أن السنى قاد المجموعة واستولى على القلعة، وفى الصفحة التاليه جعل القائد الذي استولى على القلعة هو أرحومه التركى هذا فى نفـس الكتاب !!

وليس هذا فقط بل إنه يكرر هذه الاختلاقات فيما يكتب، وهذه قصة أخرى وما أكثر القصص الخيالية المختلقة، في كتابه المعنون (خليفه بن عسكر، الثورة والاستسلام الصادر في يوليو ١٩٧٨) وعلى الصفحة رقم (٩) يقول:

(عندما انسحبت تركيا من ليبيا بموجب معاهدة (أوشى لوزان) حيث بقى الليبيون وحدهم في الساحة وانقسم سكان طرابلس إلى قسمين :

١- قسم يؤيد إيقاف الحرب باعتبار أنهم من رعايا تركيا وبما أنها أوقفـت الحرب أذن عليهم التنفيذ، وهذا القسم يؤيده الزعماء الهادى كعبـار، عبدالنبى بالخير، أحمد المريض، وجميع المناطق التى تقع شرقى غريان

٢- قسم يؤيد استمرار القتال على اعتبار أن ليبيا لليبيين وليست للأتـراك ولا للطليان، وهذه المجموعة يمثلها الشيخ سيف المحمودى زعيم المحاميد وسليمان باشا البارونى عضو مجلس المبعوثين ومحمد عبدالله البوسـيفى

رئيس أولاد بوسيف وسالم بن عبدالنبى شيخ الزنتان وسعد حلبوده مدير الصيعان والشيخ حرب النايلى مدير النوايل، وباختصار فإن القبائل التى تقع غربى غريان جميعها كانت ضد التسليم، ولكـن الإيطـاليين بعـد خروج تركيا انفردوا بالمناطق الغربية وبعد عدة مناوشات جهزوا جيشا سار في عدة تشكيلات لتطويق المجاهدين في الأصابعة (جندوبه) الشهيرة حيث تكبد العدو فيها خسائر فادحة ونظرا لنفاد ذخـيرة المجاهـدين تقهقروا وانقسموا إلى قسمين. قسم أتجه إلى القبلة (فزان) تزعمه محمد عبدالله البوسيفى وسالم بن عبدالنبى حيث خاضوا معـارك مجيـدة في أشكده، والمحروقه التى استشهد فيها محمد بن عبدالله البوسيفى وواصل سالم بن عبدالنبى تقهقره إلى الرملة حيث عدّ العدة وانقض على الطليان في سبها القاهرة في نوفمبر ١٩١٤م واستولى عليهـا وطـردهم مـن الجنوب، والقسم الثانى وهو ما تبقى من زعماء الجهاد، سوف والبارونى وحلبوده وحرب اتجهوا إلى تونس حيث دخلوها بمن معهم من القبائـل بعد أن تسلمت فرنسا أسلحتهم في الحدود، ومن ثم سافر بعـضهم إلى تركيا وبلاد الشام.. انتهى).

كتب القشاط هذا الكلام سنة ١٩٧٨م وبعد حـوالى ثلاثـة عقـود (٣٠سنة) نجده يستحدث قصة أخرى مناقضة تماما لما ذكر في السابق معتمدا في جزء منها على ما جاء في كتـاب الإيطـالى (بيلاردينيللـى) الـصادر في الثلاثينيات من القرن الماضى بعنوان (القبلة) وهذا ما أورده في كتابه المعنـون (من قيادات الجهاد، الشيخ على كلّه والشيخ المبروك الغدى) الذي يظهر من غلافه أنه طبع سنة ٢٠٠٢م ووزّع في المكتبات الليبية سنة ٢٠٠٥م مهربـا، وعلى الصفحات (٢٤٨-٢٤٩) قال :

(وانقسمت مجموعات القبلة بعد استشهاد محمد بن عبدالله البوسيفى إلى مجموعتين :

١- مجموعة استمرت في عدائها للطليان وهاجرت إلى (زلّه) التى كان المجاهدون يطلقون عليها (مكّة) لكونها لم يصلها الطليان

٢- ومجموعة أخرى إلى النوفلية وكان أغلب أفراد هذه المجموعة من أولاد بوسيف والمشاشى وبعض المجموعات الصغيرة الأخرى وكان من قادتها عبدالحفيظ بالحاج ابن عم محمد بن عبدالله البوسيفى ومحمد بن بشير وحسن الدرويش

٣- ومجموعات أخرى استسلمت للطليان بقيادة الشيخ مرسيط الذي طلب أن يستقر في منطقة (تزان والدرويش والحاسى) ويقول بيلاردينيللى أما سالم بن عبدالنبى وأتباعه من الزنتان الرحل فانسحب إلى إدرى واستقر بها في سلام وسكينة، انتهى).

يلاحظ القارئ الكريم أن القشاط قال في الأولى (واصل سالم بن عبدالنبى تقهقره إلى الرملة حيث عّد العدّة وانقض على الطليان في سبها القاهرة في نوفمبر ١٩١٤م واستولى عليها وطردهم من الجنوب، وقال في الثانية سالم بن عبد النبى انسحب إلى إدربي وأتباعه من الزنتان الرحل واستقر بها في سكينة وسلام !! ونرى أن فارق الزمن بين الكتابين والكتابتين أكثر من أربعة عقود !! ومع ذلك نجده يقول على الصفحة (٩) من كتابه الأخير ما يلى :

٤- إننى إذ أتحدث عن دور أى فرد أو قبيلة إنما انطلق من وثائق ومخطوطات لا تقبل الجدل.

ولابد لنا أن نسأل، ترى بماذا يمكن أن يوصف هذا الكاتب ؟!! الحكم للقارئ والأمر لله من قبل ومن بعد.

أما ردى مفصلا على ما عيّرنى به القشاط فيجده القارئ في مقدمة كتابى المعنون (إسهامات الليبيين في النضال الفلسطينى من الحسينى إلى عرفات بعنوان كلمة لابد منها).

وبعد هذا كله ولولا ضيق المساحة ورغبة في تخصيص كتاب آخر لدحض جميع ما أورده القشاط في كتبه لذكرت الكثير من التناقض والافتراء والتزوير، أما ادعاؤه بأنى استخدمت صورة الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبى وهى التى رسمها له (فلان) وجعلتها على غلاف كتابى الخاص بالشيخ سالم دون استئذان فهو ادعاء باطل ومردود عليه لأننى نقلت الصورة فوتوغرافيا عن رسم زيتى لشخص الشيخ المجاهد وهذا الرسم موجود حتى الآن في المركز الثقافى بالزنتان وبحجم ١٠٠×٢٥٠ سم).

ثم ها نحن نجده يقول بكل عنترية على الصفحة رقم (١٢ من كتابه هذا) فلا أحد من العقلاء له مصلحة في تزوير التاريخ أو إخفاء الحقائق!!

ونقول، صحيح لا أحد من العقلاء ولكن أين العقل من هذا الذي جاء في كتاباتك يا أستاذ ؟؟ هل من العقل أن يتعرض الكاتب لبيوت الناس؟ وهل من المصلحة تزوير وثائق التاريخ ومحاولة قلب الحقائق كما فعلت وتفعل ؟

بالتأكيد أنه ليس من العقل أن يقول أى عاقل أن زعماء الجهاد من قبيلة (كذا) كانوا يقولون إنهم لابد أن يشاوروا (نساوينهم) ومتى كان ذلك !؟

وهل من العقل أو المصلحة أن يحاول كاتب إحداث فتنة بين أعضاء القبيلة الواحدة بالحديث عن امرأة (تتحشم) من ذاك ولا تتحشم من هذا ؟

وهل من العقل اختلاق قصة عن امرأة من الرجيبات ووضع نقط أمام إسمها مما يوحى بالشك في سلوكها أو أصلها كما فعلت في الحالتين في كتابك (من قيادات الجهاد؟).

وهل من العقل أن يقول كاتب إن فلان هرب إلى تونس سنة ١٩٢٩م أى بعد انتهاء الحرب بينما يقول عن جده وأبيه إنهما هاجرا سنة ١٩١٣م أى فى بداية الحرب وعادا سنة ١٩٢٩م أى بعد انتهاء الحرب ومع ذلك يصفهما بالمجاهدين!!

كل هذا لا يعنى إلا أنك فاقد العقل والوجدان..

ونرى أن اختلاق القصص ونسجها على هواه وإن بطريقة خائبة ليس غريبا ولا مستغربا من السيد القشاط، وربما من أجل التسلية فقط نذكر هذه القصة التى جاءت في كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، على كلّه والمبروك الغدى) وهى على طريقة (ارسين لوبين) يقول بعنوان (عودة المهاجر) على الصفحات ١٣٦-١٣٧ كلاما يجعل الشيخ كلّه هاربا وليس قائدا بنص قوله هو..كما يلى :

(سبعة أعوام كاملة وعلى كلّه مهاجرا ببلاد الشام، ولما سنحت الفرصة للعودة بعد صلح سوانى بن يادم (يلاحظ القارئ أن الصلح المذكور تم في شهر أبريل ١٩١٩م) حتى نجده في كبرياء وشمم يرفض هذه الوسيلة التى ستوصله إلى الوطن، رفض أن يمتطى باخرة للأعداء فهو على خصام معهم، لا صلح لا تفاوض ولا استسلام ولا إلقاء للسلاح حتى يخرج العدو من الوطن)...

هنا نجد صاحب القشاط قد سبق لاءات الخرطوم بأكثر من ستين سنة.

ويستمر السيد القشاط في سرد قصة صاحب اللاءات هذا قائلا، عاد المهاجرون في الباخرة الإيطالية، عون سوف وعبداللطيف العاشق وآخرون قاسوا الأمرين في المهجر، ولكن على كلّه قرر العودة على طريقته الخاصة وبوسيلته الخاصة، وصل إلى بيروت ثم إلى الاسكندرية، وهنا قرر الشيخ على كلّه الذهاب برا إلى طرابلس واشترى حمارا من السوق وأركب عليه تلك الطفلة الصغيرة وحمل ما استطاع شراءه من تموين وما يحتاج من الماء، وانطلق من الاسكندرية في اتجاه ليبيا، هناك من قال لى، لماذا لم يشتر حصانا يسافر عليه بدلا من الحمار أو جملا، الجواب، أن الحصان يحتاج إلى تموين لغذائه يوميا وهو عند النزول لدى البدو يعتبر عبئا لأنهم ملزمين بعشائه ولا يبيت عندهم بدون ذبيحة، أما الجمل فثمنه أكبر مما لا تتحمله اقتصاديات هذا المجاهد، استمر في رحلته غير الميّسرة يقطع صحارى مصر الغربية بين مضارب نجوع أولاد على الذين كانوا يكرمونه ويقدمون له ما يحتاج إليه، ثم دخل صحراء جنوب الجبل الأخضر وكان أيضا محل تبجيل وتقدير وإكرام من مواطنيه، وكان يقطع الأيام والليالى ولا يلتقى أحدا، مائة يوم كاملة، ثلاثة شهور وعشرة أيام قضاها في قطع الفيافى، وينضب منه الماء فيدخر بقيّته لتشربها الطفلة ويبقى هو يتلظى من العطش، وينضب منه الزاد فيدخر بقيته لإطعام الطفلة ويبقى هو يربط بطنه من الجوع، وأخيرا وصل طرابلس الغرب، وصل إلى جنته الموعوده، إلى هدفه الأسمى، إلى مركز تضحياته وبؤرة إيمانه، غير أنه وجد الدنيا قد تغيرت..!! إلخ.

ونجد السيد القشاط بعد رحلة صاحبه الطويلة وهو قادم على حمار للجهاد في ليبيا وبعد تلك السنوات السبع العجاف التى قضاها في الشام يقول

في هذه القصة التي نسجها للشيخ على كلّه على اعتبار إنه من قيادات الجهاد ينتهي فيها لا ليجعله من قيادات الجهاد بل ليس حتى مجرد مجاهدا !! فقد قال إنه ترك أسرته في تونس سنة ١٩١٣م وبقي في الشام سبع سنوات ولم يعد إلا عندما علم بصلح سوانى بن يادم قرابة منتصف سنة ١٩١٩م ولقد عاد على ظهر حمار وبقى فى الطريق من الاسكندرية إلى طرابلس ثلاثة شهور وعشرة أيام (نكاية في الطليان وبواخرهم !!) ثم نراه (حسب تعبير القشاط) في ليلة ليلاء يتسلل داخل الحدود التونسية تاركا حتى زوجته وبعد سنة يتسلل مرة أخرى ليلا ليخطف زوجته ولم تلح تباليج الفجر حتى كان وراء الحدود التونسية !! وهذا نص ما ذكره القشاط على (الصفحات٢٧٢-٢٧٣) في كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، على كلّه والمبروك الغدى) عن مركز تضحيات مجاهده وبؤرة إيمانه طرابلس !! قال :

أعجب الضابط الفرنسى بهمة الرجال رغم ضعفهم وتعبهم (الذين حفروا البئر الذي أمر به كلّه) فأطلق صراح على كلّه - بعد إن كان قد كسر بندقيته) ومن معه وأمرهم بالعودة إلى الطليان، تظاهر على كلّه بالموافقة وارتحل مع النجع متجهين شمالا مع الحدود الليبية الجزائرية وفى الليلة التالية ركب جملا وتسلل داخل الحدود التونسية تاركا زوجته مع أقربائه في المنتجع (هذه المرة هرب على جمل ولعله لم يجد حمارا ؟) سار على الحدود بدون طريق وبدون خبير وحتى بدون زاد، استمر أسبوعا على ظهر ذلك الجمل إلى أن وصل إلى (أولاد دباب) أكرموه وغيروا له ملابسه بملابس تونسية وأرسلوه إلى حيث تقيم أسرته في (قصر لجم) تلك الأسرة التي تركها منذ صيف ١٩١٣م وجاءها بعد أربعة عشرة سنة ووجد ابنه أبي القاسم الذي تركه صغيرا شابا يافعا وأقام مع أقربائه قرابة سنة ثم قرر التسلل عبر الحدود وهي الحدود التى يعرفها

وتعرف معاركه وصولاته راجعا إلى ليبيا حيث تقيم زوجته الأخرى مع أهلها في سهل الجفاره، وصل ليلا إلى مخيم أهله وأقربائه ودون أن يسلّم أو يخبر أحدا بوصوله اختطف زوجته وأردفها على الجمل وراءه ولم تلح تباليج الفجر حتى كان وراء الحدود التونسية!!

وهنا يضيف السيد القشاط قائلا، وسمع بزيارة موسوليني وهو الرجل السياسى الذي يتابع أخبار بلاده كما سمع بصدور العفو العام، وعاد إلى سهل الجفاره سنة ١٩٣٨م.. !! انتهى.

يا سلام، كان هذا القائد مع عائلته صيف سنة ١٩١٣م أى أول السنة تلك، وأقام سبع سنوات في الشام ولم يعد إلى ليبيا إلا بعد أن سمع بصلح سوانى بن يادم !! ثم هرب (تسلل حسب تعبير القشاط) إلى تونس تاركا زوجته ناهيك عن أولئك الذين كان يقودهم (أيضا حسب تعبير القشاط) وبعد قرابة سنة تسلل مرة أخرى ودون أن يسلّم أو يخبر أحدا ليخطف زوجته ويهرب بها إلى داخل الحدود التونسية ولم يعد إلا بعد أن سمع بزيارة موسوليني وصدور العفو سنة ١٩٣٨م.

يرى القارئ الكريم أن هذا القائد الذي لم يبق في ليبيا وطرابلس (بؤرة إيمانه حسب قول القشاط) على الإطلاق وكان يتسلل عبر الحدود التى (خبرت صولاته ومعاركه !! حسب تعبير القشاط أيضا) ولا نعرف نوع تلك الصولات والمعارك لأن القشاط جعله مهّربا وليس مجاهدا لأن من يتسلل ليلا جيئة وذهابا لا يمكن إلا أن يكون مهّربا ولصا (ونحن لا نصف السيد على كلّه بهذا ولكن وصف القشاط جعله كذلك).

ولأنه لا يوجد لدينا تعليق آخر فإننا نقول إن الحكم للقارئ الكريم وقد نقلنا حرفيا قصة القشاط عن الشيخ (على كلّه) وعلى أهل القشاط أن يقرروا ما إذا كان يشكرهم أو يذمهم ؟؟!..

وكلمتى الأخيرة للقارئ الكريم من أجل التوضيح أقول، لقد أوردت هذا الذي كتبه القشاط تأكيدا لما يمتاز به من خيال في اختلاق القصص والتزوير دون خجل بقلمه الشريف جدا !! وأكرر أن القشاط كان البادئ بالظلم (والبادئ أظلم) وكان من واجبى فيما يتصل بالتاريخ أن أفنّد قصصه دفاعا عن الحق وإكراما لأولئك الرجال الذين رووا تراب ليبيا بالدماء دفاعا عن الكرامة والشرف والحرية، مثلما دافعت عن نفسى بل وحتى عن جهاز الشرطة أو البوليس (كما قال) لأنه ربما يرى خدمة الوطن بواسطة هذا الجهاز عارا ؟!

ومن الغريب أن هذا الرجل كرّم فى حفل رسمى بطرابلس ومنح جائزة مالية كبيرة، ربما نكاية فى شخصى الضعيف ؟؟!

وأخيرا أقول، إنى والله لمفتونا بحب وطنى وتمجيد تاريخ أهل بلادى ولا تزعجنى حصباء قذف بها مأجور، وبسعادة بالغة أحس أننى نعمت بالطمأنينة والسلام النفسى نتيجة القناعة بأن القسم والأجل بيد الله،وحمدا لله إذ أفاء علىّ بالصحة والقناعة، وتبعا لذلك أتمثّل دائما بقول الشاعر :

(أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصموا)

وربما يتساءل سائل لماذا أوردت كتابات السيد القشاط فى موضوع لا يرى فيه علاقة بالموضوع الذى أكتبه وهو (مع أمل الوحدة) ولابد للقارئ أن يتساءل وله الحق فى هذا ولذلك أردت أن أوضح السبب وهو..

أولا، إننى أريد أن أثبت مصداقيتى فيما أكتب لأننى لا أنافق أحدا حاكما أو محكوما بفضل الله منذ عرفت الكتابة ومارستها..

وثانيا، لأننى قلت فيما تقدم أن أغلب الذين كانوا أعضاء فى لجان الوحدة لا يؤمنون بالوحدة وإنما ينافقون الحكام كحالة هذا القشاط..

وثالثا، إن الموضوع بكامله هو جزء من التاريخ الذى صار ماضيا ولابد أن يكون عبرة لنا وأنا مازلت أصر على أن الأهداف الكبيرة لا يمكن أن تتحقق إلا بالرجال المؤمنين الصادقين البعيدين عن المصالح الشخصية والأغراض والمنافع الآنية، ولابد أن أكرر أنه ليس من العيب تمجيد أدوار الرجال فى جهادهم وتضحياتهم من أجل الوطن، الوطن على المستوى الإقليمى والوطن على المستوى القومى العربى، على أنه من الواجب إحقاق الحق ونقد الواقع مع كشف الأخطاء إن وجدت لأننا بذلك نخدم الأمة ونصنع لبنات فى بناء مستقبلها بحيث يمكن أن تتبوأ مكانها بين الأمم وتستعيد ما يشبه تلك الأمجاد التى سطرها السلف فى مجالات الثقافة والحضارة والمعمار والفن والأدب والعلم ... إلخ.



أفكار وآراء فى مسيرة أمل الوحدة العربية..

أستأذن القارئ الكريم فى أن أستعرض معه بعض الأفكـــار والآراء فى قضية الوحدة العربية مبيّنا ذلك فى بضعة إسهامات كتابية فى مختلف الصحف العربية وخلال ندوات ومؤتمرات بعد أن قدمت ما يمكن أن يسمى سيرة ذاتية قلت إنها (مع أمل الوحدة من الثورة إلى الثورة) عبر قرابة أربعة عقود مــن الزمان عشتها مع هذا الأمل الذى لم يتحقق والذى أرى أنه ابتعد كـــثيرا الآن بعد أن ضاعت فرصة كنا نعتقد أن العرب بفعل هاتين الثـــورتين ســـيترجمون مقولة الخليفة العباسى (اهطلى حيث شئتى فإن خراجك آت إلينا)..

والفرصة التى أعنيها كانت بين ثورة ٢٣ يوليو وثورة الفاتح من سبتمبر والتى امتدت قرابة أربعة عقود، ولكن (ما على الرسول إلا البلاغ المبين) كما قال عز وجل، ومن أجل هذا البلاغ على المستوى الإنـــسانى أبـــدأ بـــضعة مقالات صحفية ربما تكون قد تناولت كل تلك الفترة مع لمحة تاريخية..

كانت الأمة العربية قد واجهت معارك طويلة وكثيرة، بعـــضها محلـــى داخلى وأكثرها خارجى، ولكنها صمدت ونهضت بعد نكسات أو هزائم حتى أصبحت ســـيدة العالم فى ذلك الوقت بامتلاكهـــا القـــوة وإرادة التحـــدى، ونهجت الطريق العقلانى الذى يـــوازن بين الحق والقوة وبين الجسد والـــروح وبين الدين والدنيا..

ولقد بدأت تلك المعارك أو الغزوات الخارجية منذ الهجوم الذى قـــاده الإسكندر المقدونى (٤٢٦– ٣٢٣ ق.م) والذى خلق دولا ونظمـــا مختلفـــة

وكان يستهدف العرب بالدرجة الأولى وإن قد اقتصر على بعض المناطق إذ فرض البيزانطيون سلطانهم على الشام ومصر وأجزاء من الشمال الأفريقى بينما كانت فى الطرف الآخر تتقاسم النفوذ معهم دولة الفرس، وحدث أن استخدم البيزانطيون الغساسنة العرب بعد أن حولوهم إلى نصارى فى الوقت الذى استخدم فيه الفرس المنادرة العرب كجنود ويصرّوهم يحاربون بعضهم، هذا الطرف لصالح الفرس وذاك لصالح البيزانطيين (مما يشبه حال عرب القرن العشرين) ولسماحة الدين الإسلامى كان العرب يسمّون تلك الغزوات بحرب الفرنجه وكان أول من ذكر ذلك (أسامه بن منذر) فى كتابه (الاعتبار) وأول من سمّاها حربا صليبية كان (ماكسيموس مورنورد سنة ١٠٩٩م.. ..

ولم يكن قد بقى مكانا للعرب غير تلك الفيافى البعيدة فى الجزيرة العربية، على أن ذلك أيضا لم يحميهم فقد شجع وأعان البيزانطيون دولة الأحباش على غزو وإحتلال اليمن التى كانت خاضعة للفرس، ومن هناك قام الأحباش من أجل القضاء على ما بقى من العرب بغزوة عرفت فى التاريخ بغزوة (عام الفيل) وقد حدثت سنة ٥٧٠ م وهى السنةالتى ولد فيها محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام..

كان الجيش الحبشى اللجب قد قاده (أبرهة) الذى كلّفه ملك الحبشة بذلك تلبية لرغبة قيصر الروم (جوستنيان) وكان أبرهة قد أنشأ عدة كنائس فى اليمن منها وأهمها (القلّيس) التى أبتغى أن يجعلها بديلا للكعبة التى يلتقى فيها العرب عندما قام بغزوته تلك رغبة فى تحويل إتجاه القبائل العربية وحركة التجارة من هناك إلى اليمن التى احتلها.

كانت القبائل العربية التى واجهت جيش أبرهه قد قاتلت جنبا إلى جنب رغم خلافاتها القبلية، وكان دليل أبرهه فى طريقة إلى الكعبة المشرّفة عربى يدعى (أبورغال) ولقد اعتبره العرب خائنا وظلوا يرجمون قبره إلى أن ظهر الإسلام حيث صار العرب يرجمون الشيطان وكلاهما يمثل السوء والخيانة، وعلى إثر تلك الهجمة توحّد عرب وسط الجزيرة العربية عندما أنشأوا أسواقا يشتركون فيها ومهرجانات يتبارون فيها بإبداع لغتهم العربية، واتفقوا على أشهر حرم لا تتقاتل فيها القبائل وكانت مواسم الحج، ثم جاء الإسلام رسالة سماوية حملها محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام وعلى لسانه خاطبهم الله سبحانه وتعالى قائلا : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (الأنفال – ٢٦) وبذلك حدثت أول وحدة للعرب كلهم من المحيط إلى الخليج إذ كانت الرسالة السماوية دافعا لهؤلاء العرب الذين كانوا أشتاتا ضعفاء لأن يقوموا بدور حضارى رغم أن بعضهم لم يدخل الإسلام بعد..

تحول الغساسنة والمناذرة إلى إخوان يقاتلون ضد الأجنبى المتمثل فى الفرس والبيزانطيون رغم أن هؤلاء الغساسنة والمناذرة نصارى، وقد اشتدت قوة العرب وامتد نفوذهم وسادت رسالتهم وأنشأوا إمبراطورية عظيمة لكنهم واجهوا مرة أخرى تحديات عسكرية وفكرية وحضارية وسياسية فى وقت حدث فيه الخلاف بينهم ودخل الجنس الأجنبى غير العربى إبان العهد العباسى فى أجهزة الدولة وسيطر على مفاصلها ومقدراتها.

حدثت غزوة الفرنجة أواخر القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٩٧ – ١٢٩١) ليسيطروا مرة أخرى ويزرعوا الفتن والانشقاق بين أبناء الأمة الواحدة على أن الصراع قد تجدد (دليلا على حيوية الأمة العربية) صراعا بين صاحب الأرض والغازى الأجنبى تمثل فى مقاومة الزنكيّين والأيوبيين والمماليك، ثم جاءت موجة الغزو الغربى الثالثة متمثلة فى زعامة (نابليون بونابرت) خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر (١٧٨٩م) وما تلاها من معارك وغزوات يمكن اعتبارها ثمان غزوات غربية قال عنها المؤرخون العرب أنها غزوات الفرنجة وقال عنها المؤرخون الغربيون إنها غزوات صليبية كان هدفها دائما بيت المقدس وهى :

(حطين ١١٨٠ م – معركة القدس ١١٨٧م– معركة دمياط ١٢١٨م – معركة المنصورة ١٢٤٩م – عين جالوت ١٢٦٠م – غزوة نابليون بونابرت ١٧٨٩م – معركة رشيد ١٨٠٧م – معركة السويس ١٩٥٦م).

ومن الملاحظ أنه قد حدث قبل ذلك أن ظهرت عظمة العرب فى وحدتهم الإسلامية خلال معركة القادسية (٦٣٧م) التى قال فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه (والله لأضربن ملوك الفرس بملوك العرب) إذ إنها كانت تمثل مواجهة نهائية بين أمتين وحضارتين، ولقد قاد تلك المعركة سعد ابن أبى وقّاص، وكان عمر بن الخطاب فى قولته تلك قد جمع لهذه المعركة الفاصلة أصحاب الرأى والشرف والسلطة والخطباء والشعراء والحكماء وضم إليها سبعون مقاتلا من الذين شاركوا فى غزوة بدر وثلاثمائة من صحابة رسول الله وسبعمائة من أبنائهم وثلاثمائة من الأبطال الذين كانوا مع الرسول فى فتح مكة.

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

قال المؤرخون عن جيش الإسلام هذا أن ثلاث صفات ليست فيه (الغدر والجبن والغلول أى إختلاس الغنائم) وكانت تلك المعركة محط آمال وأفكار ومشاعر وقلوب مجتمع الخليفة العظيم عمر بن الخطاب وكان النصر المؤزّر، ولم يحدث لا الغدر ولا الغلول فى المراحل اللاحقة من تاريخ العرب رغم تفرقهم.

وحدث بعد قرابة خمسة قرون من تاريخ معركة القادسية أن أجج من جديد مشاعر الحرب والعداء البابا (أربانيوس الثانى) ونعرف من خلال أحداث التاريخ أن الصراع والحروب فى الغالب كانت تأخذ الطابع الدينى بعضها عن صدق والبعض الآخر كذب وتضليل.

وهكذا فقد كانت الغزوات تستهدف قبل كل شئ بيت المقدس، وجاءت غزوة سنة ١٠٩٦م بناء على دعوة وجهها البابا (أربانيوس الثانى) بعد أن جمع أمراء أوربا وقادتها ومجرموها حيث أعلن فيهم قائلا (يجب تخليص بيت المقدس من الكفرة العرب المسلمين) أنتم فرسان أقوياء ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم، ولكن تعالوا وحاربوا الكفار المسلمين، تقدموا إلى بيت المقدس، انتزعوا تلك الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم فهى تدر سمنا وعسلا، فإذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الأرض، يا من تنابذتم اتحدوا، يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا.

وهكذا نتيجة لدعوة البابا حدث الغزو وكان نتيجة لتلاقى المصالح..

فأولا مصلحة الكنيسة التى كانت تريد القضاء على فكر عقلانى بسيط يجذب الناس ويؤثر على عقولهم تمثل فى الدين الإسلامى.

وثانيا أولئك الأمراء المتناحرون الذين وعدهم البابا بكنوز الشرق وأراضيه الخصبة.

وثالثا المدن التجارية الأوربية وأصحاب الأموال فيها لأن هذه المدن وهؤلاء التجار حرموا من مداخيل تجارية كبيرة بعد أن سيطر العرب المسلمون على الجزر والشواطئ إذ فتحوا كل من جزيرة (كورسيكا سنة ٨٠٩م) وجزيرة (سيردينا سنة ٨١٠م) وجزيرة (كريت سنة ٨٢٥م) وجزيرة (صقلية سنة ٨٢٧م) وجزيرة (مالطا سنة ٨٧٠م) وبذلك سيطروا على الشواطئ والمنافذ وبالتالى سيطروا على طرق التجارة بين الشرق والغرب، بين أوربا وأسيا وأفريقيا إضافة إلى إمتداد دولتهم من الجزيرة العربية إلى الأندلس..

لهذا وبسبب الكراهية والحقد الدينى والسياسى نهضت الكنيسة بالدور الأكبر مستخدمة اسم السيد المسيح لمحاربة الكفرة المسلمين (بحسب تعبير البابا نفسه) ولقد بدأت الغزوة الصليبية على الأندلس فسقطت طليطلة سنة ١٠٨٥م) ثم سقطت (صقلية سنة ١٠٩٥م) ومن هنا تجمعت لدى البابا أربانيوس الثانى كل أسباب وإمكانيات وظروف الدفع بالغزو الأوربى فى اتجاه الشرق، ولهذا أطلق الشرارة على الفور سنة ١٠٩٦م فقاد أمراء أوربا حملتهم تلك.

وفى سنة ١٠٩٨م أقام الأفرنج أول إمارة لاتينية فى الوطن العربى بشمال سوريا وهى (الرها) وفى سنة ١٠٩٩م احتلوا القدس ومن ثم أنشأوا الإمارات والممالك وتقاسموا الأراضى ونكّلوا بالناس رغم أن حملتهم كانت بإسم السيد المسيح حتى أنهم كتبوا إلى البابا يقولون إن أردت أن تعرف ماذا يجرى لأعدائنا فثق أنه فى معبد سليمان كانت خيولنا تغوس إلى ركبها فى بحر

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

من دماء الشرقيين، والمقصود بالشرقيين هم العرب المسلمون، هكذا حدث لأن العرب تفرقوا واختلفوا كحالهم الآن ووضعهم المزرى أمام غطرسة الكيان الصهيونى الذى سيكون أشد عليهم من البابا أربانيوس الثانى وإن اختلف الزمان والأسباب.

لم يمض كثير من الوقت حتى شرع صلاح الدين الأيوبى فى العمل الدؤوب من أجل توحيد القوى والإمكانيات العربية لأنه أدرك أن المعركة هى فى الواقع معركة العرب والمسلمين كما هى فى المقابل معركة الأوربيون جميعا ذلك أن الجيوش التى جاءت غازية هى جيوش أوربية وقادها أمراء أوربيون تتزعمهم الكنيسة الكاثوليكية فى روما وذلك البابا الذى عرف بالذهبى (أربانيوس الثانى) الذى قدم الوعود والأموال والبركات لأنه يريد الإنتقام من العرب المسلمين الكفرة (حسب تعبيره) ولقد أدرك صلاح الدين الأيوبى أن النصر لا يمكن أن يتحقق إلا إذا التقت الإرادة متمثلة فى جناحى الأمة (مصر والشام) ولقد أنجز ذلك الهدف عندما تولى الحكم فى مصر على إثر وفاة أسد الدين شيراكوه سنة ١١٦٨م والواقع أن القيادة والوحدة لم تتحقق فجأة فى عهد صلاح الدين الأيوبى وإن كان قد أفاد من الوحدة التى تحققت عندما أتحد السيف والقلم فى الوطن العربى، أى أن العقل أصبح فى خدمة القوة ذلك أن الفاطميون كانوا يولون إهتماما كبيرا بالعلم والفلسفة والأدب والفن فى مصر وكان عماد الدين زنكى الذى أسس الدولة الزنكية فى العراق وأتخذ الموصل عاصمة لحكمه قد اهتم بشكل كبير بخلق دولة الفرسان المحاربين لمواجهة غزو الأوربيين الذين كانوا يعتمدون على القوة فقط والتى قوامها الفرسان المحاربون، وكان فرسان أوربا (كما يذكر المؤرخون) لا يتقنون إلا الحرب

والقتل بلا مبادئ أو مثل فعمل عماد الدين على إنشاء جيش الفرسان المحارب الذى يعتنق المبادئ المتمثلة فى التقوى والشجاعة ورقّة الشمائل ومراعاة الجوار والمرؤة والكرم وحسن الضيافة ومساعدة الضعفاء والوفاء بالعهد.

فى سنة ١١٤٤م أقتلع عماد الدين جذور تلك الإمارة التى كانت أول إمارة فى الشرق للأوربيين فى (الرها) وذلك عندما حرر شمال العراق وسوريا ولكنه توفى بعد ذلك بعامين وتولى ابنه نور الدين الحكم سنة ١١٤٦م فنقل عاصمة الملك من الموصل إلى حلب وبعدئذ أستطاع أن يضم إمارة دمشق إليه، وكان فى ذلك الوقت قد قرر أن يقفل المنافذ على الأوربيين بحصارهم من كل جانب، وعلى الرغم من أن الذين يحكمون مصر شيعة بينما الذين يحكمون الشام كانوا سنّة فقد أدركوا جميعا الخطر المحدق بهم وكان عليهم أن يتناسوا تلك الخلافات المذهبية، وكان الأوربيون يعلمون أنهم لن يستطيعوا السيطرة على الشرق ما لم يحكموا مصر وهو ما تبيّن بوضوح للخليفة الفاطمى (العاضد) فاستغاث بنور الدين الذى أرسل جيشا بقيادة أسد الدين شيراكوه وصلاح الدين الأيوبى فتمكن ذلك الجيش من أن يهزم الأوربيين ويدخل القاهرة.

بعد ذلك تولى صلاح الدين الأيوبى الوزارة فى مصر وقرر السير على نفس السياسة التى نهجها نور الدين فى محاصرة الأوربيين هذه المرة فى فلسطين أى بتطويقهم من الشمال والشرق والجنوب والغرب، وهكذا حدثت أول معركة عندما تحرك من مصر متجها إلى الكرك فى جنوب فلسطين، وقبل ذلك كان قد توصّل إلى إتفاق مع الأمراء المسلمين فى المشرق بألا يحاربوا بعضهم وكان ذلك بعد وفاة نور الدين سنة ١١٧٤م وفى هذا الوقت ألغى

صلاح الدين الأيوبى النظام الفاطمى فى مصر وحقق بذلك استقرارا داخليا فيها، وهنا تحققت ثلاثة أمور :

الأول، استقرار الوضع فى مصر وأصبحت مركزا للقيادة .

والثانى، إتمام وحدة العرب باتفاق الأمراء.

والثالث، تسخير الفكر فى خدمة الحرب حيث حشد صلاح الدين جهود العلماء والفلاسفة والأدباء مع القادة والجنود المقاتلين.

ولابد لنا أن نشير إلى أن صلاح الدين الأيوبى قد استلهم تلك الخطة التى وضعها الخليفة عمر بن الخطاب فى تلك المعركة الفاصلة التى قادها سعد ابن أبى وقّاص وكانت نصرا مؤزرا للعرب والمسلمين، وجدير بالذكر أن صلاح الدين كان قد أحبط العديد من محاولات الغزو البرى والبحرى الذى كان يستهدف مصر باعتبارها مركز القيادة ولم يدخل معركة كبيرة قبل أن يستعد بجيشه ويهيئ الفرص المناسبة، وعندما استعد وهيأ جيشه للقتال خرج من دمشق فى أول يوليو سنة ١١٨٧م ليدخل معركة ضد الأوربيين وجيوشهم التى يبلغ تعدادها ستين ألف مقاتل عند بحيرة طبرية وعلى جبل حطين وكان يقود تلك الجيوش أمير طرابلس (ريموند وملك بيت المقدس جاى لزنجان).

قبل المعركة كان صلاح الدين قد حاصر عددا من الحصون والمواقع لكى يؤمن طريق ومؤخرة جيشه ويضمن الاتصال بين مصر والشام، وعند السيطرة على طبرية وموارد المياه حقق جيش صلاح الدين نصرا مؤزرا حيث فقدت الجيوش الأوربية ثلاثون ألف قتيل وتم أسر بقية المقاتلين وبعد هذا النصر الكبير ترجّل صلاح الدين الأيوبى ليقبّل الأرض حمدا لله على نصره.

وجاء فى بعض روايات التاريخ أن أحد المنجمين قال لصلاح الدين إنك ستفقد إحدى عينيك عندما تدخل القدس، فرد صلاح الدين قائلا، والله إنى لا أمانع فى أن أفقد عيناى الاثنتين من أجل أن أدخل القدس محررا.

تلك هى قوة الإيمان وعظمة رجولة الرجال، وذلك النصر إنما هو ثمرة الوحدة والصدق فى الالتزام بها تحقيقا للأمانى الوطنية والقومية، وصدق رسول الله حين قال (كذب المنجمون ولو صدقوا) ولقد كذب ذلك المنجّم وصدق صلاح الدين.

فتحت معركة حطين أبواب النصر للعرب والمسلمين إذ لم يترك صلاح الدين الفرصة تفوت عندما احتل قلعة طبرية ففتح بعدها مباشرة عكا ثم قسّم جيشه إلى فيالق ليحتل ٤٩ حصنا وموقعا ومدينة منها (غزّة – بيت لحم – يافا – صيدا – نابلس – بيت جبريل – النطرون – الخليل – الناصرة – خيفا – إلخ...

بعد ذلك كانت المعارك الكبرى التى انتصر فيها المسلمون فى القدس ودمياط والمنصورة وعين جالوت، من هنا كان القول إن معركة حطين كانت بداية النهاية لغزو الفرنجة على المشرق العربى فى ذلك الوقت وإن جاءت غزوات بعد ذلك كثيرة فى وقت كان فيه العرب على فراق وخلاف وتقاتل كأنما أمتهم لم تنتصر ولم تتوحد أبدا فضيّعوا كل الذى تحقق ولم يستفيدوا من تجاربهم وتاريخهم وقد أغوهم الكراسى والأموال وأعتقدوا أنهم يحكمون وهم فى الواقع والحقيقة محكومون وخدما للغرب ومصالح الغرب ولن يكونوا غير ذلك إلا إذا اتحدوا وصدقوا وأخلصوا.. وأقول...يا ريت..

قلت إن الغزوة الثامنة فى زمننا المعاصر كانت فى السويس سنة ١٩٥٦م وكان بطلها جمال عبدالناصر، هى فى واقع الأمر جاءت تماما على نفس النسق والهدف، قادها هذه المرة فرنسا برئاسة بابا علمانى يدعى (جى موليه) وبابا آخر بريطانى يدعى (أنتونى ايدن) وصهيونى يدعى (بن غوريون) النسق تآمرى والهدف كسر قوة العرب (جمال عبد الناصر ومصر) وكانت إرادة الله أقوى وعزيمة الرجال أمتن فأنتصر جمال والعرب ولو سياسيا.

من هنا يبدأ الحديث عن إحدى الثورتين – ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وبداية عن الافكار والآراء فى قضية الوحدة العربية..

القومية لدى العرب هى الوحدة أى الوطن الواحد والدولة الواحدة مثلما كانت دولة العرب فى أوج مجدها، وماعدا ذلك أى شئ يصبح ضربا من ضروب تضييع الوقت ولغو تردد صداه الوديان أو القنوات التلفزيونية العربية كما لو كان تسلية، ولكن من خلال تجارب سابقة علينا أن نحدد كيف يمكن أن تكون هذه الدولة الواحدة والأمة الواحدة ؟ ومن البديهى أن نقول إننا أصحاب لغة واحدة وأهل أرض واحدة وتاريخ واحد وربما أمل مشترك فرّق بيننا الاستعمار فى الأرض وترسّخت لدينا كيانات أسميناها دولا وصار المواطنون يتسمّون بأسماء تلك الكيانات، ومن هنا فإن البحث لابد أن يتناول الكيان والمواطن، ونبدأ بثلاثة أسئلة :

أولا، هل تُزال الحدود وتنتهى الكيانات بقرار وجرة قلم ؟

وثانيا، هل ينتهى انتماء وارتباط الإنسان بذلك الكيان أو البلد بمجرد فتح الحدود وإلغاء الإجراءات الإدارية والقانونية ؟

وثالثا، ما الذى سيحدث بفتح الحدود وإلغاء الإجراءات البوليسية وغيرها ؟

ومن المعروف تاريخيا أن الحدود قد وجدت بجرة قلم وإن لم تكن بأيدينا وإنما على يد السيد الإنجليزى (بيرسى كوكس سنة ١٩٢٢م) وذلك عندما خط بقلم أحمر كان فى يده الحدود بين العراق والكويت، ومنذئذ صار لكل مغامر غربى أن يخط أى حد وأن يقسّم ويمنح أو يمنع كيفما يشاء، ومع الحدود التى اختطوها نصّبوا حكاما (ملوك ورؤساء وأمراء ومشايخ وسلاطين الخ) وهؤلاء فرضوا إجراءات وقيود أشد وأقسى فى ترسيخ تلك الحدود بإستعمال الشرطة والجيوش وكل وسائل المنع والإيقاف، ثم عملوا أعلاما وأناشيد وإذاعات لإبلاغ القاصى والدانى بالأسماء والألقاب والنعوت، ولأن هؤلاء الحكام جاء بهم الغرب فقد صاروا موالين له فإذا لم يشركوه معهم فى البلاد على شكل شركات ومشاريع وقواعد فهم معتمدون دائما على خدمته ونجدته كلما أحسوا بأن تلك الحدود قد تمس أو تواجه أى تهديد، وبطبيعة الحال فإن تلك الحدود قد ضمت كيانات متمثلة فى النظم والألقاب والمصالح والكراسى، ومن هنا فهى باقية ولابد أن تبقى وليس من الممكن تحدّيها أو تعدّيها إلا بوفاق أو اتفاق، هذا أولا.

وثانيا، فإن المواطن العربى ذكرا كان أم أنثى، صغيرا أو كبيرا صار منتميا لهذا الكيان ومرتبطا به لصالحه أولا ولما فرض عليه من إجراءات بواسطة تلك الكيانات الأخرى قريبة أو بعيدة، وحتى لو فتحت أمامه بعض الحدود فهو أمام أولئك الناس المنتمين للبلد الذى فتح حدوده يعد أجنبيا بالواقع والقانون ويمكن طرده فى أى وقت أو حتى القبض عليه وحبسه ثم أن فتح

الحدود وإلغاء الإجراءات دون إحتياط أو تنظيم وعناية إنما هو الفوضى وإنعدام الأمن وانتشار المرض والفساد، بمعنى أنه حسب التعبير اللغوى العربى (اختلاط الحابل بالنابل) وحقيقة أنه إجراء شاذ لمواجهة وضع شاذ والنتيجة غير مضمونة، وهنا يبرز سؤال آخر..

هل نعارض الوحدة أو نكفر بها ونقاوم حتى مجرد التفكير فيها لا باعتبارها هاجسا وأملا وإنما ضرر وألم ؟؟

والجواب بالتأكيد، لا، إذ لا أحد يلغى ذاته ويتنكّر لأمته ووطنه الكبير، ولهذا فإن سبلا أخرى لابد أن تتبع، كأن نقول :

أولا، نحن جميعا عرب ندرك غايتنا ونعى قوميتنا (وهما الاستقلال والوحدة) وهذه يمكن أن يقال إنها بديهية ولا جديد فيها لأن الدول قائمة والحدود باقية إلا أننى أعتقد أن الحدود تمثل القطر الذى يجب اعتباره خصوصية داخل الإطار القومى الواحد، بمعنى أنه أحد أقطار الوطن العربى الكبير والذين يقيمون فيه مواطنون عرب ولاؤهم الوطنى لابد أن يكون متمّما للولاء القومى لا متناقضا معه ذلك أن الولاء الوطنى عامل نفسى ومصلحى وعندما يجد الإنسان أن مصلحته مصانة ولا تضار بل تعزّز فإن ذلك يجعله قابلا للوضع الجديد والأشمل ليس فقط على مستوى الفرد وإنما على مستوى الكل، كأن تتقدم الخدمات الصحية وينمو الإنتاج الزراعى والصناعى ويتوطّد الأمن والاستقرار وينهض مستوى التعليم وتتحقق الحرية (الحرية بكل معانيها إلخ...) أى أن المواطن حينئذ لابد أن يحس بمزايا وفوائد الوحدة ليس كشعار فقط ولا لموقف سياسى بحت وإنما فى معاشه اليومى ومصالحه الآنية، وربما ذلك القول الذى يشبه (النكتة) يمثل خير دليل على ما نقول، إذ يذكر أن سودانيا

كان يسير فى مظاهرة مؤيدا للوحدة وكان يهتف قائلا (مصر والسودان هته واحده) وفجأة أكتشف أن محفظة نقوده قد فقدت (سرقت) فصار يهتف قائلا (مصر والسودان هتتين).

كذلك أن أولئك الذين تآمروا على أول وحدة عربية فى التاريخ المعاصر وفصلوا سوريا عن مصر، لم يجدوا ما يبرروا به تلك الجريمة إلا القول بأن مصالح المواطنين السوريين قد أضيرت وأن المصريين سيطروا على الإقليم الشمالى وأستغلوه (أى على سوريا) مع أنه لم يكن خافيا على أحد مقدار الفائدة التى جناها ذلك القطر من الوحدة وبها..

ثانيا، أن يحدث التوازن فى النمو بحيث لا يكون نمو بلد على حساب الآخر ولا يحرم مجتمع قطر بمنح القطر الآخر فى ظل الوحدة إلا ما زاد عن حاجة هذا القطر لينتفع به ذاك وبموافقة أهله علنا ورسميا..

ثالثا، أن تشرّع قوانين اتحادية مع الإبقاء على القوانين السارية فى كل قطر لبعض الوقت والى أن يحس الناس بفوائد الوحدة والاندماج على أن توحّد مناهج التعليم والعقائد العسكرية ويؤخذ بأفضلها تدريجيا.

رابعا، أن يسمح بالتملك والإقامة والعمل وأن توحّد الجوازات والبطاقات الشخصية والتنقل بين الأقطار دون تعسف فى المنع أو الإجبار على الانتقال، وهنا قد يتساءل البعض عن كيفية التمييز بين مواطن من هذا القطر ومواطن من القطر الآخر ؟ وفى ظنى أن النظام المتبع فى كثير من بلدان العالم التى يقوم نظامها على الشكل الاتحادى يمكن تطبيقه على حالتنا هذه كألإتحاد السويسرى أو الولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد السوفييتى السابق إلخ...

كذلك لا يجب إحداث تغييرات مفاجئة فى الوضع القائم بأى قطر من أقطار الوحدة أو الاتحاد وخصوصا فى الجانب الاقتصادى أو الوظيفى بالنسبة للناس، وعلينا أن نستفيد من تجاربنا السابقة ذلك أن فرض القوانين الاشتراكية على سوريا بعد الوحدة مع مصر (رغم كل مزايا تلك القوانين وفوائدها) كان أحد الأسباب الذى دفع بالمتآمرين إلى تنفيذ مؤامرتهم بنجاح حيث وجدوا بعض التأييد وكذلك تكليف عبد الحكيم عامر رحمه الله بإدارة ذلك الإقليم ونقل عبد الحميد السراج من مكانه إلى الإقليم الجنوبى (مصر) رغم عجز الأول ومقدرة الثانى وربما هذه كانت أخطاء عن حسن نيّة لكنها ضارة بالوحدة، وكان السراج قد اتهم بالتسلط والدكتاتورية فى سوريا ربما فقط لأنه كان متشددا فى أداء الواجب حفاظا على الوحدة من أعدائها وهم كثر، ولقد استجاب جمال عبدالناصر ونقل السّراج إلى مصر وكلّف بمهام أخرى وكان عبدالناصر بذلك يسترضى بعض الأطراف فى الإقليم الشمالى (سوريا) ويعرف عن عبدالحكيم عامر أنه مجامل وكسول غير مدرك للمصلحة العامة وقد كلفه عبدالناصر بالإشراف على المصالح الوطنية والقومية فى ذلك الإقليم المضطرب دائما، وربما يصدق على هذا الوضع القول الشائع (إن الواجب أساس الأخلاق والمصلحة عماد السياسة) وبين السراج وعبدالحكيم ضاع الواجب والمصلحة فى سوريا وهو الشئ الذى فتح ثغرة كانت سببا فى الكارثة التى مازلنا نعانى منها.

هذه لمحات سريعة عن مطلب الوحدة وأسباب الفشل وربما هناك أمور أخرى ساعدت على إفشال أول وحدة فى التاريخ المعاصر ومنها بطبيعة الحال تلك القوى الخارجية التى كان يهمها إفشال تلك التجربة الرائدة والتى ما كان

لها أن تنجح لو لم تجد فى الأرض خصوبة لنواياها التآمرية تلك حتى ابتعد مطلب الوحدة بين العرب وربما حتى التعاون فيما بينهم، ونذكر أن أمتنا العربية حين نكبت بالاستعمار الأوربى ومحاولات الغزو الأولى كان العرب مسلمون ومسيحيون يقاتلون من أجل أمتهم العربية جنبا إلى جنب.

وتبقى الوحدة العربية هاجسًا وأملا إلى أن تتحقق، ولم يخب اعتقادى وأملى فى تحقق الوحدة العربية مع ثورة جمال عبدالناصر وبعدها رغم كل التطورات السلبية التى جاءت بعد وفاته فى مصر سنة ١٩٧٠م وقد واصلت الكتابة فى مختلف الصحف العربية مجسدا هذا الأمل، وهذه بعض المقالات علّها تفيد من يقرأها يوم ما، مع ملاحظة أننى أذكرها بدون تسلسل تاريخى غير اسم المجلة أو الجريدة التى نشرتها..

***

١- هذا المقال نشر بعنوان: (رعى الجمال خير من رعى الخنازير فى عيد الوحدة) (بمجلة الموقف العربى).

ترى أيهما أفضل نصيحة العلقمى أم قرار ابن عباد ؟؟

نصيحة العلقمى وكان عميلا للمغول مكّنت هولاكو من ذبح الخليفة وكل أهله وتدمير بغداد عاصمة الخلافة وقتئذ وكانت أجمل حواضر الدنيا، وقرار ابن عباد الذى وحّد الأندلس وهزم ملك قشتالة الفونسو..

قال العلقمى للخليفة أنصحك بتخفيض الجيوش وتوفير المال من أجل دفعه أتاوة للمغول لكى لا يجُبروا على مهاجمتك، وقال ابن عباد والله أن رعى الجمال خير من رعى الخنازير.

ومن بغداد إلى قشتالة كان هناك العزم والإيمان، وكانت هناك الخيانة والارتزاق، وما أشبه بداية القرن الحادى عشر بعد وفاة المنصور فى الأندلس وبداية القرن العاشر الميلادى إبّان العهد العباسى فى المشرق والوطن العربى، بالنصف الثانى من القرن العشرين الميلادى بعد وفاة جمال عبدالناصر ؟!!

لقد كانت الغزوات الصليبية ثم المغولية والتترية والاستعمارية الأوربية والإمبريالية الجديدة أمريكا، وكانت الهجرة العربية من الجزيرة قد بدأت منذ ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد وظهور الدولة الأكدية البابلية ثم المملكة البابلية ثم الدولة الأشورية فمملكة فرعون فدولة الهكسوس ثم دولة المصريين البطالسة ثم الفرس والروم وغزوات الإسكندر المقدونى فالفينيقيون واليونان والرومان والإسبان والبرتغاليون، وإذ كانت الدويلات قد ظهرت فى الأندلس بعد وفاة المنصور حتى زاد عددها على العشرين دولة ومملكة وإمارة، وظهر فى العهد العباسى أكثر من نصف ذلك العدد، وبعد وفاة جمال عبدالناصر ظهرت الفتن فى كل مكان وتفجرت حروب إقليمية منها ما هو بين العرب أنفسهم وما هو بين العرب وجيرانهم حتى أنها صارت سبعة حروب فى وقت واحد وصار البلد الواحد من دويلات العرب فى القرن العشرين الميلادى التى زاد عددها على عدد دويلات الأندلس التى ظهرت منذ أكثر من ألف سنة مهيأ لأن يقسّم إلى أكثر من دويلة..

ولقد بدأ التفكك فى الدولة العربية الإسلامية منذ ظهور الدولة الصفارية فى بلاد الفرس خلال بداية القرن العاشر مرورا بالدولة الطولونية والحمدانية ودولة الأغالبة فالأدارسة إلى دولة بنى عباد فى الأندلس، وكانت الأمة العربية الإسلامية وهى موحّدة تتقدم حضاريا وعمرانيا واقتصاديا

وتسيطر على طرق التجارة برا وبحرا فى العالم القديم (أوربا وأفريقيا وآسيا) الذى كان الوطن العربى معبره الوحيد وصولا بين الغرب والشرق، وكانت الهجرات العربية التى بدأت من الجزيرة العربية منذ ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد تؤدى إلى التمازج والنمو الاقتصادى والسياسى والعسكرى والثقافى، ويؤكد التاريخ الإسلامى أن العرب أمة واحدة فى مدّها وجزرها بين المحيط الأطلسى والخليج العربى وبذلك فإن كل الشعوب والحضارات على إمتداد تلك المساحة ذابت فى أمة واحدة هى الأمة العربية، وكمثال على ذلك يقول التاريخ أن الفينيقيين هاجروا من مغرب الوطن العربى منذ ٢٥٠٠ قبل الميلاد وظلوا هناك حتى يومنا هذا وأن اللغة الوحيدة التى كانت سائدة بين الخليج العربى والمحيط الأطلسى لأكثر من ألفى سنة هى اللغة الأرامية التى حلّت محلها اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم وقيام الوحدة الكبرى، وكلما اختلفت هذه الأمة أو تجزأت دبّت فيها الأمراض وهاجمها الأعداء، فمثلا عندما تقاتل القرامطة والفاطميون قفز الروم على المشرق العربى، وعندما خرج محمد بن الأشعب على عقبة بن نافع، وقاتل حسن بن النعمان الكاهنة فى جبال الأوراس هاجم البيزانطيون شمال أفريقيا واحتلوا قرطاج، وعندما اختلف أمراء الأندلس زحف الإفرنج على تلك البلاد، وعندما ضعفت الدولة الإسلامية فى التاريخ المعاصر ودبّ الخلاف بين العرب والدولة العثمانية تقاسم المستعمرون الجدد كل الوطن العربى إضافة إلى تركة الرجل المريض (تركيا) حسب تعبيرهم وما كان لصلاح الدين الأيوبى أن ينتصر فى معركة حطّين سنة ١١٨٧م لو لم يجد العرب إعدادا وإستعدادًا لتلك المعركة التاريخية وبذلك عادت الأمة العربية موحّدة وإن كانت الحروب ضد الغزوات الخارجية قد استمرت فى وقت كان فيه

الصراع محتدما داخليا بين الذين يسعون إلى تقسيم الأمة العربية وبين الذين يعملون على وحدتها ولحسن الطالع فقد كانت الغلبة دائما لدعاة الوحدة فى مواجهة الخطر الخارجى.

وعلى ضوء كل تلك الأحداث فإننا نرى أن التفسير العلمى للتاريخ العربى يجب أن يكون مرتكزا على أساس واحد هو أن الأمة العربية أمة واحدة من المحيط إلى الخليج وقد جاء الإسلام ليعزز وحدتها كأمة ذات تاريخ عريق أبدعت حضارة وفنا وعلما ومنطقا وفلسفة وآداب وعمران، ومع الأسف فقد ظل الصراع محتدما بين الإقليميين دعاة التفرقة والقوميين أصحاب القيّم دعاة الوحدة حتى يومنا هذا، ولم يواجه قوى الغزو والسيطرة والاحتلال غير أولئك القوميون حفاظا على الأمة والكرامة والوطن فى وقت كان فيه الإقليميون يستظلون برماح الأجنبى الغازى وكانوا يريدوننا أن ننعى القومية العربية فى هذا الوقت كما فعل ابن الأثير عندما نعى الإسلام خلال فترة الزحف المغولى..!!

وكانت ساحة الوصل والجذب دائما فى مصر، مصر صلاح الدين ومصر محمد على ومصر جمال عبدالناصر، مصر الشعب الصبور المناضل..

من هنا لابد من القول إن الصراع باق على احتدامه كما كان بعد تفكك الدولة العباسية وصراعات الفاطميين والعباسيين والبويهيين والقرامطة والحمدانيين والسلاجقة، ثم أنه كما كان غزو التتار والصليبيين صار تدخل الاستعمار الأوربى والأمبريالى الأمريكى الجديد، وتبرز هنا أسئلة:

ماذا نرى فى وضعنا العربى الآن ؟

وماذا نريد وكيف وبماذا ؟

وهل يجب أن نقبل بأشكال الوضع العربي خلال فترة القرن العشرين أم يجب أن نلتزم بمنطق أن الوحدة العربية ضرورة حتمية ويجب أن تتحقق طواعية أو بأى صورة أخرى، بالقوة مثلا؟

نعتقد أن الخيار الثانى غير ممكن فى ظل الظروف الدولية الحالية، إذ لو كان ذلك ممكنا لأعاد جمال عبدالناصر الوحدة بين مصر وسوريا بقوة السلاح ولكن الانفصاليين السوريين احتموا بالظرف الدولى وفرضوا الإقليمية على الوضع العربى والفكر العربى، ولما كان الأمر كذلك فإننى أريد أن أقدم هنا نموذجا يأخذ فى الاعتبار وحدة المصالح أولا وذلك هو نموذج الوحدة الليبية، فلقد حصلت ليبيا على الإستقلال فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م والاعتراف الدولى على أساس أنها دولة اتحادية وكانت مقسّمة إلى ثلاث ولايات ولكل ولاية مقومات الدولة الكاملة بحدودها وقوانينها ونظمها ولم يكن مسموحا لمواطنى واحدة من الولايات بالسفر أو الاقامة أو التعامل مع مواطنى الولاية الأخرى ولكن بعد فترة من الزمن وقد اطمأن الناس إلى أن مصالحهم مرتبطة ومستقبلهم لابد أن يكون واحدا حدث أن توحّدت البلاد بقرار من مجلس النواب فى ١٤ ديسمبر ١٩٦٣م ربما لم يشعر به أحد من مواطنى الولايات الثلاث التى لم يكن هناك من جامع بينها إلا الجيش حيث كان موحّدا وكذلك الشئون الخارجية.

وربما يمكن القول إن الواقع العربى الآن يفرض علينا مثل هذا النموذج ولذلك يجب أن نبدأ بأبسط نقاط التلاقى تاركين نقاط الخلاف ولو مؤقتا مهما كبرت وتباعدت، ونحن جميعا نقول إننا عرب وأن مصيرنا واحد كما هو

ماضينا وأن تقدمنا واستقرارنا فى وحدتنا، ولكن لكل منا مبرراته كالحفاظ على نظامه الوطنى ومزاياه الشخصية وأسلوبه فى الحكم، وهذا الواقع ينطبق عليه تماما أسلوب الاتحاد الأوربى الآن، هذا الاتحاد الذى لا تجمعه إلا المصالح وقد توحد بأسلوب مثالى بينما نحن العرب يجمعنا التاريخ واللغة والدين وغير هذا، فلقد بدأ الاتحاد الأوربى بطرق بسيطة تتصل بحياة الناس، التنقل بين بلدانه بحرية وكذا التملك والإقامة ثم بعد ذلك السياسة الخارجية والتنسيق فى شئون الدفاع بل وتمثيل خارجى رمزى واحد وعملة نقدية واحدة تسمى (يورو) ونحن مع الأسف نتباعد بالخلاف وأحيانا حتى نتقاتل أما بالكلام عبر الإذاعات فحدث ولا حرج، هذا فى الوقت الذى نشأت فيه الدويلات بينما كان الوضع قبلها أفضل وأسهل، فقد كان المواطن العربى منذ زمن ليس بالبعيد يسافر حاجا إلى بيت الله عبر كل الوطن العربى من دون أن يحتاج لجواز سفر أو تأشيرة أو أذن من أحد فهو مواطن عربى فى وطنه العربى، كان ذلك فى عهد نسميه إستعمارا وعندما تحقق الاستقلال الوطنى أنشأنا الحدود وفرضنا القوانين الجائرة والجوازات والتأشيرات إلخ !!

أقول إن ابن عباد رفض أن يرعى الخنازير فماذا سنرعى إذا بقى الحال كما هو عليه الآن ؟!!

***

٢- وهذا المقال نشر فى جريدة (الناصرية) التى كانت تصدر بلندن بعنوان: (٢٣ يوليو ثورة عربية).

قامت ثورة جمال عبدالناصر ورفاقه فى مصر قلب العروبة فى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين ليبدأوا من هناك، من أرض الكنانة سلسلة

معارك ونضالات من أجل الإنسان العربى المصرى ومن أجل الإنسان العربى خارج مصر ثم من أجل مطلق الإنسان المضطهد فى العالم الثالث، كانت ضد الاستغلال، ضد الاستعمار، ضد الإمبريالية، ضد الانحياز والأحلاف، ضد كل ما يهدد الإنسان فى حريته فى وطنه وفى قوت يومه..

فى هذه المجالات جميعها تركزت أعمال جمال عبدالناصر وجهوده، نجح فى الكثير منها وأخفق فى بعضها وجلّ من لا يخطئ، فلقد كانت أولى معاركه ضد التخلف فى مصر وكان جهده بداية ذو طابع مصرى فقد كان الإقطاع والفساد والأحزاب، وكان القهر والعبودية، ما كان يهم المصريين فى الداخل بالدرجة الأولى الشئ الذى لا يستلفت أنظار الإنسان العربى خارج مصر غير الواعين من فئات المثقفين المدركين لدور مصر التاريخى إلى أن بدأت معركة التحدى الأولى بعد تحقيق جلاء القوات والقواعد البريطانية عن أرض مصر ثم الرد الثورى القوى على موقف البنك الدولى عندما تراجع عن التزامه بتمويل مشروع السد العالى، كان التحدى بتأميم قناة السويس، التحدى الذى لم يحدث من قبل ولم يألفه العالم الثالث فى مواجهة القوى الدولية الكبرى، هذا الموقف الذى أحس به وأيّده كل مصرى وكل عربى نزيه يؤمن بأمته العربية والذى خاطبه جمال عبد الناصر قائلا، لا لسيطرة رأس المال الأجنبى، لا للإمبريالية، لا للاستعمار، لا لاستنزاف مواردنا الوطنية، لا للدّوس على كرامتنا، كان ذلك، وكل ذلك نداء قوميا، وكان تحولا مشهودا للثورة المصرية باعتبارها ثورة قومية تتبنى قضايا الوطن العربى من المحيط إلى الخليج، كان الموقف فى مستوى الظروف والأحداث متجاوبا من تطلعات الإنسان العربى محققا لآماله القومية، ولقد تتابعت الأحداث المدّوية طوال ثمانية عشر عاما فى المجالات الآتية :

أ- ضد القواعد والأحلاف الأجنبية على أى أرض عربية..

كان من أهداف الثورة منذ البداية تأكيد استقلال وسيادة مصر ولذلك كان شغلها الشاغل تحقيق جلاء القوات والقواعد البريطانية الجاثمة على أرض مصر وعلى صدور أحرار مصر وبالتالى فهى تمثل انتقاصا من السيادة الوطنية وإبرازا لهذا الهدف والغاية ألقى جمال عبدالناصر مساء يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤م خطابا قال فيه :

(إننا نقف اليوم على أعتاب مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا ولقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى فقد وقعنا الآن وبالحروف الأولى اتفاقا ينهى الاحتلال وينظّم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة وبذلك تخلص أرض الوطن لأبنائه شريفة عزيزة منيعة بعد اثنين وسبعين عاما مريرة حزينة، وكانت الثورة المصرية قد وقعت مع بريطانيا إتفاقا حول إنهاء الحكم المصرى البريطانى للسودان فى ١٢ فبراير ١٩٥٥م يتحقق بموجبه جلاء القوات البريطانية عن السودان فى ٩ نوفمبر ١٩٥٥م وتنفّست بذلك الثورة الصعداء إلا أن الإنجليز تمكنوا من إبرام معاهدة مع المملكة الليبية المتحدة تقيم بموجبها بريطانيا قواعد عسكرية لها على حدود مصر الغربية منذ سنة ١٩٥٣م الأمر الذى جعل مصر تشعر بالخطر الذى يتهددها من هذا الجانب فتصدت لمقاومتها وأعلنت رفضها لإقامة القواعد العسكرية الأجنبية على أية أرض عربية لأنه لا معنى لذلك غير إنتقاص الحرية والاستقلال لسائر الوطن العربى وأصبح ذلك بالنسبة لها مبدأ ثابتا يجب ترسيخه وتأكيده فى سائر الوطن العربى وخاضت بسببه معارك سياسية ضارية مع الجميع وضد الجميع، كان هذا أحد الأهداف الأساسية

لثورة ٢٣ يوليو وكان الهادف الثانى يمثل أحد أركان الاستقلال والحرية، أى رفض الأحلاف أو التحالفات..

ب- ضد الأحلاف أو التحالفات..

خرجت بريطانيا وكذلك خرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية منتصرتين عسكريا منهكتين اقتصاديا ولكنهما فقدا تفوقهما الدولى وأفل نتيجة لذلك نجماهما كدولتين قويتين استعماريتين وبالتالى خضعتا اقتصاديا للولايات المتحدة الأمريكية وبموجب مشروع مارشل الشهير حلت محلهما عالميا الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتى كقوتين تتنازعان السيطرة العالمية وتتقاسمان مناطق النفوذ، وكانت فرنسا قد فقدت نفوذها فى الشرق الأوسط وجلت قواقما نهائيا عن سوريا ولبنان منذ سنة ١٩٤٦م بعد أن فقدهما كمستعمرتين (تحت الانتداب) إبّان الحرب العالمية الثانية، وبما أن بريطانيا قد أخذت تتخلى عن مستعمراتها فى المنطقة بالتدريج ونفوذها ينحسر شيئا فشيئا عن الوطن العربى فى حين أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تدخل المنطقة كوريث للدولتين متسترة خلف حلف نورى السعيد الذى يوصف بأنه عميد الإنجليز فى هذه المنطقة تحديدا..

وانسجاما مع سياسته التى أعلنها فقد تصدى جمال عبدالناصر لهذا الحلف الاستعمارى رافضا له ومقاوما فى حزم وصراحة حيث أعلن يوم ٩ يوليو ١٩٥٥م فى رد حاسم على مشاريع هذا الحلف قائلا :

إننا ضد الاستعمار وأعوانه ونحن مع تقرير المصير وتدعيم السلام، وأننا نعمل للقضاء على الاستعمار، ونعمل لمساعدة كل حركة تحرير فى هذه المنطقة من العالم، إن علينا واجبا نحو إخواننا ولهذا فإننا نقول ما نؤمن به لا نستجدى

ولا نسترضى وعندما وجدنا أن هذه السياسة لا تتفق مع سياسة الدول الكبرى وقفنا ضد هذه القوى جميعا لأننا نريد القوة والاتحاد للشرق العربى بجميع دوله، وعلى هذا رفضنا الدعوة إلى الأحلاف وقلنا إن لنا نظرية ولنا فكرة نؤمن بها كل الإيمان لأن أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة لأن هذه الأحلاف هى أحلاف الذئب والحمل، لابد أن يأكل الذئب الحمل، وعندما وقفت دولة عربية (يقصد العراق) غير هذا الموقف وقفنا لها لأنها بذلك تفرّق شمل العرب... إلخ. ولقد فشل الحلف ولم تنضم إليه أى دولة عربية ولم تجد محاولة بريطانيا فى العودة إلى الوطن العربى من طريق الأحلاف.

ج- وضد سياسة ملء الفراغ الذى تريده أمريكا..

ولما انحسر النفوذ البريطانى - الفرنسى فى المشرق العربى ولم تجد سياسة التخفى الأمريكى وراء الأحلاف اضطر ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أن يكشف أوراقه ويسفر عن نواياه فتقدم إلى الكونغرس الأمريكى فى ٥ يناير ١٩٥٦م بمشروع جاء فيه القول :

(لقد كانت هذه المنطقة (منطقة الشرق الأوسط) دائما ملتقى طرق قارات نصف الكرة الشرقى وقناة السويس التى تمكن دول أسيا وأوربا من مواصلة التجارة لا غنى عنها إذا أريد لهذه الدول الحفاظ على اقتصادياتها القوية المزدهرة فالشرق الأوسط هو باب الطريق فيما بين أوربا وأسيا وأفريقيا، ويحوى الشرق الأوسط نحو ثلثى مصادر البترول المعروفة فى العالم الآن، وهو يسد عادة حاجات دول عديدة فى أوربا وأسيا وأفريقيا من البترول، كما يتصل بالإنتاج، وهذه الأمور تؤكد أهمية الشرق الأوسط القوى فإذا فقدت دول تلك المنطقة استقلالها، وإذا ما خضعت لسيطرة قوى أجنبية

معادية للحرية (يقصد معادية للكتلة الغربية) فإن ذلك يكون محنة لهذه المنطقة ولدول حرة عديدة أخرى (يقصد الدول الغربية) تتعرض حياتها الاقتصادية عندئذ لما يقرب من الاختناق فى الوقت ذاته، كذلك تتعرض أوربا الغربية للخطر كما لو كان مشروع مارشال (ومنظمة حلف شمال الأطلنطى لم يوجدا وسوف يكون لكل هذا أثره البالغ الضرر إن لم يكن المفجع على حياة أمتنا الاقتصادية وعلى مستقبلنا السياسى).

وكان جمال عبدالناصر قد رفض مشروع أيزنهاور هذا وأوضح سبب رفضه ومقاومته له قائلا، لقد رفضنا مشروع أيزنهاور وقاومناه لاعتبارين اثنين :

أولا، لأن هذا المشروع موجه بما لا يحتمل الشك ضد الكتلة الشرقية ومن ثم فإن سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز التى نلتزمها فى المجال الدولى تعيّن علينا رفضه.

وثانيا، لأن مشروع أيزنهاور يناقض مذهبنا القائل بأن الدفاع عن المنطقة إنما يتعيّن أن يقع علينا نحن، إن على القومية العربية وحدها أن تنهض بهذه المهمة وكل مشروع يأتى فى هذا الصدد من الخارج ينبغى أن يكون نصيبه الرفض والمقاومة، أن منطقتنا وقد نهضت بالقومية العربية الحقة من رقادها لم تعد تقبل أن تكون محلا لنفوذ أجنبى ما..

د – اتجاه نحو عدم الانحياز والحياد الإيجابى..

إن اقتسام العالم بمنطق القوة وحدها إلى مناطق نفوذ فكرة خاطئة وعمل عدوانى على حقوق الشعوب فى نظر عبدالناصر الشئ الذى يفرض واقعا مرفوضا وبغيضا لأنه لا يترك أمام القوى الصغرى فى العالم مجالا للخيار ولهذا سعى جمال عبدالناصر بالاشتراك مع كل من جواهر لال نهرو رئيس وزراء

الهند وهو مثل عبدالناصر يرغب فى الخروج بالهند من الانحياز إلى جانب الغرب الذى يضم بريطانيا التى كانت قد استعمرت الهند كويلا ولا ترغب فى التخلى عنها محاولة الهيمنة عليها بأى وسيلة ومن أى طريق، والاثنان مع جوزيف بروز تيتو وهو يشاركهما هذا الإتجاه ويريد الخروج من دائرة النفوذ الشيوعى السوفييتى دون أن ينحاز إلى الغرب الذى يتصرف وفق أيدولوجية لا يؤمن بها أو البقاء مع الكتلة الشرقية: التى يأبى قادتها وزعماؤها عليه أن يتصرف بحرية مستقلا عنها.

لقد تبين للثلاثة أن الوسيلة الوحيدة فى الخروج عن الكتلتين معا هو أن يعملوا ثلاثتهم على خلق كتلة جديدة ثالثة تبدأ بهم قائمة على رفض الانحياز لأى من الكتلتين بحيث تسير وفق مقتضيات مصالح شعوبهم باستقلال عن هذه وتلك، فكان مؤتمر باندونج الذى اتفق فيه على كتلة عدم الانحياز وكان هذا الانجاز من وجهة نظر جمال عبد الناصر ردا عمليا على مشروع أيزنهاور أى (ملء الفراغ) والذى كان يستهدف إدخال المنطقة العربية ضمن مناطق نفوذ الغرب، والحياد يعنى الحياد الإيجابى الذى يقوم على أساس حرية العمل دون أن تؤثر فيه أو تفرض عليه أية مشاريع أو مواقف من جانب إحدى القوتين أو الكتلتين العالميتين (الغرب أو الشرق)..

ح– مواقف ومعارك جمال عبدالناصر القومية.. بلا أدنى شك ولا أى تردد فإن عبدالناصر قد قام بدورة فى الصراع المحلى والدولى من أجل العرب والقومية العربية، وكانت مصر بحكم موقعها الجغرافى تمثل موضع القلب فى جسم الوطن العربى وكان يمور فيها تياران أحدهما إقليمى منغلق على الذات وهو يتمثل اصطلاحا بالفرعونية بمعنى أنه ينفى صفة العروبة عن

مصر مناديا بها ككيان متميّز خاص، والآخر قومى منفتح على العروبة وقضاياها مصمم على أن لا بقاء ولا تقدم لمصر إلا ضمن محيطها ومجالها العربى وهويتها القومية وهذا ينادى بشعار لا مصر بلا عروبة ولا عروبة بلا مصر..

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو التزمت بالاتجاه القومى وقامت بدورها فى مواجهة الكيان الصهيونى دفاعا عن الأمة العربية وبالتالى خاضت كل المعارك بزعامة جمال عبدالناصر ولا يعيب عبدالناصر ورجاله إذا ما كانت معاركه القومية والوطنية قد واجهت بعض الإحباطات أو حتى الهزائم فى بعض الميادين العسكرية لأنه فى كل الأحوال لم يتراجع أو يستسلم أو يطأطئ الرأس بل كان يزيد تصميما كما حدث بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م ولذلك فإن تصميمه أدى إلى نصر سنة ١٩٧٣م..

هذه هى القواعد والأسس التى أقام عليها جمال عبدالناصر منطلقاته السياسية فى خطوطها العامة، أى أنها ثورة مصرية فى الداخل ذات فلسفة وتطبيق اشتراكى ينهى فى مصر الإقطاع والاستعمار الأجنبى والاستغلال والفساد والتبعية وتتجه بالمجتمع المصرى إلى الاعتماد على الذات والتحول إلى التصنيع والاكتفاء إلخ... ثم اندفع بالصراع القومى فى اتجاه فرض إحترام الذات وخوض معارك التحرير ضد الإمبريالية والاستعمار وطرد فلولهما من أقاليم وأقطار الوطن العربى، من تونس ومن المغرب ومن الجزائر من موريتانيا ومن الصومال البريطانى والإيطالى والفرنسى فى أفريقيا، ومن العراق والأردن واليمن والخليج العربى، ثم توسع بدائرة نضاله إلى خارج الوطن العربى وأسهم فى نهضة القارة السوداء فاستيقظت أفريقيا من رقادها الذى كان قد فرض

عليها من جانب المستعمرين وبالتالى تحررت شعوبها وأقامت دولها وأنشأت منظمة الوحدة الأفريقية التى صارت تعمل وفق شعار (أفريقيا للأفريقيين) كما توسع بالدائرة أكثر فشملت أسيا حيث برزت كتلة (باندونج وعدم الانحياز) على أن صراعه الأكبر كان ضد الإمبريالية والاستعمار من أجل تحرير الوطن العربى من الخليج إلى المحيط.

لقد كان جمال عبدالناصر أول زعيم عربى خرج بنفوذه الجماهيرى أبعد من حدود وطنه الصغير متبنيا قضايا أمته إلى أبعد مكان على الأرض، وقد وجدت جماهير الأمة العربية فى قيادة جمال عبدالناصر ما كانت تتمناه وفى حاجة إليه من إخلاص ووفاء ولذلك تعلقت به وأسلمته قيادها بحيث تجاوبت مع كل ما كان يطرح من آراء وما يؤدى من عمل ويحدث من مواقف مما جعل مع الأسف زعماء الأقطار العربية ورؤسائها وملوكها وأمرائها وأحزابها وطوائفها تخاف منه بل وتتآمر عليه وتشكك فى مواقفه وأعماله ولقد حاولوا جميعا وبالاتفاق مع القوى الأجنبية الحد من نفوذه بكل الوسائل الشئ الذى ربما كان سببا فى بعض الهزائم أو الإحباطات...



٣- هذا المقال نشر فى مجلة الموقف العربى التى كانت تصدر بقبرص، عنوانه: (هكذا كان جمال)..

لقد مر على ثورة جمال عبدالناصر (ثورة ٢٣ يوليو) أربعون سنة نصفها تقريبا تحت قيادته، ورغبة منا فى التأكيد على أن الطوفان لا يمسح أحداث التاريخ، والزمن لا يلغى ذاكرة الإنسان، والأعمال العظيمة ترسخ وتثبت حقها فى البقاء بل فى التجدد، أذكر ثلاث حوادث شاهدتها بعد وفاة جمال عبدالناصر فى فترات مختلفة أذكرها تأكيدا لما أقول..

أول هذه الحوادث أننى كنت ذات مرة أزور الإسكندرية بطريق البر (الطريق الصحراوى) رفقة صديق مصرى من القاهرة، وفى منتصف الطريق توقفنا عند استراحة وكانت مناورات النجم الساطع قد بدأت فى تلك الفترة، أزيز الطائرات يصم الآذان وهدير محركات الدبابات وصوت جنازيرها يملأ أجواء المنطقة، وعندما جلسنا جاء النادل، كان يرتدى جلبابا طويلا ويضع على رأسه قبعة تحوطها عمامة صغيرة ويشد على وسطه حزاما أحمر، وجهه أسمر مما يؤكد أنه من صعيد مصر، طلبنا المشروبات فاستجاب بانحناءة وابتسامة مصطنعة كما رد بالكلمة الرقيقة المعتادة فى مصر (حاضر يا بهوات) كانت خطواته ثقيلة كأنه كان يحمل أثقال هموم الدنيا على ظهره، وكان يميل إلى الإمام كمن أصابه نعاس، عندما جاء بالمشروبات كانت الطائرات تمر مندفعة من فوق رؤوسنا، سألناه، ما هذه الطائرات وهؤلاء الناس؟ وماذا يعملون؟

نظر إلى السماء وأطلق تنهيدة وقد ارتعشت يداه عندما هم بوضع الأكواب على الطاولة، لم ينظر إلينا مباشرة كما لو كان يخجل من الرد، ذهب

مسرعا وقد ازدادت انحناءته إلا أنه عندما جاء وقد طلبناه ألححنا عليه فى السؤال، استند إلى حافة الطاولة وقال، هؤلاء أمريكيون جاءوا يشمتون فى جمال عبد الناصر.. كانت تلك واحدة.

أما الثانية فهى، كنت على موعد مع صديق فى منشية البكرى بالقاهرة لزيارة حرم الرئيس جمال عبدالناصر رحمها الله، ونظرا لازدحام القاهرة وقتئذ إذ كان مشروع مترو الأنفاق قد بدأ العمل به، مما زاد ازدحام المرور فقد أردت أن أكسب الوقت فغادرت مكانى قبل الموعد بساعتين واستأجرت سيارة تاكسى وعندما جلست بجانب السائق، سألنى إلى أين ؟ قلت إلى بيت الريس، أدار المفتاح فورا وتحرك فى الاتجاه عبر ميدان التحرير، كنت أجلس بجانبه وتلك عادتى عندما أستعمل سيارة تاكسى، لاحظت أنه حافى القدمين وإن كان هناك شبشب قديم تحت المقعد بجانبه وعلى المقعد نفسه كوم من أرغفة الخبز الجاف، فسألته، هل السيارة لك ؟ أجاب لا إنما أنا أعمل بالأجرة، قلت ما هذا الخبز ؟ قال إننى أشترى الخبز اليابس لأنه رخيص ولأن عائلتى كبيرة ثم أضاف ولكن الأحوال مستورة والحمد لله..

بعد أن اجتزنا ميدان التحرير وقلب القاهرة وقد تأكدت من أنه فى اتجاه منشية البكرى، سألته أنت لم تسألنى عمن يكون الريس ؟ قال، هو فيه ريس غيره، أنه جمال عبد الناصر الذى أعطانى بيتا بعد أن كنت أسكن فى المقبرة.

أما الثلاثة فقد كنت دائما أسأل الذين عملوا مع جمال عبدالناصر عن قرب، وعن الكيفية التى يعمل بها أثناء الاجتماعات الرسمية وكان لى شرف معرفته ومعرفتهم وكان من ضمنهم الصديق أمين هويدى الذى شغل عدة مناصب ومنها وزير الحربية بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م الحادثة التى أرويها الآن،

قال، كان جمال عبد الناصر منضبطا فى مواعيد الاجتماعات إلى درجة مخيفة وكان يقرأ كل الدراسات والأبحاث ويقرأ أغلب الصحف العالمية، ولا يكتفى بما يلخّص له من أخبار بل إنه يسمع أغلب أخبار الإذاعات المهمة وملخصات الكتب السياسية والاقتصادية ويلتقى الزوار من مسؤولين فى الدولة ومن خارج البلاد، ويدقق فى كل كبيرة وصغيرة تتعلق بالتدريب والتسليح فى القوات المسلحة التى كان يعدها للقتال إذ كان مقتنعا ومصمما على الكلام الذى أعلنه عندما قال، إن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وكان ملما بكل شئ غالبا، وهو يناقش فى الاجتماعات كل وزير فى أمور وزارته، وكانت تبعا لذلك الاجتماعات تستغرق وقتا طويلا حتى أننا كنا نعتقد أنه لا يأكل ولا ينام، كما كنا دائما نُهيئ أنفسنا للوقت الذى يمكن أن تأخذه كل جلسة حسب حجم ما يكون فى حقيبة الرئيس التى يدخل بها عادة محمد سيد أحمد قبل دخول الرئيس، وحدث ذات يوم أن دخل محمد سيد أحمد وكانت الحقيبة محشوّة بشكل ملفت للانتباه فتهامس الوزراء وقال البعض، اليوم سندويتشات بمعنى أنه لن يكون هناك وقت للغداء، إذ ستستمر الجلسة طيلة اليوم وربما تأخذ جزءا من الليل، دخل الرئيس فى الموعد المحدد وبدأت الجلسه حيث طلب من وزير التموين التحدث عن تفاصيل خطة وزارته بشأن التموين، فتحدث الوزير المعنى عن خطته وأطال فى الحديث، وبعد مداخلات ومناقشات، فتح الرئيس الحقيبة وإذا هى محشوة بأرغفة خبز وقد كتب على كل رغيف المكان الذى يباع فيه وثمنه، وهنا سأل جمال عبدالناصر الوزراء واحدا واحدا، عما إذا كانوا هم وأولادهم يأكلون مثل هذه الأرغفة الرديئة فوقع وزير التموين فى حرج شديد إذ لم يكن أحد يتوقع أن رئيس

الجمهورية مع كل مشاغله ومشاكله يمكن أن يهتم بالخبز الذى يباع فى أمكنة بعيدة عن القاهرة..

هكذا كان جمال عبدالناصر، كان مع الفقراء وللفقراء، وقد توفاه الله وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئا ولم يستطع كل عتاة الدعاية والإساءة والتهجم أن يجدوا رغم كل ما قالوه قرينة واحدة حتى لو كانت واهية على عدم نظافة يده وطهارة سريرته..ولقد صدق المعرى:

(إذا رام كيدا بالصلاة مقيمها .. فتاركها عمدا إلى الله أقرب)

***

٤– هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (٥ يونيو الحدث والتاريخ).

ماذا حدث للعقل العربى ولماذا انكفأت السياسة العربية على وجهها فما عادت ترى شيئا ؟ الآخرون يحللون ويدرسون الأحداث والتطورات حتى لو كانت مفاجئة وبعيدة عنهم، بينما نحن لا نرى أبعد من أنوفنا ولا نفكر إلا فى كراسينا وذلك فى الحقيقة عقم عقلى وتبّلد فكرى وعمى سياسى لا يليق بمن يعيش نهاية القرن العشرين وإذا حدث مرة فلا يجب أن يتكرر مرات، ونلاحظ أن عدونا الأساسى (إسرائيل) إذا كنا مازلنا نعتبرها فعلا عدونا الأساسى تدرس كل الأحداث مع كل أجهزتها المختلفة المتخصصة فى كل الأحداث والتطورات الجارية بحيث تعد العدة لمواجهة كل الاحتمالات تبعا لذلك، فمثلا كانت إسرائيل قد أعدت لأن تدخل مجال المنافسة فى تسويق السلاح عندما اشتدت الأزمة بين بريطانيا والأرجنتين بشأن جزر الفولكلاند ذلك أن المنافسة

فى بيع السلاح لا تكون إلا أثناء الحرب (وربما كانت تعلم بما سيحدث بين البلدين) بسبب العلاقة بين الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية التى خططت لذلك العمل، وهكذا نجدها دخلت مباشرة عند بداية الحرب بين البلدين فى منافسة مع السلاح الفرنسى المتمثل فى صاروخ (الأكسوسيت الفرنسى) الذى عرف لأول مرة أثناء تلك الحرب وأشتهر فيها وكانت إسرائيل قد اتفقت مع الأرجنتين (برغم علاقاتها مع أمريكا وبريطانيا) على إستخدام صاروخ (قفرائيل الإسرائيلى) الذى كان مقررا له أن يستخدم على نطاق واسع بعد الرشاش (أوزى الإسرائيلى) وطائرة (كفير الإسرائيلية أيضا) فى أمريكا اللاتينية ولكن نجاح الصاروخ الفرنسى (أكسوسيت) قطع الطريق على الخطة الإسرائيلية وإن كان هذا قد نجح فى أماكن أخرى مع الطائرة الإسرائيلية بدون طيّار.

وفى مجال آخر عندما أرادت إسرائيل أن تجرب يدها الطويلة قامت بعدة عمليات بعيدة المدى كانت قد خططت لها بدقة متناهية ودرست كل تفاصيلها قبل أن تقوم بها مثل عملية (عينتيبى فى أوغندا) ثم عملية ضرب المفاعلات العراقية المعروفة باسم (تموز واحد وتموز اثنان) ثم أبعد قليلا عندما قامت بعملية حمام الشط فى تونس، وغير هذه العمليات كثير المعلن عنها والمسكوت حفظا لماء الوجه (العربى بالذات) وكذلك نجاحها فى عمليات التجسس على المخترعات حتى عند حلفائها مثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة.

أسوق هذا الكلام كمقدمة لأننى أعلم أن إسرائيل تدرس الآن وتجمع المعلومات عن حادث الهجوم على الفرقاطة الأمريكية (ستارك) وكيف نجح طيار عراقى فى إصابتها بصاروخ أكسوسيت (خطأ أو قصدا) وهى لا تقوم

بذلك لصالح أمريكا وإنما هى تفكر فى المستقبل إذ أن هذا الدرس المكتسب ربما يتكرر فى المستقبل ضدها، ونعلم جيدا أنها منذ زمن طويل كانت تخطط لمنع الباكستان من التوصل إلى إنتاج أى سلاح نووى رغم بعد باكستان عن إسرائيل، ولقد حدث ذلك أثناء حكم (ذو الفقار على بوتو) الذى ذكره فى مذكراته بشكل غير مباشر تلك المذكرات التى كانت بعنوان (إذا ما أغتالونى) وكانت أمريكا قد قامت بالدور المطلوب نيابة عن إسرائيل، وكان المنطق الإسرائيلى أو قل (الحجة الإسرائيلية) يقول، إن باكستان دولة إسلامية وقد تتعاطف مستقبلا مع العرب المسلمين فيحصلون منها على المعلومات الخاصة بالسلاح النووى وذلك يمثل خطرا على أمن إسرائيل، وهذا المنطق أيضا يتصل بالطيار العراقى والطائرة الفرنسية التى أستخدمت لضرب الفرقاطة الأمريكية الذى يركز عليه الحساب والتفكير الإسرائيلى علما بأن الطائرة فرنسية والفرقاطة ألأمريكية ذات تسلح متقدم جدا ومع ذلك فإن الحادث من وجهة نظر إسرائيل يمثل خطرا عليها فى المستقبل ولذلك فإن مخابراتها ومراكز أبحاثها تهتم وتدرس وتنقّب للإعداد والاستعداد، ونذكر تماما ماذا حدث بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م مع العرب، فلقد حدث أن إسرائيل شكلت العديد من اللجان لدراسة ما أسمته (القصور أو التقصير) وبذلك تمت دراسة كل جوانب الحدث رغم أنها إلى حد كبير كانت منتصرة فى تلك الحرب، أما نحن فنيام (نحن الحكام العرب والنظم الرسمية العربية) بل نتستر على ما تقوم به إسرائيل ضدنا مكابرة إلى أن تعلنه هى نفسها وبعد ذاك نتعلل بكثير من الأعذار كأن نقول أننا نحتفظ بحق الرد وطبعا لا نرد، ولماذا نتعب أنفسنا فى البحث عما يحدث فى جزر الفولكلاند أو الخليج أو أوغنده أو الباكستان، بل حتى تلك

الهزيمة النكراء التى تمر ذكراها المشؤومة الآن، هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م نحن لم ندرسها وكعادتنا نتلاسن ونتشاتم بالكلام والشعر والنثر والأهازيج !! وكل إذاعاتنا ليس لها من عمل إلا هذا الحاكم العربى أو ذاك !!..

أذكر أننى كنت أستمع مصادفة لبرنامج فى إذاعة صوت أمريكا بالإنجليزية وهو ندوة لبحث نتائج وأسباب حرب يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م يشارك فيه عدد من المؤرخين والمهتمين بشؤون وشجون الشرق الأوسط، كان فيما أذكر أبرز المتحدثين السيد (وليام كوانت) ولا أعلم ما إذا كانت الإذاعة قد جعلت للعربية نفس الندوة أم لا، المهم أنها كانت ندوة بخصوص حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م وهزيمة العرب وكان السيد (وليام كوانت) قد ذكر مقارنة طريفة وربما منصفة عندما قال إن إسرائيل الدولة الصغيرة والمحاطة بدول عربية مسلّحة تسليحا جيدا كان ساستها قبل سنة ١٩٦٧م يناقشون إمكانية بقاء دولتهم التى أقاموها بالحروب، فصاروا يناقشون بعد حرب ٦٧ ما إذا كان مهما أن يحتفظوا بالأراضى التى احتلوها من ثلاث دول عربية، وقال إن تلك الحرب كانت هزيمة كاملة للعرب ونصرا كاملا لإسرائيل، ثم أضاف، حقيقة أنها كانت نصرا عسكريا كاملا لإسرائيل حتى أن موشى دايان قال إنه كان جالسا قرب الهاتف ينتظر أن يتصل به القادة العرب (لم يقل يتصل به عبدالناصر) طالبين التفاوض والتسليم ولكنه بدلا من ذلك فوجئ بمؤتمر قمة يعقد فى الخرطوم ويصدر ما عرف باللاءات الثلاث وبالتالى لم يحدث ما توقعه دايان..

ونحن نقول إن ذلك هو الفرق بين جمال عبدالناصر وغيره من الحكام العرب، وتحدث مؤرخ ثان فى تلك الندوة فقال، إن الوضع الذى نتج عن تلك الحرب كان معقّدا وقد حدث الخلاف بين قادة إسرائيل فبدأ المعتدلون يطالبون

بالسلام مقابل الأرض والمتشددون يطالبون بالاحتفاظ بكل أرض احتلوها لأسباب سياسية ودينية وإقتصادية وديموغرافية وتاريخية وربما كانت لهم الغلبة ولكن ذلك الوضع هو الذى أدى إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣م والسؤال هو ماذا كان سيحدث لو أن عبد الناصر مات أو فقد منصبه نتيجة لحرب وهزيمة سنة ١٩٦٧م، وتستمر الندوة التى قلت أنها ربما كانت فى مجملها منصفة، كما أجرت الإذاعة بعد تلك الندوة مقابلات مع جنرالات إسرائيليين منهم شارون وهو الذى قال إن القوات الإسرائيلية استولت على القدس بدون قتال ولم تستخدم إلا الأسلحة الخفيفة.

وأيا كان الأمر فإن المهم إجمالا ليس موقف المتحدث أو قناعاته ولا حتى تحليلاته التاريخية إنما المهم أن يبحث الحدث ويناقش بتجرد وموضوعية، فما بالنا نحن الذين نكبنا بتلك الحرب لا نتحدث عنها ولا نبحث أسبابها ونتائجها وكأنه ليس حدثا تاريخيا جعل دورة الزمان تدور بسرعة مفجعة لتقذف بنا فى متاهات الضياع، وفيما أذكر لم يتبار فى المناقشة حول هذا الحدث شتما وتجريحا إلا أولئك الذين أسمتهم عن حق جريدة (صوت العرب) باسم (جنرالات المقاهى وكتّاب المناسبات) الذين يشتمون الذاهب ويهللون للقادم مهما كان شخصه أو مسلكه..

ومن أجل الرد على ما طرح فى ندوة (صوت أمريكا) والتساؤل حول النتائج لو كان عبدالناصر قد مات خلال تلك الحرب لابد أن نعود إلى ما كان قد ذكره (ابن غوريون) عندما كان يتحدث عن أسباب حرب سنة ١٩٥٦م ولماذا انسحبت القوات الإسرائيلية من سيناء سنة ١٩٥٧م وهو ما أورده الكاتب اليهودى (إيلان هاليفى) فى كتابه المعنون (تاريخ اليهود القديم والحديث) قال ابن غوريون:

(إن الاحتفاظ بالأرض لم يكن مهما فى ذلك الوقت وإنما المهم التقليل من قيمة عبدالناصر إن لم يكن إسقاطه، ويضيف، ولقد كنت وحتى قبل تأسيس دولة إسرائيل يلازمنى هاجس يهز قلبى هو أن يخرج رجل بين القبائل العربية كما خرج ذلك الرجل خلال القرن السابع أو أن يخرج أتاتورك آخر مثلما خرج مصطفى كمال فى تركيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى فيبعث فى الأمة روح الثقة والقتال، ولابد أن عبد الناصر كان يمكن أن يكون من نوع ذلك الطراز فقد حدث أن كل طفل فى أى بلد يتكلم اللغة العربية بدأ يرتدى قميصا عليه صورة ناصر أما غيره من القادة العرب فإننا نعرف أن ذممهم خربة وذلك سبب ضعفهم العسكرى- انتهى) .

هذا ما قاله ابن غوريون مؤسس الدولة الصهيونية، ويبقى فى أغلبه حقيقة، ولقد تأكد أن الغرض من تلك الحرب أو ما أتى بعدها هو :

أولا، تدمير القائد الذى يمكن أن يبعث فى الأمة روح النضال والثقة ويجعلها أمة مقاتلة.

وثانيا، إنهاء الوجود والنفوذ البريطانى من المنطقة ليحل محله الأمريكى والاستعمار الجديد.

وثالثا، أن يبقى أو ينصّب حكاما عرب ذممهم خربة يخدمون أغراضه ويطيعون أمره..

والمؤسف أننا لا نبحث الحدث على أساس النتائج والوثائق والأدلة التى تظهر عادة فيما بعد بتجرد، ولكن ماذا يمكن أن نقول عن الذمم الخربة الباقية الحاكمة فى بلادنا، ولقد كان ولحسن الحظ أن قامت جريدة (صوت العرب) بجهد مشكور فقدمت لقرائها مقابلة كانت تمثل جولة ممتعة فى ذهن الفريق أول

محمد فوزى رحمه الله وهو العسكرى الذى اشتهر بقول الحق، كذلك شاركت مجلة الموقف العربى القاهرية بإلقاء الضوء على الحدث فكتب الزملاء (كمال حافظ وعبد الحليم قنديل ومحمد عبد السلام الزيات) وغيرهم إسهامات جيدة عن ذلك الحدث التاريخى مذكّرين أولئك الذين أصابهم عمى البصائر أن هذه الأمة لن تموت..

نقول فى النهاية إننا نأمل أن يثبت بعض القادة العرب أن ذممهم لم تخرب نهائيا بعد، أما عن مراكز أبحاثنا إن وجدت وأجهزة مخابراتنا وهى كثيرة فحدث ولا حرج مع الأسف..

***

٤- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب بعنوان (أضعف الإيمان أن ترمه بحجر...).

كنت دائما أحرص على زيارة معرض الكتاب بالقاهرة لأننى أعتقد أنه (تيرمومتر) الحركة الشعبية والثقافية والإعلامية فى مصر، وكانت إسرائيل قد أقامت جناحا لها هناك حيث اشتركت مرة واحدة فقط فى معرض الكتاب، ربما فى غفلة من الناس على أثر الصدمة التى أحدثها رفع العلم الإسرائيلى فى قاهرة المعز لدين الله فى عهد الرئيس السادات، ومنذئذ لم تتمكن رغم الضغوط والإغراءات الأمريكية الإسرائيلية من المشاركة فى أى دورة أخرى ولقد صار تقليدا شعبيا محببا لكل الناس الذين يزورون المعرض أن يرمى الواحد منهم ذلك الجناح بحجر كلما مر بالقرب منه، ولأن الجناج كان قد أقيم من الألومنيوم وبشكل مقوّس فإن الحجارة تترك أثرها عليه مما جعله كسطح الجسم المصاب بالجدرى، وكنت فى كل مرة أقف بالقرب من ذلك الجناح

لأرقب أولئك الذين يرمون ما تصل إليه أيديهم عليه بتلقائية شديدة كأنما ذلك العمل هو جزء من طقوس الزيارة..

وذات يوم بينما كنت أرقب بعض الأطفال وهم يرمون الحجارة ويمارسون تلك التسلية وإذا برجل ذى شنب معقوف يقف ليلتقط حجرا كبيرا ويقذف به بكل قوة على واجهة الجناح مما أحدث دويا لفت أنظار كل الناس الذين كانوا قرب المكان ولكن الرجل لم يهتم بأحد ولا أزعجه الدوىّ، ورأيت أن أسأله فتقدمت منه لأقول له لماذا تفعل ذلك؟

نظر إلىّ نظرة هادئة وعلى وجهه ابتسامة ثم قال، أضعف الإيمان أن ترمه بحجر وانصرف دون أن يتيح لى فرصة مناقشة أو كلام، ولقد بقى تعبيره عالقا بذهنى كما علق بذهنى قبله تعبير سائق التاكسى الذى سألته ذات مرة إن كان قد نقل إسرائيليا فى سيارته فرد قائلا (دول رجليهم بتأكل الأرض) وأنا أكتب الآن عن الجناح الإسرائيلى فى ساحة معرض الكتاب فى مصر لمناسبة ما أثير حول (ثورة مصر وموقف الشعب المصرى منها) لأن الإعلام الحكومى المصرى جعل منها مشجبا يعلّق عليه كل ما هو سيئ باعتبارها إرهابية وأنه جرم وعمل شنيع حتى أن المدعى العام طالب بعقوبة الإعدام لبعض المتهمين فيها ومنهم (خالد عبدالناصر) الابن الأكبر للرئيس جمال عبدالناصر، وعلى الرغم من أن الإعلام المصرى الحكومى عالى الصوت مدفوعا بمواقف معروفة فإنه لا يعبر بالتأكيد عن رأى الشعب العربى فى مصر ولا الرأى العام العربى وربما حتى الرأى الحكومى كله فى مصر لأننا لا يمكن أن ننزع صفة الوطنية عن كل العاملين مع الحكومة المصرية، وكانت أغلب الصحف الحكومية وبالمناسبة فهى تسمى (الصحف القومية) قد حددت التهم وقررت العقوبات حتى قبل أن

يعلن النائب العام قراره كحالة مجلة المصور ورئيس تحريرها مكرم محمد أحمد الذى جعل مجلة المصور تسبق مجلة أكتوبر فى تبنى المواقف والسياسات الإسرائيلية والأمريكية..

ولأننا على يقين أن الشعب الذى أنجب خالد الأسلامبولى وسليمان خاطر وسعد حلاوه سوف لن يصدّق أو يقبل ما ينشره الإعلام الحكومى ولن يرضى بأى تهمة لابن زعيمه جمال عبد الناصر، ولابد أن أقول إن الشعب العظيم الذى قدم كل التضحيات راضيا لا يمكن أن يخدع أو يهزم أو يخذل، وأقول، تذكروا جيدا أيها السادة أن الإعلام الحكومى ومحاولات التزوير لم تفلح أبدًا ولقد فعل وحاول ذلك الرئيس السادات ومن معه ابتداء من زيارة القدس إلى يوم المنصة فى أكتوبر، يوم القصاص، مثل هذا اليوم وذلك العمل سيكون يوما موعودا لكل من يخون القضية ويقف ضد إرادة الشعب وهى بالتأكيد من إرادة الله..

***

٥- هذا المقال نشر بجريدة الأهرام القاهرية بعنوان التعامل العقلانى على أوسع جبهة..

أعتقد أن صاحب الحوار القومى (عندما دعانا للمشاركة بالرأى) كان يتوخى أن لا يكون هذا الحوار كالأجراس المصدوع رنينها مخنوقا لا يكاد يتجاوز قاعدتها، ولست أفهم لهذا الحوار القومى غير أنه تفكير بصوت عال يشارك فيه نخبة من المفكرين والساسة العرب الذين يعنيهم الشأن القومى محاولين إلقاء الضوء على ما وصلت إليه أمتهم من تردى وإحباطات غير آبهين بصليل سيوف الحكام المسلّطة على الفكر وحرية الكلمة، بمعنى أنهم يواجهون

الحقيقة ويغوصون فى واقع أمتهم بحثا عن حل يقودها إلى النهوض من كبوتها وذلك جهاد، قال الله فى كتابة العزيز : ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٩٥، ٩٦) صدق الله العظيم..

أما لماذا الدعوة فإننى أجزم أن اصحاب القلم قد أدركوا، وإن بعد فوات وقت طويل أنه لم يعد هنالك من أمل فى تقويم الأمور إلا بفرض الرأى الصحيح والمشاركة البناءة تأكيدا لحرية الرأى وديمقراطية التصرف، وتلك هى حصباء الطريق التى تنتزعها الثورة لتطلق شرارة الحق، ولكن أيضا، هل يكفى أن نجزع ونلطم الخدود ونندب الحظ ؟؟ كأن نقول لماذا تأخرنا؟ ولماذا حاربنا ولماذا هزمنا ؟ لماذا اختلفنا ولماذا يمسك بعضنا برقاب البعض الآخر ؟

ذلك لا يكفى ولهذا سوف أحاول فى هذا المقال أن أقترب، وإن بحذر من المأزق على أمل أن يفضى بنا حوار الأهرام إلى طريق قويم.. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ صدق الله العظيم..

ولابد أن نقرر قبل كل شئ أن العلاقة بين صاحب القرار وصاحب الرأى هى علاقة قسرية وعلاقة اقتتال فى الوطن العربى منذ أن نشأت حكومات هذا الوطن، حتى أن المسافة بينهما ضاقت إلى حد لم يعد فيه هامش لنسمة ريح بسبب تسلط صاحب القرار على صاحب الرأى، ذلك أن الأول يرى أنه ممثل الله فى الأرض، وأنه بالتالى الوحيد الذى يعرف ويدرك ويقرر، وعلى الثانى أن يزوّق ويزيّن الأشياء مهما كانت قبيحة، وعليه أولا أن يقبل بما يملى عليه دون ملل وبلا نقاش، وعليه ثانيا أن يفلسف ذلك ليضعه فى قالب مزركش خادع يقبل به الآخرون، وعليه ثالثا أن يكون ملاكا لا يخطئ.

ونقول لقد تقبل الثانى مع الأسف القيام بتلك المهمة الخادعة إن طوعا أو قسرا،من تقبلها طوعا فقد بالغ فى التزلّف والملق بحيث جعل من ممثل الله فى الأرض ربا فى الأرض، ومن قام بها قسرا تقبّل متقوقعا يلملم أطرافه خشية ورهبة سالكا الطريق اللين، مهاجرا فى نفسه تاركا قناعاته، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه تبعية العقل للوحى فى مسألة البحث عن الحقيقة، وقد حدث أيضا بين هذا وذاك ما يشبه التسابق فى البحث عن المغانم، فلقد فرض الذى يمارس الزلفى تطوّعا على ذلك الذى يمارسها قسرا موقفا جعله يسابق الآخرين بحثا عن مغنم وعيش وفير من الجالس على كرسى الحكم.

يحضرنى الآن ما حدث فى ندوة نظمها منتدى الفكر والحوار بالمغرب الشقيق وكان صاحب الحوار القومى أحد المشاركين فيها ولقد كانت تلك الندوة بعيد الغزو الإسرائيلى وحصار بيروت مباشرة، ولشد ما كانت المفاجأة حين وجدنا أن الندوة قد تحولت من كونها ندوة فكر وحوار يمارسه مثقفون يعنون بالنقد البناء والنقاش الهادئ إلى ندوة وزراء خارجية عرب يعبرون عن رأى الحكام الذين زودوهم بسيوف طويلة للقتال ضد الحرية بكل ما تعنى، وقد ظهر أغلبهم يحملون سيوفا ويرتدون الملابس الرسمية بلا خجل ولابد أنهم يتلمّسون جيوبهم..

وهكذا تبخّرت الآمال وتحول الحضور غيابا كغياب الحرية وحقوق الإنسان فى كثير من بلادنا العربية، وهذا يعنى أننا لم نواجه ما كان مطروحا للنقاش من موقع المواطنية الشاملة والفكر المتفتح، أو بالأصح من الموقف القومى والإدراك الواعى للمصير الواحد حيث حدث أن الفلسطينى تحدث كفلسطينى لينكأ الجراح وجراحه كثيرة، والعربى الآخر تحدث معبرا عن منطقة

معينة هى بلده وعن نظام معيّن هو الذى أرسله ولحديثه مبررات تغمرها الآلام وتحيط بها المصالح ويحتويها جميعا الخوف على لقمة العيش، لم يكن هناك إحساس واحد وإنتماء مشترك وقضية متميّزة، الإحساس الواحد بالمصير الواحد، والانتماء المشترك لوطن وأمة وقضية متميزة هى قضية الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وقد غصنا مرغمين جميعا فى لجج النقاش السياسى المنحاز، وتطايرت الشظايا فأصابتنا جميعا دون أن نناقش القضية التى عقدت من أجلها الندوة (قضية فلسطين !!).

وكان يجب أن نبحث بعقل متفتح وبموضوعية وعلمية ونرتقى إلى مستوى المسؤوليات والمشاكل والصعاب المشتركة، كان يجب أن نناقش لماذا هذا الانحدار والتردى فى واقعنا العربى ؟ وما هو السبيل إلى المعالجة ؟ وكان يجب أن نبحث عن إمكانيات التلاقى بدل التفارق، كان يجب أن نبدأ بمناقشة الفكر العربى والواقع العربى والحق والديمقراطية فى الوطن العربى، كان يجب أن نناقش لماذا هزمنا سنة ١٩٤٨م وكان يمكن أن ننتصر لو كنا أحرارا صادقين، ولماذا هزمنا سنة ١٩٦٧م وكنا قد أفهمنا العالم أننا لمنتصرون !! ولماذا حدث ما حدث فى أيلول الأسود بالأردن ؟ ولماذا تكرر ذلك مرات عدة فى لبنان ؟ وبالتحديد كان يجب أن نقول إن الهزيمة فى داخلنا والعيب فى أفكارنا والخطأ فى ممارساتنا، فلماذا ؟

لو بدأنا هكذا كان يمكن أن نلمس موطن الوجع مباشرة، وكان يمكن أن تفضى بنا هذه البداية إلى سؤال بديهى يقول، هل نحن أحرار وهل نمارس حقوق المواطن فى شئون بلده ضمن حرية راشدة ومصونة ؟!وهل فعلا قضية الشعب الفلسطينى هى قضيتنا جميعا ؟!

ولقد كنا فى تلك الندوة، وأمثالها كثيرات نرفع شعار (مستقبل القضية الفلسطينية) ولم نبحث مستقبل القضية الفلسطينية بقدر ما تحدثنا فى مشكلة القضية الفلسطينية والتهم الفلسطينية والردود العربية، وبذلك لم نفعل شيئا أكثر من تعميق الخلاف، ومن هنا، بل منذئذ كنا نعالج الخطأ بالخطأ، مثل، مشروع التقسيم، مشروع روجرز، أيلول الأسود، الحرب الأهلية فى لبنان، تل الزعتر والكوره، الغزو الإسرائيلى والحصار، الخروج الثانى ثم مذابح صبرا وشاتيلا، قتال طرابلس والخروج الثالث، الغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان، صبرا وشاتيلا الثانى، خيانة عربية وهزيمة عربية أمام إسرائيل سنة ١٩٤٨م خلاف عربى فلسطينى وتقاتل وانقسامات بين الفلسطينيين إلخ... هذه القائمة، فلماذا؟

إنها فعلا تذبذب الأهواء والجهالات البعيدة عن هزّة التقدم والموقف الصحيح، وسؤال، ما هو الحل ؟؟

يمكن للمرء أن يقول إن المطلوب أولاً إحداث المناخ الذى تتوفر فيه الثقة والاطمئنان وبذلك فإن التقدم يمكن أن يحدث إذا كان الإنسان راضيا على أمسه متفائلا بغده، أما إذا كان الأمس حزينا واليوم قلقا فلابد أن يكون الغد مجهولا، والجهل يؤدى بالطبع إلى اليأس، ومن هنا بات من الضرورى أن ننظر حولنا لنرى ونتدّبر، لنقارن حالنا بما كانت عليه أجيال بداية القرن العشرين فى أوربا مثلا وما واجهها من أزمات وهزات عنيفة، وكيف أمكن لمفكريها أن يتبينوا الغد الأفضل..

كانت هناك أزمات عنيفة مثل الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية العاصفة وكذلك الحرب العالمية الثانية ونتائجها من هلاك ودمار وتخلخل اجتماعى أخلاقى معيشى، وبرغم أن ذلك الذى حدث فى أوربا كان يعتمد

على رصيد ضخم من الممارسات الديمقراطية وعلى نضال طويل قادة مفكرون عظماء للتحرر من سيطرة الكنيسة والشعوذة الدينية.

برغم ذلك فقد أنبرى مفكرون كبار لمعالجة قضية القلق التى اجتاحت ذلك الجيل رغبة فى تصوّر مستقبل بلادهم، وقاد حملة البحث تلك عبر التراث الثقافى والحضارى والتاريخى نخبة من الرجال أمثال المفكر الإنجليزى (ارنولد توينبى) فى كتابه المعنون (دراسة فى التاريخ) ليقدم نظرية التحدى والاستجابة معالجا الدور الفاعل فى التقدم الحضارى الذى يمكن أن تقوم به أقلية من الأفراد الذين يبصرون التحديات قبل غيرهم، وعلى ضوء تلك البصيرة يجدون الحلول وبالتالى يقودون مجتمعاهم فى عملية التحدى والإستجابة إلى التقدم والرقى، وفى كتابه تحدث بتفصيل شامل عن كيفية دخول الحضارة ودور الخمول والعجز عندما تتوقف الاستجابة من جانب أولئك الرواد، كما فعل العالم الألمانى (ازوالد شبنجلر) الذى أحدث كتابه المعنون (انحطاط الغرب) جدلا لم ينقطع إذ اعتبر ثورة على الفكر الكلاسيكى الغربى القائل بأن ما فى البشرية حلقات متصلة فى وحدة متكاملة، أى أن شبنجلر يرفض القبول بالتطور التلقائى الذى يحول دون الاجتهاد والبحث والتقصى، وهكذا الحال كان بالنسبة للعالم الروسى (بتريم سوروكين) فى كتابه (الديناميكيات الحضارية والإجتماعية) الذى تحدث فيه بدقة عن قيم المجتمع والعامل الحضارى وعناصره من لغة وسياسة وثقافة واجتماع واقتصاد، ولقد عالج بدقة أزمة الجيل والمظاهر المتناقضة فى حضارة أوربا، وما كان يثيره أولئك بالضرورة كان مستندا إلى تراث ذلك النضال المرير الذى جرى ضد سيطرة الكنيسة فى كل من انجلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا حيث بدأت حملة المناداة باستخدام

العقل واستعمال العلم فى المعرفة والتقدم والخير، أى التخلص من قبضة الكنيسة وتحرير العقل وَتأكيد الحرية، ولقد قاد تلك الحملة كما هو معروف (فرانسيس بيكون) و (رينيه ديكارت) وغيرهما، وكانت حملة المرحلة الأولى تحديدا المناداة باستخدام العقل وبالتالى التخلص من سيطرة الفكر الدينى المقيّد، وكانت محصلة المرحلة الثانية التأكيد على دور العقل فى الوصول إلى المعرفة والتقدم وتحليل مراحل التاريخ وتصوّر شكل المستقبل، ولهذا نحن العرب يؤدى بنا هذا إلى سؤال مهم – لماذا العدو يتقدم... ونحن نتقاتل ونتخلف؟!!

إدراكا لهذا لابد من فرض مناخ ديموقراطى تتأكد فيه حرية الإنسان بحيث لا يكون الارتداد عملا من أعمال العنف ضد الجنس البشرى، ولقد حدث الارتداد وحدث العنف والتقاتل فى وطننا العربى بين أصحاب البيت الواحد، فنحن إذ نرى إسرائيل وقد أصبحت خامس دولة فى العالم من حيث تصنيع السلاح وتسويقه نجد أننا لم نصنع شيئا غير التمادى فى قهر الإنسان وتضليله بالشعارات والانتخابات الزائفة، ويمكن القول إنه ليس هناك من فرق بيننا وبين إسرائيل وغيرها من دول العلم غير إستخدام العقل فى العمل والتخطيط وإرادة التقدم بإنسان حر محترم الحقوق، فبينما أقامت إسرائيل مشاريعها الذرية وكان أولها مفاعل (ديمونه) سنة ١٩٤٨م كنا ومازلنا نحن يمسك بعضنا بخناق البعض الآخر متخاصمين على نسبة القتال والخيانة، من قاتل ومن لم يقاتل، من كان مع الفرنسيين ومن كان مع الإنجليز !!

وبينما إسرائيل تصنع الطائرة القاذفة المقاتلة (كفير) كنا نحن نتجادل عن الوحدة بل وعلى حدود وقطعة أرض ! نتجادل بشأن الوحدة وما إذا كنا عربا أم عرب وبربر وفراعنة إلخ... ! وعندما كانت إسرائيل تحصل على

عشرات الأطنان من اليورانيوم المخصّب تهريبا أو شراء أو قرصنة لمفاعلاتها الذرية كنا نحن نتقاتل بسبب خلاف على حدود مصطنعة أو لاختلافات سياسية نصبت لنا فوقعنا فيها، وعندما خططت إسرائيل لتهريب تصميمات الطائرات النفاثة المقاتلة الفرنسية والزوارق الحربية تحت جنح الظلام ومن تحت مقاعد الرئاسة الفرنسية فى عهد أقوى رئيس فرنسى كنا نحن ننصب الكمائن وكل منا له شأن مع الأقلية المارونية أو الأكثرية المسلمة فى لبنان، وعندما كانت إسرائيل تتسابق مع فرنسا فى حرب الفولكلاند بصاروخها (قفرائيل ضد الأكسوسيس) كنا نحن نتهافت على أسواق النفط فى أوربا من منا يستحوذ على حصة الآخر، وعندما دخلت إسرائيل بدبابتها المتقدمة جدا (مركافا) لغزو جنوب لبنان كنا نحن نشتم السلاح الروسى الذى لم يكن فيه عيب وإنما العيب فينا، وبينما إسرائيل تخطط للاستفادة من كل مواردها الضئيلة نبالغ نحن فى هدر مواردنا الهائلة، وفى الوقت الذى تدعو فيه الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل للمشاركة فى برنامج حرب النجوم وقبل ذلك قدمت لها كل المساعدات العسكرية والتسهيلات الاقتصادية مانزال نحن نلهث وراء أمريكا طلبا للعطف ومجرد القبول بنا أو الاعتراف بوجودنا فى بيوتنا ونصر أحدنا على الآخر (الملك والأمير والشيخ والرئيس والقائد إلخ... !!) ويقول البعض منا إرضاء لسيدة الديمقراطية إنها لا تريد بنا إلا الخير بمساعدتها لإسرائيل بحيث نرتدع نحن عن التفكير فى رمى هذه فى البحر ! ولابد أن إسرائيل عندما تحقق التقدم العلمى والتكنولوجى سوف تمتنع عن الدق على رؤوسنا بمطارقها وهدم بيوتنا بدباباتها وانتهاك حرماتنا بجنودها، ثم أننا فى بعض الأحيان نصرخ بأصوات مبحوحة من كثرة ما صرخنا دون أن تعرنا أمريكا

أذنا صاغية (ذلك أن من يهن يسهل عليه الهوان) نصرخ محتجين من الانحياز الأمريكى إلى جانب إسرائيل أو السيطرة الإسرائيلية على أمريكا (كما نزعم) دون أن نعرف لماذا وكأننا لا ندرك أسس التحالف ودور المصالح بين الدول فى العالم ؟

لقد عملت إسرائيل على التنسيق الكامل مع الولايات المتحدة الأمريكية فى خدمة سياسية وعسكرية متبادلة وهى بذلك تحقق مطامعها وأمنها الوطنى، فعندما أرادت ضرب المفاعلات الذرية العراقية استخدمت التكنولوجيا الأمريكية وأجرت التدريبات اللازمة مع الخبراء الأمريكان وطلبت تصنيع أنواع خاصة من القنابل لذلك الغرض كما حصلت على المعلومات الدقيقة من أمريكا ونفس الشئ من فرنسا وبالتالى قامت بما أرادت بكل نجاح فصارت المفاعلات العراقية فى خبر كان، وفى مقابل الخدمة الأمريكية حدث أنه عندما تم احتجاز الرهائن الأمريكيين بالسفارة الأمريكية فى طهران أعلنت إسرائيل أن أراضيها مفتوحه أمام الطائرات الأمريكية فى حالة الرغبة فى القيام بعمل لتحرير الرهائن بل هى أضافت إلى ذلك أنها على إستعداد للمشاركة فى ذلك العمل إدراكا لأهمية المصالح المشتركة، وعندما فكرت أمريكا فى إنشاء إذاعة موجهة إلى شعوب الاتحاد السوفيتى من منطقة الشرق الأوسط أعلنت إسرائيل فورا أن أرضها مفتوحة لإقامة تلك الإذاعة إلخ... وبالمقابل نحن نطلب بعض السلاح من الاتحاد السوفييتى ونتوجس خيفة من أى تعامل آخر، بل إننا أسأنا ودمرنا تلك العلاقة التى أقامها جمال عبدالناصر مع الاتحاد السوفييتى وتجاوزنا حدود اللياقة السياسية فى التعامل إرضاء للمخابرات الأمريكية دون مقابل عندما هزأنا بالسوفييت والسلاح

السوفييتى وعلى الملأ قلنا أن السلاح السوفييتى عديم الفائدة وأن العلاقة معه غير ذات جدوى وتحديدا مباشرة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م التى دخلناها بالسلاح السوفييتى، كل ذلك وغيره يعنى أننا لم ندرك أو لم نرد أن ندرك أن التحالف يقوم على أسس سياسية واقتصادية وحضارية وأخلاقية وهنا أقول...

ترى ما هى إمكانية الخروج من المأزق السياسى والحضارى والعقلى ؟

وهل ثمة مأزق سياسى وحضارى وعقلى ؟؟

الإجابة بنعم دون جدال، ولربما أمكن التأكيد على أن ذلك ينحصر بأصحاب القرار فى وطننا العربى بدليل أن الشعب العربى مازال تقديره عاليا ويحمل إحساسا وديا تجاه الاتحاد السوفييتى برغم كل محاولات التشويه والإساءة من جانب أقلام مأجورة وحكّام مرتدين، إذن كيف يكون التعامل أولا، وكيف يكون عقلانيا وسديدا ثانيا؟ وعلى أوسع جبهة من القيم والأساليب والأهداف والمفاهيم ثالثا ؟

أولا، إن ما يمكن أن يؤهلنا لأن نحوز على الثقة بنا لابد أن يكون فى شكل إلتزام وانضباط وشحذ همم وموضوعية وصدق بالمبادئ والأهداف ذلك أنه بدون هذه الأسس سوف لن يكون فى مقدور أحد أن يساعدنا أو يتعاون معنا، ولا ننكر أنه قد يبيعنا بعض السلاح وذلك شئ آخر.

ثانيا، إن كل القوى التقدمية فى الوطن العربى والتى لابد أن تكون مدعومة جماهيريا يجب أن تكون غاياتها واحدة ووسائلها متناسقة بعيدة عن التعصب والصخب والغوغائية آخذة فى إعتبارها روح العصر وظروف العصر ولغة العصر، دولا كانت أو فصائل ومنظمات.

ثالثا، أن كل القوى والأحزاب والشخصيات المؤمنة بالمصير العربى الواحد القادرة على العطاء يجب أن تلتقى على برنامج عمل واحد يهتدى بالعقل والمنطق وعلوم العصر، على أن هذا البرنامج يجب أن يلزم النظم العربية بقدر من التنسيق مهما بلغت الخلافات وتعمّقت الصراعات..

وفى هذا يمكن القول إن إمكانيات البحث العلمى والتخطيط الصناعى والتربوى يجب أن تكون موحّدة متناسقة لا تتأثر بالاختلافات السياسية أو الأيدولوجية، فإذا كنا ننظر الآن بقلق شديد إلى ولوج إسرائيل أبواب الإنتاج الذرى وعصر الفضاء فماذا عسانا فاعلين بغير التعاون والتنسيق والتخطيط، وعلينا أن ندرك أنه لا أحد يريد لنا أن نلتقى أو أن نتفق أو أن ندرس ونتعاون ونخطط، وبنظرة عجلى نرى أننا نتأخر وأننا نهدر إمكانياتنا وأننا ندمر أنفسنا، أن التخطيط الصناعى والتربوى والتصنيع شأن من شئون البيت الواحد ولا يجب أن يتأثر بشئ مهما بلغ، وها نحن نرى الوضع فى لبنان والحرب فى الخليج وفى الصحراء الغربية وفى السودان وفى الصومال وبين الفلسطينيين أنفسهم وهم أصحاب القضية المركزية (كما يسميها إعلامنا الحكومى) وفى الصراع والتقاتل والخلاف الفلسطينى فلسطينى: لا يمكننا أن نعفى النظم العربية من إحداث تلك الخلافات والتقاتل وأنا أشهد بذلك لأنى عشت وعايشت فترة الحرب الأهلية فى لبنان، ونحن الآن نشهد ما يجرى على أرض فلسطين، وأخجل أن أقول أننا نشهد حكومتين ونظامين هناك كل منهما لها شرطة وسجون إلخ... وجميع هذه الأحداث إنما هى خسائر قومية ولن يكون فيها منتصر ومهزوم ولا يستفيد منها إلا العدو الصهيونى مع الأسف.

***

٦- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (عقدة ذنب أم وصمة عار) ؟؟

الذى يتابع التصرفات والمواقف الأمريكية فى أى شأن من شئون العرب يلاحظ أنهم يعاقبون الأمة العربية أو هم بالتحديد يزدرونها تشمتا أو نكاية أو هى عقد الذنب من وجهة نظرهم التى يريدون تحويلها إلى وصمة عار بحيث يندم عليها كل عربى مهما كان وفى عقر داره بداية من مكافأة جواسيسهم الذين حوكموا فى فترات حكم سابقة كأنما هم أبطال نضال من أجل الديمقراطية إلى تسخير بعض الأقلام من أجل الإساءة إلى قادتنا وتاريخنا وتضحياتنا، حتى أنهم فيما يقومون به من وساطات أو مباحثات جعلوا يبعثون إلينا مندوبين هم فى الغالب من أصل صهيونى أو على الأقل يهودى سواء أكان الأمر يتصل بحرب أو سلام أو مال وأقتصاد حتى أن أول مبعوث أمريكى وصل الخرطوم بعد استيلاء الجيش السودانى على السلطة للمرة الثالثة كان اسمه (كوهين) وقد ذكرت وزارة الخارجية الأمريكية أن المساعدات الأمريكية للسودان بعد الانقلاب أو ما عرف بثورة الانقاذ سوف تتوقف على رأى هذا المبعوث، ونحن لأننا فى هذا الزمن العربى الردئ نحتاج المساعدات الأمريكية أو الهبات الأمريكية لأننا لا نساعد بعضنا، وحتى إذا أردنا المساعدة فإننا نقدمها عن طريق أمريكا أو بمشورتها وموافقتها ناهيك عن مساعدات صندوق النقد الدولى والبنك الدولى، ولابد لكوهين هذا أن يذكّرنا بأنه يهودى وأنه لم ينس أننا حاكمنا جاسوسا وأعدمناه لأنه كان يتجسس لصالح إسرائيل، وذلك الجاسوس الصهيونى أسمه كما يذكر القارئ (ايلى كوهين) وكنت عندما سمعت أن المبعوث الأمريكى (كوهين) قد وصل الخرطوم خلال الشهر الفائت

تذكرت ما قاله لى ذلك العامل المصرى البسيط عندما سألته عن مناورات النجم الساطع التى كان يجريها الجيش الأمريكي شرق الإسكندرية قال لى (إنهم يشمتون فى جمال عبدالناصر) وأدركت أن ذلك القول العفوى صحيح مائة فى المائة، وبعد الشماتة فى عبدالناصر وقد سخّروا لذلك الفعل كل شئ، نراهم يشمتون فى الأمة العربية كلها، وهذا فى الحقيقة ليس جديدا وإن كان بوجه أمريكي ويحدث فى النصف الثانى من القرن العشرين، ويذكر لنا التاريخ أن (ألفونسو) ملك الفرنجة فى قشتالة عندما أراد أن ينقض المعاهدة مع ابن عبّاد بعث إليه موفدا يهوديا كان من رعايا ابن عباد قبل أن تُحتل طليطلة وطلب ألفونسو من اليهودى أن يكون متعنّتا متعاليا عندما يخاطب الأمير العربى وبأن يبلغه شرطين هما بمثابة الأوامر :

الأول، مضاعفة الأتاوة التى تدفع ويجب أن تكون فى مواعيدها دون أى تأخير أو مماطلة.

الثانى، السماح لزوجة ملك قشتالة بالإقامة فى قصر الزهراء حتى تضع مولودها فى مسجده الكبير..

وردا على هذه الشروط ما كان من ابن عباد إذ عرف غرض ألفونسو إلا أن قال قولته الشهيرة (والله إنه لشرف لى أن أرعى الجمال على أن أرعى الخنازير) بهذا الرد والموقف الرجولى قاتل ابن عباد أولئك الذين أرادوا الحاق الإهانة بأمة العرب والمسلمين فى شخصه وبذلك بقى شامخا فى التاريخ العربى مثالا لعزة النفس وكرم الخلق وقوة العزيمة، ترى كم من الإهانات تلحق بنا الآن دون أن نرد عليها..؟

ولا يحسبن أحدا أننى عندما أشير إلى هذه الأفعال الأمريكية إنما دافعى حقدا أو كراهية لليهود كيهود لأنه فى تاريخ العرب لا يوجد أى شئ من ذلك بل أن الحقيقة التاريخية تقول إن اليهود قد عاشوا بيننا كمواطنين يحظون بالاحترام والاهتمام اللذين يحظى بهما كل مواطن، ولكن اليهودية الصهيونية هى شئ آخر، ولقد كنا ومازلنا نطالب بحقوقنا فى أرضنا (فلسطين) ولا يمكن أن نقبل بمبدأ ملك قشتالة وإذا كنا نواجه مأساة الأندلس فى حاضرنا فإنه بالتأكيد سوف لن تعدم الأمة العربية امكانيات النهوض والمواجهة من أجل حقها المهدور ولو بعد وقت قد يطول أو يقصر، وإذا كانت الصهيونية تراهن على الزمن وعلى التصالحات مع بعض الأنظمة العربية وكذلك التحالفات مع القوى الكبرى المسيطرة على المنطقة كما ذكر الكاتب الصهيونى (بيت هيلاهمى) فى كتابه الذى صدر حديثا تحت عنوان (ارتباطات إسرائيل) الذى قال فيه :

إنه من أجل تحقيق إقامة الدولة الإسرائيلية اعتمدت الحركة الصهيونية مبدأين أساسين إستراتيجيين هما:

أولا، التحالف مع قوة عالمية عظمى..

ثانيا، زعزعة استقرار أهل البلاد فى فلسطين..

ويضيف الكاتب اليهودى، عندما بدأت الحركة الصهيونية تتطور سياسيا كانت أولويات أهدافها بقيادة (هيرتزل وخلفائه) طلب الحصول على الشرعية والمساعدة فى العالم الأول المتقدم وذلك بعقد مؤتمر الصهيونية العالمى فى سنة ١٨٩٧م – جدير بالذكر أن المقصود بالعالم الأول هو الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا واليابان:

هذا بالنسبة لليهود أما الولايات المتحدة الأمريكية فإننى كنت قد درست هناك وأحمل الكثير من الذكريات الطيبة وحتى الآن لى صداقات أعتز بها على المستوى الشخصى وأنا أعتقد أن المواطن العربى لابد له أن يعتب على هذه الدولة الكبيرة فى مواقفها السياسية وانحيازها للعدو الإسرائيلى إذ إنه لا يمكن لأى عربى ألا يحس بآلام إخوته فى العروبة والإسلام الفسلطينيين.

أما العالم الثانى فى نظر الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت فهو الاتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية، والباقى معروف، أى العالم الثالث – الذى صار يسمى التالف.

وبعد مضى عشرين سنة من تاريخ انعقاد ذلك المؤتمر حققت الصهيونية اعترافا ومساندة من بريطانيا العظمى متمثلا فى وعد وزير خارجيتها (بلفور) الذى صدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م وبعد مضى ثلاثين سنة على وعد بلفور فازت الحركة الصهيونية بأوسع تأييد من الأمم المتحدة فى قرار التقسيم الصادر بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ذلك القرار الذى يعترف بحق اليهود فى إقامة الدولة فى فلسطين وهكذا أعلنت الدولة اليهودية رسميا فى ١٤ مايو ١٩٤٨م وبحلول سنة ١٩٦٧م صارت إسرائيل القوة المسيطرة فى المنطقة كلها وعلى جيرانها العرب المتخلّفين والمحقّرين – انتهى كلام الكاتب الصهيونى.

ويظهر أن إسرائيل أو قادة دولة الاغتصاب قد سيطر على تفكيرهم هذا الاعتقاد بأنهم فعلا سيطروا على العرب لأنهم متخلفين ومحقّرين ؟ وإذا كان التخلف حقيقة فإن التّحقير ليس صحيحا، نعم لقد هزمتنا إسرائيل سنة ١٩٦٧م عسكريا فى معركة لكننا لم نحقّر بدليل أننا بدأنا على الفور حرب الاستنزاف ثم قمنا بحرب رمضان سنة ١٩٧٣م ولهذا فإن التخلف سوف

ينتهى لأن حملة الشهادات العليا فى جميع مجالات التعليم والتقنية والتكنولوجيا من العرب سيكونوا أكثر من تعداد الصهاينة فى فلسطين، وإذا كانت إسرائيل قد امتلكت الأسلحة الذرية والكيماوية كما ذكر الكاتب الصهيونى فى كتابه على الصفحات (١٢٣ – ١٢٤ – ١٣٢ – ١٣٦) فإننا يمكن أن نصل إلى إنتاج هذه الأسلحة مرغمين بالطبع بسبب صلف إسرائيل، والدليل الثانى على أننا لم نحقّر ولم نستسلم ما يجرى الآن داخل الأراضى المحتله فى فلسطين أى ثورة الحجارة التى يقوم بها الشعب الفلسطينى ويقدم التضحيات يوميا دفاعا عن أرضه وكرامته، ونؤكد أنه لن يكون هناك أى حل أو تفاهم أو سلام قبل الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة مهما فعل الخونة من الحكام، وإن غدا لناظره قريب..

***

٧ – هذا المقال نشر أيضا فى جريدة صوت العرب بعنوان: (شيخ العرب):

من مواطن عربى على وشك الكفر بعروبته إلى الملوك والرؤساء العرب المجتمعين فى عمان، مواطن تطرق أذنيه أغنية (البانكى دوديل) ذلك أن من يتابع ما يجرى الآن فى الخليج العربى يصاب بالدوار والهلع فى وقت واحد، فقد بلغت اللهجة الإمبريالية الغربية عنتا لم تبلغه فى أى وقت مضى ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبرغم أننى لست مع النظام الإيرانى فى رفضه لكل الحلول والجهود الخيّرة من أجل إيقاف الحرب المدمرة بينه وبين العراق وكنت أعتقد أنه لا يمكن لأحد أن يكون مع النظام الإيرانى فى الوقت الحاضر بسبب تعنته الذى لا مبرر له، ولربما يكون من المفيد قبل أن نحدد مع من يجب أن نكون ثم ما إذا كانت هذه الحرب هى حرب طائفية أو دينية أو قومية وما إذا

كانت دوافعها داخلية أم خارجية ؟ فإننا يجب أن نحدد قائمة الحساب فى الخسائر والأرباح وفاتورات المدفوعات وأين ذهبت وما هو عائدها وأين نقف نحن الآن ؟

نحن أمام مؤتمر قمة عربى يلتئم أخيرا بعد جهد جهيد (إن كان فى هذه القمم فائده وقليلا من الإحساس) والمؤتمر وقد ينعقد فإنه لابد أن يحس بالمسؤوليات والصعاب ويدرك الخلافات التى لا أول لها ولا آخر،وهى وإن كانت موجودة أصلا فقد تفاقم أثرها وتفجرت بحيث خلقت بؤرا هنا وهناك ورسمت جراحا فى الجسم والعقل العربيين، ومن هنا فإنه يجب علينا أن نحدد أن القادة العرب فى أى ظرف يجتمعون يجب أن تكون أمام أعينهم أولا مصلحة الأمة العربية (إذا ارادوا أن يذكرهم التاريخ بسطر أو اثنين) ومصلحة هذه الأمة بالطبع هى جزء من كل، مصلحتها فى الأمن ومصلحتها فى الاستقرار ومصلحتها فى التقدم والبناء، وهذه ترتبط بأمن ومصلحة وتقدم واستقرار المنطقة والعالم ككل، هكذا نتصوّر، ومن خلال هذا التصوّر نقول :

ماذا عن العرب أنفسهم ؟

وماذا عن إيران والعراق ؟

وماذا عن الإسلام والصهيونية ؟

وماذا بين السنة والشيعة العرب ؟

وماذا عن الغرب والشرق ؟

وإنصافا لابد أن أقول إن الأخ العقيد القذافى كان قد أبرق إلى القيادتين فى البلدين (إيران والعراق) عند بداية الحرب قائلا (إن القاتل والمقتول فى

النار) بإعتبار أن الحرب لا تفيد أى من البلدين ولا أى من العرب أو الفرس ولا هى لصالح المنطقة والسلام العالمى، ولكن وقد أصاب الغرور من أصاب وطاشت بعض العقول زهوا وخيلاء وغاب عن بعض الأطراف أننا جزء من العالم وأن العصر لم يعد عصر فتوحات ولا مغامرات، أو تصدير ثورات ويظهر أن السهام أصابت مقتلا ولربما ساد رأى ابى نوّاس القائل :

(إذا مت ظمآنا فلا نزل المطر)

ومن أجل (إذا هذه) نعود إلى البداية، وهى تتمثل فى رأى نراه صائبا يتعلق بالقيادة الحكيمة، فقد حدث أن أحد المجاهدين الليبيين وكان رئيسا لمجلس الشيوخ الليبى وهو مقرّب من الملك الليبى إدريس السنوسى جدا وقد شارك فى مؤتمر قمة الخرطوم الذى عقد عقب هزيمة سنة ١٩٦٧م وشاهد مواقف الزعماء العرب فى ذلك المؤتمر وكان قد جمعهم جمال عبد الناصر وبعد عودته إلى ليبيا تجمع حوله عددا من الشباب يسألونه عن رأيه فى الزعماء وذلك المؤتمر، قال مؤتمر جيد، لكن الشباب سألوا ماذا عن الزعماء، مثلا عن أمين الحافظ وكان فى ذلك الوقت رئيسا لسوريا ؟ قال زى النمر متحفّز ولا تعرف إلى أى اتجاه سيقفز، قالوا وماذا عن السلال وهذا كان رئيسا لليمن ؟ قال اللحيّة على الكرسى والحكم فى يد عبد الناصر، قالوا وماذا عن الأزهرى وكان رئيسا لوزراء السودان ؟ قال زى الطبل صوت عالى وجوف خالى، وتعددت الأسئلة عن كل واحد من الحكام العرب وكان يجيب بالتفصيل إلى أن قالوا، وماذا عن جمال عبد الناصر ؟ قال شيخ العرب عندما يتفرقوا يجمعهم وإذا تشابكوا فصل بينهم وإذا تعالت أصواتهم هدأها، كلمته نافذة ورأيه صائب..

كان هذا سنة ١٩٦٧م ونحن الآن فى نهاية سنة ٢٠١٠م وعبدالناصر غير موجود فقد انتقل إلى جوار ربه منذ عقود وهذه العقود كلها شروخ ومآس وآلام، وإن لم يكن قد سادها سواد قاتم إذ عمل بعض العرب على بناء الذات وإن بتواضع، وعمل آخرون منهم على تكديس الأموال التى ستهدر فيما لا يفيد منهم أو من غيرهم وسيبكون عليها كأوراق غير ذات قيمة إذا ما حدثت أزمة دولية، وعمل بعض الآخرين على توفير بعض الخبز الذى لم يشبع البطون الخاوية وهذا فى رأينا أحد أسباب الحرب أو الحروب حاليا أو مستقبلا، ومن المعروف أنه بلا سياسة قومية يكون تكديس الأموال مضر بالاقتصاد العالمى، وملء البطون غير مرغوب، وبناء الذات غير مسموح به، والاقتصاد العالمى لا ينمو إلا بتطوير الصناعة (الأسلحة الألبسة والمقتنيات الأخرى) ولهذا فإن من يريد بناء الذات سيورّط فى مشاريع خيالية يكون لها طابع دعائى إعلامى رنّان ولابد أن يخوّف من لا يريد الإقدام على شراء السلاح وأن تتزايد معاناة الجوعى بعد أن تكبر الفوارق وتضمحل الآمال وهذا ما سيحدث فيما نعتقد، ومثال آخر فلقد قامت الثورة الإيرانية وكانت هناك آمال وأمانى حيث انهدم ذلك النظام العتيد المعادى لأمة العرب المتعارض مع مصالح شعبه المتعاون مع العدو الصهيونى، وفى هذا البلد امكانيات مادية وبشرية وعلمية جيدة يمكن بواسطتها جميعا بناء الدولة الحديثة، وعلى حدود إيران يقع العراق البلد العربى المسلم ذو الامكانيات المادية والبشرية والفنية ستكون هائلة إذا ما أضيفت إلى غيرها، مما قد يساعد على تقدم المنطقة كلها ويساهم مع بقية العرب والمسلمين فى تحرير الأرض السليبة، لكن الذى حدث أن كلا البلدين أو قل القيادتين لم يدركا تلك الحقيقة وبالتالى تم ضرب

رأسيهما معا لتبدأ الحرب وتدمر كل الامكانيات وانغمس الكل فى نقاش عن من البادئ أو من المعتدى أو المتآمر واستمرت الحرب لتحرق الأخضر واليابس ولقد انتهى الأمر بالعراق إلى الخراب والإحتلال الأمريكى الغربى وصار القتل والتدمير بين أهله كالماء والهواء على أن إيران لعقت جراحها وتقدمت فى كثير من المجالات الثقافية والعلمية والتكنولوجية رغم مؤامرات الغرب على ثورتها ونحن نرجو لها التقدم والرخاء والتغلب على المشاكل والمؤامرات التى تشن عليها من الغرب ومع الأسف من جانب بعض العرب الذين نسوا الخطر الصهيونى وصاروا يتحدثون عن ما أسموه الخطر الفارسى ..

وفى منطقتنا كيان غريب غرس عنوة وبتدبير وسابق إصرار، وقد زوّد بجميع وسائل العلم والتكنولوجيا (ربما نكاية أو حقدا على العرب والمسلمين) وهو كيان عنصرى دينى بالضرورة متعارض كليا دينا وعقيدة ولغة ومفاهيم مع شعوب المنطقة كلها (منطقة الشرق الأوسط) بل هو تجاوز حتى منطقة الشرق الأوسط ليتآمر على دول وشعوب أخرى فى أسيا مثل الشعب الباكستانى وحالة الرئيس ذو الفقار على بوتو، ولقد جعل هذا الكيان الصهيونى الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما لها من قوة وهيلمان أداة طيّعة لتنفيذ مآربه حيث قامت المخابرات المركزية الأمريكية بإسقاط الرئيس بوتو فى الباكستان لمجرد أنه كان يصّر على أن تتوفر لبلاده القدرات الذرية وأن بلده إسلامى وأذكر أنه قال فى مذكراته التى كان لى شرف ترجمتها إلى اللغة العربية (إن الشعب الباكستانى لو اضطر إلى أن يأكل العشب لابد له أن يصنع سلاحه الذرى وأن يكتسب جميع وسائل التكنولوجيا) ولذلك فهو من وجهة نظر الصهاينة وأمريكا يمثل خطرا على إسرائيل ولذلك تكفلت الولايات المتحدة

الأمريكية بإسقاط نظام ذو الفقار على بوتو فى الباكستان بل والموافقة على شنقه !! وقامت الدولة الصهيونية من جانبها بضرب المفاعلات الذرية العراقية المعروفة باسم (تموز ١ – ٢)..

ومن ضمن نفس المخططات التآمرية الصهيونية الأمريكية انفجرت الحرب بين العراق وإيران كما ذكرنا، العراق العربى المسلم وإيران الفارسية المسلمة ولم تنجح كل الجهود التى بذلت لإيقاف تلك الحرب المدمرة وكانت نتيجتها أن أتسعت دائرة الخلاف فى الرأى العربى والمسلم حين هددت إيران الأراضى العربية فى العراق وصار من الضرورى اعتبار ذلك تهديدا للأمن القومى العربى إذ لم تعد الحرب على الحدود فقط، ولأن بعض البلاد العربية اقتضى أمنها الوطنى إما أن تقف على الحياد تحاشيا لما يمكن أن يحدث معها أو أن تقف مع العراق اتقاء الهجوم الإيرانى المتوسع، هذا بالنسبة للبلاد العربية فى الخليج، وهذا التطور جعل تلك الحرب تتحول إلى حرب بين الفرس من جانب والعرب من جانب آخر (ولو نظريا) مما يعود بنا إلى تاريخ سابق وأحداث مؤلمة..

والنتيجة على ضوء تلك الأحداث فإن الغرب والشرق على السواء مستفيدان من وضع المنطقة وحالة الحرب تلك (بيع أسلحة ومعدات ومواد أخرى بل وإرسال مستشارين إلى هذا الجانب أو ذلك ليس رغبة فى المساعدة وإنما فى تأجيج الصراع وإحداث المزيد من التدمير وإذا ما توقفت الحرب بعد أن يقع المتصارعان على الأرض فإن تلك الجهات تستفيد مرة أخرى فى إعادة البناء والتسليح إلخ...) ولابد من التأكيد أن المستفيد الأول والأكثر هو الكيان الصهيونى لأنه من وجهة نظرهم الكل أعداء والكل يجب إغراقهم فى

المشاكل والحروب وربما حتى تقسيم بلدانهم فيما بعد إلى دويلات أى بلغة الشرق الأوسط، وهو ما نراه الآن فى العراق، والواقع أننى عندما أقول الشرق والغرب لا أضع الاتحاد السوفييتى فى نفس المكان والمستوى الذى تقف فيه الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية خصوصا فيما يتعلق بتلك الحرب، ولكن إذا نظرنا إلى مشتريات الأسلحة وفاتورات المدفوعات منذ سبتمبر ١٩٨٠م سنجد أنها كبيرة ولصالح الطرفين وإذا قدّرنا أن الحرب عندما تنتهى(وقد انتهت قبل نهاية القرن العشرين) لابد لأى نظام سواء فى العراق أو إيران أن يبدأ فى بناء وتعمير ما هدمته الحرب (مدارس ومصانع وطرق ومبان كالإسكان والمستشفيات الخ) فإن الشركات الجاهزة والقادرة لابد أن تكون الغربية والشرقية على حد سواء وهكذا فسوف تستترف امكانات البلدين المادية مرة أخرى..

نخلص من هذا العرض الموجز إلى أن مؤتمر القمة العربى المنعقد فى عمان كان يجب أن يعمل على :

١- وحيد الجهود العربية مهما كانت الخلافات العربية القديمة من أجل الإنسان العربى والوطن العربى.

٢- ويجب العمل على إيقاف الحرب الدائرة بين الطرفين (العراق وإيران) فورا وإدانة من يطالب ويعمل على استمرارها مهما كانت الأسباب والمبررات وبعد إيقاف الحرب يمكن البحث فى أسبابها ومن البادئ بها..

٣- العمل على وضع استراتيجة عربية تضمن ضمن أولوياتها الأمن القومى العربى الواحد والمستقبل العربى الواحد مهما كان اختلاف النظم والسياسات والأوضاع الاقتصادية..

٤- يجب إدانة تدخل كل أجنبى فى شئون الأمة العربية فى أى مكان من الوطن العربى غربه وشرقه وجنوبه وشماله..

إن هذا كان أقل ما يتوقعه الإنسان العربى أن يصل إليه مؤتمر القمة العربى فى عمان خلال تلك الفترة هذا لو كان المجتمعون فعلا يدركون حقيقة أن الوضع العربى فى غاية السوء والخطر.. اللهم إنى قد بلّغت..

***

٨- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (الكيلو ١٠١) !!

نظرة إلى الأحداث ومنها يعرف التاريخ، وهى كثيرة طبيعية وغير طبيعية، هزائم وانتصارات، زلازل وبراكين، أفراح وأحزان، غروب وشروق، جفاف وبروز وإضمحلال وآلام، لا تنسى، تلك الأحداث هى التى تحتكم إلى التاريخ وهى التى تصنع أحداثه، وليس هناك أى مبرر لكى تنسى الأمة تاريخها إلا إذا كانت مسافة مجبرة مجهّلة عمدا، وفى هكذا حالة ليست أمة إنما جمع فى غاب ينطبق عليه أى اسم، ومن المؤكد أن كل العرب يعرفون جيدا ماذا يعنى الرقم (١٠١) المرتبط بالخيمة التى نصبت للتفاوض من أجل فك الارتباط بين الجيشين العربى والإسرائيلى بعد حرب سنة ١٩٧٣م .

ولكن ربما أعتقد بعض العرب أن تلك الخيمة قد نصبت صدفة فى ذلك المكان الذى عرف بالكيلو (١٠١) أى أنه ربما يكون هو النقطة الفاصلة بين الجيشين اللذين كانا يتقاتلان؟ كذلك أنا أجزم أن الرئيس السادات عندما وافق على مباحثات فك الارتباط كان يعلم أنها بداية ترتيبات (عزيزة) السيد

كيسنجر وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت وإنما لابد أنه ما كان يعرف لماذا أختار اليهود ومنهم بالطبع السيد كيسنجر ذلك الكيلو (١٠١) لأن أغلب العرب ومنهم السادات يهللون كثيرا للحدث وقت حدوثه وسرعان ما ينسونه ! ولعلنا لم نقرأ الكثير من تواريخ أحداث تعنى الشئ الكثير أثناء الحروب أو بعدها وما تعنى نتائجها لأى شعب أو أمة، فمثلا لماذا اختار الألمان النازيون أن توقّع فرنسا قرار الاستسلام فى عربة قطار توضع بين المقطورات فى النصف تماما وفى تمام الساعة السابعة بتوقيت فرنسا ؟

ثم لماذا أختار الأمريكيون أن توقّع اليابان قرار الاستسلام فى بارجة حربية أمريكية وفى منطقة معيّنة من المحيط..

ولماذا جعل الفيتناميون مدة المفاوضات فى الحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية كذا شهر وكذا يوم وكذا دقيقة..

نعود إلى الكيلو (١٠١) والرقم (١٠١) ولماذا اختاره الإسرائيليون؟ فلقد كان الاسرائيليون قد وضعوا مخططا لإقامة الدولة اليهودية التى تمتد من النيل إلى الفرات طبقا لما تقرر فى مؤتمر (بازل) وقرروا بأنه لا يجب أن يجرى أى لقاء يبحث فيه أمر هذه الدولة لا يرتبط بحدث تاريخى يتصل بكيان الدولة اليهودية، ومن تلك الأحداث ونظرا لأن فك الارتباط هو أول لقاء مباشر بين العرب والإسرائيليين منذ ربع قرن فقد قرروا أن يكون اللقاء فى الكيلو (١٠١) وهذا الرقم كانت تحمله كتيبة الانتقام اليهودية بقيادة شارون فيما كانوا يسمونه حرب التحرير أى الحرب بينهم وبين العرب سنة ١٩٤٨م التى هزموا فيها الجيوش العربية التى تنتمى إلى سبع دول عربية آنذاك ومن ثم إعلان دولة إسرائيل، والكتيبة (١٠١) كانت مكلّفة بالعمل خلف خطوط القتال

وشعارها (لا أسر ولا أحياء بين أيدينا) ثم أضافوا كلمة (ولا بقاء) بمعنى أنها إذا لم تقتل فلابد أن تطرد إذ لا يجب أن يبقى أحد من العرب فى الأرض التى ستقوم عليها دولة إسرائيل، وكانت فضائح أو جرائم تلك الكتيبة قد فاقت كثيرا مذابح (دير ياسين وصبرا وشاتيلا).

وهكذا فإن الرقم (١٠١) يعنى تدمير العرب وخلال تلك الفترة توسّع عمل تلك الكتيبة بحيث تجاوزت القتال على الأرض إلى الجو، هكذا نحن قبلنا بلا بحث ولا نقاش ولا معرفة بأحداث التاريخ أن نجلس فى الخيمة (١٠١) مما يعنى أننا منذ البداية سلّمنا لأعدائنا، ومن تاريخ أعمال كتيبة شارون والتنكيل بالعرب إلى الجلوس تحت رقمها لا يزيد على ٢٦ سنة وإذ كانت إسرائيل قد فرضت على العرب الجلوس فى خيمة الرقم هذه (١٠١) فإنها اختارت أيضا بكل معنى الإختيار أن تضع سفارتها بالقاهرة (غرب النيل) وهذا الاختيار له معنى كبير، ومع الأسف لأن الحكام العرب لا يقرأون التاريخ.ولا يتذكرون الأحداث غير جلوسهم على الكراسى وأسماء زوجاتهم أو عشيقاتهم!!.

***

٩ – هذا المقال نشر فى مجلة (لا) التى كانت تصدر بطرابلس – ليبيا – بعنوان : (بأضعف الإيمان أنت وأنا مسؤولان..)

وسبب العنوان أو الرد على المقال أننى كنت ومازلت على قناعة بأن من لا يكون وطنيا لا يمكن أن يكون قوميا، ذلك أن الوطنية هى الأساس المتين للقومية دون تعارض أو اختلاف مصطنع، وكما يقال فى أمثالنا الشعبية (الحره

تزرّب بيتها) ولهذا كنت أكتب بين وقت وآخر فى الصحف المحلية ردا على مقالات أو نقد لواقع مثل هذا المقال، ونصه:..

فى العدد الثالث من صحيفة (لا) قرأت مقالا عنوانه (من المسؤول عن الفساد ؟) وأرى أن كاتب المقال قد خطا خطوة جريئة إلا أننى وجدت مع الأسف أنه تحاشى الدخول فى الموضوع الذى طرحه وابتعد كثيرا عن الرد على جوهر السؤال، وذلك أمر عجيب ! لأن الرأى لا يجب أن يكون مبتورا خجولا بينما كانت خطوة طرحه جريئة !!

هذا ما فهمته على أى حال من قراءتى للمقال والواقع أن ذلك لا يعيبه لمجرد أنه طرح الفكرة، ولهذا بدأت مقالى بالقول، أنا وأنت مسؤولان وذلك أضعف الإيمان، وهذا لا يعنى فى الحقيقة إلا مدخلا لأن المسؤولية تتوزّع فى المجتمع، ذلك أن رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وجهنا بالقول (من رأى منكم منكرا فليغيره)

بمعنى أننا جميعا مسؤولون كل من خلال الزاوية التى يرى منها ما يعتبره منكرا والمنكر هنا فيما نتناول محدد ومعروف، وهكذا فإن البداية يجب أن تتجه إلى تحديد معنى ونوع الفساد..

هل هو التسيّب أم أنه تفشّى الرشوة أو هو المحسوبية والقبلية أم الإثراء غير المشروع ؟ إلخ ...، فإذا أمكننا أن نصل إلى إجابات صريحة وأمينة وصادقة وموضوعية على هذه الأسئلة الأربعة أمكن لنا أن نسأل من هو المسؤول أو المسؤولين وكيف تكون المسؤولية ؟

ولست أزعم أننى واجد الإجابة الدقيقة وإنما يتحتم علىّ كغيرى أن أحاول طالما أن الباب مفتوحا، وربما لا تضيق الصدور بالنقد البناء الذى يستهدف المصلحة العامة.

كما أننى بداية أريد أن أؤكد أن الظاهرة كما أراها ليست بالضرورة عامة وإن كانت غالبة، وهذا يحدث عادة فى مراحل التغيير الثورى عندما لا تكون الضوابط قد وضعت مقدما ذلك أنه كما يقال (المال السايب يعلّم الناس السرقة) وبداهة فإنه يمكن القول إنه ليس من قبيل الترف السياسى أو الولع بالمفاهيم العامة الحديث عن الثوابت والمتغيرات فى حياة أمتنا العربية منذ بداية شرارة التغيير الثورى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حتى قيام ثورتنا فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م واستمرارها فى تجديد العمل والمناداة بتلك المبادئ بل وإثرائها بإضافات إيجابية نتوقع أن تعكس نفسها على مستقبل العمل العربى، ذلك أن قضايا التحرر والتنمية والوحدة مازالت بين مد وجزر وإذا صح التعبير فإن المتغيرات والمستجدات هى أساليب وأدوات عرقلة تلك المبادئ التى مارستها وتمارسها الرجعية والاستعمار القديم والجديد وعناصر الطابور الخامس على حد سواء فى كل بقعة من أرضنا العربية.

ولا أتردد فى القول إن التسيّب والرشوة والمحسوبية والقبلية والإثراء غير المشروع هى أعتى أدوات عرقلة وتعطيل طموحات الثورة والثوار، وهى الأسلوب الخسيس الذى يواجه به الطابور الخامس أى ثورة كبيرة ناضجة وقادرة لأنه أسلوب يبدأ خفية ويتسرب كالسوس فى الجسد الطرى ليفسده، ذلك أن الثورة بحكم أنها ثورة هى حركة تغيير هام ومدوّى، وهى كذلك فى حركتها بين مد وجزر، وبين إنجازات وإحباطات، وبين هزائم وانتصارات وهى

بالضرورة والحتم صراع بين الخير والشر، بين الثوار الذين يريدون تحقيق الكثير الإيجابى وبين الأعداء الذين يريدون العودة بالأمور إلى الخلف ليجهضوا التجربة الثورية..

كما أن الثورة تشهد عادة ضغوطا داخلية وخارجية حسب المصالح والفوائد والأضرار، بمعنى أن المخاض عسير وهائل وبالتالى فإن الإفرازات هامة وإن كانت صعبة، ويحدث أن المنتفعين والانتهازيين الذين يقتنصون الفرص ينظرون إلى المصلحة العامة بربع عين وربما يفكرون بنصف عقل فيما تلاقيه الثورة من صعاب لأن ذلك لا يهمهم.

إن المقال الذى أحاول الرد عليه قد أثار شجوننا وأحلامنا وأوجاعنا وبالتالى استحق الرد باستفاضة وإيضاح خدمة لما نتمناه لبلادنا وأهلنا وأمتنا..

وبادئ ذى بدء أقول إن الله سبحانه وتعالى قد قيض لنا فى هذا البلد الخيّر أن نخوض تجربة صنع الأحداث وتغيير ما هو مألوف وإن كان مستصاغا إلى ما هو مرغوب وإن كان صعبا، فلقد توجّب علينا أن نكون أول من يواجه النفس بالنقد البناء والحساب العسير، ولقد تابعت كغيرى باهتمام شديد مداخلات الأخ العقيد وملاحظاته فى فترات التغيير تلك، ولابد أنه كان يدرك ما واجه واعترى التجربة من عثرات وقد لا أخطئ إذا ما قلتِ إنه أقرب إلى ذلك لأنه رائدها وقد تسلّح بشجاعة النقد وهى ميزة قلما تتوفر لمن يتحمل المسؤولية وأعباء إدارة تغيير الواقع المعاش إلى ما يجب أن يكون أفضل، ومن حقه علينا والحالة هذه أن نساعده على تلمس الأمور الحياتية فى مجتمعنا الجديد وهذا بالتأكيد ما يرمى إليه المقال وردى عليه..

أشرنا إلى أربعة أمور وقلنا هى الفساد بذاته وهى أخطر معوقات الثورة والتغيير إلى الأفضل وهى موجودة أو وجدت فى خضم التغيير، وربما هى وافدة على مجتمعنا، والحقيقة أنها لم تكن موجودة وإن وجد قليلها فقد كانت خافية (والكمال لله وحده) وطالما قلنا إنها موجودة فقد ترتبت علينا مسؤولية تأكيد ذلك القول مع تحمل مسؤولياته، فكيف نراها ؟؟

أولا، التسيب..

بعد إعلان الثورة حدث أن جرى التغيير بخطوات متسارعة إلى السلطة الشعبية المتمثلة فى اللجان الشعبية ومن البديهى أن تتغير اللجان الشعبية أيضا بحثا عن الأفضل المطلوب والمستهدف، ولابد أن البعض قد اعتقد أن ذلك التغيير لن يستتبعه حساب طالما أنه لم تصحبه رقابة فكان ذلك البعض يسعى لتحقيق المصالح الخاصة بكل الوسائل (رشاوى وأطيان وعقارات ومعدات وأموال إلخ...) مع إهمال المصلحة العامة لأنه فيما تصوّر لن يطول به المقام على ذلك الكرسى بسبب سرعة التغيير، ولقد تحولت أغلب المصالح العامة إلى شئ ثانوى، وها نحن نرى أن المدارس والمستشفيات ومبانى المصالح العامة الأخرى قد أهملت تماما وكادت تتحول إلى خرائب تخر منها المياه..

وقد أصبح المدرس تاجرا أو سمسارا يدور بين الحانات..

وصار الطالب غائبا هاملا والكتاب والمدرسى ضائعا..

وكذا الحال بالنسبة للطبيب والمريض والدواء بمختلف أنواعه..

وفقد المواطن ثقته فى هذا الطبيب حتى أن من يؤلمه أظفر يده يتجه إلى تونس أو الأردن أو غير هذه وتلك..

والخراب لحق حتى المبانى السكنية التى استولت عليها اللجان وتوزعت على أعضائها أو أقاربهم ولأنها مجانية فقد تركت بلا أى صيانة أو اهتمام فالساكن قد ينتقل بالواسطة إلى سكن آخر وآخر وهلم جرا لأنه عضو لجنة أو قريب العضو أو صديقه !!

ثانيا، تفشى الرشوة والعمولة..

لقد صار من المألوف بل قل قاعدة التعامل أن يدفع المواطن أو صاحب أى مصلحة رشوة فى أغلب أمور التعامل اليومى التى كان يجب أن تقدم على أساس أنها حق طبيعى ولم يعد ممكنا حتى إصلاح الهاتف دون الرشوة التى تدفع مقدما وحتى أن إخوتنا المصريين صاروا يتندرون على طريقة الرشوة فى ليبيا فيقولون، عندما تدفع رشوة للمصرى يلتفت يمينا ويسارا ثم يضع المبلغ فى جيبه، أما الليبى عندما تدفع له رشوة فهو يعد كم هو المبلغ، بمعنى أنه لا يخشى أحد.

أما التجارة فقد أصبحت موردا للعمولة التى تدفع فى الداخل والخارج حسب طلب الموظف المسؤول وها نحن نرى السوق السوداء فى كل مكان ونجد أن جميع البضائع المدعومة تباع فى تلك الأسواق بأثمان غالية جدا وعلنا لأن الذين استوردوها لم يقتنعوا بالعمولة فقط وإنما زادوا على ذلك إذ هرّبوها إلى معارفهم وأصدقائهم وباتت تباع لدى الموزع الفرد بدلا من المشاركيات أو الجمعيات الاستهلاكية ... إلخ.

ثالثا، المحسوبية والقبلية...

لم يعد التعامل فى أى شئ إلا من خلال أبناء القبيلة أو الأصدقاء، والصداقة هنا ليست بمعناها الحقيقى وإنما هى صداقة المصالح المتبادلة بين

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

طرفين كلاهما مسؤول عن مرفق يقدم خدمات، فأنت لا تستطيع أن تدفع فاتورة أو تحصل على شهادة من أى نوع إلا بالواسطة ناهيك عن الأشياء أو الأعمال المهمة، ونفس الواسطة هى التى توصلك إلى أن تكون عضوا فى مؤتمر أو لجنة شعبية أو ثورية أو مشرف على مرفق عام إلخ...

رابعا، الإثراء غير المشروع..

تبعا لما تقدم أصبح طبيعيا بل ربما واجبا أن يقيم المسؤول عضو اللجنة أو المؤتمر أو المشرف على مشروع ما قصرا منيفا أو على الأقل (فيلّة) وبعد بناء القصر أو الفيلّة فإنه أيضا لابد أن يضم الأرض الفضاء القريبة من القصر أو الفيلّة والتى كانت مخصصة طبقا لقانون التخطيط المعمارى للحدائق أو المرافق العامة كالمدارس أو مراكز الشرطة أو المستشفيات أو رياض الأطفال أو حتى المساجد إلى أراض بناء تقام عليها القصور والفيلات أو البيوت المهيبة، وهذه الأراضى التى تتحول بجرة قلم إلى أراض للبناء تمنح للمسؤولين الأصدقاء والمحاسيب أو الذين يدفعون الرشوة، ومن لا يصدق فإن الأدلة كثيرة وما عليه إلا أن يسأل أو يطلع على مخططات المدن.

هذا ما يمكن أن نقول وماذا حدث أو يمكن أن يحدث..

وسؤالنا ألأخير، كيف يكون المجتمع الجماهيرى والتجربة التى ستقدم للناس..

ألسنا نريد أن نقدم تجربة رائدة ومجتمع طاهر خالى من العيوب المضحى من أجل الوطن والأمة والإنسانية.. ؟؟

وسؤال آخر، ماذا نعمل ؟؟

أنترك الحبل على الغارب ونتحدث فى المرابيع فقط..؟؟

ويتكرر السؤال، من المستفيد..؟؟

أهو الثورة ؟ بالقطع لا..؟؟

هل هو النظرية بالتأكيد لا.. ؟؟

وأخيرا أقول إننا يجب أن نتوقف قليلا لنراجع ونحاسب ونسأل كل من شغل أى وظيفة كبيرة كانت أو صغيرة وفى أى موقع عام..

نسأله ماذا تملك ومن أين وكيف ؟ ما هى الأدلة ؟..؟

إذا كان نظيفا شكرناه وإن لم يكن كذلك حاسبناه واسترجعنا ما للوطن من مال كان قد سرق أو تم الحصول عليه بوسائل غير شرعية ولا قانونية..

وأضيف أنه لا أحد فوق القانون..

ولا أحد أقوى من العدل ولا أهم من الوطن..

وإذا كنت أتذكر فإن هناك قانونا يسمى قانون من أين لك هذا أو قانون الكسب الحرام الذى ربما دسّ فى الأدراج لأنه لا يصلح لمرحلة الفساد هذه !!..

وأظن أن الرشوة جريمة شنيعة، والتسيّب جريمة، والإثراء غير المشروع أكبر كبائر الحرام، وبالتالى فإن كل الذى نحتاجه أن نكل إلى لجنة من رجال القضاء لتقوم بما يمليه عليها ضمير القاضى ويجب أن يكون كل شئ معلنا مذاعا أو مكتوبا.

هذا ما أراه عدلا وطريقا للصلاح والقضاء على كل فساد أو انحراف والسلام..

***

١٠ – هذا المقال نشر فى مجلة الموقف العربى الصادرة بقبرص بعنوان: (الرابحون والخاسرون فى مغامرة صدام حسين) المقال نشر بعد الغزو مباشرة وقبل، إحتلال العراق أو كما قالت أمريكا، تحرير الكويت.

بادئ ذى بدء أقول إن هذا الذى حدث إنما هو كارثة بكل المقاييس، وربما لم يحدث فى تاريخ الأمة العربية مثل هذا الحادث المفجع والمدمّر والمذهل، ويمكننا أن نتصوّر أن النظام العراقى كان قد خدع بنصيحة أجنبية كما حدث للنظام العسكرى فى الأرجنتين قبله، النظام العسكرى الأرجنتينى تورط فى حرب الفولكلاند وكذلك الحكم العسكرى فى اليونان عندما جر إلى مشكلة بحر إيجه وانقلاب قبرص، وإذا كان التصوّر قريبا من الحقيقة على اعتبار أن السيناريو متشابه وإن اختلفت الأماكن والأزمنة والأغراض لظروف سياسية وأمنية وجغرافية واقتصادية فإن الكارثة هنا، أعنى فى الوطن العربى، أكبر وأفظع، ولهذا نريد التركيز على عدد من النقاط اختصارًا للوقت، وهى بيّنة بوضوح لكل ذى بصيرة..

أولا، الخاسرون بالتحديد هم، العقل العربى والفكر العربى والمال العربى والإنسان العربى والمستقبل العربى..

ثانيا، والرابحون كثر، ولكن بالتحديد، اليهود وإسرائيل والغرب متمثلا فى الشركات الصناعية والنفطية الكبرى وبيوت المال والمصارف وغيرها..

وقبل التفاصيل لابد أن يتساءل المرء عدة مرات هل غفل حكام العراق عن تصوّر نتائج ذلك العمل قبل الإقدام عليه ؟؟

كيف انجر الرئيس عرفات وراء المغامرة العراقية وهو يعرف عواقبها على شعبه الفلسطينى فى الجزيرة العربية أولا، وعلى المساعدات

الخليجية لمنظمته ثانيا وهـــو الحـــذر دائما باعتبـــاره يقود شعبا لاجئا مشتتا فى أرجاء العالم..

وكيف انبهر الملك حسين بالقفزة العراقية وهو المحنّك سياسيا وصاحب الإرتباطات الغربية المتينة وإذا انبهر وسار وراء الحدث فماذا يريد بعدئذ مـــن السيدة تاتشر وغيرها فى الغرب ؟؟

وأنا لست أتصوّر أن الغفلة فى العمل السياسى والعسكرى ممكنة لذوى التجربة، ولا الانجرار أو الانبهار مقبولا، ومن هنا أعتقد أن دولة كبرى قـــد صوّرت للإخوة فى العراق أنهم بعد أن انتصروا فى حـــرب الخلـــيج أصـــبح بإمكانهم قيادة الأمة العربية وتحقيق الوحدة العربية باستخدام القوة أو علـــى الأقل التخويف بها، وهكذا كانت البداية بالكويت مع الأسف الـــشديد، وإذا كان الكويت قد دمّر فإن العراق سيدمّر كذلك وتكون الأمة العربيـــة قـــد خسرت كلا من الكويت والعراق معا، وسوف تخسر الكثير، ويكفينا كمثال على تلك الخسارة حادث إنفصال الوحدة العربية التى أقيمـــت بـــين مـــصر وسوريا فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر وأولئك النفر من الضباط الـــسوريين الذين تآمروا مع إسرائيل والغرب على الوحدة، فهل مازلنا نذكر ذلك؟

وعلى الرغم من أن الانفصال لم يُحدث ما ســـيحدثة الغـــزو العراقـــى للكويت من دمار وويلات، فكيف سيكون العقل العربى بعد حـــدوث هـــذه الفاجعة وهى فرصة سانحة للإعلام المعادى لكى يصف هـــذا العقـــل بكـــل السيئات والغفلة ... إلخ.

كان العراقيون قد قالوا إنهم يغزون الكويت لأنه جزء من أرضهم، أى جزء من أرض العراق، وذلك يعنى أن القضية هى قضية وحدة ! وهل يمكـــن

لمن يريد أن يقيم الوحدة أن ينتهك الحرمات وينهب الأموال ويقوم بالاعتداء والتقتيل ويحرق جميع آبار النفط الكويتية التى يتوقع أن تكون للعـــراق بعـــد الوحدة بل يمكن أن تكون لكل العرب فيما بعد، من يقيم الوحدة بكذا طريقة إنما هو متآمر على الوحدة وعلى الأمة العربية كلها بل وحتى علـــى مواطنيـــه مهما ارتدى من أقنعة وتمثل بحجج، وإذا كانت وسائل الإعلام بكل أنواعهـــا مقيّدة مكمّمة فى وطننا العربى فقد كانت الكويت إلى حد ما الرئة التى يتنفس منها أهل الخليج بعض الهواء النقى (صحافة وإعلام ومسرح وفن وأدب) وقد يحوّلها الغزو العراقى الآن إلى رماد وأطلال، فكيف لا يفكر بعدئذ كـــل مـــن يحكم فى الوطن العربى أن حرية الفكر هى سبب البلاء والمصائب؟

إن ما حدث فى لبنان بسبب مناخه الديمقراطى وحرية الإنـــسان فيـــه يحدث الآن فى الكويت مع فارق بسيط وهـــو فى أدوات وعناصـــر القتـــال والتقاتل، وحدوث هذا فى مثل هذه الظروف يُعد كارثة للفكر العـــربى، وإذا كان الإنسان العربى فى الكويت قد فوجئ وفجع بغزو عربى يجعلـــه يلجـــأ إلى البرارى أو يستسلم أمام جند أكرهوا وكرهوا كل شئ بسبب الحرب جـــاءوا لينكّلوا به، فكيف سيكون احساس ومشاعر هذا الإنسان العربى فيما بعـــد ؟ وها نحن نسمع بأن آلاف الفارين تاهوا فى الصحراء هربا بجلودهم تاركين كل شئ والله وحده يعلم ماذا سيحدث لأولئك الذين لم يتمكنوا من الفرار ؟!!

وإذا كانت الكويت قد استثمرت أموال النفط بكفاءة فى العالم فإن هذا الغزو سيجعل حكامها لا يفكرون مستقبلا إلا فى شراء السلاح بحيث يمكنهم أن يدافعوا عن أنفسهم إذ أن الغزو العربى للبلد العربى المجاور أصبح القاعـــدة وليس الاستثناء، وسوف لن يوجد المستثمر الكويتى الذى كان بشكل أو آخر

ينافس المستثمر الأجنبى بعد الآن، ونحن جميعا نعرف من هو المستثمر الأجنبى الأساسى فى أسواق العالم، وكذا الحال بالنسبة لكل العرب الآخرين، ولو كان الوقت يسمح لسقت إلى القارئ الكريم تكاليف وقوائم شراء السلاح بعد حرب رمضان سنة ١٩٧٣م كمثال رغم أن تلك الحرب كانت نتيجتها لصالح الإنسان العربى على الأقل نفسيا ومعنويا..

أما الرابحون فى الاستثمار وتجارة السلاح والمعدات والبناء إلخ... فهم اليهود بشركاتهم ومصانع سلاحهم وبقية صناعاتهم التى تعمل تحت غطاء أوربى أو أمريكى وقد لا تحتاج لذلك الغطاء فهى ستكون للبعض أفضل من بقية العرب، وكذلك الشركات الأوربية والأمريكية ومصانع السلاح وبقية ما يحتاجه بلد خارج من حرب دمرت فيه كل شئ، سوف يحتاج إلى الدبابات والطائرات والصواريخ والذخائر بل والمعاهدات للحماية مستقبلا وستكون المعاهدات بشروط مجحفة لأن هذا الطرف محتاج ومرعوب من الغزو، إضافة إلى شركات صناعة النفط وما يتعلق به فلقد ذكرت وكالات الأنباء الغربية أن هناك خمس شركات عالمية كسبت أحد عشر مليار دولار خلال أسبوع واحد من تاريخ حدوث الغزو العراقى لأن هذه الشركات كانت قد سوّقت النفط المخزن الذى كانت اشترته بثلاثة عشر دولارا للبرميل وباعته بما يزيد على الخمسة والعشرين دولارا وقد يصل حسب هذه الوكالات إلى خمسون دولارا فى وقت قريب، وتبعا لهذا فإن المواد المصنّعة بجميع أنواعها ومهما كانت سترتفع أسعارها كما رفعت أو ارتفعت أسعار النفط مما يزيد أرباح تلك الشركات، ومن المعروف أن هناك مواد مصنّعة كثيرة مخزّنة سوف تباع بالأسعار الجديدة وبذلك تكون الشركات قد كسبت مرتين،

الأولى فى أسعار النفط والثانية فى أسعار المواد المصنّعة وهذه الأخيرة سيبقى سعرها مرتفعا حتى لو انخفض سعر النفط بعد أنتهاء الغزو وبالتالى تكسب الشركات للمرة الثالثة..

إن هذا الغزو إنما هو ضد العرب والمصلحة العربية وحتى مجرد التقارب العربى أو التعاون العربى على الإطلاق، وأن العراق الذى ربما كسب بعض العطف العربى أو التأييد العربى فى حربه ضد إيران لأن العرب شعروا لأول مرة أن جيشا عربيا خاض بجدارة حربا ربما فرضت عليه وانتصر فيها، حربا أستمرت ثمان سنوات وقد تمكّن من تطوير صناعاته العسكرية أثناء الحرب، كما كسب العراق تأييد الشعب العربى عندما واجه بشجاعة ومقدرة حملة إعلامية صهيونية غربية استهدفت النيل منه، وعلى ضوء غزو الكويت اعترف أن الخسائر العربية فى المستقبل المنظور ستكون :

أولا: تهجير الفلسطين من أقطار الخليج وهم كثر إذ سيتولّد لدى كل أهل الخليج حقدا بسبب موقف رئيسهم وإنحيازه إلى جانب العراق فى غزو الكويت وبالتأكيد سوف تعلق بهم الكثير من التهم كأن يقال أنهم تعاطفوا أو ساندوا العراقيين فى الغزو أو أنهم اعتدوا ونهبوا وتكون أرض الإشاعات خصبة كمبرر للطرد أو التهجير حتى لأولئك الذين يعيشون هناك منذ عقود، وفى حالة الطرد أو التهجير سوف يذهبون إلى مهاجر بعيدة فى أوربا أو أستراليا أو كندا أو الولايات المتحدة وهذه البلدان سوف ترحب بهم بالطبع لغرض سياسى معروف لم تتمكن إسرائيل من تحقيقه منذ نشأت، وهؤلاء لابد أن يتولد لديهم حقد ومرارة من العرب الذين طردوهم وفى هذا الطرد ربما يكونوا قد فقدوا أموالهم أو بعض مدخراتهم وتكون المرارة فى حلوقهم

والألم فى قلوبهم وربما نقمة على الأمة العربية كلها، وإذا ما حاول البعض أن ينتقم فذلك هو المطلوب والمرغوب حيث يتحول العرب الفلسطينيون ضد بقية العرب..

وثانيا: سيدفع العرب فى الكويت والمملكة العربية السعودية تعويضات مالية لكل من تضرر بسبب تطبيق قرار مجلس الأمن بشأن المقاطعة الاقتصادية ويكون ذلك باهظا جدا.

وثالثا: سيدفع مرغما الشعب العراقى تعويضات عن خسائر الحرب باعتبار أن نظام حكمه هو المسبب فى الحرب (أولم يقرر كل العالم أن الغزو غير شرعى ؟؟) إضافة إلى ما ستلحقه الحرب من دمار مادى وثقافى وحضارى وبشرى وعسكرى ومعنوى بالشعب العراقى..

ورابعا: سوف يدفع الشعب العربى فى الأردن ثمنا لابد أن يكون كبيرا بسبب موقف حكومته المتأرجح ويحدث للأردنيين العاملين فى الخليج نفس ما يحدث للفلسطينيين..

إذن فإن محصلة هذا الغزو والحرب المتوقعة هائلة ومدمرة للأمة العربية كلها، إنها دمار الكويت والعراق وضياع المال العربى وغرس الكراهية بين العرب، كل العرب مع كل أسف.

***

١١- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (ما يستوجب الصراخ ليلا نهارا) ..

هناك مثال يونانى قديم يقول، حتى الأم لا يمكن أن تقدم ثدييها إلى طفلها ما لم يصرخ، وما أكثر ما يستوجب الصراخ ليل نهار فى وطننا العربى، ولكن هل هناك من يسمع أو يستجيب أو يحس ؟

هل بقيت ذرة من كرامة، هل هناك آذان تصغى وعيون ترى وقلوب تنبض وضمائر تؤنب وتوخز ؟ العربى يقتل العربى، والمسلم يقاتل المسلم والأخ يتجسس على أخيه غالبا لصالح الأعداء، الحراب والبنادق العربية المسلمة مصوّبة إلى صدور العرب والمسلمين، كل منا يمسك بخناق الآخر وكل منا يتربّص بالآخر، إذاعاتنا كل ما تذيعه شتم وتهجم وبذاءة، وكل واحدة منها موجهة إلى هذا القطر أو ذاك تنعق بإسم رئيس أو ملك أو أمير أو شيخ أو حتى حزب أو منظمة إلخ... سبحان الله ما هذا الزمن العربى الردئ الخرب الذى اختلطت فيه الأمور حتى كأن أمة العرب خلقت أصلا متناقضة متعادية !! هل يمكن أن تكون أمة نجسة ومرجعها كتاب مقدّس ؟؟ حاشا لله..

إذن ما الذى حدث ويحدث ؟ ألم يقل رب العزة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ؟) كيف يمكن أن يولى على هذه الأمة من لا يخدمها ولا يتقى فيها الله ؟ أم أن ذلك بلية من الله لأنها حادت عن الطريق القويم ؟

من ينظر إلى حكامنا وخصاماتهم وتقاتلهم وتنابذهم ومؤامراتهم وطرق تعاملهم لا يمكنه إلا أن يقول أن هذه الأمة فعلا قد ابتليت بما لا شفاء منه، المال العربى فى خدمة الغرب وإسرائيل، والسيف العربى مسلط على رقبة

الإنسان العربى، وجيوش المرتزقة تفرض الظلم والظلام فى كل مكان من الوطن العربى حتى وصل اللاجئ الفلسطينى الذى قاتل إسرائيل وحافظ على هويته العربية منذ وجود ذلك الكيان الخبيث سنة ١٩٤٨م إلى أن يأكل الجيف والفئران محاصرا فى مخيمات من التنك بعد أن تحولت البندقية العربية إلى صدره، والعربى اللبنانى الذى يزهو بديموقراطيته وتحضّره تحوّل إلى وحش كاسر ينهش ويقتل ويدمر كأنما قتل الإنسان فى عاصمة النور (بيروت) كقتل الحشرة، ولقد أصبح البلد الجميل أطلالا وقسّم ما بقى منه إلى كانتونات تمثل كل منها دويلة أو قل عصابة قتل لها نظامها وسلاحها ورجالها وربما قريبا علمها ونشيدها بعد أن صار لكل منها جيشها الذى يسمى ميليشيات، ولقد تقاتل الأشقاء فى اليمن فدمروا كل شئ وهو قليل وحرقوا أنفسهم بلا مبرر ولا سبب غير الصراع على السلطة التى ليس لها من مقومات فى بلد يفتقر إلى كل شئ، وفى المغرب قتال شرس مستمر على أرض جرداء تشد بلدان المغرب العربى كله إلى أن تحرق أصابعها دون طائل، وفى السودان العربى جنوبه يحارب شماله بلا عقل ولا روية ولا مبرر غير القتل من أجل القتل فلا ضرع ولا زرع، وفى مصر فتنة طائفية تستهدف تفتيتها وتمزيقها، مصر ذات التقاليد العريقة تبرز فيها طائفية مقيتة إذا نجحت لا قدر الله صارت نهاية الأمة العربية حتمية بدل أن تكون وحدتها حتمية، أرادوا لها أن تكون مصر القبطية وأخرى مصر المسلمة أو ربما فيما بعد مصر الشرقية ومصر الغربية وثالثة الجنوبية ... الخ، لا أراد الله بهم خيرا، الله الذى قال ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وليبيا مشدودة بين البحر والصحراء، بين المؤامرات والغطرسة الأمريكية وبين الغرور والخبث الفرنسى، وبعد كل هذا ما بالنا لا نصرخ ؟؟

إننا بأعلى أصواتنا نصرخ، لابد من سياسة عربية عقلانية واعية تدرك ما يجرى وتخطط لما سيحدث، تتعامل مع الواقع وتضع المصلحة العربية العليا فوق كل شئ..

إننا نصرخ بأعلى أصواتنا، لابد من توحيد العمل الفلسطينى، ولابد من تحريره من قبضة النظم العربية فلا يجوز لأحد أن يكون فلسطينيا أكثر من الفلسطينيين أنفسهم..

نصرخ بأعلى أصواتنا، أن اتركوا لبنان ليحل مشاكله بنفسه ذلك أن الأصابع العربية بوعى أو بلا وعى هى التى قطعت خيط العنكبوت الذى كان يجمع بين أهل لبنان، ولتسقط الشعارات الرجعية والتقدمية والطائفية الدينية والفئوية وليعد لبنان واحدا مستقلا وديموقراطيا..

إننا نصرخ بأعلى أصواتنا مطالبين بضرورة اللقاء العربى والاتفاق على الحد الأدنى من التفاهم وترك الخلافات مهما بلغت فى الوقت الحاضر أو بحث تلكم الخلافات فى البيت الواحد والرغبة الواحدة والمصير الواحد..

إننا نصرخ بأعلى أصواتنا، نريد الديموقراطية والضمانات الدستورية والحرية للقضاء والصحافة لتكون هناك مساحة للرأى الآخر وليكون الجميع مسؤولين ومشاركين فى صنع المصير الواحد ومواجهة الخطر الداهم..

إننا نصرخ بأعلى أصواتنا، أن أوقفوا تلك الحرب المجنونة المدمرة التى دخلت عامها السابع بين العراق وإيران والتى تلتهم آخر رجل وآخر قرش وتحرق آخر نبتة فى البلدين وقد تمتد إلى ابعد من البلدين الجارين المسلمين..

إننا نصرخ بأعلى أصواتنا، أيها الحكام العرب يجب أن تلتقوا ويجب أن تتناقشوا ويجب أن تتقوا الله فينا تقدميين كنتم أم رجعيين مسلمين أو

مسيحيين أو حتى ملحدين، المهم أن تلتقوا تحت مظلة العروبة، إن الدين لله والوطن للجميع، إنهم مقدمون على كارثة ما بعدها نهوض، إن أى جهد عربى يمكن أن يجمع العرب لابد أن يكون مباركا مهما كان وممن كان اللهم إنك الهادى والميسر..

***

١٢- هذا المقال نشر فى مجلة التضامن المصرية بعنوان : (مستقبل العلاقات بين مصر وليبيا).

اصطلح المؤرخون على تسمية الانحراف فى التاريخ على أنه نزوات عندما يحدث فى هذا الاتجاه أو ذاك، وهذا ما حدث بالفعل فى العلاقات الليبية المصرية والتى ألقت بظلالها على الأخوة القائمة بين الشعبين، والقطيعة التى حدثت طيلة سنوات عشر ربما أمكن القول أنها سنوات عجاف ! ولعله من المؤكد أن من يروى حقيقة الأحداث هو ذلك الذى عايشها أو كان طرفا فيها أو فى صنعها..

ومن المعروف أن الأحداث هى جزء من التاريخ وقد طلب منى الصديق الأستاذ أحمد حمروش أن أكتب عن العلاقات الليبية المصرية ومستقبلها، وهأنذا أفعل شاكرا له حسن المبادرة وطيب القصد..

وبادئ ذى بدء أقول أننى عايشت الأحداث وكنت طرفا فيها على أننى أريد التأكيد أننى أحد الأطراف التى ظلت تنادى بضرورة الاستمرار فى العلاقات الحسنة والمتينة اقتناعا بأن مصر هى عقل وعضل الأمة العربية وأنها الحامى وجامع الشمل، ولكن الأقدار دفعت بالأمور فى غير اتجاهها الصحيح

وحمدا لله أن القطيعة لم تطل وقد عادت المياه إلى مجاريها والسيوف إلى أغمادها ليتواصل الود والمحبة الأصليين..

ونزوات التاريخ تلك تحدث بطبيعة الحال بواسطة أفراد أو جماعات وكان من المؤكد حدوثها بسبب سياسة الرئيس السادات الهوجاء منذ تسلم الحكم بعد وفاة الرئيس جمال عبدالناصر وفى ظروف كانت فيها اهتمامات كل المصريين والعرب مركّزة على أمر بالغ الحيوية وهو إزالة آثار العدوان الإسرائيلى، والتغلب على عقدة هزيمة سنة ١٩٦٧م ولكنه أى الرئيس السادات بدأ حكمه بمعارك داخلية وسلك سياسة مغايرة تماما لرغبات العرب عموما وهو فى حقيقة الأمر كان يدرك بالتحديد الأهداف التى كان يسعى اليها والمشاكل التى خلقها لأنه فيما اتضح بعد بداية حكمه كان جزءا من مخطط امبريالى صهيونى يستهدف قلب الصراع من كونه بين قوميتين هما العربية والصهيونية، أى صراع صاحب الحق المعتدى عليه وغاز يثبّت أقدامه كل يوم على أرض ليست له، إلى صراع بين العرب أنفسهم، ولا يخفى على أحد ماذا حدث بعد ١٥ مايو ١٩٧١م فقد انحرف تماما خط السياسة التى سلكها الرئيس السادات وبدأت الخلافات العربية ثم صارت القطيعة النهائية بعد اتفاقية (كامب ديفيد).

ولقد جعل السادات من إعلامه منبرا لتحقير العرب وخلق الكراهية وتأجيج مشاعر الحقد بين المصريين والعرب ثم وصل إلى أن بدأ فى تأجيج نار الفتنة داخل مصر نفسها عندما خطط للخلافات والتقاتل بين المصريين بسبب أمور دينية أرادها، ولكن الله حمى مصر منها، ولسنا على أى حال نعفى العرب تماما من الخطأ الذى حدث لأنهم بتلك المقاطعة لم يقوموا بأى عمل رشيد يجعل

الشعب المصرى ينحاز اليهم وهو الذى لم يعدم روح المقاومة الوطنية ولكنهم اتبعوا مهاترات قابلها السادات بالازدراء، وكانت المواقف المتشنجة والسياسات العشوائية ضارة تماما بمصالح الأمة العربية وهى بالتالى تؤدى الغرض الذى رسمه أعداء العرب، وبعد مؤتمر بغداد الذى عرف باسم مؤتمر الصمود والتصدى طبقت ليبيا مقررات ذلك المؤتمر حرفيا والتزمت بها، والحقيقة أنها خسرت أكثر من كل العرب بسبب مقررات ذلك المؤتمر لتميز علاقاتها التاريخية والثقافية والجغرافية مع مصر، وما كان يمكن أن يحدث التراجع مع ذلك عن تلك السياسة لو استمر الرئيس السادات فى الحكم واستمرت سياساته المعادية للأمة العربية والضارة بمصالح العرب والمصريين على حد سواء، ولكن سياسة الاعتدال التى اتبعها الرئيس حسنى مبارك وإدراك العرب لأهمية الدور النضالى المصرى باعتبار أن مصر هى التى تحملت أعباء كل الحروب العربية الإسرائيلية منذ سنة ١٩٤٨م فقد انعقد مؤتمر الدار البيضاء وأعيدت العلاقات إلى طبيعتها ولابد أنها درس مستفاد سوف يكون معيارا هاما فى علاقات المستقبل.

وأنا أتصور أن العلاقات التاريخية المتميّزة بين البلدين والشعبين الشقيقين الجارين بما فيها من عمق نفسى ومعنوى وتاريخى سوف تتعمق وسوف يتم التغلب على نتائج سياسات كامب ديفيد قريبا ذلك أن مصر موجودة وجودا عميقا فى وجداننا جميعا، أنها أولا مصر عبدالناصر وهى ثانيا مصر التاريخ والثقافة والموقع والدور العربى النضالى، وهى مصر التى تعلمنا منها أول حرف يكتب وسمعنا منها أول إذاعة تنادى أمة العرب، وشاهدنا أول الأفلام الناطقة باللغة العربية، وهى مصر التى احتضنت كل الليبيين الذين هربوا من الطغيان

التركى والفاشى الإيطالى، وهى رابعا مصر التى تختلط بها دماءنا ودموعنا وآمالنا، وهى الآمال المشتركة، ولقد قيل قديما أن الدم لا يتحول إلى ماء، وهكذا فإننى أنظر بأمل كبير إلى مستقبل العلاقات بين البلدين الشقيقين وإن كنت أريد أن أسجل بعض النقاط التى يجب أن نراعيها جميعا وهى :

أولا: أنه يجب الابتعاد عن الأفعال المتسرّعة وردود الفعل والتهجم والتشاتم الإعلامى إذ إنه مع الأسف كان صوت العرب من القاهرة قد وصل فى عهد السادات إلى أن يكون الصوت الذى يشتم العرب ووصلت إذاعة الجماهيرية إلى تلوين مساحة مصر على الخارطة العربية باللون الأسود وكلاهما غير مقبول شعبيا على الأقل فى مصر وفى ليبيا..

ثانيا: عدم اللجوء للقطيعة وقفل الحدود وفرض التأشيرات والإجراءات المتشددة على المواطنين لأى سبب فقد كانت منطقة الحدود قد تحولت إلى منطقة مواجهة عسكرية وصلت إلى حد الحرب بين شعبين لم يحدث أن تقاتلا ابدا، ويجب أن ندرك أن أى حدث لابد أن يبحث مباشرة وأن تحل المشاكل بالمناقشات والحوار الأخوى إذ إن أعداءنا كثر ويمكنهم إفساد العلاقات باختلاق المشاكل وربما أيضا هناك فى البلدين من يهمهم إساءة العلاقات خدمة لهذا الطرف أو ذاك، ونحن جميعا نعرف ما يمكن أن تقوم به أجهزة المخابرات إذا أطلق لها العنان، وما أكثر الأجهزة..

ثالثا: يجب الاتفاق والتخطيط للتعاون الاقتصادى والسياسى والثقافى والعمالى فلا تترك الأمور عشوائية بحيث يكون الأمر مزاجيا وقد يدفع ثمنه المواطنون فى البلدين..

رابعا: وهذه فى الواقع هى الأهم والأخطر لأنها مثار الخلاف أساسا وهى اتفاقية كامب ديفيد والتعاون مع العدو الإسرائيلى ونحن رغم إدراكنا أن الشعب المصرى قد رفض عمليا التعامل مع إسرائيل إلا أن هناك ظروفا قد تكون سببا فى الضغط على حكومة الرئيس حسنى مبارك ونحن نسجل له أنه لم يدفع فى ذلك الاتجاه بل حاول معالجته بهدوء، ومن هنا فإننا يجب أن نساعده على ترسيخ نهجه المرن..

خامسا: أن ديون مصر ومشاكلها الاقتصادية العالمية هى بسبب الحروب وجميعها مسؤولية الأمة العربية كلها وبالتالى فإن العرب يجب أن يتحملوا مسؤولياتهم فى دفع تلك الديون إذ لا يجب أن تبقى مصر مكبّلة بديون الحرب تعانى ضنكها الاقتصادى دون حل والمطلوب أن يعقد مؤتمر قمة عربية لاقتسام الديون كل حسب إمكانياته ويجب أن يكون ذلك من خلال منظور قومى لا منّة فيه حفاظا على الكبرياء الوطنى والقومى..

والخلاصة، أعتقد أننى قد ألحت فى عجالة إلى إمكانية تطوير العلاقات الأخوية بين بلدينا (ليبيا ومصر) ثم أشرت إلى الدور أو المسؤولية العربية تجاه مصر ذلك إننى أعتقد مخلصا أن مصر قد قامت بدورها كاملا فى حروب متتالية كانت كلها دفاعا عن كيان الأمة العربية وحفاظا على الأمن القومى العربى وعندما أخرجت مصر من الصف العربى لم نجد إلا بؤر التوتر وقد تأججت والحروب الصغيرة وقد انفجرت وكاد أن اشتبك العرب فى حروب أو مشاكل فيما بينهم، ولابد لنا أن ننظر إلى ما يجرى فى العالم من تغيرات قياسا بما حدث لنا، ولابد أن نأخذ الأمور على أنها مصلحة قومية ومصير مشترك..

اللهم إنى قد بلّغت..

كانت هذه الصورة الكاريكتيرية على رأس المقال التالى فى مجلة الموقف العربى..



١٣- المقال نشر فى مجلة الموقف العربى الصادرة بقبرص بعنوان : (إنهم يزوّرون التاريخ).

هذه قصة قد تبدو قديمة نوعا ما لكنها فى الحقيقة تحتفظ بكل عناصر الجدّة التى تجعلها تلح على الخاطر عند أى نظرة إلى ما يجرى على هذه الساحة العربية، والغرض أننى قرأت فى مجلة عربية ما نصه :

(إن ذنبنا هو أننا لا نعرف كيف نستفيد من الأحداث التى نعيشها ومن واقعنا الذى نحياه ومن تراثنا الذى نستمد منه الكثير وأننا لا نعمل على تصحيح الصورة السيئة عنا بإسلوب علمى حديث، إن ما يصيب أمة من الثراء شئ عظيم، ولكن الشئ الأعظم أن تتعلم كيف تحافظ عليه..)

ولقد أسعدنى هذا الكلام وفرحت له لعل هناك فى دنيا العرب من يعرف ويدرك ويتألم لما نحن فيه !! ولكن المصيبة أننا ما نلبث أن نخالف معنى الذى نقوله، بل إننا فيما أرى بعد أن زوّرنا التاريخ بدأنا نحاول تزوير الجغرافيا ! وهذا لعمرى شئ لا مثيل له !! ذلك أننى قرأت لكاتب كنت أعتقد أنه يحظى ببعض الإحترام على الأقل بسبب عمره المديد وتجربته فهو كان قد اشتغل بالكتابة والسياسة طويلا..

هذا الكاتب هو الأستاذ أكرم زعيتر الذى أصدر فى ذلك الوقت مذكراته وبعض الموضوعات المختلفة فى جريدة (الشرق الأوسط السعودية) ففى العدد ١٤٥٧ الصادر بتاريخ ١٩٨٢/١١/٢٤ م وتحت عنوان (يوميات الأعاصير – بيروت تحت الحصار) وبعد أن تحدث الكاتب عن يوميات الحصار وبالتحديد يوم ٢٩ يونيو حزيران ثم ١ يوليو – تموز وما كانت تقوم به إسرائيل، قال :

(وأغلقت إذاعة العدو لأقرأ صيحة العقيد الليبى إنها شواظ من نار !! وليته يوجهها إلى نفسه قبل أن يوجهها إلى الملوك والرؤساء العرب أنه يقول (مازال الكلام للسيد زعيتر) إن مقررات وزراء الخارجية العرب عملية هروب جبانه !! والقضاء على المقاومة قضاء على الأمة العربية، ثم يطالب بعقد قمة لأن سقوط بيروت يعنى سقوط الكرامة العربية وإخراج المقاومة منها بالقوة يساوى إخراجنا من حجرات زوجاتنا، وأن الحل يكمن فى إرسال قوات عربية من كل قطر على الفور للاشتراك فى معركة بيروت الخالدة، ويطلب وضع أمريكا فى القائمة السوداء فى الحال وطرد مبعوثها فيليب حبيب من الأراضى العربية ورفض وساطته المذلّة وهنا اسأل لماذا لا يبدأ بنفسه فيرسل

قواته ويقذف إلى الميدان بطائراته، انتهى كلام السيد زعيتر ويا لعجب مواقف هؤلاء الناس !!

لقد أجرم العقيد القذافى عندما قال إن سقوط بيروت يعنى سقوط الكرامة العربية وأن خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت أو إخراجها بالقوة يساوى إخراجنا من حجرات زوجاتنا؟

نعم لقد أخطأ العقيد القذافى لأنه تحدث عن الكرامة العربية بينما السيد زعيتر وغيره يتهيأون للهروب، وعلى أى حال نحن نربأ بأنفسنا عن استخدام ألفاظ سوقية ثمنها مدفوع مقدما بالدولار !! نقول يا هذا الزعيتر وأمثالك كيف يمكن للعقيد القذافى أن يبعث جنوده وأن يقذف بطائراته فى الميدان ؟ أما كان أشرف لك أن تقول لماذا لم تصل القوات العربية ولماذا ترك المقاومة لوحدها طيلة تلك الفترة ؟ لعلك لا تعرف أين تقع ليبيا ؟ وعلى كل حال فإن ما تقوله ليس مهما ولكن ماذا حدث بعد إخراج المقاومة بالقوة من بيروت ؟ ماذا عن صبرا وشاتيلا ؟ ماذا عن أولئك اليتامى والأرامل والعجزة الخ ؟ لقد سمعت من أحد القادة الفلسطينيين ممن شاركوا فى منتدى الفكر والحوار الذى عقد بالرباط يوم ١٩٨٢/١١/١٥م وهو يستخدم نفس التعبير (هروب الثورة الفلسطينية) برغم أنه أيضا هاجم العقيد القذافى، لقد هربتم وذبحت إسرائيل المئات من الأبرياء العزل الذين تركوا بلا قدرة على الدفاع ولا من يحميهم، أما نحن فسنبقى أوفياء للقضية الفلسطينية لأنها قضية شعب يعانى من القهر الإسرائيلى والاستغلال ممن يسمون قيادات فلسطينية وهم يهربون عند المحن..

ونسأل لماذا لا يطرح الأمر على حقيقته ؟ إذا قلنا أين العرب طيلة فترة الحرب والحصار فإن ذلك سيكون منطقيا ومقبولا ؟ وإذا قلنا أن جميع الحكام العرب قد تخاذلوا فسوف نقول لكم نعم وشكرا على هذا القول، ثم نبدأ نسأل، ما العمل ؟ وإلى أن يحدث هذا، أرى أن نحكّم العقل ونبحث عن الحقيقة فنحلل ما حدث، وسوف نبقى نلعن أمريكا والدولار والذين هربوا والذين يزوّرون التاريخ..

***

١٤ – نشر هذا المقال فى مجلة الموقف العربى الصادرة بقبرص بعنوان : (ضميره الأمة ووجدانها) ..

ناصر وخالد متهمان فى قضية واحدة لا تسقط بالتقادم، وهذه القضية عقوبتها الإعدام شنقا أو رميا بالرصاص، والإعدام ليس بالضرورة أن يكون طبقا لحكم قضائى إذ ربما يكون فى شكل تآمر فى جنح الظلام أو غرس خنجر بالظهر فى وضح النهار أو دس سم فى كوب من الماء !؟

فلقد كانت تهمة جمال عبدالناصر أنه أراد الحفاظ على كرامة الأمة العربية والإنسان العربى فجعل من القاهرة مركزا للنضال العربى والأفريقى والإسلامى والعالمى، وكانت تهمته أنه قال فلتشرب أمريكا من البحر وقال أن إسرائيل كيان عنصرى غريب غرس فى بلادنا ولابد من اقتلاعه، كما أنه قال ارفع رأسك يا أخى فقد زال عهد الظلم والطغيان، وقال إننا أمة عربية واحدة لها وحدة اللغة وهى وحدة الفكر والوجدان ووحدة التاريخ ووحدة المصير، وكاد أن اتهمه الغرب وعلى رأسه أمريكا ووزير خارجيتها (فوستر دالاس) الذى قال أن عبدالناصر شوفينى خطر وأنه لابد أن ينتهى، وقال عنه إيدن

رئيس وزراء بريطانيا التى كانت عظمى وقبيل الغزو الثلاثى مباشرة أنه هتلر جديد فى الشرق الأوسط وبريطانيا لن تسمح له بالبقاء، وقال عنه جى موليه رئيس وزراء فرنسا ويديه ملطخة بدماء العرب الجزائريين أن عبدالناصر لابد أن يضرب على الرأس لتكون الضربة قاضية عليه فى القاهرة وعلى الثورة الجزائرية فى الأوراس..

ولقد التقى كل العملاء فى الوطن العربى ليشكلوا اتحادا يصرخ ليل نهار من خلال اثنتى عشرة إذاعة موجهة بكل الكلام القبيح يرددون القول أن عبدالناصر يخرب مصر والوطن العربى عندما يقول ارفع رأسك يا أخى، وعندما يقيم الصناعة الوطنية ويبنى الجيش القوى ويقيم السد العالى ويجعل الفلاحين والعمال شركاء فى الأرباح وممثلين فى المجالس والنقابات..

ثم إنه كيف يمكن لمثل عبدالناصر العسكرى الذى خرج فجأة من بين صفوف الجيش المصرى وقام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أن يتحدث عن الوحدة العربية وعن إجلاء الانجليز وتأميم قناة السويس ؟ ثم يقف ضد الأحلاف ومشروع الرئيس الأمريكى أيزنهاور ويتحدى إسرائيل ويجرؤ على الحديث عن الاشتراكية ثم يأتى بالسلاح الملحد من السوفييت !! وكيف يفتح الجامعات لأبناء الفقراء والفلاحين وهو بذلك يفسد التعليم وقد جعل (صوت العرب) يردد عاليا أمجاد يا عرب أمجاد وبذلك صار إرهابيا يهدد ويعادى العالم كله ضد العرب المسالمين..

وجاء نجله خالد عبدالناصر بعد ثمانى عشرة سنة من وفاته واثنين وثلاثين سنة على معركة السويس التى كان خاضها والده ليتهم بإقامة تنظيم إرهابى على طريقة وأسلوب المرحوم والده جمال عبدالناصر وهذا التنظيم يسمى

(ثورة مصر) ولقد أرعب القوى صاحبة اليد البيضاء على صناعة مصر وتجارة مصر وجعل الاستثمارات الأجنبية التى أغرقت مصر بالدولار توقف إستثماراتها وبذلك يكون خالد عبد الناصر قد وقع فى المحظور وأصبح متهما فى ذات القضية بعد أن حسنّت مصر علاقاتها مع الذين عاداهم والده دون وجه حق، وبعد أن حقق الرئيس السادات (معجزة) عندما فتح أبواب مصر للنفوذ الأمريكي والاستغلال الصهيونى وخلّص الشعب المصرى من الشيوعية !!؟

خالد عبدالناصر يظهر بعد مضى ثلاثون سنة على جريمة الوحدة العربية التى ارتكبها والده ومن أجلها جوّع الشعب المصرى ليتحدث من جديد عن الثورة فى مصر وعن الأمة العربية والوحدة العربية وليزعج أصدقاءنا فى أمريكا وأبناء عمومتنا شامير وبيريز ورابين الذين يعملون الآن بكل الوسائل على تخليص الشعب الفلسطينى من أبنائه (الأشقياء)..

كان جمال عبد الناصر قد حارب إسرائيل ورفض تسليم الفالوجا وهو بذلك غرس بذرة العداء مع الشعب اليهودى المسالم الذى جاء من كل مكان فى العالم لِيُنبت القرنفل والبرتقال فى أرض فلسطين، وخالد عبدالناصر ارتكب جريمة محاربة الإسرائيليين على أرض مصر وهو بذلك يخرّب العلاقات الودية بين الشعبين والبلدين الصديقين (مصر وإسرائيل !!)

كل منهما متهم بجريمة القتل، عبدالناصر حارب النفوذ الأمريكى فى المنطقة العربية وقد حرم بذلك الشعب المصرى من الود والمساعدات الأمريكية، وجاء إبنه خالد ليحارب الأمريكيين فى شوارع القاهرة وهو بذلك ناكر للجميل يعمل على تجويع الشعب المصرى الذى يتغذى بالخبز الأمريكى الأبيض ويتعشى بارز (الأنكل بيتر الأمريكى).

عبد الناصر مثيرا للشعب فى رفضه الإنذار الغربى سنة ١٩٥٦م وخالد عبد الناصر مجرما عندما رفض أن يفتح عينيه على علم إسرائيل فى سماء القاهرة سنة ١٩٨٧م.

كلاهما متهما، وكلاهما ارتكب نفس الجرم، وكلاهما مطلوبا، الفارق الوحيد أن عبدالناصر كان مطلوبا من طرف اليهود والغرب الاستعمارى لأنه كما يقولون ضد مصالحهم وكان يحميه شعبه الذى يرى فيه زعيما وطنيا لم يطأطئ الرأس، أما خالد عبدالناصر فهو مطلوب من طرف نظام بلاده لأنه أيضا ضد المصالح الغربية ولأنه حاول أن يرفع رأسه فى وقت أصبحت فيه الرؤوس مطأطأة !!

جمال عبد الناصر كان متهما ومطلوب قتله من طرف (فوستر دالاس وجى موليه وأنتونى أيدن) لأنه أراد لمصر أن تكون عزيزة الجانب قوية البنيان رائدة الوحدة، وخالد عبدالناصر متهم ومطلوب إعدامه من طرف حسنى مبارك وزكى بدر وعبدالعزيز الجندى لأنه أيضا أراد أن تكون مصر عربية حرة فى تقرير مصير شعبها، وسبحان مغيّر الأحوال، كانوا يحاكمون جمال عبدالناصر فى لندن وباريس فصرنا نحاكم أنجاله فى القاهرة، وكانوا يحقدون على عبدالناصر لأنه قال لا للاستعمار لا للصهيونية، وصرنا نحقد على خالد عبدالناصر لأنه أيضا أراد أن يقول لا لأى تدخل فى أمور بلاده وشعبه، وقد نسينا أن مصر هى مصر إنها قلب الأمة العربية وجمال عبدالناصر ضمير الأمة العربية وخالد وجدانها فهل يمكن اقتلاع القلب وإعدام الضمير والوجدان؟؟!!

***

١٥ – هذا المقال أيضا نشر فى مجلة الموقف العربى التى كانت تصدر فى القاهرة بعنوان: (جنون سعد حلاوة !!)

إجهور تعلن.. رمسيس الثانى طرد اليهود والسادات الأول فتح لهم أبواب مصر، وسعد حلاوة برشاش (بورسعيد) قابلهم بالرصاص..

فى يوم ٢٦ فبراير – شباط ١٩٨٠م وفى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا عندما كان السادات يقبّل وجنات (إلياهو بن اليسار) سفير العدو الصهيونى الذى كان يقدم أوراق اعتماده سفيرا للكيان الصهيونى كان السادات يقول (مبروك يا إلياهو) ويتنحى به جانبا من أجل حديث ودى ! كان الفلاح المصرى سعد حلاوة قد أطلق أول دفعة من رشاشه من داخل الوحدة المجمّعة فى قرية إجهور (وهى واحدة من عشرات قرى القليوبية) وبعد أن دوى الرصاص وتجمع المواطنون ضغط المواطن المصرى الفلاح سعد حلاوة على زر تشغيل جهاز التسجيل الذى كان قد أعده لهذه المناسبة، فإذا بأغنية عبدالحليم حافظ الوطنية تطرق الآذان وتدغدغ أسماع الناس (فدائى فدائى أهدى العروبة دمائى، أموت أعيش ما يهمنيش وكفاية أشوف علم العروبة باقى – فدائى) كان السادات وهو يتلقى أوراق اعتماد السفير الإسرائيلى محاطا بحاشيته أمثال (مصطفى خليل) وكان فى نفس الوقت السفير المصرى سعد مرتضى يقدم أوراق اعتماد لرئيس الكيان الصهيونى الإسرائيلى..

وفى قرية إجهور يعلن سعد حلاوة أنه قام بهذا العمل احتجاجا على السادات الذى خان البلد والسفير الإسرائيلى الذى دنّس أرض مصر الطيبة الطاهرة، ويقول سعد حلاوة من خلال مكبّر الصوت أنه يطالب بطرد السفير الإسرائيلى وقطع العلاقات مع العدو، وإذا لم يحدث هذا فإنه سوف يقتل

رهائنه ويقتل نفسه، وتتوالى إطلاقات رشاش صنعته أيدى عربية عرف باسم (بورسعيد) فى يد فلاح مصرى قرر أن يموت من أجل تراب الوطن وشرف العروبة..

صوت جمال عبدالناصر يجلجل بعد أن وضع سعد حلاوة الشريط فى المسجل وضغط على زر التشغيل، الزغاريد ترتفع من خارج المبنى، لن تعدم أرض مصر الرجال، هكذا صرخ أحد الفلاحين، النبوى إسماعيل وزير داخلية السادات يتصل برئيسه هاتفيا ليقول بعد أن سمع السادات وهو يرد على الهاتف..

إيه يا نبوى دا أنا دى الوقت كنت بكلّم كارتر..

النبوى: أبدا يا ريس مافيش حاجة مهمة، حتة ولد فلاح فى قرية إجهور اللى تبع طوخ محتجز موظفين فى الوحدة المجمعة وبيقول إذا نحن لم نطرد السفير الإسرائيلى من القاهرة ونذيع بيانا فى الراديو بكدة خلال ٢٤ ساعة هيقتل الرهائن ويقتل نفسه بالرشاش اللى معاه.. ولا مؤاخدة يا فندم الواد معاه ميكروفون وعمّال يشتم الست الهانم وبيشتمنا كلنا..

السادات: قلّة أدب وبذاءة، تبع مين الواد ده ؟

النبوى: لسه يا ريس مدير الأمن بيقول إنه بيذيع خطب وأغانى لعبدالناصر..

السادات: عبد الناصر مين يا نبوى ؟ مستنى إيه هو مش بيقول إنه هيموّت نفسه يبقى خلاص ابعتوه لعبد الناصر بتاعه، الأشكال دى ما بينفعش معاها إلا كده، ولا مستنى لما يعملوه بطل ويطلع لنا ولد مجنون زيه فى القرية

اللى جنبه واللى جنب جنبه وشويت الرعاع إياهم يطلعوا لى ثانى فى الشوارع ويقولوا انتفاضة شعبية، جرايك إيه يا نبوى، أنت موش عارف شغلك ولا إيه؟ حط سماعة التليفون وخليك على اتصال بى من هناك.

ولسنا فى حاجة إلى أن نذكر ماذا فعل النبوى إسماعيل سيئ السمعة والعمل، ولكن المهم أن الذى قالوا عنه (واد) لم يستسلم رغم كل التهديدات، وبرغم إنهم أحضروا والدته الطاعة فى السن وجعلوها تتحدث إليه من أجل أن يستسلم، كانت تخاطبه باسمه قائلة: يا ابنى يا سعد فيرد: لا يا والدتى قولى يا ابنى يا شهيد يا سعد، إننى شهيد فى سبيل مصر ومن أجل الكرامة وشرف العروبة، اهتفى يا أمى وقولى ابنى السعيد سعد حلاوة.

لقد كان ذلك يوم ٢٦ فبراير – شباط ١٩٨٠م وكان سعد حلاوة مجنونا حسب رواية أجهزة السادات، ثم ظهر بعده مجنون آخر قتل السادات نفسه يوم ٦ أكتوبر – تشرين أول ١٩٨١م المجنون هذه المرة اسمه خالد الإسلامبولى وهو ضابط فى الجيش المصرى، ومجنون آخر قتل سبعة من الإسرائيليين فى سيناء واسمه سليمان خاطر، وكان هناك كثيرون وكثيرات من مجانين الأمة العربية الذين فجّروا أنفسهم فى تجمعات الأعداء فماتوا شهداء من أجل تراب الوطن وشرف الأمة..

نعم نحن نذكر ونتذّكر ورحم الله مجانين هذه الأمة وهم كثر وسوف يتزايدون، ذلك أن طريق الشهادة واضح وطويل إلى أن يتحرر تراب الوطن ويعود الحق ويعم السلام، ولقد صدق أبوفراس الحمدانى حين قال..

(ولست أبالى أن ظفرت بمطلب يكون رخيصا أو بوسم مزود

ولكنى اختار موت بنى أبى على صهوات الخيل

وآبى أن أموت موسدا بأيد النصارى موت أكمد أكبد)

أنها دعوة لكل شبابنا وشاباتنا، لرجالنا ونسائنا بأن يكونوا مجانين كسعد حلاوة وخالد الأسلامبولى وسناء محيدل وسليمان خاطر، أنه لن يكون فبراير فقط ولا أكتوبر فقط، بل كل يوم وكل ساعة.. وسلام على من اتبع الهدى والجهاد..

***

١٦– هذا المقال نشر فى جريدة الناصرية التى كانت تصدر بلندن بعنوان: (مصيبة الجنرالات) ..

الجنرال ضياء الحق حاكم الباكستان يتحدث أمام لجنة العلوم والتكنولوجيا التابعة للمؤتمر الإسلامى قائلا أن على الدول الإسلامية أن تخطط لعشرين سنة قادمة من أجل الحصول على التكنولوجيا !! شئ بسيط عشرون سنة ! هذا ما ذكره الجنرال الباكستانى ضياء الحق يوم ١٩٨٣/٥/١٢م هذا الجنرال الديموقراطى جدا الذى انقلب على رئيسه السيد ذو الفقار على بوتو قائلا أنه قام بالانقلاب من أجل الإشراف على انتخابات حرّة ديموقراطية ثم يعود بالجيش إلى ثكناته خلال شهرين فقط، وبعد مضى الشهرين قال رسميا وعلنا، من يريد الحكم عليه أن يركب دبابة، وبالطبع فإن الانتخابات لم تجر إطلاقا منذ تولى هذا الجنرال مقاليد الحكم فى الباكستان على إثر الإنقلاب العسكرى الذى قام به، والذى هندسته المخابرات المركزية الأمريكية ولقد ذكر الرئيس ذو الفقار على بوتو فى مذكراته أن سبب الانقلاب عليه كان إصراره على المضى فى برنامجه النووى وأن الجنرال ضياء الحق كان قد وعد

بالموافقه على تعديل فى المفاعل النووى الذى تنفذه الحكومة نظير مساعدته فى الانقلاب، والمساعدة طبعا كانت من جانب المخابرات المركزية الأمريكية.

عندما سمعت حديث الجنرال ضياء الحق أمام لجنة العلوم والتكنولوجيا التابعة للمؤتمر الإسلامى، كنت اقرأ رواية البؤساء لفيكتور هيجو وتصادف أن كنت أمر بعيناى على الصفحة ٥٤ وكان نصها كما يلى :

(فلإن ينتصر نابليون فى واترلو شئ لم يكن فى قانون القرن التاسع عشر، كانت سلسلة من الحقائق على وشك الوقوع، سلسلة لم يكن لنابليون أيما مكان فيها، وكانت نيّة الأحداث السيئة قد تجلّت منذ زمن طويل، إن وطأة هذا الرجل المفرطة على المصير الإنسانى قد أخلّت بالتوازن، فقد كان هذا الفرد يساوى وحده الكون كلّه، وهذا الفيض من كامل الحيوية البشرية المركّزة فى رأس واحد، وهذه الدنيا الممطيّة دماغ رجل واحد خليق بهما أن يصبحا شؤما على الحضارة إذا استمرا، لقد آن للعدالة العليا النزيهة أن تتدبر الأمر، وأغلب الظن أن المبادئ والعناصر التى تقوم عليها الجاذبيات القياسية فى النظام الأخلاقى وفى النظام المادى جميعا قد بدأت تتذمر، فالدماء التى يتصاعد منها البخار والمدافن المزدحمة بسكانها والأمهات السافحات الدمع، كل أولئك محامون مخيفون،أن ثمة حين تشكو الأرض ضيقا شديدا، أنّات خفية تنبعث من الأعماق فتسمعها السماء، لقد شكى نابليون إلى اللانهاية وكان سقوطه أمرا مقررا، لقد أغضب الله..

هذا ما كنت أقرأه عندما سمعت الخبر الذى ذكرت وطاب لى أن أنقل هذه السطور لأنها تنطبق تماما على السيد ضياء الحق، ولست أعرف على وجه اليقين لماذا أكتب فى كلمتى اليوم عن هذا الجنرال الذى لا يمت إلى

بصلة، لكنه فيما قرأت رجل كذوب انتهازى، وما أحببت كذوبا ولا انتهازيا فى حياتى حتى لو كان آتيا من العالم الآخر، ويقينا أن الشعب الباكستانى كفيل به..

***

١٧- هذا المقال نشر فى مجلة الموقف العربى الصادرة بقبرص بعنوان : (حجر سيزيف أم كرة أكسيون) ؟؟

قال أبونواس (إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر ؟) ولكن أترى أن ذلك يكون قاعدة تنطبق علينا أيضا ؟ أبدا، فإذا لم يكن ما يقوم به الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة من بطولات وفى مواجهة الإسرائيليين المدججين بالأسلحة حافزا يحرك ضمير الشعب العربى كله من المحيط إلى الخليج ويجعله ينتفض ويثور فإنه لن يستحق بعد الآن إلا كرة (أكسيون) التى ربط بها مشتعلة لتظل دائرة إلى الأبد، أو حجر (سيزيف) الذى عليه أن يدحرجه بيدين داميتين دون أن يبلغ قمة الجبل، أو ربما لعنة السماء والأرض ومعهما لعنة الولايات المتحدة الأمريكية التى قيل أنها أصدرت بيانا شديدا يندد بالأحداث الجارية فى فلسطين المحتلة (هكذا كان الخبر) ولقد نددت الولايات المتحدة بالطرفين وساوت بين الشعب الأعزل الذى يواجه المعتدين بالحجارة والمحتل الذى يستخدم الأسلحة والقنابل الأمريكية ليقتل ويدمر..

أمريكا هى دائما أسيرة الإرادة الإسرائيلية وقد أرادت أن تقول لنا أن (الكاوبوى) ما كان له أن يستثير الثور الهائج بحيث يحق للثور أن يقتله، هكذا !! ولكن إذا كنا لا نحتاج للحديث عن المواقف الأمريكية فإننا أحوج ما نكون لأن نخاطب الشعب العربى فى كل مكان فنقول له أن الشعب العربى

الفلسطيني يؤمن بحقيقة واحدة وهى أن اليهود غزاة وقد سرقوا أرض فلسطين وشردوا الفلسطينيين، لقد اعتدوا واحتلوا وانتهكوا الأعراض والقوانين والمثل والأخلاق، والشعب الفلسطينى الذى ظل ثائرا من أجل حقوقه الوطنية منذ أكثر من أربعين سنة رغم ضنك الحياة يدرك أن كل القرارات والمواثيق لا تجديه نفعا وهو يعلم أن إسرائيل لا تعرف أو تعترف إلا بمنطق القوة وهو يعرف تماما أيضا أن عزيمة أبنائه الذين واجهوا الجنود المدججين بالسلاح وصدورهم عارية ولا يملكون إلا بعض الحجارة، حجارة أرضهم الطاهرة هى الطريق الوحيد لخلاصه..

لقد استخدم الشعب الفلسطينى الحجارة فى مواجهة البنادق الرشاشة من أجل فلسطين، وفلسطين ليست غزة والضفة فقط كما أن فلسطين ليست مشاورات أو تعهدات وتنازلات ولا هى تسوية من أجل عيون أحد ممن لم يحصلوا على شيئا رغم الاستجداء واللهات، فلسطين هى من النهر إلى البحر، أنها البرتقالة والقرنفلة فى السهول والوديان، وهى حبات التراب الذى لا يباع بأى ثمن، فلسطين شرارة غضب على كل المحتلين ومن أجل كل العرب إنها الدم الذى يقدم كل يوم بل كل ساعة من أجل الحق العربى والكرامة العربية، وهى عنفوان الإنسان العربى الذى يرفض رشوة الدولار وقذارة النفط وتهكم ريقان وبوش وماكفرلين وغيرهم، إنها غزة وطولكرم ورام الله ونابلس وخانيوس والقدس والناصرة، بل إنها الرياض وعمان وصنعاء وعدن وبغداد ودمشق وبيروت والكويت والمنامة والقاهرة والخرطوم وطرابلس والجزائر وتونس والرباط ونواقشوط، فلسطين يجب أن تكون كل مدينة عربية وكل بيت عربى يدافع عنها ويموت من أجلها كل عربى..

إن العرب، كل العرب مطالبون بالثورة من أجل حقهم وكرامتهم وحريتهم فى كل مكان، فإذا كانت إسرائيل غازية محتلة للأرض، وهى كذلك فهى أيضا فى جيوب الباحثين عن تسويات رخيصة مذلة، إسرائيل جاءت غازية من الخارج وأولئك المستسلمون جاءوا من الداخل أيضا بمساعدة قوى الاستعمار والاستغلال ولابد لهؤلاء أن تواجههم شعوبهم بكل ما تملك من قوة الإيمان وعزيمة الباحثين عن كرامة الإنسان كما يواجه الشعب الفلسطينى قوى البغى على أرضه الطيبة وكما يواجه بالتحقير أولئك الذين يبيعون أرضهم لليهود من بين الشعب القلسطينى..

أرض فلسطين فرشت بالدم العربى منذ أكثر من ستة عقود ولكن إذا كان ذلك الدم قد ضاع أو يضيّع هدرا فى زمن غابر فإنه لا يمكن أن يهدر مرة ثانية بلا ثمن، والثمن هو فلسطين كل فلسطين دون تجزية ولا منّة أو منحة، ونقول، يا أطفال فلسطين لقد انتصرتم بحجارتكم على كل أسلحة إسرائيل وأثبتتم للعالم كله أن حجارة الأرض الطيبة فى فلسطين هى أقوى من كل قنابل إسرائيل النووية ولقد أكدتم للإنسان العربى أن أى حجر من أرض فلسطين هو أثمن وأقوى من أى حاكم وأعظم وأهم من كل آبار النفط وكل بلايين الدولارات، لقد انتهى الدولار ولم يبق إلا هذا الحجر الذى تحدى العالم كله باسم فلسطين، إنه حجر (حنظلة) ناجى العلى أمام أعضاء مجلس الأمن وفى الجمعية العامة للأمم المتحدة، إنه حجر أرض فلسطين الذى ألجم الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة فى تاريخ الأمم المتحدة بحيث عجزت عن استخدام حق الفيتو الذى كانت تستخدمه كلما جاء ما يدين إسرائيل..

ربما لأول مرة فى التاريخ يتأكد للعالم أن الأيتام والفقراء والمضطهدين بل الجوعى الذين أجبرتهم كل قوى الظلم على أكل الفئران والقطط قادرون

بحجارتهم وإيمانهم وعزائمهم أن يكونوا أقوى من أية قوة وأجلّ من أى شعار، يا من تحبون أرضكم نحن معكم لإنكم تجسّدون كرامة الإنسان العربى وقدسية الرأى وصدق التوجه وحقيقة القضية، ولأن حجارتكم أدمت رؤوس حرّاس سياسة كامب ديفيد وأذنت بولوج عصر جديد، أيها الفقراء لكم النصر والله معكم..

***

١٧- هذا المقال نشر بمجلة الموقف بعنوان مثير يقول : (الحصان العربى والحمار العربى..)

منذ أيام سمعت خبرا يقول: إن حصانا عربيا أصيلا قد بيع فى المزاد العلنى ببلد أوربى، ونظرا لأن الحصان عربى وأصيل وأن للأصالة بطبيعة الحال شأنا وشأوا فقد بلغ الثمن الذى دفع فى شراء الحصان خمسة ملايين ونصف المليون جنيه إسترلينى !! والمشترى أيضا عربى أصيل من واحدة من بلدان العرب النفطية !!

ثم وبالمصادفة شاهدت فيلما وثائقيا عرض فى التلفزيون التونسى يقدم بالصورة مشاهد ذلك المزاد العلنى وقصة الحصان العربى الأصيل فقفز إلى ذهنى ذلك الشعر البليغ الذى قاله المتنبى ولعله كان يتنبأ بما سيصل إليه حال الإنسان العربى والعقل العربى والعمل العربى – قال :

(أفاضل الناس أغراض لدى الزمن

يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن

فقر الجهول بلا قلب إلى أدبّ

فقر الحمار بلا رأس إلى رسن)

ولقد حاولت أن أحسب هذا المبلغ الذى دفعه الثرى العربى كثمن لحصان بيع بالمزاد العلنى وقيل عنه أنه حصان عربى أصيل، حاولت أن أحسب كم مدرسة يمكن أن تبنى لتعليم أطفال العرب المهجّرين فى لبنان، وكم عيادة صحية أو مستشفى يمكن أن تجهّز لخدمة المواطن العربى الفلسطينى الجريح فى جسمه وكرامته، حاولت أن أحسب كم رداء وكم بطانية يمكن أن تشترى لهؤلاء العرب المشردين فى شتاء قادم قارس أو حتى قاتل، حاولت أن أحسب كم طلقة يمكن أن تشترى لبندقية محمولة على صدور وأكتاف الذين يقاتلون من أجل كرامة العرب وشرف العرب، حاولت أن أحسب كم لقمة عيش يمكن أن توفر للإنسان العربى الأصيل الجائع والتائه وفاقد أى أمل فى المستقبل لأنه يتضوّر جوعا وهو يسمع ويقرأ إن قدّر له أن يجد ما يقرأ عن هذا التفسّخ العربى والمجون العربى والتهوّر العربى، حاولت أن أحسب كم بيت شعبى يمكن أن يبنى فى صيدا أو صور أو غيرهما لإيواء هؤلاء الذين شردهم إسرائيل وجيش إسرائيل وقنابل إسرائيل لمجرد أنهم عرب أصلاء..

وبعد هذا وذاك حاولت أن أفهم ولو بطريقة قبول الحال الواقع لإيجاد المبررات، بحثت فى الأمر، وتذكرت شعرا شعبيا لأحمد فؤاد نجم يقول :

(هيص يا كلب الست هيص   ليك مقامك فى البوليس..)

سبحان الله الحصان العربى يساوى فى مزاد علنى فى أوربا خمسة ملايين ونصف المليون من الجنيهات الإسترلينية بالتمام والكمال دفعها ثرى عربى، والإنسان العربى الأصيل لا يساوى فلسا !!؟ وممن يحدث هذا وبسبب من ؟ والله العظيم إنه من العرب أنفسهم إذ لا مجال هنا لاتهام إسرائيل والامبريالية، فلقد ألفنا الإهانة من الأوربيين ولعلنا قبلنا الاحتقار من

الأمريكيين حتى فى ديارنا !! ولكن أن نفعل هذا بأنفسنا وأمام كل العالم فإنما ذلك قمّة المأساة والهوان !!

ولكن صدق الذى قال (سبحانك ربى ما أعظم حكمتك تعطى البندق من لا نواج له) هؤلاء الذين يبذّرون المال العربى ويستهينون بالإنسان العربى لابد أن يكون لنا معهم حساب، ذلك أنه إذا افتقر رأس الحمار إلى رسن فلابد من شئ آخر يكون رادعا لرأس مثل هذا الثرى العربى..

ونقول اتقوا الله أيها الناس فقد فاض الكيل، وإن بليتم فاستتروا...

***

١٨- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (الذين يدخلون فى دين أمريكا أفواجا !!)

انتفاء الحرية معناه العبودية، ومن يكون عبدا لا يمكن أن يحترم أى شئ مهما بلغ ولأنه خائف فهو لن ينتج من الخوف أى إبداع أو يفكّر بشكل سليم، والحاكم القوى الذى يعتمد على شرطة وجنود بمعنى (عصى وبنادق) وحزب واحد وبالتالى رأى واحد لا يمكن أن يحبه أحد وإن كانت الناس تخشاه لبعض الوقت، ولكن هل هذا هو الحال فعلا فى بلدان المعسكر الاشتراكي التى تداعت نظمها وأحزابها الشيوعية من الضربة الأولى التى وجهت اليها، وهل أن أمريكا هى فعلا جنة هؤلاء الهاربين إليها عبر كل المنافذ الشرعية وغير الشرعية، ثم هل تريد أمريكا حقا الحرية لهؤلاء الناس وهل ستوافق على إعادة توحيد ألمانيا ؟

أسئلة كثيرة لابد أن تطرح فى هذا الوقت بالذات وربما أمكن القول أن ديناميكية الرأسمالية مقابل تجمد الفكر الاشتراكى وانعدام المبادرة لدى القائمين

عليها كان أحد الأسباب فى انتصار الرأسمالية بهذا الشكل المدوّى ؟ ولكننا نعتقد أن السبب الأساسى هو مسألة الحرية وهامش النقد وبروز الرأى الآخر الذى كان معدوما تماما فى دول المعسكر الاشتراكى الأوربية بوجه خاص فى حين أنها كانت تتوقع أن تكون نموذجا جيدا للتطبيق الاشتراكى، وكذلك الحال فى جميع دول العالم التى حاولت أن تقلّد النظام الاشتراكى فجاءت تطبيقاتها عرجاء وبذلك خدمت الرأسمالية خدمة عظيمة دون أن تدرى، وكانت أغلب دول العالم الثالث أحسن حالا وهى فى ظل الإستعمار، وفى ظل الرأسمالية أكثر استقرارا ورفاهية من حالها عندما فرضت عليها التطبيقات الاشتراكية، وإذا كانت الرأسمالية حسنة فإنه يمكن القول أن الاشتراكية من المفترض أن تكون أحسن.

ونظرا إلى أن المعسكر الاشتراكى فى أوربا قد فرض قيودا وكمم الأفواه وحول كل شئ إلى حيازة الدولة ومنع الناس من حرية الكلام وحرية التعبير والنقد فقد منعه من إمكانية المبادرة؛ لأنه، أى الإنسان، قد تحوّل إلى أن يكون ترسا فى آلة الدولة، ولم تدرك دول أوربا الشرقية التطوّر الذى حدث فى العالم إلا متاخرا، خصوصا بعد الثورة التى حدثت فى مجال المواصلات والاتصالات العالمية إذ أصبح كل ما يجرى فى أى مكان من العالم يصل إلى جميع أطراف الكوكب الذى يعيش عليه الناس، وقد اعتقد أولئك الاشتراكيون لأوربيون أنهم ببناء الطرق والجسور والمبانى والحدائق العامة قد خلقوا معجزة وأنه يمكن أن تكون هناك جنة بلا إنسان، والإنسان هو ذلك الذى يبادر ويشارك ويقرر وينفذ.

كذلك جاءت أغلب دول العالم الثالث وسلكت طريقا معوّجا اسمته اشتراكية فانعدم كل شئ بدءا من رغيف الخبز إلى حرية الإنسان وكرامته

وأجهضت الحرية باسم التغير والثورة ولم يعد للإنسان أى قيمة باسم محاربة الامبريالية، وهكذا كانت لدى دول العالم الثالث الاشتراكية المشجب الذى يعلّق عليه كل شئ، فإذا اختفى رغيف الخبز قالوا الاستعمار ومؤامراته وإذا ارتفعت الأسعار وقلّت مستلزمات الحياة قالوا السبب هو الاستعمار ومن أجل محاربة ذلك الاستعمار الموهوم يجب أن يضحى المواطن بكل شئ.

هذا من جانب أما الجانب الآخر أى الغرب الرأسمالى فقد كان يدرك تماما وهو يخطط لإفلاس الاشتراكية (وهى بالضرورة مفلسة) على ضوء ما كان يجرى، وعندما خرج الاتحاد السوفييتى منتصرا فى الحرب العالمية الثانية وأصبح قوة عسكرية عالمية حيث تقاسم النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية وتحولت الامبراطوريات السابقة (بريطانيا وفرنسا) إلى المرتبة الثانية وعرفت باسم الاستعمار القديم إذ حلّت محلها أمريكا، وحدث أن صار العالم يتحدث عن القوتين العظيمتين وإن كان ذلك حقيقة فإن الولايات المتحدة ما كان يسعدها أن يحدث ذلك ولهذا صار ساستها يركزون على مطالب الحرية وحقوق الإنسان والديموقراطية فى حين كانت القوة العالمية الأخرى (الاتحاد السوفييتى) موصومة من وجهة النظر الأمريكية بالدكتاتورية وإنتهاك حقوق الإنسان لأنه لم يسمح لليهود السوفييت بالهجرة الجماعية إلى فلسطين وهى القضية التى أهتم بها كل رئيس أمريكى إرضاء لليهود فى بلاده الذين لهم أصوات عالية ونفوذ قوى فى المال والأعمال وبالتالى الانتخابات هناك.

ولقد كانت الدعاية الغربية النشطة قد أثرت كثيرا فى الفكر والسياسة سواء داخل دول المعسكر الرأسمالى أو دول العالم الثالث، وإذ كان النظام الشيوعى من خلال المفهوم الذى تطرحه السياسة الغربية نظام إلحادى لا يحترم

الأديان ناهيك عن الإنسان فى حين أن المفهوم العام أو على الأقل المعروف أن النظام الرأسمالى مستغل ودوله نهمة فى نهب ثروات العالم الثالث فإنه كان من المتوقع أن لا ينجذب الناس إلى هذا الغرب وعلى رأسه أمريكا بدون تفكير أو تحوّط، والذى حدث أن كثير من هذه البلدان قد أنخرطت وفتحت أبوابها للغرب وشركاته ومؤسساته، على أن بارقة الأمل الوحيدة برزت مع عدم الانحيار الذى ظهر أخيرا مما يعنى لا مع الغرب ولا مع الشرق وإنما مع الحرية فى الوطن والحرية فى العيش، وعلى الذين دخلوا فى دين أمريكا أن ينظروا إلى مصالح شعوبهم..

***

١٩ – هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (خواطر فى ذكرى ٢٨ سبتمبر..

لقد صدق المعرى حين قال :

(لو أنى حبيت الخلود فردا   ما أحببت بالخلد انفرادا)

لقد كانت وفاة جمال عبدالناصر مفاجئة وفاجعة ألّمت بنا جميعا فلقد انفرط كل شئ وتلاشى أمل الوحدة أو حتى التقارب بين العرب، وبمرور الوقت وتتابع السنوات صار سريعا ومذهلا بل وفارغا من كل معنى حيث كنا نتطلّع إلى اقتراب يوم الوحدة العربية الشاملة التى تجمع العرب فى جهد صادق مؤثر فعال لخلق حضارة وتقدم، وتلاشى هذا الأمل صار مؤرّقا حتى أنه فتح الباب لمزيد من الخلافات بين زعامات متنمّرة تدّعى القوة وهى ضعيفة وتدّعى المعرفة وهى جاهلة، وبقصر الإدراك والالتزام الذى أصاب الأمة العربية يدعو إلى اليأس والقنوط، وخواطر النفس فى هذه المناسبة وهى تتزاحم وتختلج قد

تباعد بين ما فى النفس وما يخطه القلم ففيها تستوجب الكتابة فخامة فى اللفظ وقوة فى التعبير وروعة فى الإسلوب وهو تآلف صعب عندما تتحجّر الـدموع وتظلم غائلة النفس ويتبدّى للإنسان أن كل شئ أصبح من العدم من كبـائر الأمور إلى صغائرها بما فى ذلك الحياة نفسها وقد تتحازم المشاعر فينقذف من الجوف شئ كأنه ميت ذلك أن الأنماط والقوالب والصيغ قد ابتسرت فى عهد وعصر الكذب والهوان والبطولات الزائفة والعقائد والأذواق المجوّفة كأنما هى قد جاءت صدفة وفى غفلة من الزمن، وإن كنا لا يجب أن نتباكى على ما فات وليس من عادتنا أن نلطم الخدود وإن اهتاجنا الحدث كلما مر بنا يـوم ٢٨ سبتمبر من كل سنة (ففى هذا المساء من سنة ١٩٧٠م انتقل إلى جوار ربـه الرئيس جمال عبدالناصر) ومع حلول هذا اليوم يجيش الصدر بالضيق ويكون الدمع عصى على العيون وفى الذهن والفؤاد ما فيهما من أمل واعتزاز بتاريخ فات ومنجزات ماثلة بارزة وفكر مازال يتأجج وعلم لم يقع على الأرض رغم مضى قرابة عشرون سنة على وفاة قائد المسيرة وقرابة نصف قرن على ثـورة ٢٣ يوليو منذ بدأ الإعداد لها إلى انبلاج فجرها.

فى هذا اليوم ورغم ما يمور فى النفس من ضغط بسبب رهبة الحدث فإنه يروق لى أن أسطر خواطرى بتواضع على صفحات الجريدة التى تحمل أعبـاء الدفاع عن الرجل وعن مبادئه وسلوكه (جريدة صوت العرب عندما غـاب صوت العرب – الإذاعة) وأنا أعرف أننى لست منفردا فى هذا وأحسب أن عدد هذا الأسبوع سوف تتلاقى فيه الخواطر والأفكار دون أسى، وما سيكتب على صفحات صوت العرب كفيل بإعطاء المناسبة جلالها ويخلع عليها ثـوب المجد الذى لا يبلى، ومن جانبى فإن خواطرى هذه هى ترجمان نفسى ومشاعرى

وتفكيرى وليس علىّ بعدئذ أن قصر اللفظ عن ذلك إلا أن أقـول أن متعـة التذكر هى إشراقة الأمل فى غد أفضل لأمة لا يمكن أن تموت بإذن الله..

ولقد سألت نفسى، ترى كيف تكون الخواطر فى هذه المناسبة ؟ أهـى فرح أم حزن ؟ إن حزنا أحسب أنها تبدأ مع نهاية ذلك اليوم الحزين فعلا، يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م وهو اليوم الذى انتقل فيه جمال عبدالناصر إلى جـوار ربه، هذا الحدث الذى رسم صورة مهيبة لطوفان من البشر ربما لم يحدث مثلة فى التاريخ الحديث والمعاصر فى وداع رجل مات، رئيسا أو ملكا أو امبراطورا أو قدّيسا ؟ وداع لا مثيل له على الإطلاق وما اضمحلت تلك الـصورة ولا فقد أولئك الناس إيمانهم بعظمة الرجل الذى أحبوه وساروا فى جنازته مرددين (الوداع الوداع يا جمال يا حبيب الملايين) وبرغم تداعى الأحداث واختلاط الأمور فإنه مازال حبيب تلك الجماهير من عايش منها الحدث أو ولد بعده لأن الرجل كان فكرا وعقيدة ومبدأ وهذه لا تموت، وإذا كانت الأمة العربية قـد بكته فإنها أحبته قائدا وزعيما عبر عن عزها وكرامتها وكبريائهـا ودغـدغ مشاعرها بالتعبير عن طموحاتها وقد عاش ومات من أجلها ولم يطأطئ الـرأس ولا تراجع رغم كل المشاكل والصعاب، لم ينحن أمام كل الزوابع ولا تحـول من اتجاه إلى آخر، لقد كان قويا وقادرا وكان دائما رافع الرأس فـأرتفع بـه ومعه شعبه العربى ولم يبق فى الحفر إلا أولئك الحكام الذين كانوا خدما لقـوى أجنبية وإن طالت أعمارهم، هؤلاء الذين حاولوا النيل منه بعد مماته والعـودة بالشعب العربى إلى حياة الخنوع والاستسلام وكان مقدرا أن يفشلوا قبـل أن ينالوا منه ومن شعبه وقد فشلوا..

تلك خاطرة أولى فليس الجيد كالسيئ، ولا الجبن كالشجاعة، أو العدم كالبقاء، ولا القبح كالجمال، ولا الأعمال الجليلة كالذميمة مهما بلغت وسائل الخداع ولا غضّت من قدر جمال عبدالناصر بعض أخطاء من عملوا معه حدثت هنا أو هناك (وجّل من لا يخطئ..)

بعض الأخطاء أتى بها الحاقدون من بعده كمن يكنس أوراق شجر متساقطة كأنما يريد أن يثبت أن الشجرة نفسها قد سقطت، ويتزاحم جمع آخر من الخواطر، زعيم ورث الحكم وأراد أن يصعد على حساب الإساءة لجمال عبدالناصر ومنجزاته، أراد أن يبنى على قدر ما يهدم ويشكر على قدر ما يشتم، يصّور الأبيض أسودا وكأنما الشمس قد انطفأت تماما وليس لها من شروق مرة أخرى، يعلّق من النياشين ما بدا له أنه يبهر الأنظار ومن الملابس ما اعتقد أنه يخفى العورات، وكتّاب جعلوا من أنفسهم أبواقا ينفخ فيها هذا الحاكم فتخرج أصوات نشاز دون أن تدرى أنها نشاز، أصواتها كعواء قط جائع وهى تضرب على طبق خاو لتصور الاشتراكية على أنها سلب ونهب لأموال الشعب بينما هذا الشعب بسببها يأكل طعام الكلاب الذى جاءوا به (حفاظا على أمواله !!)..

أما الوحدة العربية فهى تبذير وخراب وهى حروب وموت زؤام، وبناء المصانع هو لعب أطفال أغرار، ومجانية التعليم إفساد للتعليم، وإقامة السد العالى تخريب لزراعة مصر، ثم من هم العرب ولماذا العروبة ؟ إنها خواء وتخلف وطمس لحضارة الأجداد التى قيل أنها حضارة خمسة آلاف سنة ثم زيدت فصارت سبعة آلاف سنة !!

يحار الإنسان أمام جحافل الظلم والظلام، وتتدافع مجمل الخواطر..

السادات ومرتزقة موظفين وكتاب أنصاف شياطين، مرتزقة بأقنعة مزيفة يتكلمون كحصان يمضغ لجامه وعساكر يقبضون على الرقاب، وفجأة أيضا بعد مقدمات هزيلة وبائسة ومواقف شاذة تدق طبول الحرب ليجتمع الحكام العرب فيعلوا الصراخ ثم يتفقوا وهم لا يدركون أن أمورهم قبض الرياح إلا بعد أن تمتلى بطونهم، ولكن جند العرب المجانين كانوا كثر (سليمان خاطر وسعد حلاوه وخالد الإسلامبولى وسناء محيدلى) كلهم مجانين يموتون غيلة وشنقا أو إعداما لأنهم يتحدّون الواقع ويقاتلون العدو، يقاتلون إسرائيل ويقتلون من يتعامل مع إسرائيل، ويبقى جمال عبدالناصر خالدا بمبادئه وهو يبرز كإشراقة شمس كل صباح وفى شذى كل زهرة ومع ارتفاع صوت كل مؤذن ورنين كل جرس، إنه مع العامل والفلاح على أرض مصر الطيبة..

تتدافع الخواطر وهى لا تتجاهل أن سفارة العدو الإسرائيل على أرض قاهرة المعز لدين الله وعلمها ذى النجمة السداسية يلوّث سماء الكنانة، ويتنادى الحكام العرب وليس فى أيديهم غير قبض الريح ليعودوا بأعلامهم كأنما شيئا لم يحدث ونرى الآن أن تلك الأعلام تعانق العلم الإسرائيلى هناك وقد أضحت دماء آلاف الشهداء العرب هذرا بذرا، وعربد أصحاب الدولار وتفتحت قرائح شعراء المناسبات، وأنبرت أقلام كتّاب الأعراس تطبل للوفاق والاتفاق العربى والحكمة التى يتمتع بها حكام العرب الذين التقوا فى مؤتمر لا شك فى أنه أعّد بعناية والذين أعدوا له كانوا يعرفون تماما ماذا يريدون وما الذى سيحدث ومن المستفيد، وقد سجن رجال ثورة مصر واغترب مرغما ابن ذلك الرجل الذى قال (ارفع رأسك يا أخى) وطردت صوت العرب الجريدة واتهمتها أنها تدافع عن الأمة العربية والوحدة العربية وأنها صوت الناصريين

وتنتقد تصرفات ومواقف أصحاب النفط وهى الآن تصدر من خارج بلادها، من بلاد أولئك الذين طردهم صوت العرب الإذاعة فى عهد الرجولة..

وسبحان مغيّر الأحوال، ومع تداعى هذه الخواطر يبرز قول إبن الرومى..

(لم يخلق الدمع لامرئ عبثا   الله أدرى بلوعة الأحزان..)

***

٢٠- نشرت هذا المقال جريدة صوت العرب وكان عنوانه: (تحية لليمن العربى الواحد، وتحية لكل من يعمل على تحقيق الأمل) (وحدة العرب).

لابد لنا أن نحيّ العاملين من أجل الوحدة العربية وإعادة لحمة الوطن والأمة، لأن الوطن الواحد هو الأمل فى البقاء وهو الحصن الذى يحفظ الحق والكرامة ولأن الأمة الواحدة هى الرجاء فى تحقيق التقدم والرخاء والرقى وقهر العدو، إن وحدة اليمن القادمة هى الهدية التى يقدمها قادة اليمن للأمة العربية، إنها حجر الزاوية فى البناء الذى سيرتفع عاليا ليصون أمة العرب التى تكالب الأعداء عليها ليحولوا دون وحدتها، وهى واحدة من انتصارات الأمة العربية رغم الهوان والمؤامرات..

إنها الوحدة التى نريد والتى ناضل من أجلها جمال عبدالناصر طويلا وقد جاءت تحقيقا لأمانيه فى شهر انتصاره على العدوان الثلاثى الغاشم الذى قامت به بريطانيا وفرنسا وربيبتهما إسرائيل وهى كذلك تأكيدا على أن ذلك الجهد والعمل والمال والدماء لم تضع ولم تكن هدرا إذ بقيت الجمهورية العربية اليمنية صامدة، وبرغم مرور الزمن وتبدل المسؤولين والرؤساء فإن وهجها وبريقها

ومعناها كرد على الإنفصال وعلى التجزئة التى أرادها عملاء المخابرات الأجنبية والمرتزقة الذين أرادوا النيل من جمال عبدالناصر عندما فصموا عرى أول وحدة عربية فى التاريخ العربى المعاصر.

لقد جاء الرئيس على عبدالله صالح ليضع الأمور فى مكانها الطبيعى وليؤكد لكل المشككين أن جمال عبدالناصر باقيا وشامخا بأعماله وأن جنود عبدالناصر هم الذين حموا الثورة الشابة ودافعوا عنها وذلك عندما كرّم الشهداء والأحياء من ضباط وجنود عبدالناصر فى عيد الثورة، وكان الرئيس على عبدالله صالح وفيا عندما اتبع سنّة حميدة تمثلت فى تكريم كل الرؤساء السابقين وأولهم عبدالله السلال حيث ظهروا جميعا فى الصف الأول من الحضور فى احتفالات الثورة وتلك سنّة حميدة وعمل جليل لا يقدم عليه إلا عقل متحضر وضمير صافى وعزيمة قوية مؤمنة، لقد حمدنا له هذا الفعل والصنيع ونحمده دائما لأننا يجب أن نكون أمة الوفاء والصدق، كان ذلك فى الشمال أما جنوب اليمن فقد كان أيضا يناضل من أجل الحرية والإستقلال وكان يحظى بدعم وتأييد جمال عبدالناصر ورجاله الذين وقفوا كالطود رغم كل الضغوط والمؤامرات، لقد أعلن جمال عبدالناصر فى موقف شهير (إنه لا خروج من الشمال إلا بعد إستقلال الجنوب) واستمر يعطى ماديا ومعنويا وبشريا لإيمانه بأنه يدافع عن الوطن العربى الذى لا يتجزأ والإنسان العربى الذى لا يختلف، وكان جنوب اليمن يمر بمراحل عسيرة من فتن وحروب بين الأخوة فى البلد الواحد وذلك باسم العقيدة وقد أرهقته الخلافات بين تقدمى ورجعى ثم ماركسى وقومى الخ وكاد أن يفقد الأمل عندما كانت ترفع على أرضه شعارات غريبة عنه لا تفيده فى شئ، وربما كانت، ونتمنى أن تكون،

أحداث يناير هى آخر الفتن حيث تقاتل الأخوة وحرقوا الأخضر واليابس دون جدوى، والآن فى ظل قيادة جديدة نرى تباشير العقلانية والاتزان والواقعية ومن نتائجها.

وحدة البلد والشعب الواحد أصلا، لقد كنا ضد التمركس وضد رفع الشعارات المستوردة وضد التقاتل بين الأخوة، ونحن مع الوحدة والوفاق والعمل المشترك المثمر، ولذلك يحدونا الأمل فى أن تكون وحدة اليمن اللبنة الأولى فى وحدة عربية كاملة وشاملة، كذلك نأمل أن تكون هذه الوحدة مؤسسة منذ البداية على قواعد راسخة ومتينة بحيث يكون للبلاد رئيس واحد وبرلمان واحد وجيش واحد ودستور ديموقراطي واحد وعملة واحدة وبالتالى تمثيلا دبلوماسيا واحدا وما يستتبع ذلك من إجراءات ترسيخ الوحدة..

ولابد لنا أن نشير أيضا إلى جهود عربية أخرى ساهمت فى التوفيق بين الأخوة فى اليمنين وعملت من أجل الوحدة اليمنية، ومن الواجب أن أذكر أن بلادى (الجماهيرية) كانت تمد وتقدم جميع وسائل العون فى مختلف المجالات للأخوة اليمنيين فى الجنوب كبناء المدارس وإعارة المدرسين وهو وإن كان واجبا قوميا فإننا فى هذه المناسبة لا يفوتنا أن نشيد به، ومن البديهى أن نقول إن وحدة اليمن ستكون لها تأثيراتها على مجمل السياسة العربية التى عانت كثيرا من التشرذم والخلافات.. ومن الله التوفيق..

***

٢١ – هذا المقال نشر فى مجلة الموقف العربى القاهرية بعنوان : (غزة، بداية صراع الرغبات..) :

ترى ما الذى يريده رابين من فكرة الانسحاب من غزة، أو ربما الهروب من نار غزة ونار الفلسطينيين، وكيف يكون الحال بعدئذ ؟

لو رجعنا إلى فترة بداية الانتفاضة الفلسطينية، أى ما عرف عالميا باسم انتفاضة الحجارة سنجد أن الإسرائيليين قد اعتقدوا أنها غضبة أطفال وشباب سرعان ما ينطفئ لهيبها، وهذا ما ذكره بالتفصيل الكاتب الصحفى الإسرائيلى (يورام بينور) فى كتابه المعنون (عدوى نفسى) هذا الكتاب الذى أسعدنى الحظ فى أن أجد الوقت لترجمته إلى اللغة العربية، وصدر بنفس العنوان.. وهو يقول..

كان العنصر الأساسى هم الشبان من جيل ما بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م أما هويات أولئك الذين يقودون فقد ظلت سرا حتى الآن، ويظهر أن أولئك القادة من الشبان الذين كانوا قد سجنوا أو أوقفوا فى السجون الإسرائيلية وقد تعلموا الصبر والمعاناة وتربوا على المقاومة ومناهضة العدو، ولابد أن الإدارة العسكرية الأسرائيلية قد علمتهم ذلك دون أن تدرى، ومن المعلوم أن المعاناة تعلم الإنسان الشئ الكثير بل وتصقل المواهب، وهم فى الواقع يدركون أنهم فى حالة حرب مع عدو لا يعترف إلا بالقوة، ومعلوم أنه من خلف الستار فإن الانتفاضة تقاد بواسطة لجان وطنية تعمل دون أن تكون ظاهرة ولا مراسم أو ترتيب أو تنظيم والشئ الوحيد الذى كانت تلك اللجان تعمل عليه هو إعداد عدة هؤلاء الشباب والاهتمام بعوائل من يستشهد أو يعتقل.. انتهى.

ومن المعروف أن الإسرائيليين يدرسون الظواهر والأحداث ويحللون الأسباب والدوافع ولهذا وجدوا بعد فترة من حدوث الانتفاضة أن المسألة أعمق وأكبر من غضب الشباب وإنما هى ثورة شعب ولقد قال نفس الكاتب فى هذا الشأن ما يلى :

فى القدس انقشع غطاء التعايش فورا بعد اثنين وعشرين سنة من وجوده فقد قام الشباب الفلسطينيون برمى الحجارة على جيرانهم اليهود المقيمين هناك وكان على سلطات البوليس أن تقيم الحواجز فى الشوارع التى تربط القدس الشرقية ببقية المدينة وعلى طول الخط الفاصل الترتيبى الذى كان قائما ما قبل حرب سنة ١٩٦٧م ويعرف فيما سبق بالخط الدولى وقد أقيمت نطاق مسلحة فى الممرات وكانت جاهزة لمنع الشباب العرب الذين يحاولون مهاجمة جيرانهم اليهود ووصف ذلك الأجراء ضابط إسرائيلى كبير على أنه إجراء احتياطى مؤقت ولا يعنى عزل المدينة عن بعضها، وكانت السلطات الاسرائيلية المسؤولة قد واجهت ذلك الانفجار على أنه مفاجأة كاملة، ويمكننا القول إن الإنسان كان يجب أن يكون أعمى أو غبيا جدا بحيث لا يرى أو يفهم ما كان آتيا، ولكن الحقيقة أن أولئك الناس قد فوجئوا وهم غير مستعدين وهذا يظهر فى الأوامر المتضاربة التى صدرت للجنود عندما كلّفوا بمواجهة ذلك الحدث فى الأراضى المحتلة قبل أن يرسلوا لقمع الاضرابات.. انتهى كلام الكاتب الإسرائيلى.

أما نحن العرب فقد اندفعنا كالعادة وراء مشاعرنا وعواطفنا ثم سرعان ما بدأنا نفكر فى كراسينا وامتيازاتنا وبالتالى تحولنا من العام إلى الخاص وبدأنا من جديد فى البحث عن مصطلحات فى لغتنا الشاعرية الواسعة لنقدمها ملفوفة

فى ورق (سلوفان) وكل منا لا ينظر إلى أبعد من أنفه وتبارت أجهزة إعلامنا فى نشر وإظهار صور ثوار الحجارة وهم يناضلون ضد القوات الإسرائيلية المدججة بالسلاح، وفجأة ظهر ما يدل على أن هناك قيادة موحّدة لتلك الثورة التى انفجرت فى الأرض المحتلة ومن الذى قال ذلك ؟ إنه بالتأكيد الإعلام الإسرائيلى وقد تحدث ذلك الإعلام عن أجهزة إسرائيل التى لم تتمكن من معرفة تلك القيادة، وبعد فترة حدث أن أولئك الثوار قد تحولوا إلى قتل رفاقهم الفلسطينيين وقيل أن أولئك كانوا متعاونين مع العدو، ثم ساور قيادة منظمة التحرير الشك والخوف من أن تكون تلك القيادة فى الانتفاضة هى البديل عنها وأنه قد يحدث الخلاف والاختلاف ويسحب البساط من تحت أقدام منظمة التحرير (وهى ربما محقّة فى ذلك) فصارت تزاحم وربما تزايد حتى أن أحد المسؤولين فى المنظمة قال بالحرف الواحد (إننا نوّزد ثورة الحجارة حتى بالحجارة التى يقذفها الشباب على جنود إسرائيل) وكان هذا الكلام قد قيل فى ندوة عقدت بالقاهرة فى مناسبة مرور السنة الثانية على قيام الانتفاضة، وهكذا بدأ الإعلام الإسرائيلى يلمّع بعض الوجوه (ونحن لا نشكك) وإنما ندلل على بعض الأحداث التاريخية، وأذكر أننى قرأت مقالا طويلا فى جريدة (جيروسلم بوست) كتبته ابنة الجنرال (موشى دايان) وتدعى (ييل دايان) تحدثت فيه بإطناب عن السيد فيصل الحسينى وقالت أنها تتمنى أن يكون رئيسا لفلسطين المستقبل وهاجمت بشدة حكومة إسرائيل وقتئذ التى كانت برئاسة مناحيم بيجن، وقالت بكل وضوح أن الوقت قد حان لكى نعترف للشعب الفلسطينى بحقه فى الوجود وبدولته الوطنية المستقلة، ومنذ ذلك الوقت جرت أشياء كثيرة والتقى العرب جميعا بالإسرائيليين فى مفاوضات قيل أنها من أجل السلام..

وتعددت اللقاءات وتحدث الناطقون الرسميون، عرفنا اسم الناطقة باسم المنظمة وتدعى السيدة (حنان عشراوى) وامرأة أخرى باسم الوفد السورى وغيرهن وأصبحت واشنطون المكان المفضّل لاجتماعاتنا مع أبناء عمومتنا !!

ربما يمكن القول، لا بأس فذلك من أجل السلام ؟ ولكن أبناء العمومة هؤلاء لم يكتفوا باللقاءات والاجتماعات والتصريحات لأن المطلوب أن يحدث الطلاق الفلسطينى بين الداخل والخارج، ثم الطلاق العربى بين الفلسطينيين والعرب مع ضرورة الموافقة على ضمانات القروض الأمريكية لإسرائيل وقد بلغت فقط (عشرة مليارات) ذلك أن إسرائيل لا يمكنها أن تقدم خدمة للعرب دون رشوة أمريكية قد تكون فى شكل أموال تسمى قروض لا ترد أو أنواع متقدمة جدا من الأسلحة والخبرات التكنولوجية، بعد ذلك لابد لأوربا أن تقدم أيضا المساعدات لإسرائيل إذا أرادت السماح لها بالتوسط فى أى موضوع تكون فيه إسرائيل طرفا!!

وهذا حدث مع روسيا الاتحادية التى فرض عليها لكى يكون لها دور كالوساطة مثلا أن تسمح لليهود السوفييت بالسفر إلى إسرائيل وأن تدفع التعويضات وتتبادل التمثيل الدبلوماسى على أعلى مستوى وربما ليس أخيرا أن تتعاون علميا وتكنولوجيا مع إسرائيل، وهذا كله حدث إرضاء لهذه الدويلة بل هى فرضت على بعض الأطراف ومنها روسيا الاتحادية شراء تجهيزات عسكرية من الصناعات الإسرائيلية بما فى ذلك طائرات بلا طيارين !!

ونحن الآن نسأل علم يحصل العرب ؟ ؟..

تعنت رابين مكررا على أسماعنا بأن لا دولة فلسطينية ولا حقوق ولا إنسحاب (علينا أن نسميها لاءات إسرائيل الثلاث) هذه المرة لاءات إسرائيلية

وليست عربية لأن اللاءات العربية ذهبت مع صابها الذى يستطيع أن يفرض وأن يقول (لا) ومع ذلك أسرعنا إلى واشنطون من أجل اللقاء وفى هذا الوقت طردت إسرائيل أكثر من ثلاثمائة فلسطينى من بيوتهم وهم الآن يقيمون فوق قطعة أرض لا هى فلسطينية ولا هى إسرائيلية ولا حتى لبنانية (وربما تدوّل فيما بعد) ولقد كتبنا وتحدثنا كثيرا عن هؤلاء وعن هذا العمل الإجرامى الذى تقوم به إسرائيل ثم نسينا أو تناسينا !!

لا بأس فإن ثلاثمائة فلسطينى أو أكثر حتى لو كانوا من خيرة الكفاءات العلمية الفلسطينية لا يجب أن يعطلوا أو حتى يؤثروا على مسيرة السلام الذى تفرضه إسرائيل حسب معاييرها ورغباتها وشروطها، ألم يقال أن من يهن يسهل عليه الهوان ؟؟!!

والآن ماذا ؟.

نحن نريد أن نذهب إلى واشنطون من أجل اللقاء ومن أجل السلام ولكن رابين يريد شيئا آخر، فلابد أن يتقاتل الفلسطينيون لكى يعطوا للعالم مثالا يحتذى فى التقاتل من أجل الكرسى كما تقاتل المجاهدون الأفغان الذين يقاتلون ضد ما كانوا يسمونه (إلحادا) أى الاتحاد السوفييتى فإذا هم يتقاتلون فيما بينهم عندما ابتعد عنهم الإلحاد!!

نعتقد أن إسرائيل إذا خرجت من قطاع غزة فإن الفأس ستقع فى الرأس الفلسطينية، وهذه (حماس) تستعد وتلك فتح تتهيأ، ويا ساتر، حذارى ثم حذارى، أيها الناس..

***

٢٢- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب بعنوان : (رؤساء ورشاوى..)

هناك مثل إنجليزى يقول (أسوأ الفساد الفساد الأكبر) ومن المؤكد أنه ينطبق على الحكام العرب،حكامنا العرب يتصرفون ويحللون ويتصورون الأمور على قدر فهمهم لنظام الحكم وهو مع الأسف فهم متخلف جدا، ولهذا فهم يعاملون شعوبهم كالقطيع من الأغنام ويحاولون تحذيرهم بكلام وهمى أو كاذب ثم أنهم يحيطون أنفسهم ببطانة فاسدة متملّقة تـزيّن لهم أفعالهم وأقوالهم فيصدقون أنهم عظماء ورجال دولة، ولقد سمعت عن أحد الأمراء العرب من أصحاب النفط أنه بلغ به الهوس حتى أنه كان عندما تمرق طائرة ما فى سماء بلاده يقول لمن معه أنه يعتقد أن الطائرة بها خلل لأن وقع الصوت على أذنيه يدل على ذلك، وما يكاد يمضى بعض الوقت حتى يأتيه أولئك الناس ليقولوا أنه فعلا كان على حق فقد حدث أن الطائرة كان بها خلل فيزداد زهوا حتى أصبحت تلك عادته، وفى التعامل مع الدول المتقدمة يعتقد كثير من الحكام العرب أنهم عندما يمدّون أيديهم إلى أجهزة تلك الدول ليرتشوا مقابل أعمال ومواقف مخجلة إنما ذلك سيبقى سرا محفوظا، ولكن لحسن الحظ أن المتقدمين لم يعد يهمهم الإحتفاظ بتلك الأسرار وكان من العادة أن تقرر دولة ما الحفاظ على الأسرار لمدد مختلفة من الزمن تنشر بعد مرورها بعض الوثائق التى كانت سرا، ويظهر أن المخابرات المركزية الأمريكية قد استّنت لنفسها سنّة أخرى فدرج رجالها على فضح الأسرار مبكرا ربما إبتزازا أو احتقارا ليس فقط للحكام بل أيضا للشعوب التى يحكمها أولئك الذين يبيعون أنفسهم، وكمثال على ذلك نرى الكاتب الصحفى الأمريكى (بوب وود ورد) فى كتابه المعنون (الحجاب) قد فضح أغلب الذين تعاملوا مع المخابرات المركزية الأمريكية وبالاسم , يقول لقد عمل السيد كيسى وهو مدير المخابرات المركزية على

تجنيد رؤساء الدول وبذلك جعل من مدراء المخابرات المركزية فى بلاد أولئك الحكام هم الحكام الفعليون وكانت تلك العمليات توفر معلومات مهمة جدا تقدرها الأجهزة السياسية فى إدارة الحكم مثل وزير الخارجية ومستشار الأمن القومى فى البيت الأبيض، وفى فترة ما كان لدى السيد كيسى اثنا عشر رئيسا أو ملكا على قائمة الأسماء التى تحصل على أموال وحماية، مثلا، الرئيس حسين حبرى رئيس تشاد التى كانت مستعمرة فرنسية وهى تقع جنوب ليبيا وكان قد وصل الحكم منذ سنوات قليلة بمساعدة المخابرات المركزية التى تخّفى رجالها فى ملابس رجال المظلات كجزء من مساعدات الرئيس ريجان الذى أراد أن يدمى أنف القذافى، ولقد كانت القيادة الصديقة فى تشاد عاملا هاما على إشغال القذافى، وهناك الرئيس ضياء الحق فى الباكستان البلد المحاط بأمم غير صديقة والذى يقع فى مكان جغرافى مهم فإيران من الغرب والإتحاد السوفييتى جنوده يحتلون أفغانستان من الشمال، وكذلك هناك اتصال وإن كان صغيرا مع حدود الاتحاد السوفييتى نفسه، ومثل ذلك مع الصين إضافة إلى حدود العدو الآخر أى الهند شرقا وجنوبا وكان ضياء الحق متلهفا على إعطاء فرص أكبر للمخابرات المركزية بحيث يدخّل المظليون لمساعدة الثوار الأفغان عبر الباكستان كما أن السيد كيسى وكذا إدارة الرئيس ريجان حريصان على بقاء ضياء الحق ورغبا أن يعرفا أسرار حكومته من الداخل، وهكذا كانت محطة المخابرات المركزية فى إسلام آباد من أكبر المحطات فى العالم، ثم هناك حاكم ليبيريا السيد صمويل دو ونائبه الأول ورئيس حرسه المقدم موسى فلانزاماتون الذى صار عميلا للمخابرات وأراد أن يستولى على السلطة عندما قاد مجموعة من العسكر ليهاجم رئيسه ولكنه لم ينجح وقد اعترف بروابطه مع المخابرات المركزية وكانت ليبيريا قد تأسست بواسطة العبيد الأمريكيين وهى

أول جمهورية أفريقية، ثم الرئيس الفيلبينى ماركوس وهو أحد أصدقاء أمريكا المهمين وقد سمح لها بإنشاء قواعد بحرية وجوية فى بلاده وكان يحارب تمردا شيوعيا هناك، ثم الرئيس نميرى فى السودان الذى أنشأ علاقات متينة مع الولايات المتحدة الأمريكية وكان يمثل حاجزا آخر فى وجه القذافى فى أفريقيا، ثم هناك أيضا الرئيس أمين الجميل فى لبنان الذى كانت المخابرات المركزية حريصة على ألا يلاقى مصير أخيه بشير الجميل، ثم الرئيس دوراتى رئيس السلفادور الذى زوّدته المخابرات المركزية بكميات من الأسلحة ليمنع وصول اليساريين إلى الحكم فى بلاده وكان من المهم أن يبقى دوراتى حيا وفى الحكم، وهناك عمليات سرية كثيرة التى يعتقد السيد كيسى أنها مهمة جدا ويجب أن تستمر.

من هذا يظهر جليا أن المخابرات المركزية وراء أغلب الانقلابات وعمليات التخريب فى العالم الثالث ومهمتها أن تجند الرؤساء والمسؤولين فى كل مكان، ولكن أولئك الحكام سرعان ما تطيح بهم فى أول مناسبة عندما تتأكد أن مهامهم فى العمالة قد انتهت كحالة شاه إيران والسادات ونميرى وماركوس..

ونسأل: ترى ماذا سيحدث للآخرين فقد تظهر قريبا فى وثائق أو كتب أسماء جديدة، وإذا كنا نعرف أن هؤلاء الحكام لا يهتمون كثيرا بأوضاع شعوبهم فماذا عن التاريخ وما سيذكر بحروف بارزة، ذلك هو الفرق بين الحاكم الذى يظهر من بين صفوف الكادحين وبين الذين يرثون أو يقفزون على الحكم بطريق أو أخرى؟ لذلك فإن المثل الإنجليزى يصدق على هؤلاء، أى أن أسوأ الفساد الفساد الأكبر، وهذا الأكبر هو فساد الحكام، ونحمد الله أن التاريخ لا يهمل والشعوب هى الباقية، ولقد صدق شوقى حين قال :

(شرف العصاميين صنع نفوسهم   من ذا يقيس بهم بنى الأشراف
قل للمشير إلى أبيه وجده   أعلمت للقمرين من أسلاف)

***

٢٣– هذا المقال نشر فى جريدة القبس الكويتية بعنوان: (كم هى مخجلة حالة العالم الثالث) :

العالم الثالث نائم وخامل وهو بحسب كلام زعمائه ينتج ويتقدم، ولكن الزعماء وقد جاءوا بطبيعة الحال جميعا بالطرق الديموقراطية ! يمارسون الكذب ليل نهار وذلك أيضا ينضوى تحت مسمى الديموقرطية على طريقتهم !؟ ولا يعلم إلا الله كيف تسير الأمور فى كثير من البلدان النائمة أو النامية – سيان – ولربما يصدق علينا ما قيل عن عالم كان قد حاول أن يدرس الحالة الاقتصادية فى واحدة من هذه البلدان، بلداننا العربية المظفّرة، وقد ناقش وبحث ودرس وسأل ثم عاد إلى بلاده حائرا ولكنه عندما سئل عن ذلك البلد قال: لقد آمنت فعلا أن هنالك إله وهو الذى يسّير ذلك البلد..

وخلافا لكل حديث شريف وقرآن كريم والدعوة للعمل فإننا لا نعمل حتى قيل أن إنتاجية أحد هذه البلدان أن كل مواطن فيه ينتج فى اليوم الكامل ما يوازى ثلاث عشرة دقيقة وربما فى هذا مبالغة فى الزيادة ؟ ولكن ترى ما هو السبب، أهى الإشتراكية العرجاء أم هى الرأسمالية ؟ ترى هل هى الديكتاتورية أم الديموقراطية أم ماذا ؟؟

الشعوب فى الغالب هى الشعوب، والطموح الإنسانى لا يختلف كثيرا بين بلد وآخر وقد تأكد علميا وعقليا أنه لا علاقة إطلاقا بحالة الطقس فيما

يتعلق بالانتاج، وهذه مثلا الشعوب الصفراء وهى التى عرف عنها الانضباط والاقتصاد والنظام والدقة، ترى هل يستوى اليابانى مع الكورى أو الصينى، بل هل يستوى الكورى الشمالى مع الكورى الجنوبى والصينى فى بكين مع الآخر فى هونج كونج؟

مناسبة هذا الكلام ما أعلنه رئيس وزراء اليابان منذ أيام إذ وجه نداء إلى مواطنيه يقول فيه، إن اليابانى مجد أكثر من اللازم وأنه يحتاج إلى مزيد من الراحة والترفيه ولهذا فقد اتخذت الحكومة اليابانية قرارا بجعل أيام العمل فى الأسبوع خمسة أيام فقط إضافة إلى تقليل ساعات العمل فى تلكم الأيام الخمسة، ولقد كانت ومازالت الولايات المتحدة الأمريكية تضغط على اليابان لكى تفتح أسواقها للمنتجات الأمريكية رغبة فى تعديل الميزان التجارى لأنه منذ أكثر من ربع قرن يميل بشدة فى صالح اليابان، بل أن الكونغرس الأمريكى كان قد هدد بفرض قيود على المنتجات اليابانية التى تغزو أسواق الولايات المتحدة..

ولقد استجابت اليابان للطلب الأمريكى ومع ذلك فإن الميزان التجارى مازال فى صالحها ولم تستطع المنتجات الأمريكية منافسة الإنتاج اليابانى لا فى أمريكا ولا خارجها رغم النفوذ السياسى الأمريكى فى العالم حيث كان إنتاج اليابان يتفوق كما ونوعا، وإذا نظرنا إلى وضع النظم الاشتراكية وما حدث لها فى الوقت الذى يقارب فيه القرن العشرين على الإنتهاء يتأكد لدينا أن هناك خلل ما قد صاحب التطبيقات الإشتراكية بحيث تحجّرت ثم انكمشت ثم تهشّمت، وهذه ألمانيا الشرقية التى كانت تسمى جمهورية ألمانيا الديموقراطية وتملأ الدنيا صراخا لتلفت الانتباه إلى نظامها الراسخ وتطورها الصناعى

والزراعى تتحول فى أول استفتاء شعبى حر قيل أنه أول استفتاء فى تاريخ الشعب الألمانى – على عهدة الإعلام الغربى – ها هى قد تحولت إلى مقاطعة تابعة لألمانيا الغربية ذات النظام الرأسمالى وإلى وقت قريب كان الألمان الغربيون يقولون إنهم مغلوبون على أمرهم بسبب النفوذ الأمريكى والتدخل الأمريكى فى كل شئ، وإذا بهم فجأة عملاقا إقتصاديا مبهرا، وهذه الدول الاشتراكية الأخرى فى أوربا الغربية تلغى أحزابها الشيوعية المناضلة وتلعن سلسفيلها، ومن هنا كان الأمر يحتاج منا جميعا إلى مزيد من التفكر والتذكر إذا أردنا أن نتقدم ولو ببطء.

نحن فى العالم الثالث نبدد ثرواتنا لأننا نبنى المصانع بلا صناعيين ولا كوادر فنية ولا مواد خام، ونقيم المزارع بلا دراسات جدوى ولا تخصصات زراعية، ونشترى الأسلحة من الغرب والشرق والشمال فقط لأننا نريد أن نكدّس تلك الأسلحة ثم نستعرضها فى المناسبات التاريخية التى نهلل ونفخر بها كذبا، وفى نفس الوقت نحن نهمل البحث العلمى والتعليم العالى التخصصى وكذلك التربية والتعليم من أساسها ثم ترانا نردد الجمل الرنانة ونرفع شعارات دون فائدة أو محتوى، أما أس الأساس فى رزايانا فتلك هى قضية الحرية وهى بيت القصيد مما نحن فيه..

اليابان تقدمت لأن النظام ديموقراطى ومستقر ومثال على الديموقراطية أولئك المسؤولين الذين أسقطوا بسبب الرشوة أو الفضائح الأخرى بينما فى كل بلدان العالم الثالث وخصوصا العربية منها هناك مئات الأضعاف من الفضائح والرشاوى ولكن لا أحد يستطيع الحديث أو حتى الإشارة إلى ذلك بإصبعه لأن الحاكم يسيطر ويقمع طالما أنه جالس على كرسى الحكم ويقبض

على رقاب الناس، وذاك شاوشيسكو الذى كان يقول عنه شعبه قبل أن يقتل بثلاثة أيام فقط أنه روح رومانيا وضمير العالم وإذا به لصا ومرتش ومهرّب، والواقع أن الاستقرار فى أى بلد يتمثل فى المنهج الذى يقوم عليه البناء الإقتصادى والزراعى والصناعى والسياسى (تعليم وبحث علمى وصحة إلخ...) وهناك آلاف من أمثال شاوشيسكو فى العالم الثالث وبالتالى لن يتقدم ما لم تتحقق فيه الحرية وحقوق الإنسان والديموقراطية.. قولوا آمين..

***

٢٤- المقال نشر فى جريدة صوت العرب بعنوان : (الحرية وحقوق الإنسان..) صدق الشاعر العربى حين قال..

(أقسمت ألا أموت إلا حرا   وإن رأيت الموت شيئا نكرا)

وهذا القسم لابد أن نردده دائما إذا كنا فعلا نعشق الحرية وبرغم أن الموت ليس محببا كما يقول الشاعر ولكن الذى يطلب الحرية لا يموت لأنه وإن قتل لابد أن يحيا فى وجدان وضمير أمته، وهذا ما حدث فعلا مع مناضلى ثورتنا العربية فى الجزائر عندما تنادوا وكانوا يرددون (قد عقدنا العزم أن تحيا الجزائر) وهذه الجزائر الآن حرة مستقلة، وقد مضى من الوقت على ترديد تلكم العبارات خمس وثلاثون سنة، وخاض الشعب العربى فى الجزائر حربا ضروس امتدت سبع سنوات ونصف السنة وهى حرب لم تكن متكافئة مع ما لدى العدو المستعمر من عتاد وأسلحة، نعم تحررت الجزائر بعزيمة وسواعد أبنائها وإن كانت بعد الاستقلال قد نكبت بمرض العالم الثالث (حكام ظلمة سراق لا يتخلون عن الحكم إلا بالدم مع استثناء بن جديد)..

نضال الشعب الجزائرى كان طويلا وقدم فيه هذا الشعب أكثر من مليون شهيد وشهيدة (ذلك أن المرأة الجزائرية كانت تناضل مع شقيقها الرجل الجزائرى) ضد المستعمر الفرنسى الذى كان يحرق الأخضر واليابس ويقتل ويدمر دون تمييز من أجل ترسيخ مقولة الجزائر فرنسية متناسيا عن قصد أن الشعب الجزائرى عربى اللسان مسلم العقيدة عصى لا يلين وقد ناضل باسم العروبة والإسلام طيلة قرن ونصف القرن للحفاظ على الهوية والعقيدة واللسان وما كان له أن يموت إلا حرا إذا كان لابد من الموت، وبعد أن نالت الجزائر استقلالها الوطنى معمدا بدم أبنائها شقت طريقها من أجل البناء والعمل الوطنى والقومى مستهدفة تعويض الجزائريين عما فاتهم حيث كان الاستعمار الفرنسى قد حوّل الجزائر إلى مستعمرة متخلفة إذ فرض عليها الجهل بإبعادها عن تواصلها مع محيطها العربى ومحاولة القضاء على لغتها العربية، وبعد الاستقلال كان لابد من تبنى برامج طموحة.منها مسؤولية النضال القومى الذى كانت تخوضه الأمة العربية ضد الغزاة الصهاينة والمستعمرين الجدد، وكانت الأمة العربية كلها قد ساندت الثورة الجزائرية بكل ما تملك من إمكانيات مادية وعسكرية وسياسية وهو بطبيعة الحال واجب قومى، وكانت فرنسا فى ظل السياسة الهوجاء على عهد رئيس الوزراء (جى موليه) قد ارتأت أن تدمير الجزائر بالقوة العسكرية لا يكفى فذهبت بعيدا لتشترك فى مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر جمال عبدالناصر، وكان جى موليه فى ذلك الوقت يقول أن مقتل الثورة الجزائرية فى مصر بل وفى القاهرة، ولكن القاهرة بقيت صامدة يرتفع من ارضها صوت الله وصوت جمال عبدالناصر ولقد انتصرت الثورة الجزائرية بإرادة أبنائها وانتهى الاستعمار الفرنسى القبيح

الوجه والفعل، كما انتهى ذلك العجوز الفرنسى الذى كان يفكر بعقلية القرن الثامن عشر ويتبع سياسة المدافع والقرصنة..

كان انتصار الثورة الجزائرية انتصارا للأمة العربية، ولقد مرت الجزائر بما يمكن أن يسمى ثلاث مراحل من نظام الحكم فالفترة الأولى هى فترة وهج الثورة وقطف ثمرة النضال وإن كان قد حدث فيها خلاف بين قادتها عندما انقلب هوارى بومدين على أحمد بين بيلا، وكانت المرحلة الثانية هى مرحلة البناء وتضميد الجراح والتطوير الاجتماعى والصناعى والسياسى والثقافى وعرفت بمرحلة التعريب وفى هذا ما يذكر بكل تقدير للرئيس هوارى بومدين رحمه الله رغم أنه فى مجال التصنيع قد ارتكب بعض الأخطاء ومنها الدخول فى مسار التصنيع الثقيل دون دراسة جيدة وتخطيط دقيق مما عطّل بعض المشاريع الأخرى كالخدمية والزراعية التى كان يجب أن تكون لها الأولوية، ثم بدأت المرحلة الثالثة وهى الحالية وقد اتسمت بالعقلانية والانفتاح المبرمج والتعامل الرزين الهادئ فى القضايا الدولية والمحلية تمثلت فى القبول بإرادة الجماهير وتلمس احتياجاتها وذلك هو الاتجاه الذى يساير سنّة التطور وتأكيد الديموقراطية بالقبول بتعدد الأحزاب وانتهاء احتكار السلطة والعمل على استقرار الدولة بمعناه الواقعى والدستورى والابتعاد عن النظرة الأحادية والقرار الواحد الشئ الذى يؤكد أن القيادة الحالية تدرك ما يجرى ويحدث فى العالم مما أدى إلى الوفاق المغاربى والتصالح الاقليمى..

فى الوقت الذى نذكر فيه الثورة الجزائرية بكل الاعتزاز والتقدير لابد لنا أن نذّكر هذه الثورة المجيدة فى تاريخنا المعاصر بمواقف وتأييد الرئيس جمال عبدالناصر الذى كرس حياته لنصرة كل ثورة وكل حركة تحرير وكان

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

مع المظلومين والمضطهدين فى كل مكان، فتحية لهما، للثورة الجزائرية فى عيدها الخامس والثلاثين ولجمال عبد الناصر الذى سنظل نذكر فى كل أفراحنا وانتصاراتنا.

***

٢٥- المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (السودان إلى أين ؟؟)

لقد كانت وستظل تجربة السودان الديموقراطية راسخة وعميقة فى وجدان الشعب السودانى الذى ضرب أعظم الأمثلة فى مقاومة الدكتاتوريات العسكرية، فقد أسقط الشعب السودانى الحكم العسكرى الأول الذى تزعمه الفريق (إبراهيم عبود) برغم الهدوء النسبى الذى قابل به الشعب بداية ذلك الحكم على أمل أنه ربما يكون وطنيا عاقلا ولكنه عندما عامل السودانيين كما يتعامل جنرالات أمريكا الجنوبية مع شعوبهم نهض ليواجه دبابات عبود وجنوده المدججين بالسلاح فأسقط حكمه ليعيد الحكم المدنى الديموقراطى وإن كان لم يهنأ طويلا فقد ظهر أن النظام الديموقراطى لم يستطع التغلب على المشاكل الاقتصادية والأمنية فى ذلك البلد لإسباب كثيرة وعديدة لعل أهمها، أن هناك قوى خارجية لا تريد للعالم الثالث نظما ديموقراطية وهكذا حدث الانقلاب الثانى الذى قاده الفريق جعفر نميرى الذى صار فيما بعد مشيرا مع عدد من الألقاب الأخرى، ولقد جاء هذا فى زمن كانت فيه هزيمة سنة ١٩٦٧م تخيم على كل ما عداها فى الوطن العربى وكاد اليأس أن يعم لولا نتائج مؤتمر الخرطوم الذى سبق انقلاب نميرى حيث ضمد الجراح بإصدار اللاءات الثلاث..

ومع انقلاب نميرى حدث نفس الشئ من جانب الشعب فقد تقبّل الناس التغيير الذى حدث يحدوه الأمل فى حياة أفضل، ذلك أنه بعد الاستقلال والحكم المدنى وفشله فى حل بعض المشاكل وهى مزمنة، حدث الانقلاب الأول الذى جاء يعزف على سيمفونية فشل النظام المدنى ولكنه لم يلبث أن ظهر على حقيقته كنظام عسكرى باطش، وانتهى ليأتى نظام مدنى آخر، وتكرر الشئ نفسه فحدث الانقلاب الثانى وجعل من نفسه قاضيا يحاكم فترة النظام الذى سبقه برمتها ويرفع شعار النضال من أجل الوحدة العربية والاشتراكية وتحرير فلسطين وكان على الشعب والحالة هذه أن يقبل به أملا فى الخلاص إذ إن السودان كان ممزقا تطحن أهله مشاكل الحرب الأهلية فى الجنوب ويخيّم عليهم شبح المجاعة وفقدان الأمل، وقد اتجه السودان فى بداية ذلك الحكم إلى التعامل مع الواقع حيث حقق التعاون الوثيق مع مصر جمال عبدالناصر وتوصل إلى اتفاقية أنهت مؤقتا الحرب الأهلية فى جنوب السودان وقد انفرجت الأزمات الاقتصادية والسياسية نسبيا وبدأت بوادر التكامل والتعاون العربى تعطى بعض النتائج ولكن ذلك لم يطل فقد حدث أن فقدت الأمة العربية جمال عبدالناصر الذى توفاه الله فى وقت عصيب، وتصوّر الفريق نميرى أنه الخليفة المنتظر فهو (كما أعتقد) لا يختلف عن جمال عبدالناصر لأنه قام بثورة فى جنوب الوادى وهو يحكم بلدا مترامى الأطراف وشعبا لا يقل كثيرا فى عدد سكانه عن مصر التى كانت تقود الأمة العربية، وظهر من يؤكد له أنه يمكن أن يكون أعظم من جمال عبدالناصر إذا هو أعاد ترتيب الأمور فى السودان بحيث يمكنه أن يقود ولأن أعلى رتبة عسكرية كانت فى الجيش السودانى هى رتبة المشير فإنه لابد أن يترقى، وهكذا جعل من نفسه مشيرا

عندما أقام حفلا مهيبا فى مقر الاتحاد الاشتراكى الذى أراده أن يكون الحزب الوحيد الحاكم وجمع بين صفوفه المرتزقة والمصفقين، ثم قيل له أن قيادة الأمة العربية تحتاج لمن يتجاوز جمال عبدالناصر ليس فى أمرين فقط، ولأن أغلب العرب مسلمون فإنه لابد أن يكون أميرا للمؤمنين وإذا كان عمر بن الخطاب وهو أعدل العادلين كان يعتمد على القرآن الكريم فإنه لابد أن يكون لأمير المؤمنين النميرى كتابا، فأصدر كتابه الذى أسماه (النهج الإسلامى لماذا ؟؟) وصار يصدر أحكام قطع الأيدى وجلد الناس، وخالف اتفاقية أديس أبابا فالتهبت الحرب الأهلية فى الجنوب من جديد، وكان على الشعب السودانى أن يواجه هذا الدكتاتور الجديد فحدثت انتفاضة أبريل لتسقط النميرى رغم رتبه وألقابه وكتابه ودباباته وهكذا انفض من حوله المنافقون والمصفقون والمرتزقة وعاد الحكم للشعب الذى قام بالانتفاضة وإن لم يستمر طويلا إذ واجه نفس المشاكل والصعاب.

وإذا كان السيد الصادق المهدى قد أخطأ فإن العيب ليس فى الديموقراطية، وحدث الانقلاب العسكرى الثالث وجاء العسكر راكبين نفس الأسباب التى تقول أن الحكم المدنى قد فشل فى حل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى رأسها الحرب الأهلية فى الجنوب، ولكن ما يطرحه الحكم الجديد لا يوحى بأن الحكم العسكرى هذا يختلف عن حكم عبود أو النميرى بدءا من القرار الأول الذى أصدره مجلس ثورة الانقاذ القاضى بإلغاء الحزبية والطائفية والقبلية، فإذا كان من الممكن إلغاء الحزبية فإنه لا يمكن إلغاء الطائفية والقبلية فى بلد كالسودان، وإذا كان الهدف الذى حدث الانقلاب من أجله هو إنهاء الحرب الأهلية فى الجنوب فإن ما يعلنه الآن

الحكم الجديد لا يساعد على حل تلك المشكلة بل ربما يؤدى إلى العكس تماما فقد يحدث أن ينفصل الجنوب وقد تنفجر حروب أهلية وطائفية وقبلية لا يعلم إلا الله نتائجها ولدينا من الأدلة ما يؤكد أن النظم العسكرية المتطرفة فى مطالبها المعلنة تكون نتائجها مدمرة، ولهذا فإننا نتمنى على حكام السودان أن يدركوا أن الشعب السودانى لا يمكن أن يقبل بغير الديموقراطية وأن جنوب السودان لابد أن يبقى جزءا من السودان العربى الأفريقى، وأن اعتقال وسجن قادة الأحزاب السياسية والنقابات العمالية إنما هو عمل طائش لا يساعد على التعاون من أجل إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل السودان، ثم إن الأمة العربية برغم كل الهوان الذى تواجهه فى الظرف الحالى لن تغفر لمن يكون سببا فى انفصال الجنوب عن الشمال، على أننا ندرك أن الشعب العربى فى السودان كفيل بتصحيح كل خطأ مهما طال الزمن لأنه لا يقبل أن تداس كرامته وتُهدد حياته ومستقبله، وإذا كانت الآراء والتوقعات والتحليلات قد اختلفت فى الوطن العربى فيما يتعلق بثورة الانقاذ الوطنى وقادتها فإن جموح البعض من المفكرين والسياسيين فى الإتجاه المعاكس للديموقراطية وتهليلهم للانقلابات العسكرية أو النظم العسكرية لا يخدم السودان ولا الأمة العربية ومستقبل الإنسان فى تحقيق الحرية وسيادة القانون وعلينا أن نتعظ من تجارب القرن الماضى وما عاناه الإنسان العربى من قهر وعبث الانقلابات العسكرية وأحذية العسكر، ولنتذكر أن شركة – ارامكو – رغم العلاقات الوطيدة بين الرئيس شكرى القوتلى والملك عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله لم تتمكن من تمرير خط – التابلاين – عبر الأراضى السورية إلا بعد ترتيب انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا لأن القرار صار بيد فرد واحد بعد الانقلاب فى حين كان القرار قبل

الانقلاب جماعى نظرا لوجود مجلس نواب ونوعا من القانون والديموقراطية، وهنا فى السودان وهذا الانقلاب العسكرى الثالث على الرغم من أن المشاركين فيه يمثلون شيئا اسمه الجبهة القومية التى يرئسها حسن الترابى أى الإخوان المسلمين فى السودان وهو تنظيم يقوده رجل انتهازى لا يتطلع إلا إلى الحكم وكان قد شارك فى حكم نميرى قبل الانقلاب الحالى، وعلى أى حال فإننا نتوقع أن ينقلب أحدهما على الآخر إما رئيس الجانب العسكرى أى البشير أو رئيس الجبهة القومية أى الترابى، ومن المؤكد من وجهة نظرنا أن العسكر هم الذين سينقلبون على الجبهة ورئيسها الترابى قريبا..

***

٢٦– هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (الشعب الفلسطينى وحقوق الإنسان فى الوطن العربى) .

انتفاضة شعبنا العربى الفلسطينى فى الأرض المحتلة تؤكد وستؤكد لكل العالم أن حق الشعب الفلسطينى فى أرضه لن يموت وأن هذا الشعب لن يغترب ولن يستسلم، ولعل هناك من اعتقد أن كارثة سنة ١٩٤٨م قد أنهت كيان شعب ليحل محله شعب آخر جئ به من كل أنحاء العالم.، ولقد سخّرت الصهيونية كل إمكانياتها المالية والدعائية لتقول للعالم أن شعب الله المختار قد رجع إلى أرضه التى سيبعث منها حضارة وعلم وصناعة، وأن ارض فلسطين مهد الديانات السماوية هى أرض بنى إسرائيل وكان يمكن أن تقدم للعالم رسالات أخرى ربما تكون حضارية وثقافية لولا أن العرب قد سكنوها وهكذا تأخرت!!

وإن كنا لسنا فى حاجة لمناقشة هذا الادعاء لأنه باطل من الأساس فإننا على يقين أن شعبنا لا يموت وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية وهى التى غرست إسرائيل فى أرضنا قد أرادت مع شريكتها فى الجريمة (المملكة المتحدة) بأموالها وأمكانياتها أن تهّجر الشعب الفلسطينى من أرضه بحيث ينقرض باندماجه مع شعوب أخرى ربما أمريكية أو أسترالية أو كندية إلخ... فإن هذه الانتفاضة الرائعة قد أكدت العكس تماما، وبالمناسبة فقد تذكرت قصة صديق فلسطينى كنت التقيت معه فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن وكان يدرس الأدب الإنجليزى هناك، قال لى أنه فلسطينى من طولكرم وأنه من أجل لقمة العيش لجأ إلى المملكة العربية السعودية بعد أن فقد أسرته كلها سنة ١٩٤٨م وما بعدها وكان لا يحمل إلا شهادة متوسطة وقد عمل هناك كمدرس فى مدرسة ابتدائية لمدة ليست طويلة ثم قرر أن يجّرب حظه للدراسة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأنه عندما وصل شيكاغو لم يكن يملك أكثر من ثمانية عشر دولارا ولا يعرف إلا بضع كلمات من اللغة الإنجليزية، لغة أهل البلاد، وكان عليه أن ينام تحت جسور السكك الحديدية لفترة طويلة وحتى أثناء فصل الشتاء، وشيكاغو معروفة بالثلوج خلال هذا الفصل، ولقد ابتدأ العمل فى مطعم صغير مهمته غسل الصحون فقط وكان يأكل من الفضلات، ثم سعى ليلتحق بالجامعة هناك واستمر يعمل بالمطعم، ومع كل ذلك كان يحلم بالعودة إلى أرض الآباء والأجداد ويأمل أن يقف ذات يوم أمام قبر والده الذى أغتاله اليهود ليقول له ها قد عدنا يا أبى، عدنا إلى أرضنا.. هذه المرة الأولى التى التقيته فيها، وكانت المرة الثانية بعد أربع سنوات وكان قد تفرغ لتحضير رسالة الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى

وقد تحسنت أحواله وصار يعيش فى بيت محترم ويأكل ما لذ وطاب (حسب تعبيره) وإذ لم أجده خلال المرة الثانية هذه يتحدث كثيرا عن فلسطين وأرض الآباء والأجداد فقد اعتقدت أنه ربما كان للحياة الأمريكية تأثيرها كما أن لها طعمها ولونها وبهجتها، ومضت عشرون سنة عندما التقيته المرة الثالثة، وهذه المرة لم يكن اللقاء فى الولايات المتحدة الأمريكية وإنما فى بلد أفريقى لمناسبة انعقاد مؤتمر بشأن القضية الفلسطينية وتعرفنا صدفة إذ كنا نجلس فى فترة المساء لنتحدث عن شئون وشجون الأمة العربية مع مرارة الفشل العربى والخلافات العربية، وجدت فى الرجل حماسا كبيرا بين كل العرب الموجودين وكانوا من مختلف البلاد العربية مما جذبنى إليه فى حديث طويل وهكذا فهمت أنه ذلك الطالب الذى ألتقيته فى شيكاغو، وبعد سلامات وقبلات وحديث عن الأيام الخوالى والدراسة فى ظل تلك الظروف الصعبة قال لى أنه صار أستاذا مرموقا فى واحدة من الجامعات الأمريكية الشهيرة وله أربعة أبناء ذكورا وأنه لم يتزوج إلا بعد أن وجد شريكة العمر وهى فلسطينية من غزة ثم أنه كرّس كل وقته للقضية الفلسطينية وهو يشارك فى أغلب الأنشطة المتصلة بقضية بلاده وأهله فى كل مكان وأنه يتمنى أن يدفن قرب قبر أبيه فى أرض فلسطين..

كان يقول أن الشعب الفلسطينى فى الداخل سيثور ليرغم العالم كله على الاعتراف بحقوقه الوطنية، وكان يتحدث باعتزاز عن الشعب العربى الفلسطينى الذى يقيم فى مخيمات اللاجئين والذى تكالبت عليه كل القوى ولكنه لم ينهزم وسوف لن ينهزم أو يفقد إرادته وحب أرضه..

والآن عندما انفجرت ثورة الشباب الفلسطينى فى الأرض المحتلة ولم تكن لدى هؤلاء الرجال الشباب غير حجارة أرضهم وما كان لإسرائيل أن

تدمغهم بالإرهاب أو أنهم يعملون لصالح دولة أخرى، فى هذا الوقت وقد تحققت نبوءة ذلك الفلسطينى تمنيت أن ألتقيه ولو عبر مكالمة تليفونية لأقول له لقد صدقت وتأكد أن شعبنا العربى الفلسطينى حى لا يموت ولا يفرط ولا ييأس ولا ينهزم ولا يباع فتحية ولو من بعيد لذلك الصديق الفلسطينى الذى لم يفقد الأيمان..

***

٢٧- المقال نشر فى مجلة الموقف العربى القاهرية بعنوان: (فقراء العرب وأمير الكونترا) !!

أمير الكونترا (بندر) سفير المملكة العربية السعودية فى واشنطون وهو فيما كنا نتوقع من جيل بعث الأمة العربية التى نامت طويلا، وهذا الجيل لابد أن يكون قد تأثر بمد القومية العربية الذى قاده جمال عبدالناصر حتى لو كان من أسرة مالكة وغنية، وهو أيضا ابن الرجل القوى وزير الدفاع السعودى، ونعرف أن بندر هذا صديق ربما مخلص للسيد (ماكفرلن) الذى يقدم لإسرائيل كل شئ بدءا من المعلومات التكنولوجية إلى صور الأقمار الاصطناعية الأمريكية بواسطة السيد (وليام كيسى) مدير المخابرات المركزية، وماكفرلن فى مقابل ذلك يقدم بعض الكلمات المنتقاة باللغة العربية إلى الحكام العرب الذين يلتقى بهم من وقت لوقت، ولسنا نهتم بصداقة الأمير بندر للسيد ماكفرلن إذ إن ذلك جانب شخصى ربما يكون فى أحوال ما مفيدا، أما وأن يكون أمير الكونترا بندر هو الذى ينظم المساعدات المادية التى تقدمها المملكة العربية السعودية لعصابات الكونترا فى نيكاراقوا عندما عجز الرئيس ريجان عن إقناع الكونغرس الأمريكى بتقديم مساعدة مالية مقدارها أربعون مليونا من

الدولارات وطلب من المملكة تقديم الأموال تلك لهذه العصابات التى تقاتل الحكم التقدمى فى بلادها وأن يكون الأمير بندر هو المنسّق والمبرمج فذلك يؤلمنا لأن الأمير فى نهاية الأمر عربى ومسلم حسب علمنا..

الرواية ليست من عندنا حتى ربما يقال أننا نتجنى على الأمير وعلى بلاده وإنما هى من المصادر الأمريكية نفسها، ولقد قال المصدر الأمريكى أن السعودية وإسرائيل هما البلدان اللذان قدما مساعدات فى وقت الأزمة التى واجهت الرئيس ريجان بشأن المبلغ الذى كان مفترضا لعصابات الكونترا التى تقاتل قوات الحكومة فى نيكاراقوا (وكلمة عصابات هى أيضا من المصدر الأمريكى ووردت عدة مرات فى مداولات الكونجرس الأمريكى) وإن كانت إسرائيل قد حصلت على تسهيلات مقابل ذلك فى شكل معلومات بالأقمار الاصطناعية فإن السعودية لم تحصل إلا على كأس ويسكى تناوله أميرها مع السيد ماكفرلن فى مكتبه الخلفى، إضافة إلى أن إسرائيل برغم كل ما حصلت عليه من شكر ووعود أصّرت على أنها لابد أن تحصل على ثمن أسلحة أخرى لإيران متمثلة فى صواريخ (تاو) الأمريكية التى رأت أن تقدمها نيابة عن أمريكا حيث برز الثرى السعودى عدنان خاجيقجى ليدفع خمسة ملايين دولار عندما اتصل به رجل الأعمال الإيرانى المدعو (جوربانيفار) وهكذا تم تزويد إيران بعدد (٥٠٨) صاروخ تاو المضاد للدروع..

ونعود لقصة الأمير بندر التى رواها الصحفى الأمريكى (بوب وود وارد) فى كتابه الذى صدر بعنوان (الحجاب) فقال، العلاقات بين المخابرات الأمريكية والمخابرات السعودية كانت بشكل عام جيدة ويرجع ذلك إلى عهد الرجل الغنى جدا (كمال أدهم) الذى كان يرأس المخابرات السعودية والذى

والذى ضمن للرئيس السادات دخلا ثابتا عندما كان السادات نائبا للرئيس سنة ١٩٧٠م وإن كان من المتعذر فيما يخص السادات معرفة متى انتهت مصالح السعودية ومتى بدأت مصالح الولايات المتحدة الأمريكية معه، ولقد حدث أن السيد (تشارلس كوهين) عندما كان يترك قسم الشرق الأدنى سنة ١٩٨٤م قد أشار فى حديث ودى بمناسبة حفل الوداع مع الأمير بندر إلى المتاعب التى تواجه السيد كيسى فيما يتعلق بالمساعدات للكونترا وتحدث عن ما كتب فى صحيفة الواشنطون بوست من أن السعودية قد تقدم مساعدات للكونترا وسأل الأمير ما إذا كان ذلك صحيحا وهل السفارة السعودية هى مصدر الخبر ؟؟ أجاب الأمير بالنفى، وعاد كوهين ليقول ان الكونترا تحتاج إلى مبلغ ٢٠ – ٣٠ مليون دولار وهو مبلغ ضئيل (نفاية) فقال الأمير بندر أنه سمع بذلك ولكن المساعدة لم تطلب رسميا ووعد بأن يستطلع رأى المصادر العليا فى الرياض ليعرف ما إذا كان هناك رغبة فى المساعدة ؟ ويقول الكاتب الصحفى الأمريكى، استلم الأمير بندر خلال أيام ردا كان نصه :

إن المخابرات المركزية لم تقدم شيئا فى مقابل ذلك أو على الأقل أنها لم تقدم طلبا بالخصوص..

إن السياسة السعودية فى وسط أمريكا على خلاف مع الولايات المتحدة الأمريكية ذلك أن حكومة (الساندانيستا) فى نيكاراقوا مبدئيا مع العرب بينما النظامين اللذين تساندهما الولايات المتحدة فى (كوستاريكا والسلفادور) قد تحولا ضد السياسة العربية ونقلا سفارتيهما فى إسرائيل من تل ابيب إلى القدس..

إن السعوديين ليس لديهم ثقة بأن السر يمكن أن يحفظ بإدارة الرئيس ريجان وأن مساعدات سعودية فى العمليات السرية سوف تتسرب وبالتالى

سوف يحرجهم ذلك، هذا ما ورد فى الرد، وقام الأمير بندر بإبلاغ المخابرات المركزية وقال طالما أن المسألة كلها استطلاع رأى فإن المخابرات المركزية لم تطلب رسميا ولا كانت المملكة قد رفضت رسميا، ويضيف الكاتب (بوب وود وارد) لقد استمرت الاتصالات مع الأمير وكان السيد ماكفرلن هو اقرب قناة إلى الرئيس وهو صديق الأمير بندر وذات مساء بينما كانا يتناولان كأسين تحدث ماكفرلن فى الأمر ووجد أن الأمير متطوّعا للمساعدة برغم أنه لاحظ بعجب كيف أن الولايات المتحدة لا تفى بالتزاماتها، وقال أن السعودية سوف تتبرع بمبلغ ٨ إلى ١٠ ملايين دولار للكونترا على أن يدفع مليون دولار كل شهر، ولما كان الأمير لا يريد أن تسجل مكالماته فقد أرسل إلى الملك فهد رسالة محمولة، ويخلّص (بوب وود وارد) إلى القول: إن الأمير ذهب بنفسه لاستلام شيك بمبلغ ثمانية ملايين دولار ورقمه (٤٨–٥٤١) فى البنك الدولى بجزيرة (كليمان) وفى يوم ٢٧ يونيو وصل الأمير بندر إلى جنيف وطلب أن يأتيه أحد المسؤولين من مؤسسة البنك السويسرى فى بيته بجنيف حيث سلمه شيكا بمبلغ ثمانية ملايين دولار وطلب أن يحول إلى حساب الكونترا على أساس مبلغ مليون دولار كل شهر على أن يوضع المبلغ كله فى الحساب العام بالبنك السويسرى كيلا يعرف أحد المصدر الأساسى ...

هذا ما أورده الكاتب الصحفى الأمريكى (وود واد) فى كتابه (الحجاب) الذى نشر على العالم كله، ولسنا فى حاجة إلى قصص المساعدات السعودية الأخرى التى أشار إليها مؤلف الكتاب ولكننا نسأل، الأمير بندر ما إذا كان ضميره مرتاحا وهو السفير الذى يتنقل من واشنطون إلى الرياض إلى جنيف من أجل مساعدة عصابات الكونترا بينما لم يكلّف نفسه حتى مجرد

السؤال عن الجوعى فى عدد من الأقطار المسلمة، وفى كتاب الصحفى الأمريكى أشياء كثيرة لابد أن تنشر على الرأى العام العربى ليعرف الحقيقة، حقيقة الحكام العرب وأين يذهب المال العربى ؟ أما الأمير السعودى هذا فقد رأيناه مرة أخرى يقول للرئيس بوش الابن قبل أن يغزو العراق أنه يصلى كل صباح من أجل أن يقوم الرئيس بوش الإبن بغزو وتدمير العراق !!وهذا ما ذكره أيضا الصحفى الأمريكى فى كتابه، ونقول لهذا الأمير..

(خطواتكم فى النار بأعمالكم للكونترا..)

***

٢٨- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب بعنوان: (قضية العرب فى المزاد العلنى..) .

فى ندوة ٢٣ يوليو التى أقامها مؤتمر الشعب العربى فى طرابلس خلال النصف الثانى من شهر يوليو ١٩٨٧م استمعت إلى عدد من المتحدثين برغم أننى لم أكن مشاركا فى تلك الندوة، وربما كانت كأى ندوة أخرى تتداخل فيها الأمور ويذهب المتحدثون شتى المذاهب، ولكن الشئ الأساسى فيها حسب اعتقادى الذى لا يختلف عليه اثنان هو القضية الفلسطينية كأرض وشعب، وهى القضية العربية الأولى والمركزية، ولقد آلمنى أن أسمع ممن كان يتحدث فى هذه الندوة التى يعقدها مؤتمر الشعب العربى من أجل القضية الفلسطينية وهو أحد الأخوة الفلسطينيين عندما قال: ضحينا كثيرا وقاتلنا فى كل مكان ولا نريد من يزايد علينا !! وعجبت لهذا القول كثيرا وجعلت أفكر متعجبا لأفهم ما هى التضحية والقتال وكيف تكون المزايدة وعلم ؟؟

وهذا الموقف يظهر القضية وكأنها فى مزاد علنى للبيع والشراء يخسر فيه من يخسر ويربح فيه من يربح، أو تحديدا إن القضية ستكون فى المزاد العلنى !! وإذا كان المتحدث الفلسطينى يقصد بتعبير (ضحينا) كل الفلسطينيين باعتبار أنه يتحدث إلى جمع من العرب فهو على خطأ كبير من أمره، وإذا كان يقصد بهذا التعبير (ضحينا) فصيلا فلسطينيا دون آخر فهو يكون قد وقع فى خطأ أكبر، إن القضية الفلسطينية هى قضية كل العرب، تقدمى ورجعى، مسلم ومسيحى إن صح التعبير وإن بدرجات، ونحن جميعا نعرف أن كل العرب شاركوا فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م وقد جاءوا من كل مكان مشيا على الأقدام (ربما) جميعهم للمشاركة فى الحرب التى أسموها جهادا، وأذكر أن (٥٦٨) ليبيا قد استشهدوا فى ساحة الحرب على أرض فلسطين ولم يكونوا يطلبون شهادة تزكيّة من أحد لأنهم عرب ولأنهم يقاتلون من أجل فلسطين العربية، وربما استشهد أكثر من هذا العدد عربا آخرون من البلاد العربية الأخرى ولم يكن هناك مجال للمزايدة لأن الشعب العربى كان واحدا ولم يكن هناك من يعقد الندوات ويدفع ثمن تذاكر السفر للمشاركة بالكلام والإقامة فى فنادق ٥ نجوم..

لقد كانوا شهداء جاءوا فقط من أجل فلسطين دفاعا عن العروبة والإسلام حيث لم تكن هناك حواجز ولا جوازات سفر ولا مخافر أو تأشيرات أو نفط وضيافات وربما دفع مبالغ من المال نظير كلمات تقال، هكذا كان الحال، ولكن الحديث الذى شارك به الأخ الفلسطينى فى تلك الندوة يجعل المرء يتساءل عن معنى (ضحينا) و (قاتلنا) واتركونا فى حالنا !! وأعرف تماما أن السلاح الفلسطينى كان سلاحا عربيا أو على الأقل إنه تم شراءه بأموال عربية وأن أموال الفصائل الفلسطينية هى أموال عربية، وأن المحنة التى عاشها

الفلسطيني فى لبنان شارك فيها العرب بكل معنى المشاركة، بل إن المقاومة الفلسطينية عندما قرر قادتها الخروج بها من مكانها الطبيعى وطلب منها ألا تخرج اعتبرت ذلك مزايدة كما يقول الآن هذا الأخ الفلسطينى، وبعد الخروج ربما يكون كل القادة الفلسطينيون قد أدركوا مقدار الخسارة بعد ذلك الخروج ولنتذكر فقط (صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة) فهل قال أحد من العرب لقد دفعنا أموالنا واشترينا سلاحا وقاتلنا معكم فاهتموا وحدكم بأنفسكم وكفانا ؟؟

أقول هذا وأنا شاهد على أغلب ما دفع من طرف بلادى وعدد ما قدم من سلاح مباشرة وغير مباشرة وكنت مشرفا على كل ذلك حيث كنت سفيرا لبلادى فى لبنان، ونقول أن السؤال مازال وسيبقى حائرا، من الذى يزايد وعلم ؟؟

فهل يستطيع أى حاكم عربى أن يقول ليس هناك قضية فلسطينية أو حتى يقول لا علاقة لنا بالقضية الفلسطينية برغم أنه قد يضمر ذلك ؟؟

وإذا كنا لسنا فى مجال الحديث عن الحكام العرب أو قادة الفصائل الفلسطينية فلماذا نتحدث باسمهم فى مؤتمر الشعب العربى وهذا الشعب هو الزاد الحقيقى للثورة الفلسطينية ؟؟

ربما فهمت خطأ أو لم أسمع جيدا لكننى أعتقد أنها دعوة ضد العمل العربى الموحّد بل وضد القضية الفلسطينية ذاتها تلك الكلمات التى نطقها فلسطينى فى مؤتمر للشعب العربى..وتبقى الثورة الفلسطينية كما قال عنها جمال عبدالناصر ولا يضيرها مثل هذا الذى يمكن أن يكون فلسطينيا بالاسم فقط !!

***

٢٩- هذا المقال نشر فى مجلة الموقف العربى التى كانت تصدر بقبرص بعنوان: (وسلاما أيها العرب..) .

عندما زرت المقبرة الجماعية فى ضاحية مدينة لينينغراد، هذه المدينة التى دفن على أرضها نصف مليون مواطن تقريبا جماعيا بين مدنى وعسكرى ماتوا إما بسبب الجوع والبرد أو بسبب القصف الجوى والأرضى الهتلرى، تذكرت الثورة الفلسطينية وتذكرت لبنان وبيروت ولماذا أبرق العقيد القذافى رسالته التاريخية الشهيرة إلى قادة الثورة الفلسطينية قائلا، لا تخرجوا من بيروت، إن خروج الثورة الفلسطينية من بيروت يساوى إخراجنا من حجرات زوجاتنا..

تذكرت المعنى الحقيقى لتلك البرقية أو الرسالة التى أبرقت إلى قادة الثورة وقت الشدة، لا تخرجوا ولكنهم خرجوا وما أصعب ذلك الخروج الذى يعدّ هروبا، ولست بهذا أقلل من قدرة المقاتل الفلسطيني ولا من صمود وإمكانيات بيروت وتضحيات المواطن العربى اللبنانى، لقد كان يمكن أن تكون بيروت لينينغراد العرب، وكان يمكن أن تكون قيادة الثورة الفلسطينية فى بيروت كقيادة الحزب الشيوعى السوفييتى فى (سمونلى بلينينغراد) وكان يمكن أن تكون كل الأمة العربية، كل قيادات الأمة العربية ككل قيادات الحزب الشيوعي السوفييتى فى كل الاتحاد السوفييتى..

لست أبالغ ولا أتحدث عن خيال ذلك أن الشعوب التى تريد الحياة الكريمة لابد لها أن تضحى والدليل على ما أقول هو كالآتى :

عندما زرت المقبرة الجماعية اطلعت على وثيقة وضعت فى المتحف الصغير الذى يقع فى الجانب الأيسر من المدخل الرئيسى، هذه الوثيقة تقول إن المقبرة كانت تستقبل بين خمسة إلى ستة آلاف وفى بعض الأحيان عشرة آلاف

قتيل أو ميت فى كل يوم، وفى المدخل الرئيسى هناك متحفان صغيران أحدهما على يمين المدخل والثانى على اليسار ومباشرة فى الواجهة بعدهما هناك الشعلة الدائمة الاتقاد وعلى جانبى الممر الطولى للمقبرة هناك قبور جماعية دفن فيها المدنيون على الجانب الأيمن وبلغ عددهم بالتحديد (٢٠ ألفا) وعلى الجانب الأيسر دفن العسكريون وبلغ عددهم سبعون ألفا، وفى نهاية ممر المقبرة هناك تمثال عال لامرأة تحمل بين يديها إكليلا من الورود وخلف تمثال المرأة بناء قرانيتى عليه أعلام الاتحاد السوفييتى، وفى المتحف على الجانب الأيسر هناك تفاصيل مكتوبة عن الطريقة التى قاومت بها المدينة، يقولون أن جميع الساحات والميادين قد حوّلت إلى مزارع لكى تنتج ما يمكن أن يقتات منه سكان الحى الذى يقع فيه الميدان أو الساحة، وقالوا أن المياه قد تجمدت وانقطعت الكهرباء وتوقّفت السيارات أثناء الحرب فبدأ السكان ينقلون المياه بالطرق البدائية جدا واستمرت المصانع فى الإنتاج الحربى والمدنى فى وقت واحد..

وقالوا إن المدينة كانت تقصف من الجو والبر بشكل كثيف وبآلاف القذائف يوميا، واستمر الوضع على هذا الحال تسعمائة يوم وفى نهاية الأمر انتصرت وانتصر بها ومعها الاتحاد السوفييتى..

أوردت هذا الكلام لأؤكد أن بيروت كان يمكنها أن تصمد وأن تستمر وأن الثورة الفلسطينية كان يمكنها أن تبقى وأن العرب، كل العرب، ما كان أمامهم من خيار إلا المساعدة والدعم والتطوع للقتال ذلك أن فلسطين فى وجدان وذاكرة كل عربى من سنة ١٩٤٨ م حيث قاتل شباب العرب فى كل موقع على أرض فلسطين، كان يمكن تحقيق النصر أو حتى الموت دون الهروب من الميدان، لقد عشت فى بيروت فترة الحرب الأهلية وبرغم القصف

العشوائى المكثف ومئات القنابل والصواريخ التى تتساقط من السماء فى كل وقت، وكانت كذلك المياه تنقطع والهواتف تتوقف والطرق تدمر والإمدادات تتوقف عن الثورة الفلسطينية ويقل الغذاء والذخائر ولكن بيروت كانت تنتج ما يسد الحاجة أو بعض الحاجة وكان يمكن أن يتطور الإنتاج فى كل شئ بإرادة الرجال والرغبة فى الصمود والتصدى ثم تحقيق النصر وصون الكرامة، كل شئ كان ينتج محليا، كانت الحركة الوطنية اللبنانية سندا دائما وقويا وحليفا صادقا للثورة الفلسطينية، وما كان يمكن أن تخور القوى ولا أن ينتهى التحالف أو أن يضعف الحليف أو تشتكى هذه المدينة رغم أنينها وتوجّعها، ولكن هل كانت هناك العزائم ؟ هل كان هناك التصميم ؟ هل كان هناك الصدق ؟..

مع الأسف خرجت الثورة الفلسطينية من بيروت وبعدها حدثت المذابح، وصار الفلسطينى، كل فلسطينى لاجئا، وصار العرب، كل العرب مهزومين ويا ويلاه، لقد ذبحت الثورة الفلسطينية، أو هى ذبحت نفسها بالهروب وبدأ سلخها الآن وضاعت تضحيات كثير من الرجال والنساء، ولكن، هل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟؟!!

وسلاما أيها العرب...

***

٣٠ – هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان متشائم: (إن كنت تعرف فتلك مصيبة وإن كنت لا تعرف فالمصيبة أكبر ؟)

هذا ينطبق تماما وحرفيا على وضع العرب الآن، فنحن نلهث وراء السيد (ريجان) وزياراتنا متكررة للبيت الأبيض فى واشنطون وأموالنا توضع

فى بنوك أمريكا وتستخدم استثمارا أو تآمرا وتسليفا أو رشوة فى كل مكان بواسطة الأمريكان، ونحن نهلل ونفرش الأرض بالزهور تكريما لأى زائر أمريكى يأتى ليصفعنا على وجوهنا تأديبا على تصرف ما قد لا يكون مقصودا أو تأنيبا على عبارات قد تكون عاطفية جاءت فى كلمة أو خطاب بمناسبة وطنية أو دينية أغضبت إسرائيل أو أمريكا، وهكذا فإن مصيبتنا كبيرة لأننا نعلم أنهم يتهموننا ويهينوننا كل يوم وفى كل مناسبة وهم يهزأون بنا ويتندرون علينا ومع ذلك لابد لنا أن نعطّر أيدينا عندما نحيّيهم بالمصافحة ومن جانب آخر فهم يزورون إسرائيل فيجدون الصلف والازدراء بل والتحقير ويقبلون كل ذلك من صديقتهم الصهيونية العزيزة (رحم الله السادات فقد استعمل كلمة عزيزى قبل غيره مع كيسنجر اليهودى الأمريكى) أقول يزوروننا وأقصد قادة وحكام وحاكمات الغرب، كل الغرب من أصغر دويلة فيها إلى أكبرها وأقْواها وأعظمها !!

وضمن من زارونا مؤخرا السيد بوش وألقى علينا الدروس، دروسا عن السلام الذى تريده لنا أمريكا وإسرائيل والذى يقابل بالغباء العربى الذى لا يقدّر جهود الولايات المتحدة الأمريكية، أقول زارنا بمعنى أنه زار عواصمنا العربية وسعد حكامنا ببعض صور معه وهو يبتسم وكان يتصرف معنا تصور الكبير القوى الذى يجب أن يطاع ولكنه عندما زار إسرائيل تغيّر تماما حيث نعى الغباء العربى وأشاد بالذكاء والحكمة الإسرائيلية، ومع ذلك استقبلوه بفتور شديد، لم تنشر له صوره واحدة إلا بعد أن وضع القبّعة الصغيرة على وسط رأسه وذهب يقبل حائط المبكى مطأطئ الرأس (باركا) على ركبتيه، وبعد الزيارة عاد إلى واشنطون ففجروا فضيحة بيع الأسلحة الأمريكية عن طريق إسرائيل وطالت التهم أغلب رجال البيت الأبيض إلا بوش فلم ينله منها

شيئا وكان من المتوقع أن يسقط الرئيس ليتولى نائبه الرئاسة للمدة الباقية وبالتالى يكون قد وضع قدمه على أعتاب الرئاسة لأعوام قادمة، لكن الرئيس لم يسقط وربما كان ذلك مقابل صفقة أسلحة متقدمة جدا لإسرائيل لأن من تابع التصريحات المتضاربة فى واشنطون وتل أبيب يدرك على الفور أن هناك شئ يطبخ، ومع ذلك فإنه حتى لو لم يسقط الرئيس ريجان فإن بوش هو صاحب الأسهم الأكبر فى الانتخابات القادمة.

وزارتنا متكرّمة السيدة الحديدية تاتشر وقد فعلت نفس الشئ، وبعد كل الزيارات، بوش وتاتشر وماكفرلن وشولتس تصاعدت الحملة الإعلامية ضد العرب وضد المؤتمر الدولى عن الشرق الأوسط وصارت إسرائيل تحدد شروطها، إنها لا تقبل بمؤتمر دولى ولا تقبل بمنظمة التحرير ولا بالعرب مجتمعين، وأضافت أن الاتحاد السوفييتى إذا أراد أن يكون طرفا فى المؤتمر الدولى لابد له أن يعيد العلاقات الدبلوماسية ويجب عليه أن يسمح بهجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل وبعدئذ يكون متفرجا فى المؤتمر الدولى، هكذا !!

أما منظمة التحرير فهى إرهابية ولا يمكن القبول بها فى المؤتمر وعلى العرب أن يعرفوا أنهم يتفاوضون مع إسرائيل وكل بلد على حدّه فى المؤتمر المزمع عقده، بعد ذلك بدأت اللقاءات والمشاورات والزيارات، لقاءات غير رسمية وغير معلنة بين يهود من إسرائيل ومسؤولين من الاتحاد السوفييتى إذ إن الولايات المتحدة نفسها ترى رأى إسرائيل، ونحن وإن كنا نقدّر عاليا دور وموقف الاتحاد السوفييتى تجاه قضيتنا فإننا أيضا نقدّر أن للأتحاد السوفييتى مصالح ومسؤوليات دولية وبالتالى فإنه لا يمكنه أن يكون عربيا أكثر من العرب، وعندما تبلورت سياسة الاتحاد السوفييتى الجديدة بقيادة غورباتشوف

وهى بالضرورة تمليها مصالح شعوب الاتحاد السوفييتى أرادت إسرائيل أن يقوم الغرب نيابة عنها (وهو دائما يفعل ذلك وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية) طالبت أن يكون الثمن هو الإنفتاح على إسرائيل أولا وذلك يعنى بالمفهوم الغربى والصهيونى والأمريكى (قضية حقوق الإنسان) والإنسان هنا هو اليهودى السوفييتى، وبادرت السيدة تاتشر بزيارة الاتحاد السوفييتى وقالت أنها ترد الزيارة وكيف لا؟ حيث كان الرفيق غورباتشوف قد زارها حتى قبل أن يكون سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى السوفييتى ولابأس من التعامل بالمثل فى العلاقات الدولية!! وفى زيارتها تلك حرصت على أن تزور المنشق اليهودى السوفييتى العائد من منفاه حديثا وأن تتحدث إليه شخصيا وفى بيته وهى بذلك تخاطب تل أبيب من خلال هذه الزيارة، ونحن نعتقد أن السيد غورباتشوف لابد أنه إن لم يكن عميلا للغرب فهو لابد أن يكون متآمرا وموافقا على كل المخططات الغربية اليهودية، علما بأن كتابات صحفية تُرجعه إلى أصل يهودى فقد مات والده وهو صغير ورعاه تاجر يهودى فى بداية حياته، والسيدة تاتشر فى زيارتها المباركة تلك ملأت خطابها فى حفل العشاء الذى أقيم على شرفها بالحديث عن حقوق الإنسان والحريات العامة والهجرة (وبالطبع فهى لا تفكر وقتئذ فى حقوق الإنسان الأفريقى، مثلا فى جنوب أفريقيا ولا العربى فى فلسطين) بل إن سياسة الإنفتاح التى جاء بها السيد غورباتشوف لم تعجبها كثيرا لأنه لم يفتح أبواب بلاده كلها على مصراعيها وقتذاك، وما كادت السيده تاتشر تنهى زيارتها حتى جاء دور السيد وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية شولتس الذى أعلن من موسكو أنه سيقضى عطلة عيد الفصح مع الجالية اليهودية هناك وهو بذلك أراد أن يقول أنه جاء لهذا الغرض (أوليس من

واجب الأمريكى الحريص على حقوق الإنسان أن يترك عائلته فى مناسبة عيد مهم ليقضيه مع المضطهدين فى الاتحاد السوفييتى وهم يهود مساكين!!) وتحدث بمناسبة زيارته للجالية اليهودية السوفييتية بعد أن قدم التهانى قائلا أن همّه وشاغل رئيسه هو حال اليهود فى الاتحاد السوفييتى والعالم، هذا بالحرف الواحد !!

إننا نعلم ولا يجب أن نغتاظ أن الذى يفعل ذلك هو الصديق الأمريكى وأتباعه من الغرب الأوربى ومن يرفض المنطق الأمريكى الأوربى لابد أن يكون مجنونا ولابد أن تضرب بلاده بالطائرات وعلى الأقل أن تفرض عليه المقاطعة لكى يتعلم أدب التعامل ويقبل بإسلوب ومنطق أمريكا والغرب الأوربى..

إننا نعلم أيها السادة ولذلك فالمصيبة أكبر، يعلم حكامنا وإذا علم شعبنا فلابد أن يقول علىّ وعلى حكامى..

هذا بالنسبة لنا أما شعوب الاتحاد السوفييتى فإن المصيبة أكبر وما فى جعبة السيد غورباتشوف أعظم، المهم أننا قد حذّرنا فهل تتذكرون ذلك الذى حشد شعبه عنوة لاستقبال الرئيس الأمريكى نيكسون صاحب (الووتر غيت) هل تتذكرون ذلك الذى ذهب إلى القدس وجلس فى قلعة (ليدز وكامب ديفيد ؟؟) وهل تتذكرون خالد الإسلامبولى وسعد حلاوة وسليمان خاطر رحمهم الله رحمة واسعة.. ؟

***

٣١ – هذا المقال نشر فى جريدة الزحف الأخضر الصادرة بطرابلس الغرب – عنوانه: (إلى من يعلم ومن لا يعلم – هل يستتبع المراجعة الحساب ؟)

أسئلة كثيرة خطرت فى ذهنى عندما فكّرت فى أن أكتب لصحيفة (الزحف الأخضر) وهى التى تصدرها اللجان الثورية، وأحسب بالتالى أنها تعبّر عن وجهة نظر تلك اللجان، وأظن أن المنبر بالغ الأهمية والاسم كبير الدلالة كما هى المرحلة التى نمر بها وقد اعتراها كثير من التغيير العالمى المدوّى الذى يحمل بين طيّاته بذورا قد تنبت زرعا وقد تكون حرصما..

ولقد حدث التغيير فى كل مكان تمثل فى أحداث طبيعية وغير طبيعية، وكان آخرها تلك المغامرة الطائشة التى قام بها الرئيس صدام حسين عندما أمر جيشه باحتلال دولة عربية مجاورة شقيقة (الكويت) وبعد الهجمة الامبريالية الأمريكية الأوربية الصهيونية كرد على تلك المغامرة وتدمير كل إمكانيات البلد الغازى وهو (العراق) المادية والبشرية والعلمية والتاريخية والتكنولوجية بل والأخلاقية والروحية، ثم قهر الإنسان العربى وإنضاب أموال الأمة العربية، وجعل العقل العربى مفلسا والسياسة العربية ضحلة.

وما يؤكد إفلاس العقل العربى وضحالة السياسة العربية ذلك الانقسام الشديد الذى حدث بين قادة وأقطار الأمة العربية إزاء حرب الكويت، فقد انحاز من كان يؤمن بسياسة قرع الطبول إلى الغازى وتضامن من كان يرى الأمور من خلال النفع الوطنى إلى حملة التأديب، ووقف متفرجا من كان يدرك مرامى وحقيقة الغزو ثم الحرب بين الطرفين، عاجزا دون حراك وقد وقعت المصيبة وغرست الفتنة وحدثت الفاجعة وسيبدأ الحساب..

وإذ كانت ملامح التغيير قد توضّحت بعد فترة من المخاض صاحبها مد وجزر فقد قيّض الله لنا سبحانه وتعالى فى هذا البلد المبارك أن خضنا تجربة صنع الأحداث وتغيير ما هو مألوف وإن كان مستصاغا إلى ما هو مرغوب وإن كان صعبا، وتلك لعمرى تجربة مثيرة، ربما اعتراها بعض الغموض وصاحبها بعض الإحباط مع حسن القصد (إنما الأعمال بالنيات) أو هى واجهتها صعاب وتكالبت عليها قوى تريد لها أن تحيد عن غاياتها النبيلة ومقاصدها الخيّرة..

ولقد تابعت كغيرى باهتمام شديد ملاحظات الأخ العقيد ومداخلاته فى فترات التغيير تلك، ولابد أنه كان يدرك ما واجه واعترى التجربة وقد لا أخطئ إذا ما قلت أنه أكثر إحساسا بها وتلك ميزة قلّ ما تتوفر لمن يتحمل مسؤولية الحكم أو القيادة فى أى مكان لما لهذه الأخيرة من أعباء ومشاكل وما يتجمع حول صاحبها من قوى قد تنأى به عن تلمّس العيوب وقد تشكّل الألوان أمامه بما يرضيه فقط، وتلك بطبيعة الحال مسألة بديهية، لكنها فى الواقع لا تتفق مع رؤية من يطالب بالتغيير ويمارس النقد ويزهد فى الحكم والسلطة ومغريات الحياة والمنصب (وهذا نادرا) وبعد ممارسة السلطة الشعبية فى هذا البلد لأكثر من عقد من الزمان صاحبها أو لحق بها تغيّر فى نظم راسخة بدءا بما حدث فى الاتحاد السوفييتى وليس انتهاءا بحرب الكويت إذ أن الحبل على الجرار، حق لنا أن نقف قليلا لنلتقط الأنفاس والمراجعة رغبة فى حساب النفس قبل الغير ذلك أن التجربة التى يراد لها أن تقدم لكل العالم لابد أن تكون نقيّة لا يشوبها شك ولا اختلال ولا يعتريها خلل ولا تحمل بذور الإنتكاس كما حدث مع تجارب إنسانية أخرى سابقة، ومن هنا كان السؤال، هل من وقفة للمراجعة وهل من حساب ؟؟

ولست أزعم أننى قادر على تحديد مرامى المراجعة وإنما أنا على يقين بأننى أمارس حقا لا منازع فيه باعتبارى مواطن يسعى إلى خير وإصلاح بلاده، ولهذا بدأت بالنقطة الأولى قائلا :

ترى كيف نرى مجتمعنا الجماهيرى الآن ؟؟

أتصّور أولا، أن المجتمع الجماهيرى هو مجتمع نكران الذات والتفانى فى خدمة الغرض العام بحثا عن حلول للمشاكل ودفعا لعجلة التقدم إلى الأمام..

وهو مجتمع ترسيخ الفكر والرقى بالتعليم والصحة والإنتاج إلى ما فوق الكفاية وأكثر من الجودة..

وهو مجتمع نبذ الفوقية والابتعاد عن الاستغلال وكره الإثراء غير المشروع والمحسوبية ومحاربة الغش والتشويه والشللية وترتيب المؤامرات للإطاحة بهذا من أجل أن يحل محله ذاك..

وهو مجتمع العقل والتدبّر والتخطيط والالتزام..

وهو مجتمع المواجهة والنقد الذاتى..

بمعنى أنه مجتمع تقديم النموذج المبهر والقريب من المثالى الذى يمكن أن يحتذى، أى أنه مجتمع تنمية الوجدان الوطنى والقومى..

مجتمع إمتاع الناس بثمار الثقافة من فيلم جيد ومسرحية ممتازة وكتاب ممتع وبحث موضوعى..

مجتمع الإنسان غير المنغلق وغير المتزمت وغير القطرى وغير الجاهل.

مجتمع الانفتاح على كل ما هو جيد سلوكا وممارسة فى البيت والعمل والوطن..

مجتمع تقديس الكلمة الصادقة والحرية الراشدة وحقوق الإنسان....

ذلك هو المقصود، فما هو المحتوى ؟؟

نحن تخلفنا بالتعليم، وأهملنا البحث العلمى، وهزأنا بالغرض العام، ولم نرسّخ فكرا ولا أنتجنا حتى ما دون الكفاية، وقد لجأنا إلى قبائلنا وارتدينا أثواب المحسوبية، تكالبنا على الإثراء غير المشروع فى كل أشكاله، وشوّهنا الأشياء عندما عملنا بالمثل القبلى (أنا وأخى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب) وكان مظهرنا الخارجى الذى نستعمله خدعة فى شكل ملابس وحماس مبالغ فيه وتصفيق مقزز ثم نقد وهزء وهجم عندما نختلى بأقربائنا وشللنا وشركائنا فى (المرابيع).

هذا الذى يجرى ويحدث، ولكن لابد من التأكيد على أن الظاهرة ليست بالضرورة عامة ولكن لا يمكننا إنكار أنها غالبة، وإذا ما رجعنا إلى ما كان متصّورا من إنسان مجتمع كان مترابطا ويغلب عليه النقاء ؟؟

نقول أنه كان من المفترض أن عضو اللجنة الشعبية أو المؤتمر الشعبى أن يكون نموذجا ومثالا للفهم والذكاء والتصرف المتزن الهادئ والعاقل وهو بالتالى المبشر بالحضارة الجديدة ولم تكن الحضارة إلا علما وثقافة ورقيا بالمفاهيم الإنسانية..

ثم إنه إذا كان تطبيقنا الاشتراكى أو التشاركى يجب أن يقوم على الوفرة فى الإنتاج الوطنى والاعتماد على الذات والتوزيع العادل للثورة الوطنية؟ فكيف يستوى الأمر ونحن نرى أن بضائع القطاع العام تسرق وتهرب لتباع فى السوق السوداء، وأن تجارة الفرد تقوم على التهريب والواسطة بينما لا توجد ضوابط ولا قوانين تنظّم العلاقة بين الطرفين، (البائع

والشارى) مع ضرورة وجود اللوائح الصحية والتنظيمية التى تقوم على أساسها هذه العلاقات..

ثم كيف يستوى الحال مع من يدّعى الثورية ويرتدى ملابس يحاول أن يميّز بها نفسه وهو يستغل ويرتشى ويتوّسط ؟ وكيف يمكن أن يكون عضو اللجنة المبعوث إلى الخارج مبشرا أيضا وهو مبعوث بواسطة لأن أحد أقاربه عضوا فى مثابة أو مؤتمر الخ..

وكيف يمكن بادئ ذى بدء أن ينظر المواطن الليبى إلى نظامنا الجماهيرى على أنه نموذج يحتذى وهو يرى أن قصورا تشيّد هنا وهناك لأعضاء لجان ثورية أو شعبية بينما لم يكونوا يملكون شيئا قبل هذا المنصب أو الوظيفة، كذلك بما يفسّر تجاوز القوانين واللوائح فى البلديات وتحويل أراضى الحدائق العامة والأراضى المخصصة للخدمات العامة كالمدارس والمستشفيات إلى أراضى للبناء توزّع على الأتباع والأصدقاء والمحاسيب إلخ... ؟؟!!

وكيف يمكننا أن نقدم تجربتنا للناس فى أى مكان إذا كنا قد فشلنا فى الاستفادة منها نحن فى بلادنا وكانت فى أيدينا كل إمكانيات النجاح؟

قلنا أن البيت لساكنه فأصبح البيت بالواسطة أو بالطريقة البلطجية أو بالرشوة ! وقلنا أنه لا استقلال لمن يأكل من وراء البحر ونحن الآن نعيش على ما يهرّب من الخارج مغشوشا أو فاسدا !!

وقلنا أن يدا تبنى وأخرى تحمل السلاح ونحن نهرب من الخدمة العسكرية ولم نبن بل هدمنا ويتوسط لنا مسؤولون وأعضاء لجان ومؤتمرات فى التهرب، ولقد تحولت أغلب المبانى، بيوتا كانت أو منشآت أخرى إلى خرابات تخر منها المياه من كل جانب.!.

ثم كيف لهذا المواطن الذى هتف ملئ الحناجر للثورة أن يقبل بتجربة تمثل سوقا سوداء فى عيشه ؟!

وكيف يمكنه أن يقنع بعدم حصوله على معاشه الشهرى إلا بعد ثلاثة أو أربعة أشهر وهو يرى بترول بلاده يتدفق إلى كل مكان فى العالم بأسعار عالية؟!

ترى ما هو المبرر لكل هذا الذى يحدث وما فائدة الهتاف والرقص والتصفيق ؟؟

إن كل زائر لبلادنا يرى ويسمع ما نحن فيه، فكيف لنا أن نقدم له ما نريد أن نبشر به؟ إن الذى نريد التبشير به جميل ولكنه على أرض الواقع، على أرضنا مفجع ومؤسف، مدارس خربة، مستشفيات مليئة بالمرضى عديمة الخدمات الصحية الطبية قليلة الأدوية سيئة السمعة مما يحدث فيها..؟

طرقات مكسّرة، مواصلات رديئة، مطارات اسمها عالمية وهى أقل مستوى مما يجب أن يكون محليا، وأشهد وأنا مسؤول عن كلامى أننى كنت أزور ذات مرة إحدى مدارسنا فى بنغازى وكانت النوافذ مهشمة يئز فيها ريح الشتاء، وجدت صعوبة بالغة فى الدخول إلى المدرسة وبعد أن دخلت وكنت قد شمّرت عن ساقاى بسبب بركة مياه امام المدخل، سألت المديرة قائلا: ألا توجد حكومة تقوم بتنظيف المكان أمام المدرسة ؟

فأجابت على الفور، أأنت من هنا ؟ قلت نعم ومن نفس المنطقة، قال قل للحكومة أن تدفع مرتباتنا التى لم نحصل عليها منذ ثلاثة شهور !! ثم إننى كنت ذات مرة أعيد مريضا فى مستشفى الجلاء ببنغازى ورأيت ما رأيت، بطانيات نتنه وأسرة صدئة ومياه تخرج على الممر من داخل

دورات المياه، سألت المدير عن السبب، قال: لا أعرف ونحن لا نفهم شيئا وليس لدينا شئ !..

ترى من المستفيد من كل هذا الذى يحدث فى بلادنا ؟

أهى الثورة ؟ بالقطع لا.

أهو المواطن ؟ أقسم أنه أبعد ما يكون عن الاستفادة .

أهى البلاد ؟ أجزم أنها تئن وإن لم نسمعها .

ولا أتردد فى القول أن المستفيدين هم أولئك الراقصون على كل الحبال، وهم المهربون وأصحاب السوق السوداء أعداء البلاد وإن لم يظهروا ذلك أنهم مخربون.

ومرة أخرى، ترى ما هو الحل ؟؟

إنه فقط إذا أردنا الإصلاح، لجان من رجال القضاء النزيه، تسأل من أين لك هذا ؟ إن كنت نظيفا جددت فيك الثقة ومن حق الوطن أن يسأل ابنائه، وأن لم تكن كذلك عوقبت ومن حق الوطن أن يعاد إليه ما سرق منه، ويجب أن نأتى بكل من شغل أى وظيفة مهما كانت صغيرة أو كبيرة ليشهد على نفسه، قل ما تملك ومن أين وبالدليل، وإنى والله أول من سيفعل ذلك عن طيب خاطر وسعادة..

ولا شئ يمكن أن يخفى أيها السادة إلا إذا..

ولا أحد أكبر من الوطن..

ولا أحد أقدس من الحق..

ولا أحد أهم وفوق القانون..

بذلك فقط نكون أوفياء، وبذلك يمكننا أن نبّشر بالعصر الذى يمكن أن يقتدى..

أما الآن فالعياذ بالله..

وأنا أكرر أننى مسؤول عن كل حرف وكل كلمة فى هذا المقال الذى تنشره صحيفة ليبية (الزحف الأخضر عدد ٦١١ تاريخ ١٧ شهر الصيف ١٩٩١م) اللهم إنى قد بلّغت.

***

٣٢- المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (على خطى جند الخير، إلى أرض أجدادى ..).

عندما دعيت من طرف الإخوة فى اليمن للمشاركة فى ندوة الأدباء والفنانين العرب من أجل الانتفاضة التى تقرر عقدها فى صنعاء بمبادرة من جامعتها ورئيس تلك الجامعة العريقة الصديق الدكتور عبد العزيز المقالح شعرت بسعادة غامرة كأنما جمال عبارات الدعوة قد أضافت إلى حياتى شيئا جديدا فهى دعوة من إخوة أعزاء فى جزء من الوطن العربى ترتبط به جذورى البشرية..

اليمن أرض أجدادى وهى أرض الخير والعطاء التى صارت أرض المطر والشجر والثورة والثروة بفضل وحمد الله، وفوق ذلك كله أرض الوفاء الذى كاد ينعدم فى خضم حياة العصر السريعة المتذبذبة، عصر النفط والدولار، وأول ما خطر ببالى أننى سأمشى على خطى أرض جند الخير والتقدم، جند جمال عبدالناصر الذين ناصروا ثورة شعبنا اليمنى وانتصروا لها،

وقبل ذلك جنود الإسلام الذين حملوا رسالة النبى العربى محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام..

أرض أجدادى التى عاشت فى ظلام القرون الوسطى ردحا من الزمان فى ظل حكم إقطاعى بغيض فوّت على أهلها فرص التقدم والرقى ومعايشة العصر، إلى أن جاءت ثورة سبتمبر التى خلصّت الوطن والمواطن من ظلمة ذلك العهد وقد تكالبت قوى الظلم والظلام عليها ولكن الله العزيز القدير قيّض لها جهود ذلك الرجل العظيم وجيشه القومى فنصرها لتبقى قلعة للأحرار، وها هى تبادر لتحتضن ندوة الأدباء والفنانين العرب من أجل نصرة إخوتنا فى فلسطين الذين يدافعون عن كرامة أمتهم بحجارة أرضهم الطاهرة.

هكذا أحسست، إنها زيارة أرض الأجداد وهذا بعث لأمجادنا وعلى خطى رجال جمال عبدالناصر وهو فخر، ومن أجل الانتفاضة وذلك شرف، ومع ثلّة من المثقفين والفنانين العرب وهو أمل، قررت أن أذهب وكأنما أردت أن أقرأ كلمات وحروف تتألق فى كتاب قديم اكتسبت وهجها وحرارتها من زخم ثورة عارمة..

أذهب وفى صدرى رنين أجراس الخطر المتواصل الدقّات فلا حكام ولا محكومين ما لم يأت قرار السماء من أصحاب الكلمة وحملة القلم إذ لا البكاء ولا الاستجداء أو الرجاء والاستعطاف، ولا حتى الصلاة تكفى، بل القرار الحاسم من أجل استمرار النضال والتضحية والدم، إنها حجارة مقابل رصاصة أو قنبلة، وهو ظلم يقابله حق، هذا الحق لا يؤكده إلا كلام صادق وقلم طاهر ويد نظيفة لم تدنّس بالنفط ولا بالدولار ولا السياسة والغرب أو الشرق..

إنه تجمع أهل الكلمة والقلم ولابد أن يكون ممثلا ومعبرا عن ضمير الأمة ووجدانها، وهكذا حزمت حقيبتى وعزمت إلى الأرض التى ارتوت بدماء الشهداء من أجل حرية الإنسان قديما وحديثا، والتى انتصرت فيها الثورة المباركة لتلغى المنّة والاستجداء أو التباكى عندما نادى عبدالله السلال (وا عروبتاه) فكان صدى صوته واضحا فى قاهرة المعز لدين الله، وقد قال جمال عبدالناصر (وا أمتاه) وقد تحركت جحافل النصر وامتد الضوء بين القاهرة وصنعاء وقد تلاقت الأيدى والقلوب بين يوليو وسبتمبر فكان النصر والنماء والبقاء وتحققت إرادة الإنسان فى الحياة الحرة الكريمة، وكان يقينا أن الأرض التى رضعنا منها حتى ارتوينا والتى سقيناها بدماء زكية لن تكون إلا معطاءة، وأولئك الرجال الذين بعث فيهم جمال عبدالناصر من ذاته حب الخير والتضحية والوفاء كل الوفاء والصدق..

ولقد أسعدنى إذ كنت أتابع ما يقوم به رجال الثورة هناك فما رأيت وسمعت إلا كلمات وفاء وأعمال صدق، وأسعدنى أكثر أن أرى أن الثورة لم تنقطع أوصالها بإسم التصحيح ولا صار التنكر لمن سبقوا باسم التطوير، ولا قلب ظهر المجن باسم التجديد، رأينا فى احتفالات الثورة اليمنية العقيد على عبدالله صالح وهو يشيد بجهود رجال وقادة الثورة وفى مقدمة الصفوف المشير عبدالله السلال ومن جاء بعده فى قيادة المسيرة وذلك والله نادر ونحن نكبره، كما رأيناهم فى اليمن يكرّمون رجال جمال عبد الناصر ونرى أن ذلك تكريم للأمة العربية كلها ووفاء لجمال عبد الناصر..

هكذا كنت أرتب الأمور فى ذهنى وأنا على أعتاب زيارة أرض أجدادى وأردت أن أقول هنا أصبتم فلكم الشكر، وهناك أخطأتم وهو حق لنا وحق

عليكمّ، ولكن الله أراد شئ آخر فقد شددت وما رحلت فكان لزاما علىّ أن أكتب هذه الكلمات، ولا مندوحة من أن أقولها الآن وحسبى أنها رأيي وأملى فى ثلّة من رجال الفكر والأدب والفن، إنها كلمات تقدير لثورة وثوار اليمن وهى شكر للدكتور المقالح ثم هى عبرات للمنتدين ذلك أن الثكالى ينادين والأطفال وإن كانوا يرمون حجارتهم إلا أنهم يصرخون من هول وخوف من أن تتحول ثورة الحجارة إلى بند هامشى فى جدول أعمال مؤتمر القمة العربى الذى جاءه الحكام وهم يحملون فى جعبهم مشاريع ريجان وشولتس، المؤتمر الدولى الذى يراد به خنق ثورة الحجارة التى تتأجج كل يوم منذ ستة أشهر وكيف استمرت برجالها ونساؤها وأطفالها يروون أرض شجر البرتقال والزيتون بدمائهم، إنه صوت يناديكم وهو يكاد يبح أو يخنق من أرض القرنفل والأنبياء، أرض التراتيل السماوية، أرض التين والزيتون اللذين نزل بهما القسم، فلا سملت أبصاركم عن غزة والخليل وكولكرم وبيت لحم، ولا صمت آذانكم عن صوت المنادى من المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، ولا عميت بصائركم عن قولة حق فى مواجهة سلطان جائر يقلب الأمور ويطلب الاستسلام والخضوع فهؤلاء جنود صهيون يدنّسون أرضنا الطيبة ويدوسون أرض المسجد الأقصى مدججين بالسلاح ممتلئين حقدا وضغينة، يمارسون السلب والنهب والقتل وانتهاك الحرمات..

إن ندوتكم هى محكمة التاريخ فلا تفرغوها من معناها بحيث تظهر كالتاريخ الذى يكتبه الحكام زورا وكذبا، ولا تجعلوا منها منبر خطابة وإصدار بيانات، نريدها محكمة تدين أى حاكم يتآمر على الثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية، نريدها محكمة تدين أى فلسطيني يرفع السلاح فى وجه فلسطيني

آخر، نريدها محكمة تدين كل عربى لا يقدم نصف خبز يومه لإخوته فى فلسطين، نريدها محكمة فوق كل الحكام وكل الزعامات وكل الأغنياء وكل الذين يولّون وجوههم غربا أو شرقا دون أن تكون الأولوية لفلسطين والبندقية الفلسطينية، نريدها محكمة اللأءات، لا استسلام، لا تفاوض، لا تفريط، لا تدخل فى شئون الإنتفاضة لا لاستدرار العطف ذلك أن الزنود التى ترمى الحجارة هى صوتنا، إنه الصوت المزلزل وهو قدر لابد منه وكتاب عتيق فاقرأوه من صنعاء، اقرأوه من صنعاء لتتذكروا.. والسلام..

***

٣٣- المقال نشر فى مجلة (لا) الصادرة بطرابلس - ليبيا - بعنوان : (إمكانيات التكامل مع الاختلاف تعليقا على ندوة اقتصادية):

إننى فى الحقيقة لا أفهم تعبير التكامل الاقتصادى بتعبير علمى إلا على أساس أنه تنمية اجتماعية واقتصادية تستهدف رفاه الفرد وتقدم المجتمع، ولا أفهم التكامل إلا على أساس تخطيط اقتصادى تكتيكى يؤدى بالضرورة إلى هدف استراتيجى وهو الوحدة العربية الكاملة.

ومن هنا فإن التكامل يجب أن يكون علميا قائما على نظم إحصائية ودراسات اقتصادية وتخطيط مرحلى وسياسة متناسقة واستراتيجية واضحة وأيدولوجية محددة، ذلك أن أى تصرف عشوائى لابد أن ينتج عنه تخبط وبالتالى تعثر وانتكاسات وذلك ضار بالهدف الاستراتيجى أى الوحدة، ولهذا أرجو أن تسمحوا لى بأن أحدد ثلاث نقاط أراها مؤدية إلى ما نريد الوصول إليه أو إبرازه..

أولا: الطاقة التى توجه التنمية..

ثانيا: القدرة التنموية فى المجتمع..

ثالثا: إمكانيات التكامل بين مجتمعين يختلفان فى بعض الأمور..

وعودة على بدء أقول، إن ما أعنيه بالطاقة التى توّجه التنمية والتكامل هى تلك البشرية والمالية والتقنية، أى الأدوات المنتجة، أما القدرة التنموية فى المجتمع فهى تلك العناصر المتمثلة فى القيّم والعادات والتقاليد أى أنماط السلوك، أما إمكانيات التكامل فهى تلك التعليمية والصحية والغذائية والأمنية والثقافية والسكنية، أى المعايير التى يقاس على أساسها التقدم فى إطار التكامل المنشود..

وهذه جميعا يجب أن يقوم بها الاقتصاديون والإعلاميون والمرشدون ورجال الدين والمثقفون والصحفيون والسياسيون والمعلمون والأخصائيون الاجتماعيون، أى فئات المجتمع الفاعلة والمؤثرة والموجهة للتكامل الذى يمثل توازنا غير متكرر أو متداخل أو متعارض بين القطاعات المختلفة وهو ما يمكن أن يسمى استراتيجية اجتماعية واقتصادية تكاملية تقوم على سياسة وأيدولوجية..

وبداية لابد أن نتساءل، أى أيدولوجيا تحكم تكاملنا؟ (أهى إشتراكية أم رأسمالية ؟ أهى تشاركية أم تعاونية ؟ أهى انفتاح أو انغلاق ؟)

ثم أى سياسة، أهى مركزية أم لا مركزية، أهى تخطيط وتوجيه أم لا تخطيط وانفلات؟

ولابد أن نقول أننا نرى أن التخطيط يقوم على البيانات والإحصائيات الموضوعية التى تقاس كلّية كانت أو جزئية، ونرى كذلك أن بلادنا تشترك فى

اللغة التى تكوّن الضمير والوجدان ولكنها تختلف فى اللسان أى المنظومة الدلالية على التفاهم، كما تختلف فى أنماط السلوك وعناصر الإنتاج (وأقرر هنا أن هذه ليست مواضيع خلاف وإنما هى اختلاف أو تمايز) وعلى ضوء هذا وجب علينا أن نحدد ماذا نريد وماذا نعنى ؟؟

١- الطاقة التى توجه التنمية المتكاملة.

قلنا إنها البشرية والمالية والتقنية، هذه بطبيعة الحال متوفرة خصوصا من حيث البشر والمال، لأنه يمكننا أن نتصور أن المال متوفر لدى الجماهيرية والإمكانيات البشرية والفنية لدى جمهورية مصر العربية، وربما كذلك التقنية، ولقد تأكد فى هذا العصر أن العلوم والتقنية متاحة ومتوفرة وبقليل من التنظيم يمكن ضم البشر إلى المال والتقنية وتكون البداية، وهنا لا يبقى سوى مسألة الرغبة والتوجيه والأسلوب..

١- القدرة التنموية فى المجتمع.

وهذه تمثل مجمل القيم والعادات والتقاليد، وهى أنماط السلوك لدى الإنسان، والمسألة السلوكية هذه تعنى تحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية أى إنتاج السلع، والتنمية الاجتماعية أى تقديم الخدمات، ويتطلب هذا من خبراء التخطيط أن يركزوا إهتمامهم على الأوضاع التى تبرز واقع الحياة الفعلية، أى الواقع الاجتماعى، فهل تتوفر الدراسات الاجتماعية الواقعية التى ترينا ما نحن فيه وما نطمح إليه ؟ وما هى مجموعة القيّم والتقاليد التى نتعامل من خلالها بحيث ندرك أن التهريب والغش والرشوة والتهرب من الضرائب والتحايل على القوانين إن وجدت لا تخدم قضية التكامل..

٢- إمكانية التكامل مع الاختلاف..

نحن نرى أنها تعتمد على التعليم والصحة والغذاء والأمن والثقافة إلخ... أى ديناميكية المجتمع لصنع التقدم بمعنى أن المجتمع يؤصل نفسه ويبحث عن هويته وقيمه ليستمد منها القوة الدافعة والمنجزة المستفيدة من كل الطاقات المتاحة لتحقيق الإكتفاء الذاتى، أى أنه يستحدث تغييرات وظيفية ذاتية تحقق نوعا أفضل من الحياة لأفراد المجتمع، وهذه عمليات متشابكة يجب أن تتوفر لها الحرية والعدالة والرعاية والاستقرار، ونعنى بهذا مجموع التدابير التى يتخذها المجتمع لإحداث تغييرات تكاملية فى نفوس المواطنين وعلاقاتهم وهو ما قلنا أنه يجب أن يكون من مهام الإخصائيين الإجتماعيين والسياسيين والمفكرين والمعلمين..إلخ..

١- نأتى فى النهاية إلى السياسة والأيدولوجيا، فنسأل :

كيف يكون التعامل مع الاختلاف السياسى والأيدولوجى؟ فهل يكون فى إطار اشتراكى أم رأسمالى؟ أم فى نطاق اقتصاد السوق، بمعنى الموجّه أو الحر؟

ثم هل نتشارك أم نتعاون، هل ننغلق أم ننفتح، هل نخطط أم ننفلت ونرتجل؟ ولا أجد أمامى من رد على هذه التساؤلات إلا التركيز على النقاط التالية:

أولا: ضرورة توحيد السياسات والأيدولوجيا

ثانيا: ضرورة توحيد القيّم التى تحكم التعامل

ثالثا: ضرورة تحديد نوعية البضائع وشكل الخدمات وطريقة الدفع أو المقايضة، والمواءمة بين الصادر والوارد من وإلى كلا الطرفين خدمة للمصلحة الوطنية أى ترشيد الاختيار تبعا للاحتياج..

٢- من الجانب التجارى البحت، أما الجانب الفنى فإنه يجب :

أولا: العمل على تسخير البحوث الاجتماعية لتغيير السلوك العام من أجل تقبل أسلوب التكامل عن يقين، وإعمال القوانين لفرض الخدمات حسب حاجة المجتمع..

ثانيا: دفع المواطنين بأسلوب علمى وموضوعى للتكيّف مع المنهج الجديد فى تحقيق التكامل وتحقيق فائدة الفرد والمجتمع جنبا إلى جنب..

ثالثا: العمل على توفير البحوث الخاصة بخطط تنمية المجتمع..

رابعا: ربط وتنسيق البحوث الاجتماعية فى البلدين بحيث يكون التعامل متناسقا مع السلوك العام..

وخلاصة القول فى هذا التمهيد، أننا يجب أن نعى حاجة الناس ونحاول إشباعها، ويجب أن ندرك أنه لا معنى للتكامل ما لم يكن ظاهرا فى الحياة اليومية للمواطنين فى شكل خدمات صحية أحسن، وتعليمية أفضل، واقتصادية أجود، وسكنية أليق، وأمنية أمتن.. ذلك أنه إذا ما توفر الاستقرار حدث التكامل وتحققت الوحدة..

والله المعين..

***

٣٤- المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (لمن تقدم العظام؟؟)

كنت أتابع كغيرى زيارة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السيد جورج شولتس إلى الشرق الأوسط خلال منتصف شهر أكتوبر وهو

الذى لم يزر المنطقة منذ سنوات لأنه كان يكتفى بإرسال مساعديه ولأنه لم يجد من يقبّل وجناته ويدعوه بالعزيز فهو يدرك تماما أنه لا يقل شأنا عن ذلك اليهودى الذى تمتع بالقبل العربية حتى قال لجولدا مائيير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني وقتئذ أنه ربما فقد بكارته بسبب القبل العربية، وقد حظى كثيرا باسم (العزيز هنرى) رجل المعجزات وصاحب القضايا الساخنة التى يمسها بأصابع سحرية فتنفتح له كل الأبواب، كما قال أنه فتح أبواب الصين الحديدية دون أن يدرك أن ذلك حدث كرد من الصينيين على هوس (ماو تسى تونج) الذى جعل الشعب المتماسك المنظم يفتك ببعضه البعض بسبب ذلك الذى أسماه ثورة ثقافية..

أقول كنت أتابع زيارات السيد شولتس وجولاته بين إسرائيل والبلاد العربية فى المنطقة حتى فرغ إلى نفسه فى هيلسينكى ليقول أنه يتفق تماما مع وجهة نظر إسرائيل وأن مؤتمر السلام يجب أن يكون غطاء فقط، وأن المباحثات يجب أن تنصب على الجوهر وليس الشكل، ثم تكرم بأن بعث من هناك من (فينلنده) السيد (مورفى) ليطلع إسرائيل على ما دار بينه وبين الملك حسين، وهكذا قال، اعتقدت فى بادئ الأمر أن الأمة العربية ربما تكون فى نظر الولايات المتحدة الأمريكية قد أخذت بآداب الضيافة كما فعل الملك الأسطورى (أكسيون) الذى آواه (زيوس فى الأولمب) وأوثق بعجلة مشتعلة تدور إلى الأبد – حسب رواية الإغريق– وإذا كان هذا الأمر يدور بخلد السيد ريجان عن الأمة العربية (ومن المعلوم أنه لا يقرأ) فربما أمكن التفكير فيه أو بحثه كأن نقول: ما هى الضيافة وكيف ؟..

ثم تذكرت أننا فى الشرق الأوسط نستقبل ونرحب بأصغر موظف يتكرم السيد ريجان بإرساله لينظر ولو شزرا فى أى شأن من شئوننا ونقدم له ما

يزيد عن كل ما فعله حاتم الطائى من كرم عربى ولذلك فإنه لا مبرر فى أن توقع علينا عقوبة (أكسيون) وإنما الواقع أنه ينطبق علينا ما كان فعله حكيم عربى بإفراد قبيلتين كانتا تتخاصمان وكان يدعو فى كل مرة واحدا من هذه القبيلة وبعده واحدا من القبيلة الأخرى لأنه أراد أن يعرف أيهما على حق، فكان عندما يستدعى واحدا من أى من القبيلتين يسأله عن الآخرين من قبيلته فيقول إنهم بخير وأنهم رجال، وعندما يسأل الآخر عن قبيلته الأخرى يقول أنهم كلاب ولا خير فيهم، وهكذا دواليك، وقد رغب ذات يوم أن يدعو وجهاء القبيلتين إلى وليمة غداء فدعى عددا من القبيلة الأولى ووضع أمامهم صحونا من الطعام مغطاة وطلب عدم إزالة الغطاء حتى يطلب هو ذلك، ثم جمع وجهاء القبيلة الأخرى وفعل نفس الشئ، وعندما طلب إزالة الأغطية من على الصحون فوجئ الجميع، فلقد كانت فى أطباق القبيلة الأولى لحوم طازجة وفى صحون القبيلة الأخرى عظاما مجردة وهنا احتج هؤلاء فقال: إن اللحم للرجال أما العظام فهى للكلاب..

ربما أمنك القول أن العرب متخاصمون متناحرون وهم فى نظر أمريكا وربما العالم كله كالقبيلة الثانية التى استحقت العظام بينما الإسرائيليون متفقون موحّدون وينطبق عليهم وضع القبيلة الأولى التى استحقت اللحم، ولهذا فإننا إذا أردنا أن يحترمنا الآخرون لابد أن نتحد ولابد أن نراعى مصالحنا الوطنية والقومية ونبذ الخصام والخلاف، فما معنى أن تحتقرنا أمريكا ويذلّنا الغرب لو لم يكن ينطبق علينا مثال القبيلة الثانية، ولقد حدث أن فرضنا احترامنا على العالم كله عندما قاد جمال عبدالناصر الأمة العربية فى الاتجاه الصحيح وعندما أكد عمليا أننا نعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا، وإن كنا الآن لسنا فى حاجة إلى المعاداة فعلى الأقل يجب أن يسود بين شعوبنا

وحكامنا الإتفاق على الحد الأدنى، والحد الأدنى هو احترام الذات إن الأمثلة أيها السادة الحكام هى وقائع تاريخية..

***

٣٤- المقال نشر فى مجلة الموقف العربى التى تصدر بقبرص فى قضية ورأى بعنوان: (محاكم التفتيش وبيت الخطايا..)

لا أعرف على وجه التحديد لماذا دائما تحكمنا عقدة بريق النياشين وبهارج الحكم وصولجانات السلاطين فلا نرى الأشياء إلا بعد زوال تلك النياشين والبهارج كأنما يجب علينا دائما أن نمارس عمليات الإسقاط، أو نأخذ بالقاعدة الفقهية القائلة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ونحن العرب نستسهل الأخذ بالسلبيات فقط لأن الذى نتحدث عنه فقد بريق المنصب وهو ما يعرف (بالتهويل والتهوين) فى الفكر العربى، وفى هذه الحالة نحن نجافى الحقيقة ولا نرى الأشياء كما يجب ولربما كان السبب فى ذلك انعدام إمكانيات الحوار الديموقراطى فى الوطن العربى، ولهذا اتسعت دائرة المسلمات حول الحاكم الأسطورى فى وطننا الذى سرعان ما يتحول إلى موضوع للهزء والنقد إذا ما مات أو أزيح عن منصب أو سقط من سدّة الحكم المؤلهة، ذلك أن الذى يأتى من بعده حتى لو كان شريكا له فى الحكم لا يبنى ما يعتقد أنه أمجاد إلا بهدم ما سبقه، وهكذا فقد حشرنا أنفسنا فى سجن المسلمات دون بحث عن الحقائق فى الحكم على الأشخاص والأحداث بالوقائع والأدلة العقلية، ولا نعترف للبشر بحق الخطأ ونبتعد عن التكفير والتخوين أو التجهيل أو الاتهام بالجنون إلخ...

وكغيره من المقالات فى الصحف العربية التى تتناول حكاما سقطوا أو أسقطوا جاء مقال عزل (المشير أبوغزالة) وإن كان كاتبه قد حاول أن يكون محايدا ليروى القصة أو الحدث من جوانب مختلفة وبنى استنتاجات على ما قيل هنا أو هناك حول قرار تنحية المشير عبد الحليم أبوغزالة من مناصبه العديدة والمؤثرة إلى منصب هامشى بلا مسؤوليات، كما قال الكاتب، وحيدة كاتب المقال لم تكن عادلة لأنه بناها على ما سمع من أطراف لها مصالح وأغراض، وهى تبعا لذلك لم تذكر حسنة واحدة للرجل، بل ركّزت على فساد الذمم والإثراء غير المشروع من العمولات فى صناعة الأسلحة أو شرائها وكأن فساد الذمم ظاهرة نادرة والإثراء غير المشروع من العمولات فى مختلف أنشطة الدولة ليس القاعدة فى العالم العربى وإنما هو الاستثناء !!؟

وكنت أتمنى على كاتب المقال وهو مصرى مثل أبوغزالة أن يكون قد قرأ التحليلات التى نشرتها الصحف الأجنبية مثل (النيوزويك والهيرالد تريبيون) وحتى (الجيروزالم بوست الإسرائيلية) التى تصدر فى القدس لأن هذه الأخيرة وإن لم تذكر الحقيقة كاملة إلا أنها تحدثت عن الوضع الإقتصادى فى مصر وعن صناعة الأسلحة ومدى خطورة ذلك على أمن إسرائيل وعن حرب الخليج ودور السلاح المصرى فى جانب العراق واحتدام صراع القوى فى الداخل وإن قد أجمعت على الفساد المالى والادارى إلخ...

ومن البديهى أن نؤكد بادئ ذى بدء فى ردنا على ثلاثة عناصر مهمة فى العقيدة العسكرية المصرية أصلا وفى السياسة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو وبعدها، وهى فيما نعلم كما يلى...

أولا: الجانب الوطنى فى التفكير العسكرى المصرى باعتبار أن الدفاع عن الوطن العربى والمنطقة هو دفاع عن أمن مصر، سنأخذ مثالا على ذلك فترة محمد على وجمال عبدالناصر..

ثانيا: وأن التسلسل الهرمى مقدّس نظرا لهيلمان الدولة وبالتالى فإن الطاعة عمياء ودليلنا على ذلك أحداث ١٥ مايو وما تلاها من إجراءات اتخذها الرئيس السادات..

ثالثا: هاجس الإرث التاريخى والحضارى وبالتالى عقدة الفوقية وهى وإن كانت مبرره فإنها ضارة ودليلنا على هذا الانفصال السورى وما صحبه من دعاية إعلامية كانت مؤثرة إلى حد كبير..

وقد لا نخطىء إذا ما قلنا أن هوية مصر التى على أساسها ترسخت العقيدة العسكرية المصرية تتمثل دائما فى القول أن الشعب المصرى متماسك الهوية بمعنى أنه عنصر متجانس يهضم دائما الوافدين إليه حضارة وثقافة وتقاليد من (الهكسوس والليبيين والآشوريين والفرس واليونانيين والرومان والبيزانطيين والعرب والسلاجقة إلى الفاطميين والمماليك إلخ...) وإذا كانت الامبراطوريات قد قامت على أساس (ثيولوجى) حيث منعت الجانب القومى من لغة وثقافة وأديان أخرى، من الحثيين سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد إلى الرومان سنة ٤٠٠ ميلادية فإنها حملت بذرة اضمحلالها ولذلك لم تسد وإن تركت بعض الحجارة والأصنام حتى جاءت الثورة الإسلامية الكبرى المتمثلة فى الرسالة المحمدية وحدث الفتح الإسلامى سنة ٦٤٠ ميلادية بحيث كان رسالة خير وسلام وعيش مشترك إذ احترم اللغات والتقاليد والأديان وقد بقى وترسخ كرسالة سماوية إنسانية، ومن عهد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م إلى

محمد على الكبير سنة ١٨٠٠م إلى ثورة جمال عبدالناصر سنة ١٩٥٢م كانت العقيدة العسكرية المصرية يمثلها الصولجان الفرعونى فى هيئة زهرة اللوتس، ومن هنا فإن الدولة فى المنهج الأكاديمى العسكرى مقترنة تماما بالوطنية التى يسودها القانون والمؤسسات، وهكذا فهى شخصية قانونية مكوّنة من مجتمع يخضع لدستور وقوانين وسيادة على أرض واحدة لا تتجزأ منذ أن توحّد الوجهان فى مصر على عهد (مينا) وارتبط أمن الدولة بما يعرف بالمواطن الاستراتيجية (الجيوبوليتبكبة) وهى المجاورة لها كفلسطين والشام والسودان وليبيا..

وهكذا كانت فتوحات محمد على الكبير عندما قرر أن يقيم الدولة الحديثة بأبعادها الاستراتيجية والجيوبوليكية، ولم تكن مظاهر قومية الدولة تتمثل إلا فى دستور وقوانين أساسية ونظام حكم واحد قائم على اقتصاد وجيش وسياسة خارجية واحدة، على أن ينتسب القوم إلى الوطن وليس العكس، ونرى أن جمال عبدالناصر عندما فكر فى الثورة قد أحس بالإهانة التى لحقت بالجيش المصرى حتى أنه قال عندما كان محاصرا فى الفالوجا أن معركتنا هناك فى القاهرة وليس هنا فى الفالوجا، ولقد حدد دوائر سياسته بعد قيام الثورة وكانت ثلاثة، الدائرة العربية والدائرة الأفريقية والدائرة الإسلامية، وفى عهد السادات الذى انقلب على كل منجزات الثورة وتنكر للوحدة رغم إدراكه بلا شك وحدة اللغة والدين والتقاليد والعادات والتراث الأدبى والفنى نرى أن الفريق أول عبد الغنى الجمسى أول ضابط مصرى قبل أن يجلس مع ضباط العدو الإسرائيلى فى الخيمة (١٠١) للتفاوض من أجل فك الارتباط كان يدرك أنه يفعل ذلك من أجل أمن مصر طبقا لعقيدته العسكرية، ولكنه

عندما أدرك أن أمن مصر فى خطر ندم وتراجع ولكنه طرد من مناصبه، وهذا ما قاله (هينرى كيسنجر) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت فى كتابه المعنون (البحث عن السلام) قال: عندما وافق الرئيس السادات على سحب الجيش المصرى من شرق قناة السويس وقبل إبقاء ثلاثون دبابة مصرية فقط وقف الجنرال الجمسى فى مكان ملاصقا النافذة بوجهه ولقد رأيت الدموع فى عينيه عندما سألته ما إذا كان غير موافق على كلام السادات ؟ فقال بتردد، الأوامر هى الأوامر، وقال اليهودى وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى وقتذاك عندما أبلغت الجنرال الجمسى بأن الرئيس السادات موافق على سحب الجيش المصرى من شرق القناة، ثار وقال: هذه إهانة للجيش المصرى، فقلت له إنها تعليمات الرئيس السادات، فأجاب بحدّة، نعم هو الرئيس ولكنه لا يفهم فى الأمور العسكرية، وبرغم أن وايزمان يبدى إعجابه بقدرات الجنرال الجمسى وعلمه إلا أن هذا الكلام كان سببا فى طرده وإهماله تماما.

ويذكر مؤلف كتاب (الحجاب) السيد (وود وارد) وهو أمريكى وأحد العاملين بالمخابرات الأمريكية أن إدارة الرئيس ريجان طلبت ثلاث مرات من الرئيس حسنى مبارك المشاركة فى عمل عسكرى ضد الجماهيرية ولكن الرئيس مبارك كان يرفض بشدة – انتهى كلام وود وارد..

وهذا الموقف من الرئيس حسنى مبارك يدل على أنه يدرك تماما كيف يفكر الجندى المصرى ويعرف العقيدة العسكرية المصرية وأن الجيش المصرى لن تكون معركته إلا من أجل أمن مصر، وأمن مصر هنا مرتبط بالأمن العربى، أى بأمن المنطقة.

هذا فيما يتعلق بالنقطة الأولى، أما الثانية والمتعلقة بالتسلسل الهرمى والطاعة العمياء فقد حدث أن جاء السادات رئيسا لمصر بعد الرئيس جمال عبدالناصر وكان لا يملك شيئا على الإطلاق غير شرعية الحاكم إذ إن الرئيس جمال كان قد عينه نائبا لرئيس الجمهورية، وفى هذا الوقت كان الجيش بقيادة وزير الدفاع والقائد العام الفريق أول محمد فوزى، والأمن بجميع أجهزته بيد وزير الداخلية السيد شعراوى جمعة، والتنظيم السياسى برئاسة السيد على صبرى والسيد نور الدين طراف، والإعلام برئاسة السيد محمد فائق، واللجنة التنفيذية العليا كلها تتكون من رجال عبدالناصر ولكن السادات بواسطة ضابط واحد هو اللواء الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى اعتقل الجميع ووضعهم فى السجن وقام بما أسماه ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١م، وهنا نعود إلى الجنرال الجمسى إذ يقول السيد كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية عندما سألت الجنرال الجمسى لماذا تبكى وهل أنت غير موافق على سحب الجيش المصرى من شرق قناة السويس ؟ قال لا الأوامر هى الأوامر، وكذلك ما حدث مع السيد محمد كامل وزير الخارجية المصرية مع السادات وصديقه الشخصى الذى أتى به وهو يقول (سندخل التاريخ معا يا محمد) هذا الصديق استقال وهو فى (كامب ديفيد) بواشنطون ومن يريد الاطلاع على تلك التفاصيل فليقرأ كتابه المعنون (السلام المفقود) وكدليل آخر على سلطان الدولة والحكم فى مصر فإن ثورة ٢٣ يوليو عندما قامت لم تعلن أنها ثورة أو إنقلاب وإنما قال بيانها الأول أن هناك أخطاء وللجيش مطالب منها إبعاد الملك فاروق وحدث ان تنازل الملك لابنه وودع بكامل مراسم الاحترام والتكريم كملك سابق لمصر...

ولقد ضرب السادات كل القوى التى اعتقد أنها ضد توجهه فى بادئ الأمر قال بأنها ضد الوحدة وهى بالتالى ضد تحرير أرض مصر، وهكذا يكون قد ربط بين الوحدة وأمن مصر، وذلك ما يدغدغ وجدان المواطن المصرى وانقلب على الاتحاد الاشتراكى وكذلك على حلفاء الأمس بحجة أمن مصر حتى أنه كان لا يتحدث عن الأمن الغذائى وعن الرفاهية وقد صوّر مصر وكأنها ستكون فى عهده مدينة الفارابى المفضّلة أو حى بن يقظان باعتبار أن الحرب هى سبب شقاء المصريين ولابد من التخلص من سيف المعز وذهبه إذا كان العرب يريدون لمصر أن تجوع، وعمل كالملوك النورمانديين عندما حكموا إنجلترا حيث كانت قاعدتهم العسكرية فى فرنسا والدينية فى روما واتجه إلى أمريكا والسعودية ثم جاء بقوانين لا سابق لها ربما إلا فى عهد محاكم التفتيش التى أقامتها الكاثوليكية فى إسبانيا بعد سقوط غرناطة كقانون العيب، وأخلاق القرية، وكبير العائلة، وأحدث لأول مرة صراعا طائفيا ودينيا بين المصريين من مسلمين وأقباط وبالتالى أراد أن تكون القومية والمواطنة على أساس دينى وليس انتماء الإنسان للوطن، وبذلك مس الوجدان الوطنى فهدد أمن مصر ولذلك قتل..

ونأتى للنقطة الثالثة، والتى أسميناها الإرث التاريخى والحضارى والإحساس بالتفوق وهو وإن كان مبررا فى بعض نواحيه إلا أنه يكون ضارا إذا تحوّل إلى مسألة عرقية، والحقيقة أن مصر أعطت الكثير علما وثقافة وحضارة، وقدم أبناء مصر الكثير من التضحيات الجسام على كل شبر من الأرض العربية، وكان جمال عبدالناصر أول من بلور وأكد التوجه القومى عمليا لدى المصريين وجعل الجندى المصرى يشارك فى التحرير والبناء من

اليمن شرقا إلى الجزائر غربا وبالتالى أصبح دور الإنسان المصرى جنديا كان أو معلما ومهندسا وطبيبا قوميا وليس وطنيا فقط، بحيث يكون ما يقوم به متصلا بالأمن الوطنى بينما حاول السادات إذكاء روح الإنفصالية بالحديث عن حضارة السبعة آلاف سنة بينما كان يقول عن العرب أنهم بدو متخلفون ولا فائدة من الارتباط بهم، وعندما غير اسم الجمهورية العربية المتحدة قال أن هوية مصر الحقيقية جاءت على لسان سعيد باشا سنة ١٨٦٣م وعندما وجه خطابه إلى كبار موظفيه وضباطه قال أيها المصريون استيقظوا واستردوا استقلالكم وعظمتهم، ولقد وصف العرب والترك والشراكة بأنهم غزاة، وجعل الرئيس السادات شعاره الصولجان الفرعونى الذى يمثل زهرة اللوتس.

عندما حدث الانفصال السورى برع الإعلام فى هذا البلد بوصف مصر بالفرعونية عبدالناصر بالطاغية الفرعون والاستعمار المصرى لسوريا ونزف إمكانياتها ولقد وجد آذانا صاغية مصغية ربما لبعض الوقت وبسبب بعض الأخطار التى ارتكبها أفراد، وجاء ذلك الإعلام بما كتبه الطهطاوى وبعده توفيق الحكيم وطه حسين والعقاد وسلامة موسى إلخ... ورد جمال عبدالناصر على ذلك كله بأن أكد على إبقاء إسم الجمهورية العربية المتحدة ثم أكد فى الميثاق على توجه مصر وطريقها العربى القومى، ولو أردنا الأدلة لما نضبت الموارد وإن كنا نود أن ندلل بهذا على أن الالتزام بالوطنية يخدم الهدف القومى ولا يجوز لأحد أن يتصوّر أن هناك معركة للجيش المصرى غير معركته القومية أمس واليوم وغدا..

أصل من هنا إلى عدم موافقتى على ما جاء فى مقال الموقف العربى فى شأن إقالة المشير عبدالحليم أبوغزالة بعددها رقم ٣٦٩ تاريخ ١٩٨٩/٥/٨م وهذه أسبابى فى ذلك :

- أولا: كان أبوغزالة عسكريا محترفا تشهد لــه الكليــة العســكرية المصرية بكفاءته العسكرية وثقافته العالية وعلمه الوفير فيما قدم من مؤلفــات للمكتبة العسكرية..

- ثانيا: إنه أحد أبرز ضباط المدفعية فى الجيش المصرى وإنه لم ينقطــع عن ميدان عمله حتى فى الفترة التى كان فيها ملحقا عسكريا فى أمريكا..

- ثالثا: إنه قام بواجبه العسكرى عند قيام ثورة ٢٣ يوليو حيث كان أحد الضباط الأحرار وقد سجل له التاريخ هذا الدور، وبعد آداء واجبه عاد إلى ميدان عمله مبتعدا تماما عن الانغماس فى العمل السياسى كبقية زملائه وما عرف عنه إلا الانضباط والعسكرية الصارمة..

- رابعا: إنه عندما تولى قيادة الجيش ووزارة الدفاع كان والى أن أزيح من مكانه (بمؤامرة دبرت بليل) يعمل على تطوير قدرات قواته المسلحة، وكان من المؤمنين بسياسة تصنيع السلاح المصرى وتطويره وقد أنشأ إدارة الأبحاث التكنولوجية بالقوات المسلحة، وكان يقول أنه لا يجوز لنا أن نرى (إسرائيل) تطّور أسلحتها وتحصل على أدق المعلومات العسكرية والتكنولوجية بينما نحن لا نفعل شيئا والدليل على إصراره ذاك أنه كلف عــددا مــن المختــصين فى القوات المسلحة بضرورة الحصول على المعلومات العسكرية مهما كان الثمن، وربما لأول مرة يتمكن ضابطان من الوصول إلى أحد الأسرار العسكرية المهمة من الجيش الأمريكى وكان من الممكن أن يستفيد منها الدفاع الجوى المصرى لولا سوء الحظ، ولأول مرة يعرف العالم أنه يمكن للعرب أن يــصلوا إلى أدق المعلومات العسكرية فى الترسانة الأمريكية، وكان المشير أبوغزالة قد أصر على تصنيع الدبابة الأمريكية (إم إكس — ١) فى مصر وقد تم الاتفاق على ذلك،

وفى عهده خطت الصناعات الحربية المصرية خطوات واسعة فى كل الميــادين وهى بالضرورة صناعة عربية ولصالح الأمة العربية، وهو ما لا تريده إســرائيل ولا عملاء إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ولقد كانت إسرائيل تحارب فى كل جبهة من أجل القضاء على هيئة التصنيع الحربى العربية (رغم تواضع ما كانت تقوم به تلك الهيئة) وقام حكام الخليج بحل تلك الهيئة بحجة مقاطعة نظام السادات بعد توقيع اتفاقية (كامب ديفيد) وبعد عشر سنوات رجعــوا جميعا إلى مصر وقبلوا ليس بالاتفاقية فقط وإنما بأن ترتفع أعــلام بلــدانهم إلى جانب العلم الإسرائيلى فى القاهرة (ويجب أن نذكر وللتاريخ أن الرجل الذى كان يشرف على هيئة التصنيع الحربى ويدعى أشرف مروان اتــضح حــسب الإعلام المصرى أنه كان عميلا لإسرائيل مع الأسف !!)

- خامسا: إن المشير أبوغزالة كان قد أعلن أكثر من مرة أن الجــيش المصرى مكانه فى جبهة القتال مع العدو الأول وهو إسرائيل، وللتاريخ أيــضا فقد كان إعلان المشير أمام أعضاء مجلس الشعب المصرى وفى جلسة رسميــة، وحدث هذا فى ظل ظروف تسيطر فيها أمريكا وإسرائيل على أغلب المعلومات فى مصر..

- سادسا: ولقد كان المشير أبوغزالة قد أعلن عدة مرات ورسميــا أن البحر الأحمر لابد أن تكون السيطرة فيــه للعــرب لأنــه المجــال الحيــوى الاستراتيجى للأمة العربية ولأنه يتحكم فى قناة السويس وهى أحد المــصادر الرئيسية القومية للاقتصاد المصرى كما طالب باستراتيجية عربية مــن أجــل البحر الأحمر (نشر هذا الكلام فى جريدة أخبــار اليــوم المــصرية بتــاريخ ١٩٨٢/٢/١٧م)..

هذا قليل من كثير فى حياة المشير أبوغزالة العسكرية مما لا يجيز لأحد أن يقرن اسمه بفنانة أو يتهمه بالإثراء غير المشروع وهو الرجل الذى كّرس حياته خدمة لبلاده وأمته العربية، ومن لا يعرف الكثير عن العمولات والشراء الفاحش وبيع الضمائر فليقرأ عن صفقة (التورنادو) بين السعودية والمملكة المتحدة وغيرها ومهما كانت العمولات فإن إنشاء قاعدة صناعية عربية وهو أهم الف مرة من شراء الأسلحة من الخارج عن طريق العملاء والمهربين ببلايين الدولارات..

إننى لا أوافق على المبدأ الكنسى القائل، إننا جميعا بنو آدم وحواء ومولودون بالخطيئة الأولى وهى خطيئة آدم وحواء، لأن هذا القول وصم المسيحية بالعقم لأكثر من ألف سنة، ولا أعرف ماذا يراد بالجيش المصرى عندما يعزل من قيادته جندى محترف لم يترك سلاحه ساعة واحدة لمدة قرابة نصف قرن ويوضع على قمته عسكرى ابتعد عن العسكرية منذ خمس عشرة سنة منغمسا فى المشاكل اليومية للناس كالإسكان والمدارس والمجارى ومراسم المناسبات الاجتماعية، مع كل الاحترام للقائد الجديد ولكنها الحقيقة، أعان الله مصر على حالها، وألهمنا جميعا طريق الصواب.

***

٣٦- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (الحرية التى قال عنها أمير المؤمنين، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا..)

هكذا قال أمير المؤمنين التقى العادل العاقل المناضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الأمير الذى حمل راية العدل والحرية والتقدم التى جاء بها محمد

ابن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وكان تعبيره هذا أبلغ ما قيل عن حرية الإنسان من ذلك الوقت إلى أن تقوم الساعة، ذلك أن الإنسان مهما بلغ مستواه الحياتى يحتاج دائما إلى أن يحس بالطمأنينة وحرية الرأى، إنه يريد أن يأكل خبزا ولحما ومرقا أو حتى (آيس كريم) لكن ما يريده أكثر هو أن يقول رأيه ويعبر عما فى نفسه وما يحس به فى مجتمعه سواء أكان ذلك المجتمع هو عدد قليل من الناس فى قرية أو شارع أو حى أو هو فى بلد مترامى الأطراف وحتى لو كان ذلك الرأى لا يعنى شيئا ولا يأخذ به أحد فهو مفيد ومهم من وجهة النظر الشخصية، وهكذا كانت شعوب الاتحاد السوفييتى فهم يعيشون فى طمأنينة كاملة من ناحية العمل والعيش والضمان الاجتماعى والخدمات الصحية والتعليمية إلخ... وإن كانوا فى حقيقة الأمر يتطلعون بشغف إلى كل شئ من الخارج وذلك شئ طبيعى فى مجتمع كان عليه أن يناضل طويلا لبناء بلده فى مواجهة رأسمالية شرسة مغرية برّاقة وكان عليه أن يعيش الحرمان فى بعض الأحيان ولكنه صبر وناضل وعمل وأنتج واخترع وتقدم، إلا أنه ظل يتطلع إلى شئ جديد يسمع به ولم يمارسه إلا فى حدود ضيقة وضمن أطر محدودة هى أدوات الحزب الشيوعى السوفييتى، وإن كانت أغلب الشعوب السوفيتية تتمتع بروح النكتة عندما يتمكن الغريب من التواصل معهم ومعاشرتهم عن قرب، ولكن سمات الانضباط كانت غالبة عليهم وهى بالتالى تظهرهم على أنهم تعساء، ومن النكت التى سمعتها ذات مرة، تقول، أن الرفيق ستالين كان يستقل قطارا وفجأة توقف القطار وجاء المسؤولون ليقولوا أيها الرفيق لقد تآمرت الامبريالية الأمريكية وقطعت الطريق على القطار، فقال أنزلوا كل الركاب واجعلوا نصفهم يعملون فى إصلاح الطريق واقتلوا النصف الثانى، وبعده كان الرفيق خروتشوف يستقل نفس القطار وحدث نفس الشئ

وقيل له الكلام نفسه، فقال أنزلوا الركاب وأنقلوا قضبان السكة الحديد من خلفنا لتضعوها أمامنا ونواصل السفر، ثم جاء الرفيق بريجنيف واستعمل نفس القطار وحدث نفس الحادث وقيل له نفس الكلام، فقال أنزلوا الستائر لكى لا يرى أحد شيئا وهزوا القطار لإشعار الناس بأنه يتحرك..

ولا أعرف ماذا قيل على من جاء فيما بعد وإن كنت أزور الاتحاد السوفييتى بين وقت وآخر فقد لاحظت فى عهد الرفيق غورباتشوف أنه لو حدث معه نفس مع حدث مع الآخرين لقال أنزلوا الركاب وبيعوا القطار بما فيه لأمريكا !!

وفى مرة ثانية بينما كنت فى زيارة البلد لاحظت أن الرفيق غورباتشوف قد منع شرب الفودكا الشئ الذى قابلة الشعب السوفييتى بكثير من الاشمئزاز ذلك أنهم تعودوا على شرب هذا النوع من الخمور وهى جزء من التقاليد المعروفة لديهم، ورغم الكثير من الطنين والدعاية المضادة لشرب الفودكا فإن أحدا لم يكن مقتنعا بذلك القرار، ولقد تأكد أن جميع أنواع المخدرات قد انتشرت وكانت تهرب من الخارج وحدث ان صار الناس يتناقشون بصوت عالى فى مختلف شئون الحياة وقال صديق صحفى أنه ليس ضد النظام الشيوعى أو الحزب الشيوعى لكنه ضد الرأى الواحد الذى كان سائدا رغم ما يجرى الآن فى البلاد وما يتوقع من مشاكل فى ظل هذا الانفتاح، وفى وقت سابق كان هذا الصديق يقول أنه يتمنى أن يزور الغرب ليرى أن الناس يتحدثون ويناقشون شئون بلادهم لكنه الآن لا يتطلع إلى ذلك لأنه صار قادرا على الحديث والنقاش بحرية فى أمور بلاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخ...
وقال أن الرئيس غورباتشوف صار يزور المصانع والشركات ويطلب من

مع أمل الوحدة ... من الثورة إلى الثورة (سيرة ذاتية)

الناس أن يتحدثوا فى كل شئ وهو يلتقى بالعمال ويناقشهم فى أعمالهم ووضعهم المعيشى وهذه أشياء لم تكن مألوفة فى حياة المواطنين السوفييت منذ عقود طويلة وهم سعداء بهذا التغيير على الرغم من أن شيئا لم يتغير فى حياتهم من حيث المعاش، وهذا يعنى أن أسلوب جديد فى حياتهم قد حدث وأن السيد غورباتشوف يكون قد خرج عن المعتاد فى حياة الناس الذين ضحوا كثيرا وعانوا أكثر على أن المستقبل على ضوء ما يجرى مجهولا..

***

٣٧- المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (ماذا يريد الصادق النيهوم بكتابه هذا ؟؟)

صديقنا الأستاذ الصادق النيهوم لديه إهتمامات متنوعة حتى تخاله يلّم بكل شئ من الفلسفة والعلوم والآداب والثقافة وعلم الآثار وعلم الحيوان وعلم الأديان واللغات ومفاهيمها ومصطلحاتها، وفوق كل هذا ناصية السياسة، وهذا شئ جميل ومحبب إذا ما توخى الموضوعية خصوصا فى علم السياسة التى عرفت بأنها فن الممكن وأحيانا يقال فن المستحيل، كما يقول البعض، وقد أصدر أخيرا كتابا بعنوان (محنة ثقافة مزوّرة) صال فيه وجال بين كل المعارف الإنسانية وقد اجتهد لإفهامنا بأن قضية القومية العربية هى خرافة وأن اللغة العربية هجينة أخذت ولم تعط وأن المثقف العربى يتلقى ويردد وأن الإسلام لم يعد إسلاما، كما أن المصطلحات التى كان يوردها فى هامش كل فصل تحاول التأكيد أن مفردات اللغة العربية إنما هى أجنبية مثل (ناشيوناليزم وسوشياليزم وكوميانيزم إلخ...) وذكر أن ناشيوناليزم لا تعنى القومية على اعتبار أن كلمة قومية لم ترد فى القرآن على الإطلاق وبالتالى فهى

لا تنطبق إلا على اليهود، أما العرب بالتأكيد كانوا قبائل متفرقة !! وكأن اليهود لم يكونوا كذلك أو الشعوب الأخرى ؟؟

وحديث الأستاذ الصادق النيهوم يأتى دائما كمن يرمى الحصى دون تمييز فى طريق يعرف أنه لا يسير عليها، وبالتالى فهى تدمى أقدام الآخرين، وهنا موطن الخلاف معه، ولأننا فى الواقع لسنا فى حاجة لمناقشته فى مواضيع علم الكلام أو علم اللاهوت ولا حمار جحا لأنه بداهة يرى أن الإسلام منذ بداية خلافة معاوية ليس إلا فقهاء ينافقون ولم يتذكر حتى الإمام أبى حنيفة وقصته مع الخليفة !!؟

أما عن الأمة فنكتفى بالآية الكريمة : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وما جعلنى أرد على الأستاذ الصادق النيهوم (والخلاف بيننا قديم بشأن الدين والقومية فهو لا دينى ولا قومى !) ما جاء فى الصفحة ذات الرقم (٣٢) من كتابه وهى صفحة هامش الجزء الأول الذى جاء تحت عنوان (السايس والحصان) عندما صار يتحدث عن النظام المالى فقال مزاحا أن البنك كلمة مشتقة من بانكوم وهى تعنى طاولة يجلس وراءها حافظ الودائع إلى أن قال فى عصر جمال عبدالناصر وقعت المواجهة بين نظام هذا البنك الرأسمالى وبين الثورة العربية لأول مرة فى تاريخ العرب، لكن افتقار ثقافتنا العربية إلى صيغة الشرع الجماعى لم يتح لجمال عبدالناصر أن يكتشف علاجا آخر لنظام البنك سوى أن يؤممه كما فعل لينين مرتكبا خطأ بديهيا جدا فتأمين البنك مرتبطا بوجود حزب عمالى حاكم يتولى الإشراف على ميادين الإنتاج نفسها فى الصناعة والزراعة معا وهو فى الواقع (جمعية عمومية لها سلطة أعلى من سلطة الإدارة السياسية مما يؤهلها لحماية

المال العام من أهواء الأفراد والأسر ويمنحها القدرة على الردع الفورى وتأمين المحاكم العلنية للمخالفين) أما من دون نظام الحزب اللينينى فقد كان تأميم البنوك الذى اختاره عبد الناصر مجرد دليل آخر على تخلف فكرنا السياسى فى غياب شرع الجماعة فى الإسلام !! وبدلا من أن تصبح القاهرة مركزا ماليا للعرب كما أصبحت مركزا سياسيا لهم وبدلا من أن يولد مصرف عربى حقيقى قادر على تجميع قوى الثورة وراء شعاراتها السياسية اختار الخبراء المحيطون بعبدالناصر أن يؤمموا البنك المركزى ويسدوا الطريق أمام كل قرش يصلهم من الخارج ويحرموا مصر من أموال النفط ويحرقوها على نار هادئة من البؤس والحاجة ويهيئون لمجئ المنقذ أنور السادات الذى عاد ففتح كل شئ على مصراعيه من دون أن ينفتح أمام مصر باب حقيقى واحد.. انتهى كلام الصادق.

ولم يذكر أو يتذكّر الصادق النيهوم أن معاوية عيّنه عمر بن الخطاب وأبقاه عثمان رضى الله عنهما، ولا أن معاوية أول من ركب البحر وفتح الثغور وحارب وانتصر على البيزانطيين وكان حريصا على العنصر العربى فى جيوشه لمعرفته بمؤامرات اليهود، كذلك ربما هو لا يتذكر أن معاوية كان أحد أبرز خمسة من دهاة العرب وأنه قال، والله لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا شدوها أرخيتها وإن أرخوها شددها، لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، وذلك بعد الصراع الدامى الذى حدث بعد مقتل عثمان بن عفان، حدث بين مناصرى على ومناصرى معاوية وقصته مع الحسن بن على وعبيد الله بن عباس وقيس بن سعد إذ كان عمرو بن العاص قد نصحه قيس بن سعد فقال فإنا لا نخلص إلى قتل هؤلاءحتى يقتلوا

أعداءهم من أهل الشام فما خير فى العيش بعد ذلك وإنى والله لا أقاتله أبدا حتى لا أجد من قتاله بدا، وعمل معاوية على إطفاء الفتن ووضع حدا لثورة الخوارج وثورة الحرورية وثورة حيان بن ظبيان السلمى وثورة المستورد بن علفة وثورة سهم والحطيم وثورة قريب ورخاف وثورة حجر بن عدى..

ولقد واصل معاوية الفتوحات الإسلامية وهو أول من فتح قبرص سنة ٦٤٨م ووقع معاهدة مع القبارصة تنص على عدم السماح باستخدام جزيرهم بواسطة أعداء العرب ثم عندما خالفوا تلك المعاهدة عاد وفتح الجزيرة مرة أخرى سنة ٦٥٤م وهو صاحب حملة ذات الصوارى وفى عهده كان العنصر العربى هو السائد وكان عبد الله بن سبأ هو الذى قاد الفتنة فى مصر وهو يهودى من اليمن، ولم يجعل معاوية المقصورة فى الجامع وأنشأ الحرس الذى عابه عليه صديقنا الصادق إلا بعد محاولة اغتياله أثناء آداء الصلاة فى شهر رمضان المبارك بواسطة البرك بن عبد الله وقد أصيب فى تلك المحاولة إصابة كادت تؤدى بحياته وكانت المؤامرة تنص على قتل معاوية وعلى بن أبى طالب فى نفس الوقت، وقد قتل على رضى الله عنه فى نفس الوقت فى مسجد بواسطة ابن ملجم..

ويذكر لنا التاريخ أن معاوية قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّانى وأدخلنى فى أمره ثم استخلف عمر فولّانى ثم استخلف عثمان فولّانى فلم آل لأحد منهم ولم يولّنى إلا وهو راض عنى..

ولقد أنشأ معاوية قاعدة المجتمع الجديد فى الشام، فبنى عمرو بن العاص المجتمع الإسلامى فى مصر، وسعد بن أبى وقّاص المجتمع الإسلامى فى العراق، وعقبة بن نافع المجتمع الإسلامى فى أفريقيا وتلاه موسى بن نصير الذى انطلق من أفريقيا ليفتح الأندلس، ومعاوية أول من وضع أساس الدولة الإسلامية

الموحّدة المنظّمة وأول من وضع نظام الشرطة وأول من جعل القضاة يحكمون بين الناس وأول من نظّم أسلوب البريد والمراسلات، وفى عهده استقرت الدولة واستتب الأمن..

ولولا معاوية بن أبى صفيان لكانت الفتن التى رتبها اليهود قد نجحت وربما كانت الدولة الإسلامية قد تمزّقت، وإذ كنت لا أعرف لماذا اختار النيهوم عهد معاوية لذمّه وهو لابد يعرف أن الفتن وحكم الأسرة قد بدأ قبل معاويه ؟ فلا أعرف أيضا كيف يمكن أن يقول عن تأميم عبدالناصر للبنك المركزى أنه قد سد الطريق أمام كل قرش يصل من الخارج وحرم مصر من أموال النفط وحرقها على نار هادئة من البؤس والحاجة ؟!!

والأستاذ النيهوم يعلم تماما ماذا حدث لمحمد على الكبير عندما أراد أن يبنى مصر ويقيم الدولة الحديثة، ومحمد على لم يؤمم أى بنك ولا تحدث عن الاشتراكية إطلاقا ولا عن الوحدة العربية، ثم إن الصادق النيهوم يعلم أن أموال النفط لا يمكن أن تأتى لمن ينادى بالحرية والإستقلال وبناء الذات ذلك أن أموال النفط يسيطر عليها اليهود الذين تآمروا حتى على صاحب الرسالة المساوية نفسه وبعده معاوية ومحمد على وجمال عبدالناصر، ولعل الصادق سوف يجادل فى القول أن أموال النفط لايسيطر عليها اليهود ولهذا فأنا أدعوه أن ينظر إلى أموال وإدارات كبرى شركات النفط التى تسمى أمريكية ومن يرسم سياساتها، أليس هم يهود أمريكا ؟ أى إسرائيل فى أمريكا ؟..

ومع كل ذلك فإن عبدالناصر بعد تأميم البنك المركزى الذى قال عنه الصادق النيهوم أنه سبب بؤس مصر قد بنى السد العالى الذى حاولت أمريكا ويهودها منعه وتآمرت عليه، ثم أنه أمم قناة السويس ردا على ذلك الموقف

الأمريكى اليهودى، وأقام جمال عبدالناصر ثمانمائة مصنع واستصلح آلاف الأفدنة من الأرض التى أصبحت صالحة للزراعة وأقام الاقتصاد الوطنى المستقل ووحد الشعب العربى من الخليج إلى المحيط بالخطاب السياسى، ولأن الشعب العربى لا يحكم أموال النفط فإن القاهرة عاصمته السياسية وقبلته فى النضال وما كان يمكن أن ينتقل إليها النفط وأمواله لأنه فى البنوك اليهودية ويستخدمه حكام عرب ليسوا أحرارا فيه..

وإذا كان محمد على الكبير قد قال إن الشام فى مجموعه (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) هو باب الديار المصرية فقد قال جمال عبد الناصر أن أمن مصر مرتبط بأمن كل قطعة من الأرض العربية، ولعلك تذكر إن شئت الإنصاف أن أوربا قد أرغمت محمد على الكبير على الانكماش داخل مصر وفرضت على الصناعة المصرية قيودا مدمرة خلال القرن التاسع عشر، فإن الإمبريالية والصهيونية قد فرضتا على جمال عبدالناصر ستة حروب ومئات المؤامرات خلال القرن العشرين..

إن هناك مئات أو آلاف الأمثلة يا صادق النيهوم التى يمكن أن نفّند بها كل كلمة فى كتابك ولكننا نود أن نذكّرك بالقليل منها ذلك أن إسرائيل ترى أمنها من حيث ينتهى أمن مصر والأمة العربية وهكذا فهى التى بعثت بعملائها للهجوم على المصالح الأمريكية والبريطانية فى القاهرة قبل توقيع اتفاقية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر، وقد عرفت تلك القضية بقضية (لافون) وهى التى خططت وتآمرت مع بريطانيا وفرنسا فيما عرف بحرب السويس سنة ١٩٥٦م لتمنع مصر من السيطرة على قناة السويس بعد التأميم وهى التى زوّدت اليهود فى الجزائر بالمتفجرات لتعرقل نجاح الثورة الجزائرية وتمنع خروج

الفرنسيين ولقد اتضح ذلك سنة ١٩٥٨م، وهى التى درّبت وسلّحت أكراد العراق وجعلتهم يطالبون بالانفصال وقد افتضح ذلك سنة ١٩٥٨م، وهى التى درّبت وسلّحت الأقلية المارونية فى لبنان من أجل تقسيم هذا البلد الذى مازال يعانى من أهوال الحرب الأهلية المدمّرة، وهى التى منعت السعودية بواسطة الولايات المتحدة من وضع طائرات (ف ١٦) فى قاعدة تبوك سنة ١٩٧٥م وهى التى دمّرت المفاعل النووى العراقى سنة ١٩٨٢م لتمنع العراق من الحصول على التكنولوجيا النووية حتى لو كانت للأغراض السلمية، إسرائيل هى التى شنت ستة حروب ضد جمال عبدالناصر وبعده الأمة العربية وتلك الحروب كما يلى :

حرب قادش سنة ١٩٥٦م أو ما عرف بالعدوان الثلاثى

حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م

وحرب الثلاث سنوات سنة ١٩٦٩م والتى عرفت بحرب الاستنزاف

وحرب الغفران سنة ١٩٧٣م أى حرب رمضان

وحرب الليطانى سنة ١٩٧٨م

وحرب سلام الجليل سنة ١٩٨٢م

فهل نقول للسيد الصادق النيهوم أن أمن مصر والأمة العربية يبدأ من فلسطين، ذلك ما قاله تحتمس فى القرن الخامس قبل الميلاد، وقاله صلاح الدين الأيوبى فى القرن الحادى عشر الميلادى، وقاله الظاهر بيبرس فى القرن الثالث عشر الميلادى وقاله محمد على الكبير فى القرن التاسع عشر الميلادى، ثم قاله أحد أعداء الأمة العربية الجنرال الإنجليزى (اللّيندى خلال الحرب العالمية الثانية

أى فى القرن العشرين، وهل نذكّر السيد الصادق النيهوم بما قاله الامبراطور الصينى فى هكذا حالة قال (إننى لا أستطيع أن أسمح لأحد بالشخير قرب مضجعى) ومع ذلك فإن بريطانيا العظمى آنئذ قد شنّت حربا مدمّرة على الصين لأن هذه أرادت أن تمنع تجارة الأفيون، الصين أرادت أن تمنع تجارة الأفيون فى بلادها! فمنعتها بريطانيا بالقوة المسلحة وعندما انتصرت بريطانيا فرضت على الصين دفع خسائر الحرب ودفع ثمن كميات الأفيون الذى أتلف واقتطعت منها جزيرة (هونج كونج) وأحرقت قصر الامبراطور الذى لا يريد من يشخر قرب مضجعه ؟!!

إذن فإن المسألة لا تتعلق بتأميم بنك ولا بعدم وجود حزب لينينى، وإنما هى مصالح وقوى، ترى ماذا يريد من لا يرى السد العالى ولا مئات المصانع والجامعات، وربما لم يسمع كلمة (ارفع رأسك يا أخى، أو إنه لا يحب رفع الرأس ؟) وعلى كل حال فإن الإسلام والأمة العربية بخير، وقد مات صاحب الرسالة السماوية عليه الصلاة والسلام ومات معاوية ومات محمد على ومات جمال عبدالناصر رحمهم الله جميعا علما بأن معاوية عندما أزفت منيته قال :

(فهل من خالد إن ما هلكنا   وهل بالموت يا للناس عار ؟؟)

***

٣٨- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (ما هذا العبث؟ كيف تبيعون أنفسكم للشيطان ؟)

لا يمكن للمرء أن يدرك حقيقة ما يجرى هذه الأيام فى الوطن العربى ككل وفى لبنان بالذات، ولا يمكن على أى حال أن يفرغ الاشياء والأحاديث من مضامينها وهى أن كثيرين منا قد باعوا أنفسهم للشيطان وأصبح ما يسمى

بالنضال العربى تآمرا عربيا بمعنى الكلمة، وإذا كنت قد فقدت صواب التفكير أو التحليل فهل هناك من يستطيع أن يجد تفسيرا للأحداث الجارية الآن؟ ففى الوقت الذى تتصاعد فيه الانتفاضة الشعبية فى الأرض المحتلة وتتأجج المشاعر فخرا وتأييدا تتزايد الأعمال الطائشة التى يقوم بها نفر منا إن صح إنهم عرب ومسلمون، بخطف طائرات نقل مدنية غربية ويهددون ركابها ثم يمارسون هواية القتل والتنكيل فى أبرياء لا ذنب لهم فى كل ما يدّعى به خاطفوا الطائرات، هؤلاء الذين يقومون بخطف الطائرات الآن يقولون أنهم مسلمون وهم يقتلون النفس التى حرّم الله قتلها إلا بالحق، ويتم هذا فى شهر رمضان المبارك ويصدرون بيانات باسم الإسلام ويتحدثون عن الجنة التى سيدخلونها وكأنها شقة مفروشة فى شارع الحمراء ببروت وهم بذلك يجعلون الإعلام العالمى ينصرف عن أحداث فلسطين وتضحيات شعبنا وجرائم إسرائيل !!؟

وبعد أن كانت أحداث الانتفاضة فى مقدمة كل نشرة أخبار بكل أجهزة العالم وإذاعاته صارت ترد فى آخر الأخبار أو لا ترد على الإطلاق فلا شئ غير أخبار الطائرة المخطوفة وركابها الأبرياء من رجال ونساء وأطفال إلخ التى اختطفها إرهابيون عربا وما يصدر عنهم أو منهم، وأين هبطت الطائرة وما هو حال الركاب أو إلى أين اتجهت وكيف تتصرف الدولة التى يمكن أن تهبط فى أراضيها وما هو الموقف الدولى إلخ... !!؟

وفى الوقت الذى تقوم فيه إسرائيل بهجمة جديدة أكثر شراسة على جنوب لبنان مستخدمة المدفعية الثقيلة والدبابات وجميع أنواع الأسلحة ووسائل القتل والتدمير وهى تمسح قرى بكاملها بما فيها ومن فيها من على وجه الأرض، فى هذا الوقت نرى أناس يسمّون أنهم عرب ويمارسون أعمال

الإرهاب والقتل بحجة الدفاع عن فلسطين !! إسرائيل تعلن أنها تدافع عن نفسها ضد الإرهاب الذى يقوم به العرب كخطف الطائرات الآن وتتفاخر بأن أعمالها ناجحة فى الحد من هذا الإرهاب، فى هذا الوقت يتقاتل الفلسطينيون على لا شئ، هؤلاء أنصار أبوعمار وأولئك أنصار أبو موسى يتقاتلون فيما بينهم فى مخيم شاتيلا مستخدمين جميع أنواع الأسلحة متبجحين بإصدار البيانات عن القتلى والجرحى وتبادل المواقع التى يسيطر عليها هذا الطرف أو ذاك أثناء القتال كأن هذا الموقع فى الأرض التى احتلتها إسرائيل كالقدس أو غزّة أو الضفة الغربية !! ولا يحدث التقاتل بين أنصار أبومسى وأنصار أبوعمار صدفة ولمجرد اختلاف أو خلاف بين أشخاص وإنما هو قتال يستمر لعدة أيام فى المخيم التعيس ويعانى منه سكان المخيم الذين ليسوا مع هذا الطرف أو ذاك، استمرار القتال بين الطرفين هكذا لا يعنى شيئا غير أنه عمل عسكرى مخطط له لأن كلاهما يريد تحقيق النصر على الآخر ! ويا له من نصر !؟

وفى نفس الوقت الذى تعلن فيه القوات الإسرائيلية أنها بدأت تنسحب بعد أن أنهت عملياتها العسكرية بنجاح ودمرت بالكامل قرى بمن فيها ومن عليها تقوم فئة مجرمة بتفجير سيارة مُلغمة فى منطقة (سان ستيفانو ببيروت) ربما كانت تحية للقوات الإسرائيلية المنسحبة على أعمالها المجيدة التى نفذتها، وتقوم فئة أخرى بتفجير سيارة ثانية مُلغمة بشارع رئيسى مكتظا بالناس فى نيقوسيا عاصمة قبرص البلد الصديق الذى يقف دائما إلى جانب القضية الفلسطينية هذا التفجير يقتل ويجرح عددا من الناس بحجة أن العملية كانت تستهدف السفارة الإسرائيلية فى نيقوسيا وهى ليست كذلك على الإطلاق وأنا أشهد بذلك حيث كنت موجودا بالقرب من مكان التفجير..

وفى الوقت الذى يستبشر فيه الإنسان العربى خيرا رغم أن هذا الإنسان قد فقد الأمل فى الخير تماما ورغم الحزن والألم والدهشة لما حصل فى تونس على إثر اغتيال القائد الفلسطينى أبو جهاد وقد تسبب قتله ربما مع مشاعر الحزن فى تقارب بين المنظمات والقيادة السورية، فى هذا الظرف نرى أبوموسى يصدر بيانا يهاجم فيه أبوعمار ويشكك فى أهمية اللقاء مع القيادة السورية وكأن المصالحة مع العدو وليست مع بلد عربى يقف فى مواجهة إسرائيل بمعنى من المعانى، موقف أبوموسى هذا إنما هو موقف شخصى لا علاقة له بالقضية أو التحرير أو النضال ولا فلسطين على الإطلاق، ولو لم يكن الأمر كذلك لرحب الرجل باللقاء مهما كانت الأمور لأنه لا يمكن لأى وطنى أو قومى لا يرحب بأى وفاق أو لقاء عربى لرأب الصدع، ترى ماذا يمكن أن نتوقع من المواطن العربى الذى يرى ويسمع بأسف ويتألم ؟ هل بقى شيئا من ورقة التوت؟؟..

لقد أضعتم عطر الثورة أيها السادة بسبب خلافاتكم وأطماعكم، لقد عبثتم بقدسية الدم المراق من أجل الكرامة والشرف، ولهذا فإن الخطر الذى يهدد الثورة هو أنتم وشعاراتكم ونزقكم وتخاصمكم هنا وهناك على أتفه الأسباب، لقد أضعتم مقاومة الثورة وطهارتها ولولا الحجر الذى حافظ على الثورة أصيلة ونقية من أجل الله والوطن والإنسان والحرية لتحولت الثورة إلى دولارات أى أنها تكون قد بيعت بثمن بخس..

اللهم أشهد إنى قد بلغت.

***

٣٩- هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان : (قيل قديما - إذا كنت فى قوم فاحلب فى إنائهم..)

هل أنتم من قومنا وماذا تريدون ؟ ومن يخدم الفن والفكر والأدب ؟ لعلنا نستطيع أن نتصور أن الوضع العربى المتردى ونفسية الإنسان العربى البائسة وتصاعد أعمال القمع والبطش الذى تمارسه النظم العربية ضد المواطن العربى أنها جميعا أسباب ودوافع تلوّن حياتنا الفنية وميلنا إلى أفلام ومسرحيات الفكاهة الناقذة (إن وجدت) وهى أيضا أحد عوامل انتشار هذا النوع من الفن، ولكن ربما يكون كتّاب المسرحية ومخرجوها وممثلوها قد بالغوا أكثر من اللازم بحيث صار الإنسان لا يرى إلا الوجه القبيح من كل حياة العرب وذلك فيه إساءة شديدة وظلم ظليم، وبداية أقول نعم لقد جاء النفط بكثير من السوءات التى أصبحت جزءا من حياة الإنسان العربى حاكما ومحكوما، حاكما قبيح يجور ويقسو لكنه يجمّل صورته بما يدفع من مال، وجائرا قاسيا لكنه يتحكم فى ثروة طائلة يستخدمها فى الأغراض والإغواء، ومحكوما ذليلا لأنه أصبح يكسب بلا تعب فى وطن صار فيه بائع البصل أحسن حالا وأفضل معيشة وأكثر استقرارا من مفكر رزين وكاتب فذ أو خطيب مفوّة أو سياسى عبقرى، وتحولت فيه كل أدوات التقدم قيودا تحد بل تجر إلى الوراء، فلا فكر صادق ولا كتابة موضوعية مطلوبة أو مقبولة، ولا خطابة أو سياسة إلا نفاق وتزيين، وذلك ما ينطبق عليه قول المفكر العربى الكبير (عبد الرحيم الكواكبى) عندما قال :

(إن الأغنياء أعداء المستبد فكرا وأوتاده عملا، فهم رباط المستبد يذلهم فيئنون ويستدرهم فيحنون، ولهذا يرسخ الذل فى الأمم التى يكثر أغنياؤها..)

ولكن هل أصبحت كل بلادنا غنيّة فأذلّت ؟ وهل صار كل كتابنا ومفكرينا وشعرائنا مرتزقة ؟ وكل مناضلينا الذين يقدمون دمائهم كل يوم ردا للعدوان وذودا عن الكرامة هملاء ؟؟

أقول هذا الكلام بعد أن شاهدت هذا اليوم واحدة من المسرحيات الفكاهية الناقذة الهادفة (باى باى عربى) كما كنت قد شاهدت لنفس الفرقة الكويتية مسرحية (باى باى لندن) ولقد نجحت فرقة المسرح الكويتى بإمتياز فى المسرحية الثانية (باى باى لندن) وأخفقت أيضا بامتياز فى الأولى أى (باى باى عربى)..

نجحت فى مسرحية (باى باى لندن) لأنها صوّرت أغنياء العرب وسياحتهم فى أوربا وكيف أنهم أغبياء جهلة حشاشون يحملون خزائن من المال ورؤوسهم فاضية، وهى بذلك تصوّر نوعا أو فصيلا من الناس فى الوطن العربى، وفشلت تلك الفرقة فى مسرحية (باى باى عربى) لأنها هزأت بكل شئ عربى بدءا من العلم والأدب وانتهاء بالنضال والقتال وقد قدمت مشهدا مخجلا عن لبنان والمقاتل اللبنانى بينما جعلت الشاعر أو الكاتب العربى فى مستوى المنافق الشحات !! ولو كانت المسرحية قد ميّزت أو قدمت نماذجا مختلفة لكانت أجادت وأفادت لأننا جميعا نعلم أن هناك أدبا وفكرا ساقطا متملقا يباع ويشترى ولكن فى نفس الوقت هناك فكر مقاتل وأدب رفيع يلتزم بقضية الوطن والمواطن أصحابه يدخلون السجون والمعتقلات بل إنهم يضربون ويقتلون ولكن أدبهم وفكرهم لا يموت، وهناك لبنانى مأجور ولكن هناك آلاف اللبنانيين المناضلين الذين يقفون بشجاعة فى وجه العدوان دفاعا عن لبنان وعن الأمة العربية وعن الحرية، ولربما أراد أصحاب هذا النوع من المسرح فى

الكويت أن يقلّدوا الفنان الكبير (دريد لحّام) فى مسرحياته (كأسك يا وطنى – وضيعة تشرين) وغير هذا من الأعمال التى تمثل فنا رفيعا ونقدا واقعيا حقيقيا، أو ارادوا أن يقدموا مثل مسرحية عادل إمام (الواد سيد الشغال) التى أعتقد أنها من أعظم ما قدمه هذا الفنان رغم بذاءته وسخفه فى أعمال أخرى ..

ولست على أى حال أريد أن أقلل من قيمة عمل هؤلاء الفنانين فى الكويت الشقيق الذى يشهد نهضة فنية وأدبية وعلمية لا مثيل لها فى الخليج ونحن نتمنى أن تستمر وتنمو وتتقدم، وهناك ما يتقبله المشاهد ويمثل واقعا، فمثلا أصابت المسرحية اللب عندما أظهرت مسؤولا وهو يخطب وسط مؤيديه ويأكل الأحرف والكلمات، يمطها ويلحنها، وإذا توقف ليكح هتفت امرأة كانت تقف خلفه معها صف من الناس قائلة تحيا كحتنا يحيا العرب من المحيط إلى الخليج ولكن المشهد الذى يليه كان مسيئا وبائسا جدا عندما جاءوا بأحد الممثلين وهو رث الثياب مشعر الوجه منكوش شعر الرأس وصار يقول أنا المفكر الشاعر الأديب فى جيبى مائة قصيدة للحرب ومائة أخرى للسلام وأنا عبقرى واسمى دينار عبدالغنى وأخى اسمه دولار عبدالغنى وأختى الشاعرة ليرة عبدالغنى وخالى الأديب ريال عبدالغنى وقريبى اسمه الإسترلينى عبدالغنى ثم يقف قربه ممثل آخر فيقول (تف عليك يا زمان الرجل سموه مان والمرأة سموها ومان) بعدها حاول أعضاء الفرقة كمجموعة ربما ذرا للرماد فى العيون فأنهوا المسرحية بهتاف (نموت نموت ويحيا الوطن) أما المشهد الذى يظهر المقاتل اللبنانى فى موضع مؤلم ومؤسف ومخجل فإنى أحجم عن ذكره وإنما أريد أن أقول أهلا بالنقد الذى يعرّى القبائح والنقد الذى يصوّب الأمور والنقد الذى يعبر عن آلام أمتنا، وأعظم من يقوم بذلك هو الفنان والفن الأصيل، الفنان الحقيقى وإلا تحول كل شئ إلى هدم..

ولهذا نقول، لا تضربوا كل شئ بعصا واحدة ولا تحلبوا فى إناء آخر، ولابد أن نكون أوفياء حتى فى النقد ولو كرهنا...

***

٤٠– هذا المقال نشر فى جريدة صوت العرب القاهرية بمناسبة وفاة: (حرم الرئيس جمال عبد الناصر السيدة تحية كاظم..)

تحية للسيدة الوفية الصابرة ورحمة على روحها الطاهرة فى يوم وداعها، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولقد كنت أود أن أسير ولو لبضع خطوات وراء جثمان السيدة الفاضلة حرم الزعيم جمال عبدالناصر وقد انتقلت إلى جوار خالقها يوم ١٩٩٠/٢/٢٥م وقد سمعنا النبأ المحزن ولم يكن فارق الوقت بين سماع الخبر وتوديع الجثمان غير عدة ساعات وكان يوم عطلة رسمية فى البلد الذى شاء القدر أن أكون فيه، وما علىّ والحالة هذه إلا أن أتوجه ببضع كلمات إلى رفيقة جمال عبدالناصر وحبيبة العرب أم المصريين، والكلام فى مثل هذه الفاجعة قليل ونحن نعرف أن الموت حق ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ وأنت أيتها السيدة لم تكونى فى برج ولا فى قصر أو حتى بيت كبير لأن الله أراد لذلك الرجل العظيم أن يكون قنوعا بقدر ما هو كبير وعظيم،وأراد لك أن تكونى رفيقة عمره الذى لم يطل مع الأسف، وقد عانيت ما عانيت من أسى وحرقة ولوعات بعد وفاته ولكن صبرك كان أكبر وصدرك أوسع وإيمانك أقوى، أقوى وأكبر وأوسع من كل الحاقدين والشامتين والطامعين، فلم تفزعى ولم تجزعى رغم كل الظروف والمحن..

ما رأيناك يوما إلا صابرة قوية ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ وهذا رمضان شهر الخير والبركة والمكرمات يهل وقد انتقلت روحك إلى خالقها آمنة مطمئنة بإذنه تعالى، وها نحن نودعك كما ودعنا زعيمنا وصديقنا وآبانا جمال عبدالناصر منذ وقت كنت فيه خير الأم والزوج والرفيق، ها نحن نودعك، من كان عن قرب بدمعة جادت بها المآقى التى ربما تكون قد جفّت منذ زمن بعيد وبكلمات خافتة مخنوقة من شدة الألم، نودعك يا رفيقة جمال وأم خالد وعبدالحكيم وعبدالحميد وهدى ومنى، يا أمنا جميعا نودعك ونقول إنا لله وإنا إليه راجعون، نودعك إلى أرحم الراحمين ونحن على يقين بأنك ذاهبة إليه مطمئنة والى جوار رفيق عمرك مستقرة.

ها قد خرجت أيتها السيدة الفاضلة الطاهرة فى رحلة من منشية البكرى التى لم تغادريها إلا لمناسبة خيّرة منذ رحيل رفيقك، تغادريها الآن إلى مسجد عمر مكرم ثم إلى المثوى الأخير، ونحن جميعا قادمون ولكن ما أسعد من يكون على سيرتك وخلقك وإيمانك، كنا نراك كل سنة فى تلك المناسبة التى يزورك فيها أحباء جمال عبد الناصر نلتمس فى يدك الصغيرة القوة ومن نظراتك الأمل وعلى وجهك الإطمئنان، كنا ندرك ونحس ما تعانين من حزن لا يظهر وقد توالت عليك النكبات، من وفاة الرفيق إلى اغتراب الابن إلى طبول الحاقدين والشامتين..

عرفناك زوجا لرجل عظيم ملأ دنيا العرب ضياء وما كنت إلا تلك الزوجة الوفية التى تلتزم بالتقاليد وتحترم البيت، وعرفناك الأرملة التى صبرت وكابدت ورعت أبناء أصبحوا رجالا، وها نحن نودعك شهيدة فى غرّة رمضان

المبارك، ورغم الألم والفاجعة فلا نملك إلا أن نقول، لقدكان أبانا بكيناك جميعا بكاء الرحمة، وكانت أمنا جميعا فلها الرحمة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

***

٤١– هذا المقال فى جريدة صوت العرب القاهرية بعنوان: (الماركسية وخيال المآتة – ندوة موسكو..)

شاركت فى الندوة التى نظمتها فى موسكو اللجنة السوفيتية للتضامن تحت عنوان (الأقطار النامية والعالم المعاصر) كما شارك فيها عدد كبير من قادة الفكر والسياسة السوفييت والأجانب من العالم الثالث وغيره، وإن كانت فى اليومين الأولين قد بدأت وكأنها ندوة خطابات أكثر منها ندوة نقاش يركز على النقد والبحث والمصارحة، ذلك أن العالم النامى لديه بالضرورة الكثير من التساؤلات والاستفسارات، وفى اليوم الثالث طرحت كثير من نقاط الاختلاف والتساؤل حول (البيرسترويكا والقلازنوست) أى ما ترجم على أنه (أعادة البناء والانفتاح) وما يجرى فى الاتحاد السوفييتى فى الوقت الحالى وهو الذى يؤثر وأثر فى العالم كله ذلك أن الاتحاد السوفييتى إحدى القوتين العالميتين اللتين تتقاسمان مسؤولية الحفاظ على السلام العالمى وهو الشغل الشاغل لكل من يعيش على كوكبنا..

ونحن نعرف أن الماركسيين سواء فى الاتحاد السوفييتى صاحب هذه النظرية أو خارج الاتحاد السوفييتى فى بلدان اعتنق فيها العقيدة الماركسية أشخاص وأحزاب ونظم كانوا يعتقدون أنها سوف تنتصر فى نهاية المطاف لأنها أيدولوجية الفقراء والكادحين وهى جنتهم فى ذات الوقت..

لقد اعتقد كارل ماركس أن الرأسمالية سوف تواجه مشاكل كثيرة منها البطالة والتضخم وأن العمال فى كل مكان سوف ينتفضون وبالتالى تسود الطبقة العاملة وقد عاش كل الماركسيون على هذا الوهم إلى بداية السبعينات من القرن العشرين حيث بدأت مرحلة الوفاق الدولى بين العملاقين (الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية) وبعد توقيع اتفاقية الوفاق الأولى التى عرفت بإسم (دى تانت -١-) واجه الرئيس بريجنيف موجة من الاحتجاج والنقد فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى وقد اتهم بمخالفة المبادئ الماركسية وقيل له أنك مددت يدك إلى الرأسمالية لتنتشلها من المصير المحتوم الذى تنبأت به الماركسية، ولكن الرجل واجه منتقديه بمقولة كانت مقنعة عندما حدث اجتماع اللجنة المركزية حيث قال أن ماركس لم يكن يدرك ما يمكن أن تصل إليه الانجازات العلمية ولو عرف أن الولايات المتحدة أو الرأسمالية ستمتلك من أسلحة الدمار ما يمكن أن يدمر العالم سبع مرات لما قال ذلك وأضاف :

إنه من البديهى والحالة هذه أن الرأسمالية قبل أن تنفجر من داخلها سوف تشن حرب إبادة وبالتالى يتم القضاء على كل شئ فى الأرض وربما ما فى السماء وتنتهى البشرية، ومن هنا فإن أسلحة الدمار تجبر كل طرف عاقل على التعاون المباشر لمنع وقوع الدمار الشامل للعالم، وعلى ضوء ذلك حصل الرئيس بريجنيف على تأييد اللجنة المركزية ضد الاتهام الذى كاد يطيح برأسه، وقام بطرد معارضيه من المكتب السياسى وسار فى سياسة الوفاق الدولى..

قبل ذلك كان الماركسيون ضد الوحدة العربية معتبرينها حركة (شوفينية) وهى ضد نداء (يا عمال العالم اتحدوا) وحدث تبعا لذلك

الخلاف الشهير بين جمال عبدالناصر ونيكيتا خروتشوف الذى تولى رئاسة الاتحاد السوفييتى (أى سكريتير عام الحزب الشيوعى) بعد ثورة العراق وانفجار الخلاف هناك بين الشيوعيين والقوميين، وبعد فترة طويلة أدرك الماركسيون أنهم على خطأ وعرفوا أن حركة القومية العربية هى حركة تقدمية بإعتبارها فى نهاية المطاف حركة تحرر وقوة ولهذا فهى لابد أن تكون ضد الاستغلال والسيطرة الأجنبية (اذكر بمناسبة الحديث عن الماركسية والماركسيين أن الرائد عبدالسلام جلود وكان عضوا بارزا وأمينا للأتحاد الاشتراكى الليبى يبدى الكثير من الإعجاب بالشيوعيين وينتقد الناصريين وإذ كنت أمينا للاتحاد الاشتراكى فى بنغازى وبالتالى أحضر أغلب إجتماعاته عارضته ذات مرة عندما انتقد الناصريين بحضور عدد من الشيوعيين اللبنانيين، فقلت أن الوحدة العربية لا يحققها ويدافع عنها إلا القوميون وتحديدا الناصريون فغضب من ذلك ولم يتراجع عن رأيه).

وإذ كانت الماركسية كحركة شمولية عقيدة وممارسة فقد اعتمدت على الفرد وقمعت كل حركة تستهدف الديموقراطية (وربما لذلك أسباب أخرى) فقد تهاوى بنيانها بمجرد أن طرح غورباتشوف برنامج (إعادة البناء والانفتاح) ويلاحظ أن برنامج غورباتشوف قد حظى بتأييد المثقفين والشباب فى الجامعات والمعاهد وغيرها على أن هناك معارضة قوية وشديدة من قوى مختلفة فى الاتحاد السوفييتى ربما لسرعة الإنفتاح وإعادة البناء ذلك أن المشاكل تفجرت دفعة واحدة (القوميات والأديان واللغات والأعراق) والحقيقة أن لا أحد أدرك مرامى السيد غورباتشوف وأهدافه، ومن الغريب أن أعضاء المكتب السياسى واللجنة المركزية بالتأكيد كانوا يعرفون الكثير عن غورباتشوف وصلاته اليهودية بدءا من مربيه إلى زوجته إلخ...

ولقد كان غورباتشوف ومن يسانده يبذلون جهودا كبيرة لإنجاح هذا البرنامج الطموح، وقد اشتدت حدّة الهجوم فى الصحافة السوفيتية على العهود السابقة وخصوصا دكتاتورية نظام (ستالين) وممارسات جهاز المخابرات السوفيتية (ك — ج — ب) وهذا يسمى لجنة أمن الدولة السوفيتية، علما بأن الصحافة هناك هى صحافة مملوكة للحزب بالكامل ولم يعرف عنها فيما مضى نقدا للدولة وأجهزتها، وأذكر أننى قرأت فى العدد الصادر برقم (٣٣٩٥) من جريدة أنباء موسكو الصادرة باللغة الإنجليزية بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٨٩م المقابلة التى أجرتها الجريدة مع مواطن سوفييتى من جمهورية (أوكرانيا) يدعى أوليس تشيفتشينكو وكان عنوان المقابلة يقول (الأوكرانيون يعودون من المنفى) قال فى المقابلة، إن جهاز المخابرات السوفييتى قد خطفه من بين أهله ونفاه إلى صحراء الكازاخ حيث الحرارة المميتة والوحدة والعذاب لمجرد أنه كان يؤمن بضرورة الحفاظ على تراث موطنه ولغة شعبه فى أوكرانيا وكان ذلك فى عهد الرئيس بريجنيف، وما ذكره هذا المواطن ونشرته فورا الجريدة تقشعر منه الأبدان حتى أنه قال إنه عندما تم الإفراج عنه رفض أن يستلم تذكرة سفره من الضابط الذى نكّل به وعذبه ... إلخ.

وهذه فى الواقع أول مرة يفتح فيها باب النقد الشديد على هذا الجهاز الذى ظل ومازال غامضا ورهيبا، وكانت كذلك ممثلة المجر فى الندوة التى عقدت فى موسكو قد تحدثت مطولا وإن كانت قد أثنت على غورباتشوف فقالت إن العهد الماضى الذى يقارب نصف قرن هو عهد ظلم وظلام ولابد أن الشعب المجرى سيلغيه من تاريخه وإنه لن يسمح بحدوث مثله مستقبلا وهاجمت بشدة الماركسية والحزب الشيوعى المجرى، وجدير بالذكر أنها كانت تمثل

الحزب الاجتماعى المجرى الديموقراطى الجديد وإذ انتهت من كلمتها صفق لها كل الحضور بما فى ذلك المشاركون السوفييت، ولعمرى إنها المرة الأولى التى أشهد فيها ندوة تعقد فى موسكو ويهاجم فيها النظام الشيوعى بهذه الشدة والوضوح ولقد كانت الندوة ظاهرة صحية برغم ما اعتراها فى البداية من تردد وتخوف ولا أعرف على وجه التحديد ماذا سينتج عن برامج إعادة البناء والانفتاح هذه التى يقودها السيد غورباتشوف بحماس شديد فيما يظهر على أننى قلت فى تلك الندوة أننا فى العالم الثالث نعرف أن الغرب لا ينقل إلى أى بلد كان نظامه شموليا ثم يفتح أبوابه لهذا الغرب إلا المشاكل والعيوب والمخدرات والسرقة إلخ مع إننا نرحب بالحرية والديموقراطية المصانة بدستور وقوانين تنّظم المجتمع..

وعلى إثر تلك الندوة وبعدها مباشرة لوحظ حدوث ندرة حادة فى المواد الاستهلاكية وضرورات الحياة وكذلك انتشار السوق السوداء وكانت جميع مدن الاتحاد السوفييتى تعانى من نفس الوضع بما فيها موسكو، وعندما سألنا قيل لنا أن هناك من يعرقل وسائل النقل والمواصلات وبالتالى توزيع المواد الغذائية وغيرها وهو تعويق متعمد ومنظم ضد مشروع غورباتشوف !!

وإيمانا بما للحرية وكرامة الإنسان من قيمة معنوية وأخلاقية وحضارية فلا يسع المرء إلا أن يدعو للتجربة بالنجاح وأن يضع يده على قلبه لمدة قادمة قد تطول وقد تقصر وربما تشهد مشاكل داخلية إن لم تكن حروبا بين القوميات والأعراق المختلفة فى هذا البلد مرامى الأطراف ومتعدد القوميات والأديان واللغات والأجناس....

ولعله من نافلة القول أن محاولات الإصلاح وتحقيق نوع من الديموقراطية يصحبه خلاف وتعثر وأحيانا بعض المشاكل، وكذلك لعله من المفيد أن نلقى الضوء على بعض التغيرات التى حدثت بعد إقرار برنامج (البيرسترويكا والقلازنوست) فى الاتحاد السوفييتى، ومنها بالطبع المشاكل العرقية والدينية والقومية والسياسية، فلقد استطاع غورباتشوف أن يحدث تغييرات هامة فى البنية القيادية السوفيتية وذلك من أجل أن يتمكن من تطبيق سياسته الجديدة على اعتبار أن هناك معوّقات لتلك السياسة تمثلت فى بعض القيادات التى لم تتفهم أو هى لم تشأ أن تتفهم مرامى البيرسترويكا والغلازنوست وذلك عندما عقد اجتماعا موسعا للجنة المركزية بتاريخ ١٩٨٨/٩/٢٠ م وعقد الجلسة الطارئة لمجلس السوفييت الأعلى بتاريخ ١٩٨٨/١٠/١م وقد قرر نقل ٥٠ % من موظفى المكاتب الحكومية الذين يعملون فى وزارات الجمهوريات السوفيتية الخمسة عشر إلى أعمال جديدة، وتقرر تخفيض السيارات التى تستخدم فى الهيئات الحكومية بواقع ٤٠% وكذلك إطلاق سراح عدد ١٤٠ من المساجين أو المنفيين الذين يعرفون بالمنشقين وصار التعديل فى الدستور (والمنشقون هؤلاء عادة من اليهود) الذى نص على حق المواطنين فى رفع شكاوى ضد المسؤولين فى الدولة إلى المحاكم وكذا حرية النقد العلنى فى الصحف الشئ الذى أتاح للصحف أن تشن حملة عنيفة على عهد ستالين، ولقد شهد الاتحاد السوفييتى لأول مرة اضطرابات ومظاهرات عبرت عن الاحتجاج على التجاوزات السياسية والخلاف بين الجمهوريات على الأراضى والحدود (مما أجج الشعور الوطنى لدى المواطنين فى كل جمهورية وذلك أدى إلى المطالبة بالانفصال ثم الانفصال) وفى نفس

الوقت اندلعت مظاهرات أخرى فى جمهوريات البلطيق قادها الحزب الاتحادى الديموقراطى الذى لم يتم الاعتراف به بعد، وكانت المظاهرات تحتج على إنضمام جمهوريات البلطيق وهى (استونيا ولتوانيا ولاتفيا) إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية..

وحدث فى الجانب الاقتصادى أيضا تحّول كبير حيث سمح للمواطنين السوفييت بامتلاك المشروعات الخاصة كأملاك محلات توزيع المواد الغذائية وبذلك قلّت المركزية التى كانت تتحكم فى كل شئ، وسمح للمتقاعدين بالعمل الإضافى وكذلك العمال فى غير وقت أعمالهم ولربات البيوت، وظهرت ورش خاصة لإصلاح السيارات وكذلك سيارات أجرة خاصة ورخّص للشركات السوفيتية التابعة للدولة بأن تتعاقد مباشرة مع مثيلاتها أو أية شركات أخرى غربية أو أمريكية..

وكذلك فى المجال الاجتماعى فقد خففت القيود على الديانات، وظهرت حركات عرقية كحالة الأرمن والتتار إلخ... وأخيرا فإن نجاح البيرسترويكا والغلازنوست سوف يتوقف على كثير من الأمور الداخلية فى الاتحاد السوفييتى وكذلك علاقة هذه الإجراءات بما يراه الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية وهذه الإجراءات أيضا ربما تفتح الطريق لدور تلعبه قيادات الجيش الروسى لإعادة عقارب الساعة إلى ما كانت عليه وخصوصا إذا ما انتشرت الفوضى وهى متوقعة بسبب الانفتاح السريع، وعلى أى حال فإن خطوات غورباتشوف تجعل الأيام حبلى بالكثير، وكل شئ متوقع..

***

٤٢- هذا المقال نشر بجريدة صوت العرب بعنوان : (رسالة إلى الرفاق والموقف من قضايانا ؟..)

هناك مثال يقول – لا تزعج البلاء إلا بعد أن يزعجك البلاء – وربما ينطبق هذا المثال تماما على ما يحدث مع الأمة العربية فى هذا الزمن الردئ الذى بات فيه كل يوم البلاء على أمة العرب ! ومع ظلمة الظروف ووقع الخبر الفاجع الذى تناقلته وكالات الأنباء القائل أن ألمانيا الشرقية أبدت استعدادها لتعويض إسرائيل عن أضرار الحرب العالمية الثانية ! (وهذه كانت تسمى قبل أن تندمج مع ألمانيا الغربية باسم ألمانيا الشرقية الديموقراطية !! وهى بالطبع ليست ديموقراطية) هذا الإعلان الذى جاء أو هو تزامن أو أريد له أن يتزامن (ربما لمزيد من الإيلام) مع ما يواجه إخواننا الفلسطينيون فى الأرض المحتلة من بطش وعسف وقهر وتغطرس إسرائيلى، إخواننا العزّل من كل شئ عدا الإيمان بقضيتهم العادلة يواجهون قوات إسرائيل المدججة بالسلاح وسلاحهم الوحيد هو الإيمان والقدرة على التضحية من أجل الحق العربى والكرامة العربية، إنهم يواجهون العدو الإسرائيلى بالحجارة التى يقتلعونها بأظافرهم من الأرض الطيبة التى لم يتخلوا عنها منذ قدر عليهم أن يغرس الغرب الاستعمارى إسرائيل فى أرضهم، هذا حدث وعرفناه وها نحن نقاومه منذ حدث حتى الآن بالحجارة وأظافر اليد الواحدة وبالإضراب عن الأكل فى السجون الإسرائيلية، وتفجير أجسادنا وأجساد أبنائنا فى تجمعات العدو تعبيرا عن الرفض والدفاع عن الكرامة، والأمر الذى لا نعرفه حتى هذه اللحظة موقف ألمانيا الشرقية منا الآن، والآن بالذات، ولهذا نود أن نناقش هذا الأمر بهدوء أولا حتى لا نتهم بالإرهاب أو الغباء السياسى وعدم القدرة على فهم تطور التاريخ..

ألمانيا الشرقية تعلن أنها مستعدة لتعويض إسرائيل عن أضرار الحرب العالمية الثانية، أى أنها ستعوّض إسرائيل عن الأضرار التى لحقت باليهود أثناء الحرب التى قادتها ألمانيا النازية وما كنا نعرفه ولابد أن كل ذى عقل يعرفه بداهة أن الشعب الألمانى كله غربيا كان أو شرقيا غير مسؤول عن جرائم النازية وبشكل خاص ألمانيا الشرقية التى ظهرت كدولة بعد الحرب العالمية الثانية لتقيم نظاما تقدميا يطبق الإشتراكية ويبنى أسس العدالة الاجتماعية متعاونا مع كل الشعوب المحبة للسلام فى العالم، هذا ما عرفناه إلا إذا كنا أغبياء أو إذا كان النظام الألمانى الشرقى خدّاعا ويحمل فى داخله بذرة الشر التى فجرت الحرب العالمية الثانية !! وألمانيا الديموقراطية هذه أو أى نظام اشتراكى أفهمنا من خلال العقيدة الماركسية أن الرأسمالية هى المسؤولة عن الحروب وبالتالى شقاء شعوب العالم وأن الرأسمالية لا تعيش إلا فى ظل الاحتكار واستغلال موارد كل الشعوب، والاستغلال هذا يأتى فى ظل الحروب التى تؤججها هنا وهناك لتجعل صناعاتها تنمو وتتطور، وفهمنا أن الاشتراكية تعنى السلام والتقدم والتعاون بين الشعوب، فإذا كان هذا المنطق مستقيما فلماذا تأتى الآن ألمانيا الشرقية لتعوّض إسرائيل عن حرب هى ليست مسؤولة عنها ؟؟!!

وحتى لو افترضنا أن هناك جانبا أخلاقيا يجعل الشعب الألمانى يحس بالذنب فيما حدث من نظامه السابق بصرف النظر عن شكل ذلك النظام السياسى فلماذا تقرر ألمانيا الشرقية التعويض فى هذا الوقت بالذات، بمعنى أنها تعترف بمسؤوليتها عن الحرب وأن اليهود فعلا قد أضيروا من جانب الشعب الألمانى ؟؟! وحتى لو افترضنا أن تلك العقدة تحكم التفكير الألمانى كله شرقيا

وغربيا حسب المفهوم السياسى الحالى فما الذى جعل دول أوربا الشرقية الأخرى والتى كانت شعوبها نفسها وقودا للحرب العالمية الثانية تتودد لإسرائيل الآن ؟! أليس من حقنا نحن العرب أن نقول أن ذلك لابد أن يكون نتيجة للغلازنوست والبيرسترويكا التى جاء بها غورباتشوف المشبوه !؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فماذا؟

الرفيق غورباتشوف تفهّم التفسير الأمريكى الجميل لقضية حقوق الإنسان بعد لقاء القمة مع السيد العزيز الرئيس ريجان ! والتفسير الأمريكى لا يرى الأمور إلا من زاوية واحدة، وهذه تقول أن الاتحاد السوفييتى هو امبراطورية الشر، وهو أمبراطورية شر طالما أنه لم يسمح بهجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل، أى أنه على الاتحاد السوفييتى لكى ينفى صفة الشر عن نفسه عليه أن يسمح بهجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل..

وهكذا فما سمعنا قد حدث فقد حرص الرفيق غورباتشوف على إبراز لقائه مع المنشق اليهودى السوفييتى زاخاروف إعلاميا، وقبل ذلك كان الإهتمام الإعلامى السوفييتى بزيارة رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، وقبل سفره إلى واشنطون كانت مظاهرات اليهود فى موسكو لأول مرة ربما فى تاريخ الثورة البلشفية (أى منذ ستة عقود من الزمان) ثم كان إستقبال غورباتشوف بمظاهرات اليهود الأمريكيين فى واشنطون وقد رفعت تلك المظاهرات شعارات مهينة حتى للسوفييت أنفسهم كالقول (لا تكنولوجيا قبل السماح بهجرة اليهود السوفييت إلخ...) ولا يهمنا كثيرا ماذا يحدث فى أمريكا أو من أمريكا لأن ذلك معروف لدينا، ثم نرى الرفيق ساوشيسكو يعلن أنه وبلاده على أتم إستعداد لاستقبال اليهود السوفييت المهاجرين ويقول أن رومانيا هى أنسب

مكان لأنها ستحرص على أن يهاجروا جميعا إلى إسرائيل دون غيرها، وكذلك التودد المفاجئ البولونى !!

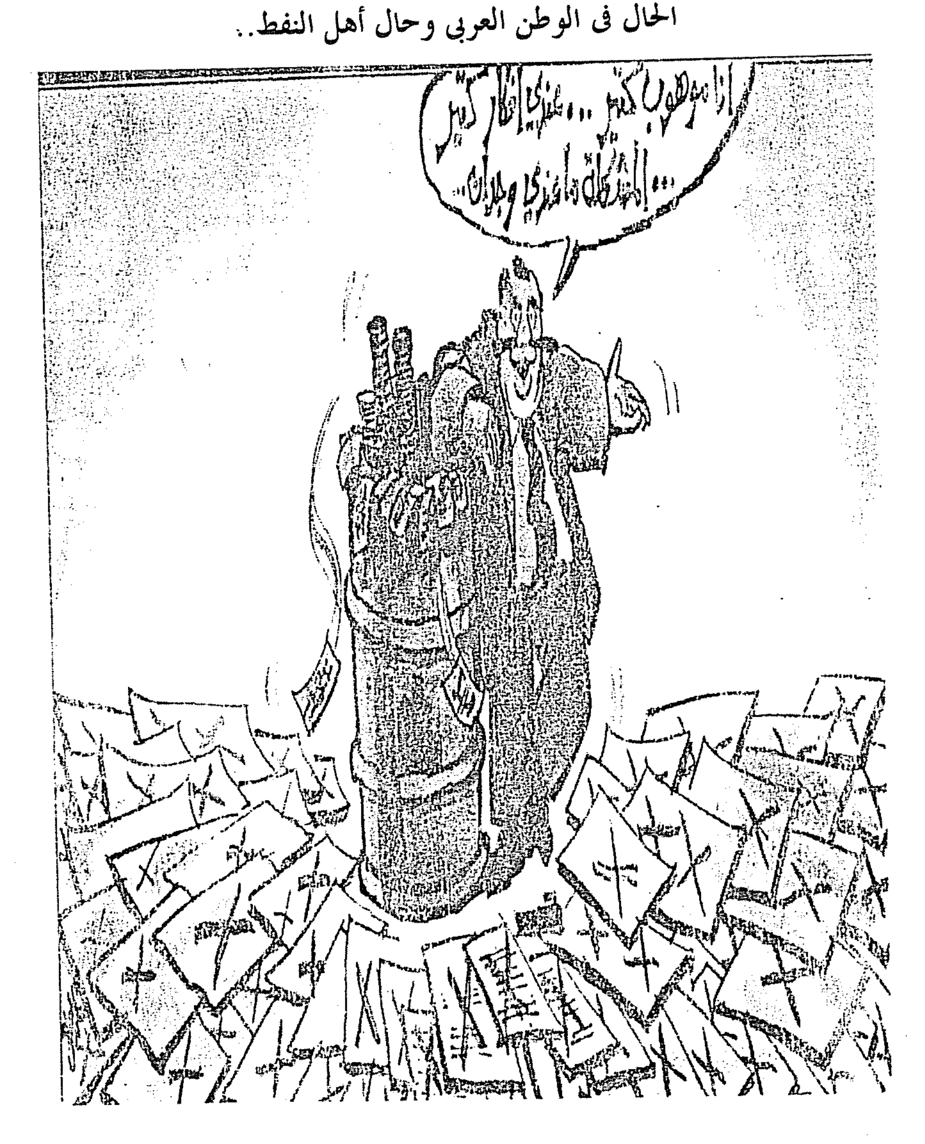
أمور من الصعب علينا أن نفهمها أيها الرفاق، ومن الأصعب علينا أن نقبلها، وقد يسكت عليها الحكام العرب ولكن ما نعرفه أنكم تهتمون بالشعوب لأن تلك هى العلاقة الباقية، ونود أن نقول أن الاتحاد السوفييتى عندما قاد الحملة الدبلوماسية التى نتج عنها قطع العلاقات مع إسرائيل سنة ١٩٦٧م فإنه قام بها دون أن يطلب منه العرب ذلك إلا أنه فيما نعتقد كان يعبّر عن صداقته للشعب العربى، وعندما قدم الاتحاد السوفييتى كل المساعدات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والفنية بعد أن سحب الغرب موافقته على بناء السد العالى فإنما كان يؤكد صداقته ووقوفه مع الأمة العربية، وعندما ساعد الاتحاد السوفييتى على إنشاء صرح الصناعة الوطنية فى مصر جمال عبدالناصر إنما جعل من ذلك التعاون عنوانا للصداقة الدائمة المفيدة، والكثير الكثير مما لم ينساه الشعب العربى ولكن ما الذى يحدث الآن !! فلقد كانت ألمانيا الغربية قد دفعت بلايين الدولارات تعويضا لإسرائيل عن أضرار الحرب العالمية الثانية ماديا وفى شكل معدات حربية ولكن ألمانيا الغربية كانت تقول أن ذلك حدث بسبب الضغط الأمريكى، فماذا ستقول ألمانيا الشرقية وهى التى تتحفز لدفع التعويضات ؟؟ لابد أنها ستطلب الرضا الأمريكى !!

ولابد أن نذّكر الرفاق فى ألمانيا الشرقية أن أول من فتح باب الاعتراف بدولتهم هو الرئيس جمال عبدالناصر وهو بذلك تحدى الغرب كله وعلى رأسه ألمانيا الغربية التى كانت تهدد كل من يعترف أو يتعامل مع ألمانيا الشرقية بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية إلخ... وجمال عبدالناصر كان يمثل إرادة الأمة

العربية كلها، ولابد أن نقول للرفاق السوفييت أن أول من فتح أبواب العالم الثالث والعربى بشكل خاص للتعاون مع الاتحاد السوفييتى هو جمال عبدالناصر وقد تحدى بذلك أمريكا والغرب كله، وكانت واحدة من نتائج ذلك الحرب التى شنّت على مصر سنة ١٩٥٦م، ونود أن نقول أن الصداقة ليست سلاحا فقط إذ إن بيع وشراء السلاح متاح ومتوفر ومعروض فى أسواق العالم، وهذه دول تحارب منذ سنوات وهى تشترى السلاح من كل الأسواق، ونحن لم نكن ضد أمريكا أو الشعب الأمريكى لمجرد أن اسمها أمريكا أو لأن الشعب الأمريكى يقطن فى أمريكا الشمالية، ولسنا ضد الغرب لأنه غرب، ولقد قال جمال عبد الناصر كلمته الشهيرة (إننا نعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا) فهل أنتم حريصون على صداقة الأمة العربية ؟؟ ذلك ما نتمناه وإن كانت الرياح تحمل كثيرا من الأتربة

فى نهاية هذا الجزء أود أن أعتذر للقارئ الكريم إذا كنت قد أطلت فى سرد الأحداث من خلال مقالات نشرت منذ أكثر من ثلاثة عقود، لكننى أرى أنها تمثل تعبيرا صادقا عن الأمل فى الوحدة العربية والنضال من أجلها ولو بالقلم وهو مساهمة فكرية وسياسية متواضعة من مواطن يحاول ترسيخ أمل تحقيق الوحدة العربية، ومازال يؤمن بهذا الحلم وما غاب يوما ذلك عن ذهن وفكر كاتبها وجهده.. والله الموّفق والمعين.

كانت هذه الصورة على رأس أحد المقالات وقد نقلتها هنا لأنها تعبر عن واقع الحال فى الوطن العربى وحال أهل النفط..



هذه الصورة هى لمشروع تخليد ذكرى الرئيس جمال عبدالناصر الذى أقيم فى مدينة بنغازى وهو مكوّن من قاعة مكتبه وقاعة عرض سينمائى وعيادة أمراض

مشروع تخليد ذكرى الرئيس جمال عبد الناصر

الجمهورية العربية الليبية

بلدية بنغازي

١- مكتبة تحوى جميع ما كتب عن الرئيس جمال عبد الناصر بجميع اللغات . ملحقة بصالة محاضرات اتساعها ١٠ × ٢٦ مترا تتوسط الكرسيان فى مدينة بنغازى.

٢- مسلة ارتفاعها ٢٨ مترا منقوش عليها بالنقش البارز جميع منجزات الرئيس جمال...

٣- تمثال الرئيس جمال من البرونز الخالص فوق المسلة.

شــؤون الامن العـــام

قسم الادارة العامة بطرابلس	Section:
التاريخ ١٩٦٨/٩/١٣	Date:
ملف شخصى / س	Ref.:

حضرة الملازم اول ((عبدالوهاب محمد الزنتانى))

بعد التحية
==========

الموضوع : سلوك عـــام

فى الوقت الذى اكتب اليكم فية للمرة الرابعة ارجوان تأخذوا ما اكتبة على محمل الجد وان تقدروا ما اعنى بمعنى المصلحة العامة . .

كنت وما زلت ارى فيكم القدوة الحسنة الممتازة والعنصر الذى افتخر بان يكون بين صفوف ضباطى فى هذة الادارة ، ولقد حاولت تاكيد ذلك للسيد وزير الداخلية نفسة وهو يعرف كل شئ عنكم ، ولما كنت اعتقد ان التعليم او الثقافة لا يمكن ان تكون المقياس الامثل الوحيد فى هذا الظرف فقد رايت اعلامكم بما يلى :

١ ـ لعلكم لا تعرفون ان جميع تصرفاتكم تبلغ الينا اولا باول ومنها انكم لا تحترمون النظام القائم وان لكم نشاطا مشبوها فى اتجاة لا نرغب ذكرة وبالنظر الى اننى انظر اليكم من خلال قياس محدد فاننى اعتقد ان مثل تصرفكم هذا تقصدون بة انهاء خدماتكم من هذة الادارة ولذلك اريد ان اؤكد لكم ان الباب سوف لن يفتح للخروج من ادارتى هذة الا اذا كان ذلك فى الطريق الى السجن الذى لا ارجوة لامثالكم

٢ ـ نشاطاتكم التى تفسر بعلاقاتها بانواع معينة من السياسة التى تظهر بمصلحة الوطن والعرش المفدى وهى جميعا موضع رقابة صارمة ومثلها كتاباتكم فى الصحف والجرائد ونحن بالرغم من اننا لا نعارض اى نشاط علمى ثقافى فاننا نرى ان الذى تقومون بة يتعارض تماما مع ما تؤدون من عمل وما نأملة منكم ولذلك رايت ان انصحك قبل فوات الاوان :

١ ـ التحول التام عن مجالس البيوت والنشاطات المشبوهة ٢ ـ الاقلاع عن كتابة المقالات التى لها طابع سياسى من قريب او بعيد ٣ ـ عدم مرافقة ذوى الميول الحزبية ٤ ـ الادراك الكامل

نص رسالة الزعيم الزنتوتى وهى واضحة بذاتها، رحمه الله..

KINGDOM OF LIBYA

GENERAL SECURITY FORCES

المملكة الليبية

قوة الامن العام

Section: ....

Date: ....

Ref.: ....

تابع

الناضج باننا هنا في هذا البلد نخدم التاج السنوسي ولا علاقة لنا بأولئك المغرورين الذين لا هم لهم الا اثارة الفتن والشغب الخ ،

ارجو ان تكون هناك حدة مضموالراكم بضرورة الحفاظ على سريتها التامة

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

لواء (محمد الزنتوتي)

مدير عام ادارة الجوازات واقامة الاجانب

نص الرسالة التى أبرقت بها إلى الأخ العقيد من القاهرة عندما أعتقل السادات الطلبة فى التنظيم الناصرى بالجامعة..

72/12/29 - 58

للأخ العقيد معمر القذافي (.) باسم الأحرار من الناصريين في هذا البلد (.) نتقدم ... جامعة من شباب الناصريين ...

... الأخ المقدم ... القاهرة (.) ... عبد الناصر ... الشعب (.) عبد الوهاب ...

الليبية

وزارة الخارجية

التاريخ 25 ذي القعدة 1392هـ

الموافق 1972/12/30م

وزارة الوحدة والخارجية

وارد

الملف

الاتفاق المبدئى مع جهات الاختصاص فى قبرص بشأن إقامة معمل تكرير نفط ليبى بالجزيرة..

بسم الله الرحمن الرحيم

سفارة الجمهورية العربية الليبية
نيقوسيا



التاريخ ____
الرافق ____
الرقم SH.Q/6/5/319

EMBASSY
OF THE
LIBYAN ARAB REPUBLIC

Nicosia, 12th March 1974.

H.E. THE MINISTER OF COMMERCE & INDUSTRY,
NICOSIA - CYPRUS.

Dear Sir,

This is to certify that we have reached agreement in principle with CYPETROL LTD to cooperate on a joint venture basis in the establishment of an industrial complex consisting of an Oil refinery and Petrochemical Plants in Cyprus.

The refined petroleum products will be for export.

We are prepared to finance the project up to the extent of £5$ millions and to supply the crude Oil required as well as other petroleum products that may be required by the Petrochemical Plants.

We intend to bring in due course to Cyprus a Libyan technical delegation who is going to discuss all aspects of the project togther with CYPETROL LTD and the Cyprus Government.

Our main concern is to promote close connections with Cyprus and assist in the development of its economy.

We hope that this proposal which will serve the mutual interests for both countries will be acceptable.

Yours faithfully,

ABDULWAHAB M ZINTANY
AMBASSADOR

رسالة وزارة الخارجية القبرصية بشأن معمل تكرير النفط الليبى توافق فيه الوزارة على مكان إقامة معمل التكرير وبقية التفاصيل..





CYPRUS REPUBLIC

MINISTRY OF COMMERCE AND INDUSTRY
NICOSIA—CYPRUS.

Ref: 1326/C
Telephones Nos. 40—3441—8
Telex No. 2283 MINCOMIND Nicosia
Telegram & Cable MINCOMMIND Nicosia.

19th March, 1974.

Dear Sir,

In reply to your letter No.R/1 of the 12th March, 1974, concerning the establishment of an export Petroleum Refinery in Cyprus, I should like to inform you that the Government favours such a project and subject to the conclusion of an Agreement on the final terms, the Government is prepared to grant you the requested licence.

We shall be glad if you will forward to this Ministry as soon as possible detailed proposals concerning this project for consideration by the Government.

Yours faithfully,

Director-General.

Mr. A. Myrianthous,
Managing Director,
Cypetrol Ltd.,
23, Constantinou Paleologou Ave.,
Nicosia.

رسالة بشأن الاتفاق على إنشاء محطة راديو وتلفزيون ليبيين بقبرص وتلك هى المرة الأولى التى توافق فيها قبرص لبلد بعد المملكة المتحدة على إقامة مشروع إعلامى بالجزيرة..

بسم الله الرحمن الرحيم

سفارة الجمهورية العربية الليبية
نيقوسيا

التاريخ ______
الموافق ______
الرقم SH.TH. 7/1/624

EMBASSY
OF THE
LIBYAN ARAB REPUBLIC.

Nicosia, 10th of June 1974.

MR ANDREAS CHRISTOFIDES,
THE GENERAL DIRECTOR OF CYPRUS
BROADCASTING CORPORATION,
NICOSIA.

Honourable friend,

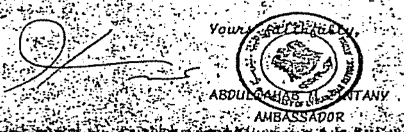
It is a pleasure for me to refer to our meeting at your office, concerning the cooperation between Cyprus broadcasting corporation and the Libyan Radio and T.V. stations for the information services and the mutual interest.

First I would like to thank you very much for your help and cooperation of which I was able to render my task and to serve the aim of the mutual benefit of both countries, as you maybe remember during this meeting, we discussed the possibility of a period of time to be hired for the Libyan Radio station in order to transmit an Arabic programme serving our people in the area of the Middle East, therefore I hope to receive your reply as soon as possible, concerning the available time (which I hope it will not be less than one hour.) Also the expenses covering this period of time.

For the medium wave as you kindly mentioned we will wait until the end of London conference.

Again, I thank you very much for all what you have done.

Yours faithfully,



ABDULWAHAB [illegible]NTANY
AMBASSADOR

كتب صدرت للمؤلف،،، وهى إسهامات متواضعة فى نهضة بلادى..

١ـ المسطرة الحاسبة سنة ١٩٦٦م – أعيد نشره ثلاث مرات

٢– هندسة الراديو والتلفزيون ١٩٦٧م – أعيد نشره أربع مرات

٣– حرب الشرق الأوسط بين الحقيقة والخيال ١٩٦٧م – أعيد نشره مرة واحدة

٤– مستقبل التلفزيون الملون ١٩٦٨م – أعيد نشره مرة واحدة

٥– مذكرات جندى فى سيناء، ترجمة ١٩٦٨م

٦– مولد دولة إفريقية، ترجمة ١٩٧١م – أعيد نشره مرة واحدة

٧– ثورة الأدغال فى أفريقيا، ترجمة ١٩٧٨م

٨– وثائق الوحدة لا وثائق أكتوبر تأليف ١٩٧٩م – أعيد نشره مرتان

٩– خرافة الستار الحديدى حول بلاد السوفييت، تأليف ١٩٨٠م – أعيد نشره وترجم إلى عدة لغات منها الروسية والدارية والألمانية

١٠– نفط الشرق الأوسط وأزمة الطاقة فى العالم، ترجمة ١٩٨١م – أعيد نشره مرة واحدة

١١– الاتحاد السوفييتى نظرة من الداخل، تأليف ١٩٨٥م – أعيد نشره وترجم إلى عدة لغات كالإنجليزية والروسية والدارية والألمانية

١٢– تاريخ المخابرات الإسرائيلية، ترجمة ١٩٩٠م

١٣– عدوى نفسى، أسرار الانتفاضة الأولى، ترجمة ١٩٩٠م – أعيد نشره مرة واحدة

١٤– الفقى مصباح مؤذن الفجر، رواية، تأليف ١٩٩١م – أعيد نشرها مرة واحدة

١٥- مذكرات ذو الفقار على بوتو، ترجمة ١٩٩٣م - أعيد نشره ثلاث مرات

١٦- تدمير العراق بعد ١٣٥ يوما من المبادرات الدولية، ترجمة ١٩٩٣م

١٧- حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي، تأليف ١٩٩٣م

١٨- قائد معركة القارة ومعارك القبلة، سالم بن عبدالنبى، تأليف ١٩٩٣م

١٩- تاريخ الشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى سابقا، ترجمة ١٩٩٩م

٢٠- الجهاد الوطنى أدب وتاريخ، تأليف، ١٩٩٩م - أعيد نشره مرة واحدة

٢١- تاريخ الإسلام والمسلمين فى البوسنا والهرسك، ترجمه ٢٠٠٠م

٢٢- قبرص من معاوية إلى أجاويد، تأليف ٢٠٠٠م - أعيد نشره وترجم إلى اللغة اليونانية والتركية.

٢٣- مسافر يبحث عن الموت، جزء أول، روايه، تأليف ٢٠٠٠م

٢٤- ليلة الحلم الطويل روايه، تأليف ٢٠٠١م

٢٥- شهداء الكردون العشرة، تأليف ٢٠٠١م

٢٦- مسافر يبحث عن الموت، جزء ثانى، روايه، تأليف ٢٠٠٢م

٢٧- أزمات السودان بين الديموقراطية والديكتاتورية، تأليف ٢٠٠٣م

٢٨- الليبيون والثورة الجزائرية، تأليف ٢٠٠٤م

٢٩- حجارة من سجيل، الانتفاضتان، دروس ونتائج، تأليف، مخطوط

٣٠- رحلة فى الصحافة، ١٩٦٠- ١٩٩٥م، مخطوط

٣١- جمال عبدالناصر رجل العرب تأليف - ٢٠٠٨م

٣٢- إسهامات الليبيين فى النضال الفلسطينى من الحسينى إلى عرفات تأليف، ٢٠٠٥م

٣٣- الجهاد الوطنى أدب وتاريخ، الجزء الثانى، تأليف ٢٠٠٥م

٣٤- الفقى مصباح في مستشفى المجانين، رواية، جزء ثانى ٢٠٠٥م

٣٥ - إنهيار الاتحاد السوفييتى والتغييرات المدوية في العالم - تأليف، ٢٠٠٦م

٣٦- تاريخ أفريقيا السمراء - ترجمة - ٢٠٠٧م

٣٧- معركة العميان واحدة من معجزات الجهاد الوطنى الليبى - تأليف- ٢٠٠٨م

٣٨- الغموض النووى فى التسلح الإسرائيلى - ترجمة - ٢٠٠٨م

٣٩- مذكرات الجنرال الفيتنامى جياب - قتال تحت الحصار - ترجمة معد للنشر ٢٠٠٩م

٤٠- تاريخ بلدان وشعوب أفريقيا ترجمة - معد للنشر ٢٠١٠م

مسرحيات:

١ - المجد فى أربعة فصول

٢ - صخب المدينة فى فصلان

٣ - الجشع فى أربعة فصول

٤ - الرجل الذى لم يفقد الانتماء فى خمسة فصول

٥ - وطن في محنة بين مشفق وشامت في أربعة فصول

هذا الكتاب

هذه سيرة ذاتية لا تزيين فيها ولا حذلقة وإنما هى أحداث عشتها منذ الصغر أردت أن أسجلها، وأنا أدرك تماما أن الكاتب عندما يسّطر ما يجول بخاطره أو ما تختزن ذاكرته لابد أن يكون على مستوى المسؤولية الأدبية والأخلاقية والسياسية وأن يكون مبصرا وعارفا ما يمكن أن يترتب على كتاباته من فائدة أو ضرر، وما أكتبه هو أحداث أثرّت كثيرا في مجرى حياتي ولها آثار عميقة في نفسى، وأنا لم أتعمّد الحيطة أو انتقاء الصياغة عندما أنظر إلى ما فات..

على أننى أريد أن أؤكد أننى منذ عرفت الكتابة كان فكرى وعملى يدوران حول الحرية بمعناها السياسى ومعناها الفكرى والدينى والاجتماعى والاقتصادى الذى فيما أتصوّر يؤدي إلى أملنا في الوحدة العربية، ولكن مع الأسف حدث فى شأن الوحدة..كما قال (المعّرى):

(لو حبيت الخلود فردا ما أحببت بالخلد انفرادا)

ثم قال:

(جلوا صارما وتلوا باطلا وقالوا صدقنا فقلنا نعم !!)

ولقد صدق فى أعداء التقدم والوحدة.

هذا الكتاب

هذه سيرة ذاتية لا تزيين فيها ولا حذلقة و إنما هى أحداث عشتها منذ الصغر أردت أن أسجلها ، وأنا أدرك تمامًا أن الكاتب عندما يسطر ما يجول بخاطره أو ما تختزن ذاكرته لابد أن يكون على مستوى المسئولية الأدبية والأخلاقية والسياسية وأن يكون مبصرًا وعارفًا ما يمكن أن يترتب على كتاباته من فائدة أو ضرر ، وما أكتبه هو أحداث أثرت كثيرًا في مجرى حياتي ولها آثار عميقة في نفسي ، وأنا لم أتعمد الحيطة أو انتقاء الصيغة عندما أنظر إلى ما فات ..

على أنني أريد أن أؤكد أنني منذ عرفت الكتابة كان فكري و عملي يدوران حول الحرية بمعناها السياسي ومعناها الفكري والديني والاجتماعي والاقتصادي الذي فيما أتصور يؤدي إلى أملنا في الوحدة العربية ، ولكن مع الأسف حدث في شأن الوحدة .. كما قال (المعرى) :

(لو حبيت الخلود فردا ما أحببت بالخلود انفرادا)

ثم قال :

(جلوًا صارمًا و تلوًا باطلًا و قالوا صدقنا فقلنا نعم !!)

و لقد صدق في أعداء التقدم و الوحدة .

